خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الثالث

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الرابعة
١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٩٧٨٥١

باب الاشتغال

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد المائة[1] :

١٥٦ (فكلاًّ أراهُمْ أصبحُوا يعقِلونَهُ صَحِيحاتِ مالٍ طالعاتٍ بمَخْرِمِ)

على أنه مما اشتغل الفعلُ فيه بنفس الضمير . إذ التقدير : يعقلون (كُلاًّ)

هذا البيت من معلَّقة زُهير بن أبى سُلمىٰ . وضمير الجمع فى المواضع الثلاثة عائدٌ إلى الحىّ ، وهم قبيلة بنى ذُبيان . وقوله : (فكلاًّ) أى فكلَّ واحد من المقتولين المذكورينَ قبل هذا البيت . وروىٰ الأعلم : (يعقلونهم) بإرجاع الضمير إلى كلٍّ مجموعاً ، باعتبار المعنى ، نحو قوله تعالى : (كلٌّ فى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ[2]) . ويعقلونه أى يُؤَدُّونَ عَقْلَه ، أى دِيَتَه . يقال عقَلت القتيلَ ، من باب ضَرب : أدَّيت دِيته ؛ قال الأصمعىُّ : سُمِّيتِ الدِيَةُ عقْلاً تسميةً بالمصدر ، لأن الإبل كانت تُعقَل بفِناء ولىِّ القتيل ، ثم كثر الاستعمال حتى أطلق العقل على الدِّية ، إبلاً كانت أو نقداً . وعقَلت عنه : غرِمت عنه مالزمه من دية وجناية . وهذا هو الفرق بين عقلته وعقلت عنه : ومن الفرق بينهما أيضاً ، عقلت له دم فلان : إذا تركتَ القَود للدية . وعن الأصمعىّ : كلّمت القاضىَ أبا يوسف ، بحضرة الرَّشيد ، فى ذلك ، فلم يفرقْ بين عقلته وعقلت عنه حتى فهّمته . كذا فى المصباح .

فتفسير الأعلم (فى شرحه للديوان) يعقلونه ، بقوله : يغرَمون ديته ؛

---

(١) البيت من معلقة زهير .
(٢) الآية ٣٣ من سورة الأنبياء :

غير جيّد . والمعنى : أرى حيّ ذبيان أصبحوا يعقلون كلَّ واحدٍ من المقتولين من بني عبس . فالرؤية واقعة على ضمير الحيّ ؛ والعقلُ واقع على ضمير كلّ ؛ فلا يصح قول أبي جعفر النحوي وقولُ الخطيب التبريزي ، في شرحيهما لهذه المعلقة : إن كلاًّ منصوب بإضمار فعلٍ يفسِّره ما بعده ، كأنه قال : فأرى كلاً . ويجوز الرفع على أن لا يضمر ، لكن النصب أجود ، لتعطف فعلاً على فعل ؛ لأن قبله « ولا شاركت في الحرب » اهـ . ووجه الرفع حينئذ : أن يكون كلّ مبتدأ ، وجملة يعقلونه الخبر ، وما بينهما اعتراض .

وقوله : (صحيحات مال) أي ليست بعِدَة ولا مطل . يقال : مال صحيح : إذا لم تدخله علة في عِدَة ومطلٌ اهـ(١) . والمال عند العرب : الإبل ، وعند الفقهاء : ما يُتموَّل : أي ما يعدّ مالاً في العرف . وقوله : (طالعات بمخْرِم) هو بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة(٢) ، وهو الثَّنيّة في الجبل ، والطريقُ . يعني : أن إبل الدية تعلو في أطراف الجَبَل عند سَوقها إلى أولياء المقتولين . يشير إلى وفائهم . وروى أبو جعفر والخطيب المصراعَ الثاني :

* عُلالةَ ألفٍ بَعد ألف مُصَتَّم *

والعُلالة بضم المهملة ههنا : الزيادة . وبناء فُعالة ، للشيء اليسير نحو القلامة . والمصتَّم بضم الميم وفتح الصاد المهملة وتشديد المثناة الفوقيّة : التامّ والكامل .

ورَوى صَعُوداء في شرحه لديوان زهير :

* صحيحات ألفٍ بَعد ألفٍ مُصتَّم *

---

(١) كذا في النسختين ، ولم يتبين أول النص ، فلعل في الكلام سقطا .

(٢) أي ، وبكسر الراء ، لا كما يوهمه قوله ، فإن تركه لتقييدها يشعر بأنها مفتوحة ، وليس كذلك .

وقال : مصتَّمٌ : مكمَّل ؛ يقال مال صَتْم : تامٌ كثير ، ويقال أُعطيته ألفاً مصتَّمة : أى كاملة .

والبيت المذكور . على رواية الأعلم ، ملفَّق من بيتين . وهذه روايته :

فــكلاً أراهُمْ أصبحوا يَعقلونهمْ عُلالةَ ألف بعد ألف مصتَّم

تُساقُ إلى قَومٍ لِقَوْم غَرامةً صَحيحاتِ مالٍ ، طالعاتٍ بمَخْرِمِ

وقال : وقوله « تساق إلى قوم » أى يَدفع إبلَ الدية قومٌ إلى قوم لِيُبلِغوها هؤلاء .

سبب الشعر

وينبغى أن نورد ما قبل هذا البيت ، حتَّى يتَّضح معناه ، وكذلك السبب الذى قِيلتْ هذه القصيدةُ لأجله ، فنقول : قال الشراح : إنَّ زهيراً مدح بهذه القصيدة الحارثَ بن عوف وهَرِم بنَ سِنان المرِّيَّين ، وذكر سعيَهما بالصلح بين عَبْس وذُبيان ، وتحمُّلهما الحمالة . وكان وَرْد بن حابس العبسىّ قتل هَرِم ابن ضَمضم المرىّ ، فى حرب عبس وذبيان قبل الصلح ، وهى حرب داحس ؛ ثم اصطلح الناسُ ولم يدخل حصين بن ضمضم أخو هرم بن ضمضم فى الصُّلح ، وحلف : لا يغسل رأسَه حتى يقتُل وردَ بن حابس ، أو رجلا من بنى عبس ثم من بنى غالب ! ولم يُطلع على ذلك أحداً . وقد حمل الحمالة الحارثُ بن عوف ابن أبى حارثة ، وهَرِم بن سنان بن أبى حارثة . فأقبل رجلٌ من بنى عبس ثم من بنى غالب حتى نزل بحصين بن ضَمضم ، فقال : مَن أنت أيها الرجل ؟ فقال : عبسيّ . فقال : مِن أىّ عبس ؟ فلم يزل ينتسبُ حتَّى انتسب إلى غالب . فقتله حصين فبلغ ذلك الحارثَ بن عوف وهرم بن سنان ، فاشتدَّ عليهما ؛ وبلغ بنى عبس ، فركبوا نحو الحارث . فلما بلغ الحارثَ ركوبُ بنى عبس وما قد اشتدَّ عليهم من قتل صاحبهم — وإنما أرادت بنو عبس أن يقتلوا

١

٤٣٨

الحارث — بعث إليهم بمائة من الإبل معها ابنه . وقال للرسول : قل لهم : آللبنُ أحبُّ إليكم أم أنفسُكم ؟ فأقبل الرسول ، حتى قال ما قال ؛ فقال لهم الربيع بن زياد : إن أخاكم قد أرسل إليكم : آلإبلُ أحبُّ إليكم أم ابنُه تقتلونه ؟ فقالوا . نأخذ الإبلَ ونصالح قومنا ويتمّ الصلح . فقال زهير فى ذلك هذه القصيدة .

أبيات الشاهد

وبعد أن تغزّل بخمسة عشر بيتاً قال :

(سَعَىٰ ساعياً غيظِ بن مُرَّةَ بعدَما تبزّلَ ما بين العَشيرة بالدَّمِ)

الساعيان : الحارث بن عوف وهرم بن سنان ، وقيل : خارجة بن سنان ؛ وهو أخو هرم بن سنان ؛ وهما ابنا عمّ للحارث بن عوف ، لأنهما ابنا سنان ابن أبى حارثةَ والحارثُ هو ابن عوف بن أبى حارثة ، و [ابن أبى حارثة[1]] هو ابن مرّة بن نُشْبة بن مرّة بن غيظ [بن مرّة[2]] بن عوف بن سعد ابن ذبيان .

ومعنَى سَعيا : أى عملا [عَمَلاً[3]] حسناً حين مَشيا للصلح وتحمّلا الديات. وتبزّل ، أى تشقّق . يقول : كان بينهم صلح ، فتشقّقَ بالدم الذى كان بينهم ، فسَعيا فى إحكام العهد بعد ما تشقّق بسفك الدماء .

(فأقسمتُ بالبيتِ الذى طافَ حولَه رجالٌ بَنَوْهُ ، من قريش وجُرْهُم)

أراد بالبيت الكعبةَ المعظَّمة . وجُرهُم : أمّة قديمة ، كانت أربابَ البيت قبل قريش . وبنَوْه بفتح النون ، من البناء ، وضمُّها خطأ .

(يميناً لَنِعمَ السيِّدانِ وُجِدتُما على كلِّ حالٍ: مِنْ سَحيلٍ ومُبرَمِ)

---

(١) التكملة من ش .
(٢) التكملة من ش .
(٣) التكملة من ش .

يميناً : مصدر مؤكِّد لقوله أقسمت ، وجملة لنعم السيدان . . الخ ، جواب القسم .

وهذا البيت أورده الشارح المحقِّق (فى باب أفعال المدح[١]) على أن المخصوص بالمدح إذا تأخَّر عن نِعْم ، يجوز دخول نواسخ المبتدإ عليه ، فإن ضمير التثنية فى « وجدتما » هو المخصوص بالمدح ، وقد دخل عليه الناسخُ وهو وُجد . وعلى متعلِّقةٌ به . والسَّحيل ، بفتح السين وكسر الحاء المهملتين : المسحول ، أى الذى لم يُحكم فتلُه . والمبرَم : مفعول من أبرم الفاتل الحبلَ : إذا أعاد عليه الفتل ثانياً بعد أوَّل ، فالأوّل سَحيل والثانى مبرم . وقيل : السحيل : ما فُتل من خيط واحد ، والمبرم : ما فتل من خيطين . وأراد بالسحيل الأمرَ السهل الضعيف وبالمبرم الشديدَ القوىّ .

(تداركتُما عَبْساً وذُبيانَ بَعْدَما تَفانَوْا ودقُّوا بينَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ)

عَبْس وذُبيان : أخوان ، وهما ابنا بَغيض بن رَيْث بن غطَفَان بن سعد ابن قيس بن عَيْلان بن مضر . أى تداركتماهُما بالصلح ، بعد ما تفانوا بالحرب. « ومَنشم » المشهور بفتح الميم وسكون النون وكسر الشين المعجمة[٢] زعموا أنها امرأة عطّارة من خُزاعة ، تحالفَ قومٌ فأدخلوا أيديَهم فى عطرها على أن يقاتلوا حتَّى يموتوا . فضرَب زهير بها المثل . أى صار هؤلاء فى شدّة الأمر بمنزلة أولئك . وقيل : كانوا إذا حاربوا اشتروا منها كافوراً لموتاهم ، فتشاءمُوا بها . وزعم بعضهم : أنّها امرأة من بنى غُدانة ، وهى صاحبة

(١) هو الشاهد ٧٦١ من الخزانة .

(٢) ويقال بفتحها أيضاً . وانظر قول هشام الكلبى فى التفرقة بينهما فى اللسان (نشم ٥٦) حيث جعل التى بكسر الشين منشم بنت الوجيه ، من حمير . والتى بفتحها امرأة من العرب كانت تنتجع العرب تبيعهم عطرها .

« يسارِ الكواعب[1] » وكانت امرأةَ مولاه، وكان يسارٌ من أقبح الناس؛ وكان النساء يضحكن من قبحه، فضحكت منه منشمُ يوماً، فظن أنها خضعت إليه، فراودها عن نفسها، فقالت له: مكانَك؟ فإن للحرائرِ طيباً. فأتت بموسى فأشمّته طيباً، ثم أنحت على أصل أنفه[2] فاستوعبته قطعاً، فخرج هارباً ودمه يسيل. فضرب المثل فى الشرّ بطيب منشم. وقيل غير ذلك.

(وقد قلتُما إنْ نُدركِ السّلم واسعاً بمالٍ ومَعروفٍ من القول، نَسْلَمْ)

السلم: الصلح، يذكّر ويؤنّث، وهنا مذكر، لقوله: واسعا: أى ممكنا. وقال الأعلم: أى كاملاً مَكينا. وقوله: نسلم، أى من أمر الحرب. وروى بضم النون، أى نوقِع السلم بين القوم والصلحَ.

(فأصبحتُما منها على خَيرِ مَوطنٍ بعيدَينِ فيها من عُقوق ومَأثَمِ)

أى أصبحتما من الحرب على خير منزلة. ومِن للبدل. وبعيدَين، خبر بعد خبر. والعقوق: قطيعة الرحم. والمأثم: الإثم.

(عَظيمَينِ فى عُلْيا معَدٍّ وغيرها ومن يَستبحْ كنزاً من المجد يَعظُمِ)

عُليا معدّ: مؤنث أعلى؛ أى فى عُليا منزلة هذه القبيلة. وروى بدل وغيرها « هديتُما » وهو دعاء، أى دامت هدايتكما إلى طريق الفلاح. ومعنى يستبِحْ كنزاً، يُصِبْ مجداً مباحاً. والكنز كناية عن الكثرة. يقول: مَن فعل فعلَكما فقد أبيح له المجد، واستحقّ أن يعظُم عند الناس. روى يعظُمْ بالفتح أى يَصِرْ عظيما، وبالضم مع كسر الظاء أى يأت بأمرٍ عظيم، ومع فتح الظاء أى يعظِّمه الناس. وعظيمين خبرٌ ثالث.

(١) انظر خبره فى النقائض ٨١٦، ١٠٩٣ والفاخر ٩٩ والروض الأنف ١: ١٦/٢: ٨٢ وثمار القلوب ٨٢ ونهاية الأرب ٣: ٣٦ فى مثل « صبرا على مجامر الكرام ».

(٢) فى معظم المراجع أنها قطعت مَذَاكيره لا أنفه.

(فأصبح يُحدىٰ فيهمُ مِن تلادكمْ   مغانمُ شَتّىٰ من إفالِ المزنَّم)

يُحدى : يساق ، من الحُداء . وروى « يجرى » . والتِّلاد بالكسر : ما ولد عندهم أصله ، وهو المال القديم ؛ ثم كثر استعمالهم إياه ، حتى قيل لِلْمِلك الرجل كلّه : تِلاد . وشتّي : متفرقة . والإفال ، بالكسر : جمع أفيل وأفيلة ، وهو الفَصيل ؛ وإنما خصّ الإفال ، لأنَّهم كانوا يغرمون فى الدية صغار الإبل . والمزنَّم : فحلٌ معروف ، نَسَبَ الإفالَ إليه . والتزنيم : سِمَة يوسَم بها البعير : وهو أن يُشقَّ طرف أذنه ويفتل ، فيتعلّق منه كالزَّنَمة . ورُوى « من إفال مُزَنَّمِ » و « من نِتاجٍ مزنَّم » .

(تُعَفَّى الكلومُ بالمِئِينَ فأصبحتْ   ينجِّمُها مَن ليس فيها بمجرم)

أى تُمحَى الجراحات بالمئينَ من الإبل ؛ وإنما يعنى أنَّ الدماء تسقط بالديات . وقوله : ينجِّمها ، أى تُجعَل نجوماً على غارمها . ولم يُجْرِمْ فيها أى لم يأت بجُرمٍ ، مِن قتلٍ تجب عليه الدية ، ولكنّه تحمّلها كرماً وصلةً للرحم .

(ينجِّمها قومٌ لقومٍ غَرامةً   ولم يُهَرِيقُوا بينهمْ ملءَ مِحْجَمِ)

يعنى أنّ هذين الساعيين حملا دماء من قُتِل ، وغرم فيها قومٌ من رهطهما ؛ على أنهم لم يصبُّوا دم أحدٍ ملء محجم . أى أنهم أعطَوا فيها ولم يقتُلوا . ويهَرِيقوا : أصله يُرِيقوا ، وزيدت الهاء المفتوحة .

(فمن مُبلغُ الأحلافِ عنِّي رسالةً   وذُبيانَ : هلْ أقسمتمُ كلَّ مُقْسَمِ ؟
فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما فى نفوسكمْ   ليَخفى ، ومهما يُكتَمِ اللهُ يَعلَمِ)

٤٤٠

الأحلاف : أسد وغطفان وطيّئ . ومعنى هل أقسمتم الخ ، أى هل حلفتم كلَّ الحلف لتَفعلُنَّ ما لا ينبغى ؟ وهذا البيت أورده ابن هشام فى المغنى (فى بحث هل) . وقوله : فلا تكتمن الله . . الخ ، أى لا تضمروا خلافَ

ما تظهرونه ، فإن الله يعلم السرَّ ، فلا تكتموا مافى أنفسكم من الصلح وتقولوا : لا حاجة لنا إليه . وقيل معنى قوله : هل أقسمتم ، هل حلفتم على إبرام حبل الصلح فتخرجوا من الحِنث ، فلا تُخفوا اللهَ ما تضمرون من الغدر و نقض العهد . و يُكتَم : بالبناء للمفعول ، بخلاف يَعلم ، فإنه للفاعل .

(يؤخَّرْ فيوضَعْ فى كتابٍ فيدَّخَرْ ليوم الحسابِ أو يُعجَّل فيَنقِمِ)

جميع الأفعال بالبناء للمفعول ، ما عدا الأخير ؛ يقال نقَم منه من باب ضرب ، بمعنى عاقبه وانتقم منه . ويؤخَّر : بدل من يعلم ، وقيل : جزم فى جواب النهى ، وهو الصواب .

(وما الحربُ إلاَّ ما علمتمْ وذقتمُ وما هو عنها بالحديث المرجَّم)

يقول : ما الحرب إلاَّ ما جرّبتم وذقتم ؛ فإياكم أن تعودوا إلى مثلها . وقوله : وما هو عنها ، أى ما العلم عن الحرب بالحديث ، أى ما الخبر عنها بحديثٍ يُرجَم فيه بالظن . فقوله « هو » كناية عن العِلم . لأنَّه لما قال إلاَّ ما علمتم ، دلَّ على العلم . كذا قال الخطيب وأبو جعفر النحوى . وقال صَعوداء فى شرحه : هو ضمير ما ، وكأنه قال : وما الذى علمتم . وقال الزوزنى : « هو ضمير القول لا العلم ، لأن العلم لا يكون قولا ، أى وما هذا الذى أقول بحديث مرجَّم ، أى هذا ما شهدتْ عليه الشواهدُ الصادقة من التجارب وليس من أحكام الظنون » وقال الأعلم : هو كناية عن العلم ، يريد : وما علمتم بالحرب . وعن : بدل من الباء ، أى ما هو بالحديث الذى يرمى به بالظنون ويُشَكّ .

وأورد الشارح المحقق هذا البيتَ (فى باب المصدر(١)) على أنَّ ضمير المصدر يعمل فى الجار والمجرور ؛ وقال : أى ما حديثى عنها . فجعلَه ضميرَ

---

(١) الشاهد ٥٩٥ من الخزانة .

الحديث . والمرجَّم : الذى يرجَّم بالظُنون ؛ والترجيم : الظن . والمعنى : أنه يحضّهم على قَبول الصلح ، ويخوِّفهم من الحرب :

(مَتى تبعثُوها تبعثوها ذميمةً وتضرى[١] إذا ضرّيتموها فتضرَمِ)

أى إن لم تقبلوا الصلح ، وهِجتم الحربَ ، لم تحمَدوا أمرها . والبعث : الإثارة . وذميمة : أى تذمّون عاقبتها . وروى : (دميمة) بالمهملة : أى حقيرة ؛ وهذا باعتبار المبدأ : وضرِى بالشىء ، من باب تعب ، ضراوة : اعتاده واجترأ عليه ؛ ويُعدَّى بالهمزة والتضعيف ؛ قال صَعوداء فى شرحه : مِن العرب مَن يهمز ضرِى ، فيقول : قد ضرئ به : فمن هذه اللغة تقول : « وتضرأ إذا ضرأتموها » وضرِمَت النارُ ، من باب تعب ، أيضاً : التهبت .

(فتعرككُمُ عركَ الرحَى بثفالها وتَلْقَحْ كِشافاً ، ثم تحمِلْ فتُتْئِمِ[٢])

معطوف على جواب الشرط ، ويقرأ بضم الميم للوزن — قال صعوداء : وإن رفعته مستأنفا كان صوابا . (أقول) : يمنعه ما بعده من الأفعال السبعة ، فإنها مجزومة — أى تطحنكم وتهلككم[٣] : وأصل العرك : دلك الشىء : والثِّفال : بكسر المثلثة : جلدة تكون تحت الرحَى إذا أديرت يقع عليها الدقيق : والباء للمعيّة نحو قوله تعالى : (تَنْبُتُ بالدُّهنِ[٤]) : أى ومعها الدهن : وجاء فلانٌ بالسيف : أى ومعه السيف : والمعنى : عركَ الرحَى طاحنة ؛

٤٤١

(١) وفى رواية التبريزى والزوزنى وابن الأنبارى : (وتضر) بالجزم عطفا على ما قبله .

(٢) ط : (فتتأم) ، صوابه فى ش . والرحى يائية واوية يقال رحوان ورحيان ، والياء أعلى .

(٣) ط : (تطحنكم وتهلكهم) باختلاف الضميرين ، صوابه فى ش .

(٤) الآية ٢٠ من « المؤمنون » .

لأنّ الرحَى لا تطحن إلاّ وتحت مجرى الدقيق ثِفال : فعركِ : مصدر مضاف إلى فاعله ، والمفعولُ محذوف أى الَحبّ .

قال صَعوداء : فطَّع بهذا أمرَ الحرب ، وأخبر بأشدّ أوقاتها . قال : والـكِشَاف ، فى لغة كنانة وهذيل وخُزاعة : الإبل التى لم تحمل عامين : وتميم وقيس وأسد وربيعة يقولون : الـكِشاف التى إذا نُتِجَتْ ضرَبها الفحلُ بَعد أيام فلَقِحت ، وبعضهم يقول : هى التى يُحَمل عليها فى الدم : وأبو مضر يردّ هذا كلَّه ، ويزعم أنّ الفحل لا يدنو من الناقة ما دامت فى دَمِها ، وأنشد :

* طَبّ بعسّ البول غير ظلاّمْ *

قال : فهو لا يدنو منها حاملاً ، فـكيف يدنو إليهـا فى دمها ! وقال : الـكِشاف عندنا : أن يحمل على الناقة عامين متوالين وذلك مُضرّ بها ، وهو أردأ النتاج : وإلى هذا ذهب زهير أى إنّ الحرب تتوالى عليكم فينالـكم منها هذا الضرر : ورُوى : « ثم تحمل فُتتئم[1] » والإتآم : أن تضع اثنين : وليس فى الإبل إتآم ، إنما الإتآم فى الغنم خاصّة ، وإنما يريد بذلك تفظيع الحرب وتحذيرهم إياها . جعل آفة الحرب إياهم بمنزلة طحن الرحَى الحبّ ، وجعـل صنوف الشر تتولّد من تلك الحروب ، بمنزلة الأولاد الناشئة من الأمّهات .

قال أبو جعفر والخطيب : شبه الحرب بالنّاقة ، لأنه جعل ما يُحلب[2] منها من الدماء بمنزلة ما يُحلب من الناقة من اللبن ، كما قال :

إنّ المهالب لا يزال لهم فتًى يَمرِى قوادمَ كُلِّ حربٍ لاقِح

(١) ط : (فتتأم) ، صوابه فى ش .

(٢) ط (يجلب) بالجيم ، صوابه فى ش والتبريزى ١٥٥ .

وقيل : إنّمـا شبه الحرب بالناقة إذا حَملتْ ثم أرضعت[١] لأنَّ هذه الحروب تطول ؛ وهى أشبه بالمعنى : وقوله[٢] تُتْئِم : أى تأتى بتَوأمين ، الذكر توأم والأنثى توأمة .

(فتنتجْ لـكم غِلمانَ أشأمَ كلُّهم كأحْمر عادٍ ثم تُرضِعْ فتَفْطِمِ)

معطوف على قوله فتُتئِم . نُتجت الناقةُ ولداً ، بالبناء للمفعول : إذا وضعته . وأشأم : قال أبو جعفر والخطيب : فيه قولان : أحدهما أنه مصدر ؛ كأنه قال : غلمانَ شؤم ؛ والآخر : أنه صفة لموصوف ، أى غلمان امرئٍ أشأم أى مشئوم . وقال الأعلم : أشأم هنا صفة للمصدر على معنى المبالغة ، والمعنى : غلمان شؤم أشأم ، كما يقال : شغل شاغل : وكلهم : مبتدأ ؛ وكأحمر عاد : خبَره . . وقال صَعوداء : وإن شئت رفعت كُلاً بأشأم ، كما تقول مررت برجال كريمٍ أبوهم . . وفيه أن كُلاً إذا أضيفت للضمير لا تقع معمولة لعامل لفظى .

ويريد بأحمر عاد : عاقرَ الناقة ؛ واسمُهُ قُدار بن سالف ؛ وأحمر لقبه . قال الأصمعىّ : أخطأ زهير فى هذا ، لأن عاقر الناقة ليس من عاد ، وإنما هو من ثمود . وقال المبرّد : لا غلَط ، لأنَّ ثمود يقال لها عادُ الآخرة ، ويقال لقوم هود عادُ الأولى ؛ والدليل على هذا قوله تعالى : (وأنّه أهلَكَ عاداً الأولى[٣]) . وقال صَعوداء والأعلم : لا غلَط ، لـكنّه جعل عاداً مكان ثمودَ اتساعا ومجازا ، إذ قد عُرِف المعْنِيُّ ، مع تفاوت[٤] ما بين عاد وثمود فى الزّمن والأخلاق .

والإرضاع والفطم معروفان ، أى لا تَنزع إلاّ عن حولين . وإنما أراد

(١) التبريزى : ثم « أرضعت ثم فطمت » .
(٢) فى النسختين : « وقولهم » .
(٣) الآية ٥٠ من سورة النجم .
(٤) ط : (تقارب) ، وأثبت ما فى ش .

طولَ شدّتها ، وأنها لا تنقطع إلا عن تَمام ؛ لأنّ المرأة إذا أرضعت ثم فطَمت فقد تمّت .

٤٤٢ (فتُغْلِلْ لكم ما لا تُغِلُّ لأهْلها قُرًى بالعراق مِن قَفيزٍ ودِرْهَمِ)

معطوف على قوله (فتفطم) : أى فتُغلِلْ لكم هذه الحربُ من الدِّيَات بدماء قتلا كم مالا تُغِلُّ قرى بالعراق وهى تغلّ القفيز والدرهم . وهذا تهكّم بهم واستهزاء : يقال : أغلّت الضيعةُ بالألِفِ . صارت ذاتَ غَلّة[1] : والغلّة : كلّ شىء من رَيْع الأرض ، أو من أُجرتها ، ونحو ذلك :

(لعَمْرى ، لنِعمَ الحىُّ جرّ عليهم ، بما لا يُواتيهم ، حُصينُ بن ضَمْضَمِ)

جرّ : من الجريرة : وهى الجناية : وفاعله حُصين : والجملة صفة لموصوف محذوفٍ هو المخصوص بالمدح ، أى لنعم الحىّ حىٌّ جرّ عليهم .. الخ .. وعمرى مبتدأٌ خبرُه محذوف أى قسَمى . وجملة لنعم الحىّ الخ جواب القسَم . ولا يواتيهم : لا يوافقهم ، روى : (لا يُمالِيهمْ) والمالأة : المعاونة . وحصين ابن ضمضم هو ابن عمٍّ النابغة الذبيانىّ ، لأنّ النابغة هو ابن معاوية بن ضِباب ابن جابر بن يربوع بن غَيظ [ابن مُرّة[2]] بن عَوف بن سعد بن ذبيان ؛ وحصين هو ابن ضمضم بن ضِباب ، إلى آخر النسب . وجنايته : أنّه لما اصطَلحت قبيلة ذبيانَ مع قبيلة عَبْس ، أبىَ حصينُ بن ضمضمٍ أن يدخل فى الصُّلح ، واستتر منهم ، ثم عَدَا على رجل من بنى عبس فقتله كما تقدم بيانه[3] . وإنما مدح حىّ ذبيانَ ، لتحمُّلهم الدياتِ ، إصلاحاً لذات البين :

(وكانَ طوىٰ كشحاً على مُستَكِنّةٍ فلا هوَ أبداها ولم يتَجمْجَم)

---

(١) ط : (ذا غلة) ، صوابه فى ش .

(٢) التكملة من ش والمعارف ٣٨ .

(٣) انظر ما مضى فى ص ٥ من هذا الجزء وما بعدها .

طوى ، بإضمار (قد) عند المبرّد ، قال : لأنّ كان فعلٌ ماض اسمُها ضمير حصين ، ولا يُخبر عنه إلاّ باسم أو بما ضارعه . وخالفه أصحابه فى هذا . . والكشح : الجنب ، وقيل : الخاصرة ؛ يقال طوى كشحَه على فَعلةٍ : إذا أضمرها فى نفسه . والمستكِنّة : المستترة ؛ وهى صفة لموصوف ، أى غدرة مضمَرة ، أو نيّة مستترة ، أو حالة مستكنة ؛ لأنه كان قد أضمر قتل وَردِ بنِ حابس القاتِلِ أخاه هرمَ بنَ ضمضم أو يقتلَ رجلاً من بنى عبس ؛ ولهذا كان أبىَ من الصلح . وقوله : ولم يتجمجم ، أى لم يَدعِ التقدُّمَ فيما أضمر ولم يتردّدْ فى إنفاذه ؛ يقال جمجم الرجلُ وتجمجم : إذا لم يبيّن كلامه : وسيأتى هذا البيت ، إن شاء الله ، فى خبر كان(١) :

(وقال : سأقْضى حاجتى ثم أتّقى عَدُوِّى بألفٍ من ورائىَ مُلجَم)

حاجته : هى إدراك ثأره . وملجَم ، قال صَعوداء : يروى بكسر الجيم أى ألف فارس ملجِمٍ فرسَه ؛ وروى بفتحها أى ألف فرَس ملجَم . والفرس ممّا يذكّر ويؤنث .

(فشدَّ ولم تَفزَعْ بيوتٌ كثيرةٌ لدى حَيثُ ألقتْ رَحلَها أمُّ قَشعَمِ)

أورد ابن هشام هذا البيتَ فى المغنى(٢) على أنّ (حيث) قد تجرُّ بغير مِن ، على غير الغالب . وقوله : فشد الخ ، أى حَمَل حصينٌ على ذلك الرجلِ من عَبس فقتله . ولم تَفزَعْ بيوت كثيرة أى لم يعلم أكثر قومِهِ بفعله . وأراد بالبيوت أحياء وقبائل . يقول : لو علموا بفعله لفزعوا أى لأغاثوا الرجل المقتول ولم يدَعوا حصيناً يقتلُه . وإنما أراد بقوله هذا ألاّ يفسدوا صلحهم

---

(١) هو الشاهد ٢٤٦ .

(٢) انظر شرح شواهد المغنى ١٣٢ .

بفعله . وروى : (ولم يُفْزَعْ بُيوتٌ) بالبناء للمفعول . قال الخطيب : أى لم يُفزَع أهلُ بيوت ، يقول شدّ على عدوّه وحدَه فقتله ، ولم يفزع العامّة بطلب واحد ، أى لم يستعن عليه بأحد ، وإنما قصد الثأر . وقيل : معناه أى لم يَعلموا به . وروى : (ولم يُنظِرْ بيوتا) أى لم يؤخّر أهلَ بيتٍ ورد بن حابس فى قتله ، ٤٤٣ لـكنه عجل فقتل هذا الرجل . يقال : أنظرته ، بالألِف ، أى أخّرته . وروى أيضا : (ولم يَنظُر) من نظرت الرجلَ : أى انتظرته . وقوله : لدى حيث الخ ، أى حيث كان شدّة الأمر ، يعنى موضعَ الحرب ؛ وأمّ قَشعم هى الحرب ، ويقال : هى المنية . والمعنى أنَّ حُصينا شدّ على الرجل العبسى فقتله ، بعد الصلح ، وحين حطّتْ رحلَها الحربُ ووضعت أوزارَها ، وسكنت . ويقال : هو دُعاء على حصين : أى عدا على الرجلُ بعد الصلح ، وخالف الجماعة ، فصيَّره الله إلى هذه الشدّة ! ويكون معنى ألقتْ رحلها ، على هذا ثَبتت وتمكّنت . وقيل : أم قشعم : كُنية العنكبوت ، وقيل : كنية الضبع . والمعنى : فشدّ على صاحب ثأره بمضيَعة من الأرض . . وقال صعوداء فى شرحه : وقال قوم : أمّ قشعم : أم حصينٍ هذا الذى شَدّ : أى فلم يفزع البيوت التى بحضرة بيت أمّه . والرحل : ما يستصحبه المسافر من المتاع والثياب . وسيأتى هذا البيت ، إن شاء الله تعالى ، فى الظروف .

(لدى أسدٍ شاكى السلاحِ مُقَاذِفٍ له لِبَدٌ ، أظفارُه لم تُقَلَّم)

لدى : متعلِّقة بقوله ألقت رحلها . وهذا البيت من أبيات تلخيص المعانى وغيرِه على أنّ التجريد والترشيح قد يجتمعان : فإن شاكى السلاحِ تجريدٌ ، لأنه وصفٌ بما يلائم المستعارَ له وهو الرجل الشجاع ، وما بعده ترشيح لأنّ هذا الوصف مما يلائم المستعار منه وهو الأسد الحقيق . قال الأعلمُ والخطيب : أراد بقوله لدى أسدٍ ، الجيشَ ، وحملَ لفظ البيت على الأسد . وقال الزوزنى : البيت

كُلُّه من صفة حصين بن ضمضم . . وهو الصواب . وقوله : شاكى السلاح ، أى سلاحه شائكة حديدة ذو شوكة وأراد شائك فقُلبت الياء من عين الفعل إلى لامه ، يجوز حذف الياء فيقال شاكٌ ، ويكون شاك على وزن فعِلٍ كما قالوا رجل خافٌ ومالٌ ، وأصلة خَوِف ومَوِل فيقال شاك. ومقاذِف : مرامى ، يروى باسم الفاعل والمفعول . وروى أيضاً (مقذَّف) اسم مفعول ، وهو الغليظ الكثير اللحم . واللِّبد بكسر اللام : جمع لِبدة وهى زُبرة الأسد ، والزُّبْرة : شعر متراكبٌ بين كتفَى الأسد إذا أسنّ . والأظفار : السلاح . وتقليمها : نقْصُها . يقول : سلاحه تامّ حديد(١) . قال الأعلم : وأوّل مَن كنى بالأظفار عن السلاح أوسُ بن حَجَر ، فى قوله :

لَعمرك إنّا والأحاليفَ هؤلاَ لَفِى حِقبة أظفارها لم تُقَلَّمِ

ثم تبعه زهير ، والنابغة فى قوله :

وبنو جَذيمة لا مَحالة أنّهم آتُوكَ غيرَ مقلمى الأظفارِ

أى ليس سلاحهم بناقص . وقال الزوزنى : قوله لم تقلم ، يريد أنّه لا يعتريه ضعف ولا يَعيبه(٢) عدم شوكةٍ ، كما أنّ الأسد لا تقلّم براثنه .

(جرىءٍ ، متى يُظلَم يُعاقِبْ بظُلْمِه سريعاً ، وإلاّ يُبدَ بالظلم يَظلِمِ)

جرىء بالجرّ صفة لأسدٍ ، المراد به حصين بن ضمضم ، ويجوز رفعه ونصبه . ومتى يُظلَم وإلاّ يُبدَ ، كلاهما بالبناء للمفعول . ويُعاقِبْ ويَظلِم ، بالبناء للفاعل . والجرىء : ذو الجراءة والشجاعة . يقول : هو شجاع ، متى ظُلِم عاقب

٤٤٤

(١) ط : (جديد) بالجيم ، صوابه فى ش .
(٢) فى شرح الزوزنى : (ولا يعيبه) .

الظالم بظلمه سريعاً ، وإن لم يظلمه أحدٌ ظلم الناسَ إظهاراً لعزّة نفسه وشدّة جراءته . وسريعاً حال أو صفةُ مصدر ، أى يعاقبْ عقاباً سريعاً . وقوله : وإلاّ يُبْدَ ، الأصل فيه الهمز ، من بدأ يبدأ ، إلا أنّه لما اضطُرّ أبدل من الهمزة ألفاً ثم حذف الألف للجزم ، وهذا من أقبح الضرورات ، ولهذا أورده الشارح المحقق فى أوّل شرح الشافية .

وحكى عن سيبويه : أن أبا زيد قال له : مِن العرب مَن يقول قريت فى قرأت ، فقال سيبويه : كان يجب أن يقول أقرِى ، حتى تكون مثلَ رميت أرمى . وإنما أنكر سيبويه هذا ، لأنه إنما يجىء فعلت أفعل بفتح العين فيهما إذا كان عينُ الفعل أو لامُهُ من حروف الحلق ، ولا يكاد يكون هذا فى الألف ، إلاّ أنّهم قد حكَوا أبىٰ يأبىٰ ، فجاء على فعَل يفعَل . قال أبو إسحاق : إنّما جاء هذا فى الألف لمضارعتها حروف الحلق ، فشبِّهت بالهمزة . يعنى فشبِّهت بقولهم قرأ يقرأ وما أشبهه .

(رَعوا مارَعوْا مِن ظِمْئِهِمْ ثم أورَدوا غماراً تسيلُ بالرماح وبالدمِ)

هذا إضرابٌ عن قصّة حصين إلى تقبيح الحرب والحثّ على الصلح .

الظِمْء بالكسر وآخره همزة ، أصله العطش ، وهو هنا ما بين الشَّرْبتَين . والغمار : جمع غَمْر بالفتح ، وهو الماء الكثير . يريد : أقاموا فى غير حرب ، ثم أوردوا خيلهم وأنفسهم الحربَ ، أى أدخلوها فى الحرب : أى كانوا فى صلاح من أمورهم ثم صاروا إلى حرب يُستعمل فيها السلاحُ وتسفَك الدماء . وضرَبَ الظمء مثلاً لما كانوا فيه من ترك الحرب ، وضرَب الغمار مثلا لشدّة الحرب . وروى : (تَفَرَّىٰ بالسلاح وبالدم) وأصله تتفرّى بتاءين أى تتفتّح وتتكشّف .

(فقضَّوْا مَنايا بينَهُم ثم أصدَروا إلى كلأٍ مُستَوْبَلٍ مُتَوَخَّمِ)

الـكلأ : العشب . وقضّاه : أحكمه ونفّذه . وأصدر : ضدّ أورد . واستَوْبلت الشيء : استثقلته ، والوبيل : الوخيم الذى لا يُمْرِئ[1] . يقول: فقتل كل واحدٍ من الحيّين الآخر ، فقوله : فقضوا منايا بينهم ، أى أنفذوها بما بعثوا من الحرب ثم أصدَروا إلى الـكلأ أى رجعوا إلى أمرٍ استوبلوه. وضربَ الـكلأ مثلا . والمستوبَل : السيّء العاقبة . أى صار آخر أمرهم إلى وَخامةٍ وفساد .

(لعمرُكَ ما جرّت عليهمْ رِماحُهمْ دمَ ابنِ نَهيكٍ أو قتيلَ المُثَلَّمِ

ولا شارَكوا فى القوم فى دمِ نَوفلٍ ولا وَهَبٍ منهم ولا ابن المحزَّمِ)

يقول : هؤلاء الذين يعطون دية القتلى لم تجرّ عليهم رماحهم دماء المذكورين . وابنِ نَهيك بفتح النون وكسر الهاء . ونوفل ، ووهب (بفتح الواو والهاء) ، وابن المحزَّم (بالحاء المهملة وتشديد الزاى المعجمة المفتوحة) كلُّهم من عبس . وجرّت : جنَت . والمعنى : أنّ رماحهم لم تقتل أحداً من هؤلاء الذين يَدُونهم ، وإنّما يُعطُون الدياتِ تبرُّعاً ولم يشاركوا قاتليهم فى سفك دمائهم. وروى: (ولا شاركت فى الحرب). والضمير للرماح ؛ قصد بهذا أن يبيّن براءة ذِمّتهم عن سفك دمهم ، ليـكون ذلك أبلغَ فى مدحهم لعقلهم القتلى .

(فـكلاًّ أراهم أصبحوا يَعقلونه . . . . البيت)

أى فـكلَّ واحدٍ من هؤلاء المقتولين المذكورين فى البيت الذى قبلَه .

(لحىٍّ حِلاَلٍ يَعْصِمُ الناسَ أمرُهُمْ إذا طلعت إحدى الليالى بمعظَمِ)

(كرامٍ ، فلا ذو الوِترِ يدرك وِتْرَه لديْهم ، ولا الجانى عليهم بمُسْلَمِ)

قوله : لحىّ ، هو حال من قوله صحيحات مال ، أو أنه بدلٌ من قوله لقوم ، أو خبر لمبتدأ محذوف أى هى لحى حلال أى المال الصحيحات لحى .

---

(١) فى اللسان : (وقالوا : هنئنى الطعام ومرئنى ، وهنأنى ومرأنى ، على الإتباع ، إذا أتبعوها هنأنى قالوا : مرأنى، فإذا أفردوه عن هنأنى قالوا : أمرأنى ، ولا يقال أهنانى) .

وأراد بهذا الحيّ حيّ الساعِيَينِ بالصُّلح بين عبس وذبيان: قال الأعلم: الحِلال: جمع حِلة بالكسر، وهي مائة بيت. يقول: ليسُوا بحِلّةٍ واحدة، ولكنهم حلال كثيرة. وقوله: يعصم الناسَ أمرُهم، أي يلجئون، إلى هذا الحيِّ ويتمسَّكون به فيعصمهم مما نابهم. وأصل الحِلّةِ الموضع الذي يُنزَل به، فاستعير لجماعة الناس. وقوله: إحدى الليالى، أراد ليلة من الليالى؛ وفى الكلام معنى التفخيم والتعظيم، كما يقال: أصابته إحدى الدواهى: أى داهية شديدة. والمعظَم: الأمر العظيم: وقوله: فلا ذو الوتر، يقول: هم أعزّة لاينتصر منهم صاحب دمٍ، ولا يدرِكُ وِترَه فيهم. وقوله بمسلِم، أى إذا جنى عليهم جانٍ منهم شرًّا إلى غيرهم لم يسْلموه لهم، لعزِّهم ومَنَعَتهم.

واعلم أنّ هذه الأبياتَ التى أوردناها على هذا الترتيب، هى رواية الأعلم وقدّم بعضهم هذين البيتين وأوردهما بعد قوله سابقاً:

فتغلِلْ لكمْ ما لا تُغِلُّ لأهلِها . . . . البيت

والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده

(قد أصبحَتْ أمُّ الخِيار تدَّعى على ذنباً كلُّهُ لم أصنَعِ)

تقدم شرحه فى الشاهد السادس والخمسين[1].

* * *

(١) انظر الجزء الأول ص ٣٥٩ واستشهد به الشارح المحقق هنا على أن (لم) ليست من الحروف المستحقة للصدارة حتى لايجوز أن يعمل ما بعدها فيماقبلها، لأن ما بعدها قد عمل فيما قبلها. وذلك ـ كما صرح الرضى ـ لامتزاجها بالفعل بتغييرها معناه إلى الماضى فصارت كالجزء منه. ومثلها فى ذلك (لن) و (لا) بخلاف (ما) و (إن) النافيتين.

وأنشدَ بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

١٥٧ (ألقى الصَحيفةَ كىْ يُخَفِّفَ رَحلَهُ والزادَ حتى نَعْلَهُ ألْقاها)

على أن (حتَّى) وإن كانت يستأنف بعدها الكلام ، إلاّ أنّها ليست متمحِّضة للاستئناف ، فلم يكن الرفع بعدها أولى ، فهى كسائر حروف العطف . يعنى أنه يجوز فى (نعله) النصب ، والرفع :

أما النصب فمن وجهين : أحدهما نصبه بإضمار فعل يفسره (ألقاها) كأنه قال : حتى ألقى نعله ألقاها ، كما يقال فى الواو وغيرها من حروف العطف . ثانيهما : أن يكون نصبه بالعطف على الصحيفه ، وحتّي بمعنى الواو ، كأنه قال : ألقى الصحيفة حتى نعلَه ، يريد و نعله ، كما تقول : أكلت السمكةَ حتى رأسَها ، [بنصب رأسها[٢]] أى ورأسَها ، فعلى هذا الهاء[٣] عائدةٌ على النعل أو الصحيفةِ ، وألقاها تكريرٌ وتوكيد .

فإن قلتَ : شرط المعطوف بحتّي أن يكون إمّا بعضاً من جمع ، كقدِم الُحجّاجُ حتّي المشاةُ . أو جزءا من كلٍّ ، نحو : أكلت السمكة حتى رأسَها ، أو كجزء ، نحو : أعجبتنى الجاريةُ حتّي حديثُها ، فكيف جاز عطف نعله ، مع أنه ليس واحداً مما ذكر ؟ قلتُ : جاز ، لأنّ ألقى الصحيفةَ والزاد ، فى معنى ألقى ما يثقله ، فالنعل بعض ما يُثقِل .

٤٤٦

(١) سيبويه ١ : ٥٠ . وانظر أيضاً الخزانة ٤ : ١٤٠ والعينى ٤ : ١٣٤ وابن يعيش ٨ : ١٩ والهمع ٢ : ٢٤ ، ١٣٦ وشرح شواهد المغنى ١٢٧ ومعجم الأدباء ١٩ : ١٤٦ وبغية الوعاة ٢٩٠ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) كذا . والصواب (ها) .

وأما الرفع فعلى الابتداء ، وجملة ألقاها هو الخبر . فحتى ، على هذا . وعلى الوجه الأوّلِ . من وجهى النصبِ ، حرفُ ابتداء ، والجملة بعدها مستأنَفة .

وزعم ابن خلف : أن حتّي هنا عاطفة والجملة بعدها معطوفة على الجملة المتقدّمة وهذا شيء قاله ابن السِّيد ، نقله عنه ابن هشام فى المغنى ، وردَّه بقوله : لأن حتى لا تعطف الجمل ، وذلك لأن شرط معطوفها أن يكون جزءاً مما قبلها أو كجزء ، وهذا لا يتأتى إلاّ فى المفردات . وقد نازعه الدمامينيّ فى هذا التعليل.

وأنشد سيبويه هذا البيتَ على أنّ حتى فيه حرف جر ، وأن مجرورها غاية لما قبله ، كأنه قال : ألقى الصحيفة والزاد وما معه من المتاع حتى انتهى الإلقاء إلى النعل . وعليه فجملة ألقاها للتأكيد ، والضمير يجوز فيه أيضاً أن يعود على النعل وعلى الصحيفة . فقوله : (حتى نعله ألقاها) روى على ثلاثة أوجه .

صاحب الشاهد — وهذا البيت لأبى مرْوان النحويّ وبعده :

(ومضى يظنُّ بَرِيدَ عمرٍو خلْفَهَ خوفاً ، وفارقَ أرضَهَ وقَلَاها)

وهما فى قصَّة « المتلمس » حين فرَّ من عمرو بن هند . حكى ذلك الأخفش عن عيسى بن عمر ، فيما ذكره الفارسيّ .

وكان المتلمسُ قد هجا عَمْرَو بنَ هند ، وهجاه أيضاً طرَفة ، فكتب لهما إلى عامله بالبحْرَين كِتابَين ، أوهمهما أنّه أمر لهما بجوائز — وهو قد أمره فيهما بقتلهما — فلما وصلا إلى الحِيرة ، دفع المتلمّس كتابَه إلى غلامٍ ليقرأه ؛ فإذا فيه : « أما بعد ، فإذا أتاك المتلمّسُ فاقطع يديه ورجليه ، وادفنه حيًّا » ، فرمى المتلمّسُ كتابه فى نهر الحِيرة وهرب إلى الشام — وقد ذكرنا خبرهما

فى الشاهد الذى قبل هذا بأربعة شواهد[1] فصارت صحيفةُ المتلمّس مثلاً فيما ظاهِرُه خيرٌ وباطنه شرٌّ .

والصحيفة : الكتاب . وقوله : ألقى الصحيفة ، أى رماها بنهر الحِيرة ، كما أخبر المتلمّسُ عن نفسه بقوله :

قذفتُ بها فى النهر من جَنْبِ كافرٍ كذلك أقْنُو كل قِطٍّ مُضَلّلِ

وروى أيضا : (ألقى الحقيبة) وهى خُرْجٌ يحمل فيه الرجلُ متاعه . وروى أيضا : (ألقى الحَشِيّة) وهى الفراش المحشوُّ[2] بالقطن أو الصُّوف يُنام عليه ، قال عنترة :

* وَحشِيّتى سَرْجٌ على عبلِ الشّوَى *

وأوضحه محمّد بن هانئ الأندلسىُّ بقوله :

قومٌ يبيت على الحشايا غيرُهُمْ ومَبِيتهم فَوق الجيادِ الضُّمَّرِ

وزعم ابن السِّيد ، وتبعه غيره : أن الحشيّة ما يركَب عليه الراكبُ . وأورد بيت عنترة . وهذا غير لا ثق به . وقال ابن هشام اللخمىّ : الحشيَّة : هى البَرذعة المحشُوّة . والرَّحل هنا بمعنى الأثاث والمتاع . وقد أنكره الحريرى (فى دُرّة الغواص) بهذا المعنى ، ورد عليه ابن بَرّىّ فيما كتبه عليه فقال : « قال الجوهرىّ : الرحل : منزل الرجل وما يستصحبه من الأثاث ، والرحل أيضا : رحل البعير وهو أصغر من القَتَب . فقد ثبت فيه الرحل بمعنى الأثاث . وقد فُسِّر بيتُ متمم بن نُويرة على ذلك وهو قوله :

---

(١) هو الشاهد ١٥٢ ص ٤١٥ وما بعدها من الجزء الثانى .

(٢) ط : (المحشى) صوابه فى ش ، والفعل واوى . وأما الحشية فأصلها حشيوة على وزن فعيلة .

كريم الثنا حُلو الشمائل ، ماجد ، صَبور على الضَّرَّاءِ مُشترك الرحل(١)

٤٤٧

قالوا : أراد بالرحل الأثاث . ومثله قول الآخر :

ألقى الصحيفة كى يخفِّف رحلَه . . . . البيت

قالوا : رحله : أثاثه وقُماشه . والتقدير عندهم : ألقى قُماشه وأثاثه حتى ألقى نعله مع جملة أثاثه . وإنما قدّروه بذلك ، ليصح كون ما بعد حتَّي فى هذا الموضع جزءاً مما قبلها . وعليه فسَّر قوله تعالى حكايةً عن يوسف : (قالوا جَزاؤُهُ مَنْ وجِدَ فى رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُه(٢)) قالوا : رحله : أثاثه ، بدليل : (ثم استَخْرَجَها مِنْ وِعاءِ أخِيه(٣)) انتهى كلام ابن برّى .

وقد فسّر ابن السيد (الرَّحل) فى شرح أبيات الجمل بقوله : « الرحل للناقة كالسَّرج [للفرس(٤)] » وتبعه عليه ابن هشام اللخمىّ وابن خلَف وغيرُهما . وهذا مع كونه غيرَ مناسب ، كان الصواب أن يقول : والرحل للبعير ، لا للناقةُ ! قال الأعلم : « كان الواجب ، فى الظاهر ، أن يقول : ألقى الزاد كى يخفِّف رحلَه والنعلَ حتى الصحيفة ؛ فيبدأ بالأثقل ثم يُتبعه الأخفَّ ، فلم يمكنه الشعر . أو يكون قدّم الصحيفة لأن الزاد والنعل أحقُّ عنده بالإبقاء ، لأنَّ الزاد يبلِّغه الوجْهَ الذى يريده ، والنعلَ يقوم له مقام الراحلة إنْ عَطِبت ، فاحتاج إلى المشى ؛ فقد قالوا : كاد المنتعِل أن يكونَ راكباً » .

(١) كذا فى النسختين . والنثاء ، كما فى اللسان : ماتصف به الإنسان من مدح أو ذم ، وليس من الضرورى تصحيحها بالثنا بتقديم النون .
(٢) الآية ٧٥ من سورة يوسف .
(٣) الآية ٧٦ من سورة يوسف . وقد وقعت محرفة فى النسختين ، بل فى مطبوعتى السلفية ودار العصور برسم « فاستخرجها من وعاء أخيه » وقد رددناها الآن إلى حقها بحمد الله .
(٤) التكملة من هامش الشنقيطية ، وبجانبها كلمة « صح » بخط ناسخها .

والبريد : الرسول ، ومنه قول العرب : « الحمَّى بَريد الموت » : وعمرو هو عمرو بن هند الملك ملك الحِيرة . وقد ذكرنا ترجمته قبل هذا الشاهد ببيتين[(١)]

قال ابن خلف : « أنشد سيبويه هذا البيت لأبى مروان النحوىِّ ، قاله في قصّة المتلمِّس حين فرَّ من عمرو بن هند ، حكى ذلك الأخفشُ عن عيسى ابن عمر فيما ذكره الفارسى . ونسبَه الناسُ إلى المتلمّس » انتهى . صاحب الشاهد

ونَسَبَه ياقوت الحموىّ فى معجم الأدباء إلى مرْوان النحوىّ لا أبى مرْوان ، قال : سمعت بعض النحويين ينسب إليه هذا البيت ، وقال فى ترجمته : هو مروان بن سعيد بن عباد بن حبيب بن المهلَّب بن أبى صُفْرة المهلبىّ النحوىّ ، أحد أصحاب الخليل المتقدِّمين فى النحو ، المبرِّزين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[(٢)] :

١٥٨ (فلا حَسَباً فَخَرْتَ به لَتيمٍ ولا جَدًّا إذا ازدَحَمَ الجُدُودُ)

على أنه يجوز النصب فى قوله (حسباً) والرفعُ ؛ لوقوعه بعد حرف النفى .

أمّا نصبُه ، فبفعل مقدَّر متعدّ إليه بنفسه ، فى معنى الفعل الظاهر ؛ والتقدير : فلا ذكرتَ حسباً فخَرت به . ولا جَدًّا معطوف على قوله حسباً . وهو بمنزلة قولِك : أزيداً مررتَ به . وإنّما لم يجزْ إضمار الفعل المتعدّى بحرف

---

(١) الذى فى الشاهد الذى قبل هذا ببيتين ليس فيه إلا إشارة صغيرة لعمرو بن هند تتعلق بنسبه . لكن انظر الخزانة ج ٢ ص ٤٥٠ : من هذه الطبعة تجد شيئاً عن حياة هذا الرجل .

(٢) سيبويه ١ : ٧٣ . وانظر ابن يعيش ١ : ١٠٩/٢ : ٣٦ وديوان جرير ١٦٥ .

الجر ، لأن ذلك يؤدّى إلى إضمار حرف الجر ؛ ولا يجوز إضماره ، لأنه مع المجرور كشىء واحد ، وهو عامل ضعيف ، فلا يجوز أن يُتصرَّف فيه بالإضمار والإظهار كما يُتصرَّف فى الفعل .

وأما الرفع ، فعلى الابتداء ؛ وجملة فخرت به صفته ، ولئيم هو الخبر . وروى بدلَ قوله : لئيم (كريم) وهو الثابت . وجَدًّا معطوفٌ على حسباً . قال السيرافىّ : لما جاز الرفع مع الاستفهام ، وإن كان الاختيارُ النصبَ ، كان الرفعُ فى حروف النفى أقوىٰ ، لأنها لم تبلغ أن تكون فى القوّة مثل حروف الاستفهام .

و (الحسَب) : الكرم وشرف الإنسان فى نفسه وأخلاقه . و (الجدّ) : أبو الأب . يقول : ما ذكرتَ لئيمٍ حسباً تفتخر به ، لأنك لم تجد لها شيئاً تذكره ، ولا لك جدٌّ شريف تعوِّلُ عليه عند ازدحام الناس للمَفاخِرِ عليه[١] . وقيل : الجدّ هنا : الحظّ ، أى ليس لئيم حظٌّ فى علو المرتَبة والذكر الجميل . ٤٤٨

صاحب الشاهد وهذا البيتُ من قصيدة طويلة (لجرير) هجا بها الفرزدقَ وتيمَ الرِّباب ، وليست من النقائض ، وهى إحدى القصائدِ الثلاث التى هى خيرُ شِعْرِه . كذا فى منتهى الطلب من أشعار العرب . وزعم الأعلم ، وتبعه ابن خلف وغيره . أن جريراً هجا بها عُمَرَ بن لَجأ ، وهو من تيم عدىّ .

والرِّباب بكسر الراء : جمع رُبّ بضمّها ، قال ابن الكلبىّ فى جمهرة الأنساب : « ولد [عبدُ[٢]] مَنَاة بن أد تيماً ، وهم الرِّبابُ ، وعَدِيًّا ، بطنٌ ، وعوفاً والأشيَب وثوراً ؛ وإنما سُمُّوا الربابَ ، لأنّ تيما ، وعديًّا ، وثوراً ،

---

(١) كذا فى النسختين ، والوجه حذف (عليه) من أحد الموضعين .

(٢) التكملة من ش وجمهرة ابن حزم ١٩٨ وللمعارف ٣٤ .

وعوفاً ، وأشيبَ ، وضَبَّةَ بن أُدّ ، غمسوا أيديَهم فى الرُّبِّ فتحالفوا على بنى تميم ؛ فسمُّوا الرِّبابَ ، فهم جميعاً الرِّبابُ ، وخُصَّتْ تَيمٌ أيضاً بالرِّباب » : انتهى :

أبيات الشاهد

ومن هذه القصيدة :

(لَقدْ أخزَى الفرزدقُ رهطَ لَيلَى وتَيمٌ قد أقادهمُ مُقِيدُ
خصَيتُ مجاشِعاً وجَدَعتُ تيما وعندى ، فاعلموا ، لهمُ مزيدُ
أتيماً تجعلونَ إلىَّ نِدًّا ! وهلْ تيمٌ لِذى حسَب نَديدُ
أزيدَ مناةَ تدعو[1] يا ابن تيم ! تبَيَّنْ أينَ تاهَ بك الوعيدُ
أتوعدُنا وتمنعُ ما أردْنا ونأخذُ من ورائك[2] ما نُريدُ
ويُقضَى الأمرُ حين تغيبُ تيمٌ ولا يُستأذَنونَ[3] وهم شهُودُ
فلا حسبٌ فخرتَ به كريمٌ ولا جَدٌّ ، إذا ازدحم الجدودُ
لئامُ العالمينَ كِرامُ تيمٍ وسيِّدهم ، وإن زَعمُوا ، مَسُودُ
وإنكَ لو لقِيتَ عبيدَ تيم وتيماً ، قلتَ : أيُّهما العَبيدُ
أرىٰ ليلاً يخالفهُ نهارٌ ولؤمُ التَيم ، ما اختلفَا ، جَديدُ
بخُبْثِ البَذْرِ ينبُتُ بذر تيم[4] فما طابَ النباتُ ، ولا الحصيدُ
تمنّي التيمُ أن أباه سعدٌ فلا سعدٌ أبوه ، ولا سعيدُ
وما لَكمُ الفوارسُ يا ابن تيم ، ولا المستأذَنون ، ولا الوُفودُ
أهانكَ بالمدينة ، يا ابن تيم ، أبو حفص ، وجَدّعكَ النشيد
وإنَّ الحاكمين لَغَيرُ تيم وفينا العزُّ والحسبُ التَّليدُ

(١) فى الديوان : « توعد » .
(٢) ط : « رواتك » ، صوابه فى ش .
(٣) الديوان : « يستأمرون » .
(٤) الديوان : « حرث تيم » .

وإنّ التيمَ قد خَبثوا وقَلّوا ... فما طابوا ولا كثُر العديدُ
إذا تيمٌ ثوَتْ بصعيدِ أرضٍ ... بكىٰ مِنْ خبْثِ رِيحهم الصَّعيدُ
أتيماً تجعلونَ إلىّ نِدّاً ... بَعيدٌ فضلُ بينهما بَعيدُ
كساكَ اللؤمُ لؤمُ أبيك تيمٍ ، ... سَرابيلاً بنائقهُنّ سُود

وقوله : أتيما تجعلون إلىّ ندًا البيت ، أورده صاحبُ الكشّاف والقاضى على أنّ النِدَّ مِنْ قوله تعالى : (فلا تَجْعَلُوا لِلهِ أندَاداً[1]) بمعنى المِثْل المناوئ أى المعادى وهو مِن ندّ نُدوداً : إذا نفر ، وناددْت الرجلَ : خالفته ، خُصَّ بالمخالف المماثِل فى الذات كما خُصَّ المساوى للماثل فى القدْر . قال السعد : وإلىَّ ، كان فى الأصل صفة لقولهِ ندًا ، فلمّا قدّم صار حالا منه ، وإلى بمعنى اللام. وقال السَّيِّد : هذا لا يصحّ ، لأن ندًا خبرُ المبتدإ في الأصل ، وإنما هو حال من قوله تيما . . وفيه : أن تيما فى الأصل مبتدأ ، وعند سيبويه يجوز مجىء الحال من المبتدإ ، وعند الأخفش من الخبر . والاستفهامُ للإنكار . والتنوينُ فى (ذى حَسَب) للتحقير ، يعنى أنّ تيماً ليس ندًا لِذى حسبٍ حقيرٍ ، فكيف يجعَلُ نِدًا لمثْلى ! ويجوز أن يكون للتعظيم ، ويريد بذى حسبٍ نفسَهُ . والنَديد بمعنى النِدّ .

وترجمة جرير تقدمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهدالتاسع والخمسون بعد المائة ، وهو منالحماسة[3] :

(١) الآية ٢٢ من سورة البقرة .
(٢) الجزء الأول ص ٧٥
(٣) انظر أيضاً الخزانة ٣ : ١٧٠ بولاق والحماسة ١٢٤ بشرح المرزوقى .

١٥٩ (إذَا الخصمُ أبْزَى مائلُ الرأسِ أنْـكَبُ)

وقبله :

(فهلاّ أعدُّونى لمثلى ، تفاقَدُوا !)

على أنّ (إذا الشرطيّة) يجوز عند الكوفيّين وقوعُ الجملة الاسمية بعدَها لكن بشرط كونِ خبرها فعلاً ، إلا فى الشاذّ كهذا البيت .

قال ابن جنّي فى إعراب الحماسة : « يروى إذْ وإذا جميعا : فمن رواه إذْ ، حكى الحالَ المتوقَّعة ، كقول الله سبحانه : (إذِ الأَغْلالُ فى أعْناَقِهِمْ[1]) ومن رواه إذا ، فهو كقولك : أتيتك إذَا زيدٌ قائم ، وهذا جائز على رأى أبى الحسن : وذلك أنه يجيز الابتداء بعد إذا الزمانيّةِ المشروطِ بها » . انتهى

و (أبزَى) من قولهم: رجل أبزَى وامرأة بَزْواء ، وهو الذى يَخرُج صدرُه ويَدخل ظهرُه . وأبزى ههنا مَثَلٌ ، ومعناه الراصد المخاتِل ، لأنّ المخاتل ربّما انثنى فيخرج عجزُه . وقال أبو رياش : أبزى : تحامَل على خَصْمه ليظلِمه . . فجعل أبزى فعلا ، ولا يمتنع ذلك ، وإنّما المعروف أن يقال : بزَوت الرجل ، ومنه اشتقاق البازى من الطير ، إذا استُعمِل على وزن القاضى . وعليه فالخصم مرفوع بفعل يفسِّره أبزى ، ويُرفَع (مائل الرأس) على أنّه بدلٌ من الخصْم . و (الأنـكب) : المائل ، وأصله الذى يشتـكى مَنْـكِبَيه فهو يمشى فى شِقّ . ومائل الرأس أى مُصعِّر من الـكِبْر .

وقوله : (تفاقدوا) دعاء قد اعترض به بيَن أوّل الـكلام وآخره يقول : هلاّ جعلونى عدّة لرجلٍ مثلى — فَقَدَ بعضُهم بَعضاً — وقد جاءهم الخصمُ

(١) الآية ٧١ من سورة غافر .

متأخِّرَ العُجز مائلَ الرأس منحرفا . وهذا تصويرٌ لحال المقاتل إذا انتصب في وجه مقصوده ، وهو أبلغ في الوصف مِن كلّ تشبيه . ومثلُه قول الآخَر :

* جاءوا بمَذْقٍ هل رأيتَ الذئبَ قطّ *

ألا ترى أنه لو صوّر لونَ المذقِ لمَا قال : هل رأيت الذئب قطّ .

والمعنى : لِمَ أفاتوني أنفسَهم ؟ وهلاّ ادّخروني ليوم الحاجَة إذا كان الخصمُ هكذا ؟ !

أبيات الشاهد

وهذا البيت من أبيات خمسةٍ في الحماسة ، لبعض بني فقْعَس ، أوّلُها :

(رأيتُ موَالىَّ الألىٰ يخذُلونَني على حدَثانِ الدهْرِ إذْ يتقَلَّبُ)

الموالي هنا : أبناء العمّ . والألىٰ في معنى الذين ، ويخذلونني مِنْ صلته . يقول : رأيت أبناء عمِّي هُمُ الذين يقعُدون عن نصرتي على تقلّب الزمان وتصرُّف الحدَثان . وقوله : على حدثان الخ ، حالٌ : أي يخذلونني مُقاسِياً لِما يحدُث في أوانِ تقلُّبه وتغيُّره :

(فهَلاَّ أعدّوني لمثلي ، تفاقدوا ، إذا الخصمُ أبزى مائلُ الرأسِ أنكَبُ
وهَلاَّ أعدّوني لمثلي ، تفاقدوا وفي الأرضِ مبثوثٌ شُجاعٌ وعَقرَبُ)

كرّره تأكيداً وتفظيعا للأمر . والمعنى : هلاَّ جعلوني عُدّةً لرجلٍ مثلي في الناس — فقدَ بعضُهم بعضا — وقد انتشر أعداءٌ كثيرة وأنواعٌ من الشرّ فظيعة ! والشجاع : الحيّة . وكنى به وبالعقرب عن الأعداء والشرّ . وارتفاعُ شجاعٍ ، يجوز أن يكون على البدل من مبثوث ، ويجوز أن يكون على الابتداء ، ومبثوثٌ خبره قُدِّم عليه .

٤٥٠

قال ابن جنّي (فى إعراب الحماسة) : يروَى مبثوثا ومبثوثٌ : فمن نصَب فلأنّه صفةُ نكرةٍ قُدّم عليها فنُصِب على الحال منها ؛ ومن رَفَع رَفع بالابتداء وجَعل شجاعٌ وعقربٌ بدلاً من مبثوثٌ . فإن قلتَ : فهلّا قال : وفى الأرض مبثوثون أو مبثوثان ؟ قلت : فيه جوابان : أحدهما أنه لم يُرِدْ بشجاعٌ وعقربٌ الاثنان الشافعان للواحد ، وإنّما أريدَ به الأعداء ، الذين بعضهم شُجعانٌ وبعضهم عقاربُ ، أى أعداء فى خبثهما ونُكرِهما ؛ فلمّا لم يُرِد حقيقة التثنية — وإنما أراد الأعداء — ذهبَ به مذهَبَ الجنس . . والوجه الآخر : أنْ يكون أراد : وفى الأرض مبثوثاً شجاع : أى شجاعٌ مبثوث ، فلمّا قدّمه عليه نصبه حالاً منه ، ثم عطف عقربٌ على الضمير فى مبثوثا . وكذلك إذا رفعتَ تعطفُ عقربٌ على الضمير فى مبثوث ، فإذا سلكتَ هذه الطريقَ سقطت عنك كُلْفة الاعتذار من تَرْك التثنية . انتهى ملخَّصاً .

(فلا تأخُذوا عقْلاً من القوم، إنّنى أرى العارَ يبقىٰ والمعاقلُ تَذْهَبُ

كأنّك لم تُسْبَقْ مِن الدهر ليلةً إذا أنتَ أدركتَ الذىأنتَتطلبُ)

لك فى المعاقل الرفعُ على الاستئناف والنصبُ عطفا على العار . يقول : لا تَرغبوا فى قَبول الدية ، فإنه عار ، والعارُ يبقىٰ أثره والأموال تفنى .

والمعاقل : جمع المَعقُلة والمعقِلة ، بضم القاف وكسرها ، والميم فيهما مفتوحة . والعقل : الدية ، وأصله الإبل كانت تُعقَل بِفناء ولّى المقتول ، وهو مصدرٌ وصِف به . وحكىٰ الأصمعىّ : صار دَمُه مَعْقُلة على قومه : أى صاروا يَدُونَه :

وقوله : كأنّك لم تُسْبَقْ الخ ، يقول : مَنْ أدرَك ما طلبه مِن الثأر

فكأنه لم يُصَبْ ولم يُوتَر . وهذا بعثٌ وتحضيض على طلب الدم والزهدِ في الدية .

و (بنو فقعَس) : حيٌّ من بنى أسد ؛ وفَقْعسٌ اسم مرتجَل غير منقول ، وقيل : الفقعَسة : البلادة . قال ابن الـكلبيّ فى جمهرة الأنساب : فقعس : ابن طريف بن عمرو بن قُعَين (بالتصغير) ابن الحارث بن ثعلَبة بن دُودانَ ابن أسد بن خُزيمة بن مُدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان .

ونسب صاحبُ الحماسة البصريّة هذه الأبياتَ إلى عَمرو بن أسد الفقعسىّ والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(لا تجزعى إنْ منْفسٌ أهلَكتُه   وإذا هلَكت فعند ذلك فاجزَعى)

تقدّم شرحُه مستوفىً فى الشاهد السادس والأربعين[١]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستّون بعد المائه ، وهو من شواهد سيبويه[٢]

١٦٠ (إذا ابنُ أبِى موسى بِلالاً بَلَغْتِه   فقامَ بفأسٍ بَيْنَ وِصْلَيك جازِرُ)

على أنّه يقدَّر على مذهب المبرّد ، فى رواية رفع ابن ، إذا بُلِـغ ابنُ أبى موسى ، بُلِـغ بالبناء للمفعول ، فيكون (ابنُ) نائبَ الفاعل لهذا الفعل المحذوف . وبلالاً ينبغى أن يكون بالرفع ، لأنّه بدلٌ من ابن أو عطفُ بيان له ؛

---

(١) انظر ماسبق فى ص ٣١٤ من الجزء الأول .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٢ . وانظر ابن يعيش ٢ : ٣٠/٤ : ٩٦ وابن الشجرى ١ : ٣٤ والخصائص ٢ : ٣٨٠ وديوان ذى الرمة ٢٥٣ .

وقد رأيته مرفوعاً فى نسختين صحيحتين من إيضاح الشعر لأبى علىّ الفارسىّ إحداهما بخطّ أبى الفتح عثمان بن جنّي . وفى نسَخ المغنى وغيره نصْبُ بلال مع رفع ابن . قال الدمامينيّ فى شرحه : « وبلالاً منصوب بفعل محذوف آخر يفسّره بلَغْتِه ، والتقديرُ : إذا بُلِغَ ابنُ أبى موسى بلغتِ بلالاً بَلَغتِه » . ولا يخفى ما فيه من التكلّف والتقدير المستغنى عنه . وقد رُوى بنصب ابن أيضاً ، قال سيبويه : « والنصب عربىّ كثير ، والرفع أجْوَد » . قال النحّاس : وغلّطه المبرّد فى الرفع ، لأنّ إذا بمنزلة حروف المُجازاة ، فلا يجوز أن يرتفع ما بعدها بالابتداء . قال أبو إسحاق الزجّاج : الرفع فيه بمعنى إذا بُلِغ ابنُ أبى موسىٰ . وكذلك قال أبو على : إن إذا هذه تضاف إلى الأفعال ، وهى ظرف من الزمان ، ومعناها على أن تدخل على الأفعال[1] ، لأنّ معناها الشرط والجزاء ، وقد جُوزى بها فى الشعر ؛ فإذا وقع بعدها اسمٌ مرتفع ؛ فليس ارتفاعه بالابتداء ، ولكن بأنّه فاعل[2] ، والرافع له يفسّره الفعلُ الذى بعد الاسم ، كأنه قال : إذا بُلِغ ابنُ أبى موسى بلال بلغتِه ؛ وكذلك إذا وليها اسمٌ منصوب صار على تقدير : إذا بلغتِ ابنَ أبى موسى بلالاً بلغتِه .

وقال أبو علىّ أيضاً (فى إيضاح الشعر) : قال القطامىّ :

إذا التيّازُ ذو العضلاتِ[3] قُلنا : إليكَ إليكَ ، ضاقَ بها ذِراعا

فاعل ضاق ضمير التيّاز ، وضاق جوابُ إذا ، والتيّاز يرتفع بفعل مضمَر يفسّره قلنا ، التقديرُ : إذا خُوطِب التيّاز . وقلنا معناه قلنا له ، وهو مفسّر

(١) ط : « من الأفعال » صوابه فى ش .

(٢) المراد بالفاعل هنا الفاعل أو ما ينوب عنه : وفى النسختين : « بابه فاعل » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ط : « الفضلات » ، صوابه فى ش والديوان ٤٤ واللسان (تيز ١٧٩) .

لخوطِبَ أو كُلِّم ونحوِ ذلك مما يفسِّره قلنا له ، وهو رافع التياز ، كإنشاد مَن أنشد :

* إذا ابنُ أبي موسى بلالاً بلغتِهِ *

والمعنى : ضاق ذَرْع التيّاز بأخْذ هذه الناقة ، لأنّه لا يضبطها ، من شدّتها ونشاطها ، فكيف مَنْ هو دونه ؟ ومَن أنشد : « إذا ابنَ أبي موسى بلالاً » بالنصب ، نصب التياز أيضاً ، فهو بمنزلة إذا زيداً مررت به جئتك ، ويقوّى إنشادَ من أنشد : إذا ابنُ أبي موسى ، بالرفع ، قولُ لبيد :

فإن أنتَ لم ينفعْك علمُك فانتسِبْ لعلّك تَهديك القرونُ الأوائلُ

ألا ترى أنّ أنت يرتفع بفعلٍ فى معنى هذا الظاهرِ كانَ لو أظهرته « فإن لم تنتفع » ! ولو حُمل أنت على هذا الفعل الظاهرِ الذى هو ينفعك ، لوجب أن يكون موضعَ أنت إيّاك ، لأن الكاف الذى هو سببُه هى مفعولةٌ منصوبة ؛ فهذا البيت يقوّى إنشادَ من أنشد : إذا ابنُ أبي موسى ، بالرفع على إضمار فعل فى معنى الظاهر نفسه . انتهى .

وقوله (فقام بفأس) هو جواب إذا . ودخلت الفاء على الفعل الماضى لأنّه دعاء ، كما تقول : إن أعطيتنى فجزاك الله خيراً ؛ ولو كان خبراً لم تدخل عليه الفاء . والفأسُ معروفة ، وهى مهموزة ، وروى بدلها : (بنَصْل) بفتح النون ، والنَّصلُ : حديدة السَّيف والسكّين . والوِصل بكسر الواو : المفصِل وهو ملتقى كلِّ عظمين ، وهو واحد الأوصال ؛ والمراد بوصليها : المفصِلان اللذان عند موضع نحرها . و (الجازر) : اسم فاعل من جزَر الناقةَ : إذا نحرها ؛ وهو فاعل قام . و (بلال) هذا هو بلال بن أبي بُرْدة بن أبي موسى الأشعريّ . والتاء من بلغته مكسورة خطابٌ لناقته . وكذلك الكافُ

في وصليكِ ، دعاء عليها بالنحر والجزْر . إذا بلَّغته إلى ابن أبي موسى . وقد عِيب عليه هذا كما سيأتي .

٤٥٢

وهذا البيت من قصيدةٍ لذى الرُمَّة غَيلان ، مدح بها بلالاً ، مطلعها :

(لميَّـةَ أطلالٌ بحُزْوىٰ دَوارِسُ عَفتها السَّوافى بَعْدَنا والمَواطِرُ)

إلى أن قال :

(إلى ابنِ أبي موسىٰ بلالٍ طَوَتْ بنا قِلاصٌ ، أبوهُن الجَديلُ وداعِرُ[1]

بلاداً يبيتُ البُومُ يَدعُو بَنَاتِه بها ، ومِنَ الأصداءِ والجِنِّ سامرُ

تمرُّ[2] برَحْلِى بَـكْرة حِميَرِيَّة ضِناكٌ التَوالى عَيطَلُ الصدر ضامرُ)

تمرّ[2] : تمضى . والضِّناك بالكسر : المكتنزة الغليظة ، وتواليها : مآخيرها . والعَيطَل : الطويلة .

(أقول لها ، إذْ شمَّر السَيرُ واستوتْ بها البيدُ واستنَّتْ عليها الحرائرُ :

إذا ابن أبي موسى بلالا بلغته . . . . البيت

شمّر السير : قلّص . واستوت بهـا البيد : أى لا عَلَمَ بها . واستنّت : اطّردت . والحرائر : جمع حَرور ، وهى ريح السَمُوم .

بلال بن أبي بردة

وبلال هو ابن أبي بُرْدة ابن أبي موسى الأشعرىّ . قال ابن حجر (فى التهذيب) : هو من الطبقة الخامسة من التابعين ، مات سنة نيّف وعشرين ومائة وقال (فى تهذيب التهذيب) هو أمير البَصْرة وقاضيهـا . روىٰ عن

---

(١) فى النسختين : « داغر » ، تصحيف . صوابه من الصحاح والقاموس واللسان وفى القاموس : والإبل الداعرية منسوبة إلى فحل منجب أو قبيلة من بنى الحارث بن كعب ، وهو داعر بن الحماس » .

(٢) فى النسختين : « تمرى » فى الموضعين ، وصححها الشنقيطى مطابقا بذلك الديوان ٢٥٢ والمخصص ٧ : ٥٨ .

أنس ، فيما قِيل ، وعن أبيه وعمه أبي بكر ، روى له التِرمِذيّ حديثاً واحداً ، وذكره البخاري في الأحكام ، وذكره الصِقِلّيّ في كتاب الضعفاء . قال خليفة الخيّاط : ولاّه خالد القَسْريُّ القضاء سنة تسع ومائة ؛ وحُكى عن مالك ابن دِينار أنّه قال لما ولِيَ بلالٌ القضاء :

* يالكِ أُمّةً هلكت ضَياعاً[1] *

فلم يزل قاضياً حتى قدِم يوسفُ بنُ عمر ، سنةَ عشرين ومائة ، فعزله .

وروى المبرد : أنّ أوّل من أظهر الجور من القضاة في الحكم بلال ، وكان يقول : إنّ الرجلين ليختصمان إليّ فأجد أحدهما أخفَّ على قلبي فأقضى له !

وروى ابن الأنباريّ أنه مات في حَبس يوسف بن عمر ، وأنّه قتله دهاؤه وقال للسجّان : أعْلِمْ يوسفَ أنّي قدْ مُتُّ ، ولك مني ما يغنيك ! فأعلمه فقال يوسف : أحِبُّ أنْ أراه ميْتاً ؛ فرجَع إليه السجّان فألقى عليه شيئاً فغمّه حتّي مات ؛ ثمّ أراه يوسفَ .

وقال جُويريَة بن أسماء : لمّا وَلي عمر بن عبد العزيز ، وفَدَ إليه بلال فهنّأه ، ثم لزِم المسجدَ يصلّي ويقرأ ليلَه ونهاره ؛ فدسَّ عمر إليه ثقةً له ، فقال له : إن عملتُ لك وِلايةَ العِراق ، ما تعطيني ؟ فضَمِن له مالاً جزيلا ، فأخبَرَ بذلك عمرَ فنفاه وأخرجه وكتب إلى عامله على الكوفة : إنّ بلالاً غرّنا بالله فكِدْنا نغْترُّ به ، ثم سبكناه فوجدناه كلّه خَبَثا .

وترجمة ذي الرمّة تقدّمت في الشاهد الثامن في أوائل الكتاب[2] روى

(١) لعقيبة بن هبيرة الأسدي ، كما في الخزانة ١ : ٣٤٣ بولاق وفي الدرر اللوامع ١ : ١٣١ .

فهبها أمة ذهبت ضياعاً يزيد أميرها وأبو يزيد

(٢) انظر ما مضى في ص ١٠٦ من الجزء الأول .

المرزُبانىّ فى كتاب الموشّح[(1)] عن أبى بكر الجُرجانىّ عن المبرّد عن التوَّزىّ أنه قال : أنشَدَ ذو الرُّمّة قصيدتَه فى بلال بن أبى بُرْدة ، فلما بلغ قولَه :

إذا ابنُ أبى موسى بلالاً بلغته . . . . البيت

قال له عبد الله بن محمد بن وَكيع : هلّا قلتَ كما قال سيدُك الفرزدق :

قد استَبْطأتْ ناجيَةٌ ذَمولاً وإنَّ الهمَّ بى وبها لسامى

أقول لناقتى ، لمّا تَرامتْ بنا بيدٌ مسَربَلة القَتامِ :

إلامَ تلَفَّتينَ وأنتِ تحتى وخيرُ الناسِ كلِّهمِ أمامى

متى تَردى الرُّصافةَ تَستريحى من التصدير والدَّبر الدوامى ؟

٤٥٣

قال الأصبهانىّ فى الأغانى : « وقد أخذ هذا المعنى من الفرزدق داودُ ابن سَلْم فى مدحِهِ قُثَمَ بن العبّاس أخا عبد الله بن العبّاس ــ رضى الله عنهم ــ فأحسَن وقال :

يا ناقَ إنْ أدنيتِنى من قُثَمْ[(2)] عَتقْتِ مِن حَلِّى ومن رِحلتى

إنك إن أدنَيتِ منهُ غداً حالفنى اليسرُ وزال العَدمْ

فى كفِّه بَحْرٌ ، وفى وجهه بدرٌ ، وفى العِرنينِ منهُ شَمَمْ»[(3)]

وقال التاريخىّ : لما أنشدَ مرْوانُ بن أبى حَفصة يحيى بنَ خالد :

إذا بلّغتْنا العيسُ يحيى بنَ خالدٍ أخذنا بحَبْلِ اليسر وانقطع العسرُ

قال له يحيى : لا عليك أن لا تقول شيئاً بعد هذا !

---

(1) الموشح ١٧٤ .

(2) فى النسختين : « ومن رحلى » ، صوابه من الأغانى ٥ : ١٣٣ وفى ط : « إن أدنيتى » ، صوابه فى ش . وفى معجم الأدباء ١١ : ٩٧ والكامل ٣٦٩ : « من حل ومن رحلة يا ناق إن قربتنى » .

(3) فى الأغانى : « فى وجهه بدر فى كفه بحر » .

أقول : الفرزدقُ قد سلك طريقةَ الأعشىٰ ميمون فى [1] مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله :

فآليتُ لا أرْثِى لها من كَلالة ولا مِن وَجًى حتّي تلاقى محمّدَا
متى ما تُناخى عند باب ابن هاشم تُراحى وتَلْقَىْ من فواضله ندَىٰ

وذو الرُّمّة مأخذه من قول الشمّاخ :

رأيت عرَابةَ الأوسىَّ يسمو إلى الخيرات منقطعَ القرينِ
إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ تَلقّاها عَرَابة باليمينِ
إذا بلّغتِنى وحملتِ رحلى عَرَابةَ فاشرَقى بِدَم الوَتين

قال المبرّد فى الكامل : « وقد أحسن كلّ الإحسان فى قوله :

إذا بلّغتنى وحملت رحلى . . . . البيت

يقول : لستُ أحتاجُ أن أرحَل إلى غيره . وقد عابَ بعض الرواة قولَه : فاشرقى بدم الوتين ، وقال : كان ينبغى أن ينظر لها مع استغنائه عنها ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، للأنصاريّة المأسورة بمكّة وقد نجت على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله : إنّى نذرتُ إن نجوتُ عليها أن أنحرَها : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لبِئسَما جزيْتِها » . وقال صلى الله عليه وسلم « لا نذرَ فى معصية الله جلَّ وعزَّ ، ولا نذر للإنسان فى غير ملكه » .

ومما لم يُعَبْ فى هذا المعنى قولُ عبد الله بن رَوَاحة الأنصارىّ لما أمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زيد وجعفرٍ ، على جيش مؤتة :

---

(1) ط : « أعشى ميمون » صوابه فى ش .

إذا بلَّغتنى وحَملتِ رَحلى مسيرةَ أربعٍ بعد الحِساء
فشأنَكِ فانعَمى وخلاكِ ذمٌّ ولا أرْجعْ إلى أهلى ورائى

قال بعض العلماء ، فيما كتبه على الكامل : هذه المرأة غفارية لا أنصارية .

وقد تبع الشّمّاخَ[1] فى إساءته أبو دَهْبَلٍ الْجُمَحىُّ أيضاً ، فى قوله يمدح المغيرة بنَ عبدِ اللهِ ، وهو مَطلعُ أبياتٍ له فيه[2] :

يا ناقُ سيرى واشرَقى بِدَم إذا جِئتِ المُغيرهْ
سيُثيبنى أُخرىٰ سوا كِ ، وتلكَ لى منهُ يَسيرهْ
إنّ ابن عبد الله نِعْـمَ أخو الندى وابنُ العشيره[3]

٤٥٤

وتبعه أيضاً ابنُ أبى العاصية السُّلَمىُّ[4] ، فإنّه لما قدِم على مَعْن بن زائدة بصنعاء نحر ناقتَه على بابه ، فبلغ ذلك معناً فتطيّر وأمر بادخاله ، فقال : ماصنعتَ ؟ قال : نذرتُ أصلحك الله ! قال : وما هو ؟ فأنشدَه من أبيات :

نذرٌ علَى لئِنْ لقيتُكَ سالماً أن يَستمِرَّ بها شِفارُ الجازرِ

فقال معن : أطعمونا من كَبِد هذه المظلومة !

وأوّل من عابَ على الشّماخ عرَابةُ ممدوحُه فإنَّه قال له : بئسما كافأْتَها به . وكذا عابَ عليه أُحيحَة بن الْجُلاَح ، فإن الشَّماخَ لما أنشده البيتَ قال له أُحيحة : بِئْسَ المجازاةُ جازيتَها !

(١) هذا النص من الموشح ٧٠ وإن لم ينص البغدادى على ذلك .
(٢) كتب الميمنى : « أبيات القصيدة اثنتا عشرة فى ديوانه رواية الزبير ، طبع فى المجلة (R. A. C. G) . وفيه : أخو الندى .
(٣) ط : « أخو الذرى » والتصحيح للشنقيطى بقلمه ، ولم يرد فى الموشح .
(٤) فى الموشح : وتبعهما أيضاً .

وممّن ردَّ عليه من الشعراء أبو نُواس : روىٰ المرزبانىُّ فى كتاب الموشَّح(١) بسنده عن أبى نواس ، أنه قال : كان قول الشماخ عندى عيباً ، فلما سمعتُ قولَ الفرزدق تبعتُه فقلتُ :

وإذا المطىُّ بنا بلَغْنَ مُحَمَّداً فظُهورهُنَّ على الرِّحَال حرامُ(٢)
قَرَّبْنَناَ مِنْ خيرِ مَنْ وَطِىء الحصا فلها علينا حُرْمَةٌ وذِمامُ

وقلتُ أيضاً :

أقولُ لناقتى ، إذ قرَّبتنى : لقد أصبحتِ عندى باليمين
فلَم أجعلكِ للغِرْبانِ نُحْلاً ولا قلتُ اشرَقى بدم الوتين
حَرُمتِ على الأزِمَّةِ والوَلايا وأعلاقِ الرِحالةِ والوَضين

الولايا : جمع وَلِيَّة وهى البَرْذَعة . والأعلاق : ما علِّق على الرحل من العهون وغيره . والوَضين : حِزام الرَّحْل .

قال ابن خلِّكانَ فى ترجمة ذى الرّمة : « أبو نواس هو الذى كشف هذا المعنى وأوضحه ، حتى قال بعضُ العلماء — ولا أستحضر الآن مَن هو القائل — لمّا وقف على بيت أبى نواس : هذا المعنى ، واللهِ ، الذى كانت العربُ تحوم حولَه فتخطئُه ولا تصيبه : فقال الشّماخ كذا وقال ذو الرّمة كذا ، وما أبانَه(٣) إلاّ أبو نواس بهذا البيت ؛ وهو فى نهاية الحسْن » ا ه .

وقد تقدّم أن أوّل مَن كشف هذا المعنى الأعشىٰ ، لا أبو نواس .

---

(١) الموشح ٦٩ .
(٢) كذا فى ط والموشح بالحاء المهملة ، ولها وجه صالح يؤيده قول أبى نواس فى الأبيات النونية التالية :

حرمت على الأزمة والولايا وأعلاق الرحالة والوضين

لكن الرواية المعروفة : « الرجال » بالجيم ، كما فى ش .
(٣) ش : « وما أتى به » صوابه فى ط .

وردّ أبو تمّامٍ أيضاً على الشّماخ تابعاً لأبى نواس :

لستُ كشمّاخِ المذمَّمِ فى سوءِ مُكافاتِه ومُجْترَمِهْ
أشْرَقَها مِن دَمِ الوتين ، لقد ضَلَّ كريمُ الأخلاق عن شِيَمِهْ
ذلكَ حكمٌ قضى بفيصله أُحيحَةُ بن الجُلاحِ فى أُطُمِهْ[1]

وروى المرزُبانىُّ أيضاً عن أحمد بن سليمان بن وهب أنّ محمد بن علىّ القنبرىّ الهمْدانى[2] أنشد عُبيد الله بنَ يحيى بن خاقانَ ، قولَه من قصيدة :

إلى الوزير عُبيدِ الله مَقْصَدُها أعنى ابنَ يحيى حياةَ الدينِ والكرَم
إذا رميتِ برَحلى فى ذَراه فلا نلتُ المنى منه إن لم تشرَقى بدم
وليس ذاكِ لُجرْم منكِ أعلَمه ولا لجهلٍ بما أسديتِ من نِعَم
لكنّه فِعلُ شمّاخٍ بناقته لَدى عَرابةَ إذْ أدَّته للأُطُمِ

فلما سمع عبيدُ الله هذا البيتَ قال : ما معنى هذا ؟ فقال له أبى سليمان[3] : أعزّ الله الوزير ! إن الشّماخَ بن ضِرار مدَح عَرَابةَ الأوسىَّ بقصيدة ، وقال فيها يخاطب ناقته :

إذا بلّغتنى وحملتِ رحلى . . . . البيت

فعاب من فعله هذا أبو نواس فقال :

---

(١) هذه الأبيات لم ترد فى ديوان أبى تمام ، وإنما وردت منسوبة إليه فى الموشح ٦٩ ويبدو أنها ليست له ، بدليل قول المرزبانى : « ورويت لغيره » .

(٢) فى الموشح : « الهمذانى » بالذال المعجمة .

(٣) فى النسختين : « فقال له ابن سليمان » والوجه ماأثبت مطابقا لما فى الموشح ٧٠ وذلك لأن المتحدث هنا هو أحمد بن سليمان ، فيقتضى سياق الكلام ـ إن كان هو القائل ـ أن يقول (قلت) . ولشىء آخر ، وهو أن الذى فى الموشح بعد قول عبيد الله الآتى : « هذا على صواب والشماخ على الخطأ » ، هو « فقال له أبى » ، دون ذكر لسليمان . وهذا معزز لما ذكرت .

٤٥٥

أقول لناقتى إذ قرّبتنى . . . . البيتين

فقال عبيد الله : هذا على صواب ، والشّماخ على خطأ ؛ فقال له أبِى[١] : قد أتىٰ مولانا الوزير بالحقِّ ، وكذا قال عَرابة الممدوحُ للشّماخ لما أنشده هذا البيت : بئسما كافأتَها به اﻫ .

(تتمات)

(الأولى) قول الشّماخ : «تلقّاها عَرابة باليمين» قال المبرّد فى الكامل[٢] : قال أصحاب المعانى : معناه بالقوّة . وقالوا مثلَ ذلك فى قول الله عزَّ وجل : (والسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بيمينه[٣]) اﻫ .

قال الحاتمىّ : أخذ الشّماخ هذا مِن قول بِشْر بن أبى خازم :

إذا ما المكرُماتُ رُفِعْنَ يوماً وقصَّر مُبتَغوها عن مَداها

وضاقت أذرُعُ المثرِينَ عنها ، سما أوسٌ إليها فاحتواها

ورأيت فى الحماسة البصريّة نسبةَ البيت لُجندب بن خارجة الطائىِّ الجاهلىِّ ، ورواه هكذا :

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ سما أوسٌ إليها فاحتواها

وذكر بيتين قبله ، وهما :

إلى أوسِ بن حارثةَ بنِ لأْمٍ ليقضىَ حاجتى فِيمن قضاها

فما وطِىء الحصى مثلُ ابنِ سُعدى ولا لَبِسَ النِعالَ ولا احتَذاها

وروىٰ أبو الفرج صاحبُ الأغانى[٤] عن الحسين بن يحيى عن حمَّاد بن

---

(١) هذا ما فى الموشح ، وهو الصواب . وفى النسختين : « فقال له ابن سليمان » .
(٢) الكامل ٧٥ ليبسك .
(٣) الآية ٦٧ من سورة الزمر .
(٤) الأغانى ٨ : ١٠١ .

إسحاق عن أبيه أنَّه قال : عرابة الذى عناه الشّماخ بمدحه ، هو أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن أوس بن قَيظيّ بن عمرو بن زيد بن جُشَم ابن حارثة بن الحارث بن الخزْرج : وإنما قال له الشّماخ الأوسىّ وهو من الخزرج ، نسبةً إلى أوس بن قيظى[1] . قال أبو الفرج : لم يصنَع إسحاق شيئاً ! عَرابةُ من الأوس لا من الخزرج ، وإنّما وقع عليه الغلطُ فى هذا ، لأنَّ فى نسب عَرابة الخزرجَ ، وفى الأوس رجل يقال له : الخزرج ، ليس هو الجدَّ الذى ينتمى إليه الخزرجيُّون الذى هو أخو الأوس ، هذا الخزرجُ بنُ النبيتِ بن مالكِ بن الأوس.. وردَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أُحُد ، لصِغَره مع تسعةِ نفرٍ : منهم ابن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأبو سعيد الخُدْرىّ ، وأُسَيْد ابن ظُهَيْر . . وأبوه أوس من المنافقين الذين شهدوا مع النبى صلى الله عليه وسلم أُحُداً ، وهو الذى قال : (إنَّ بُيوتَنا عَوْرَةٌ وما هى بِعَورَةٍ[2]) وكان من وُجوههم . وقد انقرض عقِبُ عَرابة فلم يبق منهم أحد . اهـ

قال المبرّد فى الكامل[3] : قال مُعاوية لعرابة بن أوس بن قيظىّ الأنصارىّ : بِمَ سُدتَ قومَك ؟ قال : لستُ بسيِّدهم ، ولكنى رجلٌ منهم ! فعزَم عليه ؛ فقال : أعطَيت فى نائبتهم ، وحَلمت عن سَفيهم ، وشدَدت على يَدَىْ حليمهم ؛ فمن فعل منهم مثلَ فعلى فهو مثلى ، ومن قصَّر عنه فأنا أفضل منه ، ومن تجاوَزنى فهو أفضل منى . وكان سبب ارتفاع عَرابة : أنّه قدِم من سفر ، فجمعه الطريق والشّماخَ بن ضِرار المرِّىّ فتحادثا ، فقال له عرابة : ما الذى أقدمك المدينة؟ فقال : قدمتُ لِأمتار بها[4] ؛ فملأ له عرابة رَواحلَه بُرًّا وتمراً ، وأتحفَه بغير ذلك ، فقال الشّماخ ذلك . اهـ

---

(١) فى الأغانى : « نسبة إلى أبيه أوس بن قيظى » .

(٢) الآية ١٣ من سورة الأحزاب .

(٣) الكامل ص ٧٥ .

(٤) فى الكامل : « لأمتار منها » .

٤٥٦

(الثانية) تتعلّق بشعر الفرزدق .

قال القالىّ فى أماليه[١] : حدّثنا أبو بكر قال : أخبرنى أبو عثمان عن التوَّزىّ عن أبى عبيدة قال : خرج جَرير والفرزدق إلى هشام بن عبد الملك ، مرتدِفَين على ناقة ، فنزل جرير يبول ، فجعلت الناقة تتلفّت ، فضربها الفرزدق وقال :

علامَ تَلفَّتينَ وأنتِ تحتى . . . . البيتين

ثم قال : الآن يجىء جرير فأنشِدُه هذين البيتين فيردّ علّى :

تَلفَّتُ أنَّها تحتَ ابنِ قينٍ ، إلى الـكيرَين والفأسِ الـكَهامِ[٢]

مَتى تَرِدِ الرُصافةَ تُخزَ فيها كخِزيك فى المواسم كلَّ عامِ

فجاء جرير ، والفرزدقُ يضحك ، فقال : ما يضحكك يا أبا فراس ؟ فأنشده البيتين ، فقال جرير :

* تَلفَّتُ أنَّها تحت ابن قين *

كما قال الفرزدق سواء . قال الفرزدق : والله لقد قلتُ هذين البيتين ! فقال جرير : أمَا علمتَ أنّ شيطاننا واحد ! ! اهـ

(الثالثة) تتعلّق بشعر أبى نواس الأوّل :

قال ابن خلّـكان ، فى ترجمته : لهذا البيت حكاية جرت لى مع صاحبنا جمال الدين محمود بن عبد الله الإرْبِلىّ ، الأديب المُجيد فى صنعة الألحان وغير ذلك ، فإنه جاءنى إلى مجلس الحـكم العزيز بالقاهرة المحروسة فى بعض شهور سنة خمس وأربعين وستمائة ، وقعد عندى ساعة — وكان الناس مزدَحمين

---

(١) الأمالى ٢ : ٢٣٥ .

(٢) ط : « الـكرين » ، صوابه فى ش وديوان جرير ٥٠٢ والأمالى . وجرير يلهج أبدا بذكر القيون وأدواتهم إذا انتحى هجاء الفرزدق .

لكثرة أشغالهم حينئذ — ثم نَهَضَ وخرج ، فلم أشعر إلاّ وقد جاء غلامٌ وفى يده رقعة مكتوبٌ فيها هذه الأبيات[(١)] :

يا أيُّها المَولى الذى بوجوده أبدت محاسنَها لنا الأيّامُ

إنى حجَجْتُ إلى جَنابك حجَّةَ الأشواق، مالا يوجِبُ الإسلام[(٢)].

وأنختُ بالحرم الشريف مَطيّتى فتسرّبتْ واستاقها الأقوامُ

فظلِلتُ أُنشِدُ عند نِشْدانى لها بيتاً لمن هُو فى القَريض إمامُ :

« وإذا المطىُّ بنا بلَغنَ محمّداً فظهورُهنَّ على الرِحال حرام[(٣)]»

فوقفتُ عليها وقلتُ لغلامِه : ما الخبر ؟ فقال : إنه لما قام من عندك وجدَ مِداسَه[(٤)] قد سُرِقَ فاستحسنتُ منه هذا التضمينَ — والعربُ يشبِّهون النعلَ بالراحلة ، وقد جاء هذا فى شعر المتقدّمين والمتأخّرين ، واستعمله المتنبّي فى مواضعَ من شعره — ثم جاءنى من بعدُ جمالُ الدين المذكورُ ، وجرى ذكر هذه الأبيات فقلت له : ولكن أنا اسمى أحمد لا محمد ! فقال : علمتُ ذلكَ ولكنْ أحمدُ ومحمّدٌ واحد . . وهذا التضمين حسن ، ولو كان الاسم أىّ شىء كان . اه

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستّون بعد المائة ، وهو من من شواهدس[(٥)] .

(١) ابن خلكان ١ : ١٣٦ : « فلم أشعر إلا وقد حضر غلامه وعلى يده » .
(٢) هذا البيت ساقط من ش .
(٣) ش وابن خلكان : « على الرجال » وانظر ماسبق فى ص ٤٠ من هذا الجزء
(٤) فى المصباح (دوس) : « وأما المداس الذى ينتعله الإنسان . فان صح سماعه فقياسه كسر الميم لأنه آلة ، وإلا فالكسر أيضاً حملا على النظائر الغالبة من العربية .
(٥) سيبويه ١ : ٤٥٨ . وانظر أيضاً الخزانة ٣ : ٦٣٩ وابن يعيش ٩ : ١٠ وابن الشجرى ٢ : ٣٣٢ والانصاف ٦١٧ .

١٦١ (فمتى واغلٌ يَزُرْهُمْ يُحَيُّو ه وتُعْطَفْ عليه كأسُ السـاقى)

على أنه فصلَ اضطراراً بين متى وبحزومه فعلِ الشرط بواغل ، فواغل فاعلُ فعل محذوف يفسِّره المذكور : أى متى يزرْهم واغل يزرهم . وروى أيضاً (يجِئْهم) وروى أيضاً (يَنُبْهم) من ناب ينوب .

والواغل : الرجل الذى يدخل على من يشربُ الخمرولم يُدْعَ ، وهو فى الشَّراب بمنزلة الوارش فى الطعام ، وهو الطفيلىّ ، يقال : وغَل بالفتح يغِل بالكسر وغْلا بالسكون فهو واغل ووغْل أيضاً بالسكون ، كذا فى كتاب النبات للدينَوَرىّ . ٤٥٧

والكأس بالهمز مؤنثة ، قال أبو حنيفة (فى كتاب النبات) — وذَكَر أسماء الخمر فقال — : ومنها الكاس ، وهو اسم لها ، ولا يقال للزجاجة كأس إن لم يكن فيها الخمر ثم أورد حججاً على ذلك ، منها قول الله تعالى : (يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأسٍ مِنْ مَعِينٍ[1]) وقد ردّ عليه أبو القاسم علّى بن حمزة البصرىّ اللغوىّ ، فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة ، فيما كتبه على كتاب النبات ، فقال : « قد أساء فى هذا الشرطِ الكأسُ : نفس الخمر كما قال ، والكأس : الزجاجة ، وقولُ الله تعالى الذى احتجّ به هو حُجَّةٌ عليه ، ومثله قوله تعالى : (بأكْوابٍ وأبارِيقَ وكأسٍ مِنْ مَعِينٍ[2]) أى ظرفٍ فيه خمر من هذه التى هذه صفتُها . وقد قال سبحانه : (وكأساً دِهاَقا[3]) والدِّهاق : الملأىٰ . ولا يجوز أنه أراد خمراً ملأىٰ . وهذا فاسد من القول . والعرب تقول : سقاه كأساً مُرَّة ، و : جرّعه كأساً من السّم ، وقال :

* وقد سقىٰ القومَ كاسَ النَعْسَةِ السَّهَرُ[4] *

---

(١) الآية ٤٥ من الصافات . (٢) الآية ١٨ من الواقعة .

(٣) الآية ٣٤ من النبأ .

(٤) لأبى دهبل الجمحى ، كما فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٣٥٠ . وصدره :

* أقول والركب قد مالت عمائمهم *

وأوضحُ من هذا كلّه وأبعدُ من قول أبى حنيفة ، ما أنشده أبو زياد لريسبان بن عُميرة — من بنى عبد الله بن كلاب — :

وأوّلُ كأس من طَعامٍ تَذُوقه ذرا قُضُب يجلو نَقِيًّا مفَلَّجا

فجعلَ سِوَا كها كأسا ، وجعلَ الكأس من الطعام ، وبعَّضَ مِنْ(١) تبعيضاً يدلّ على صحّة ما قلناه . وقال آخر(٢) .

مَن لم يمُت عَبْطةً يمُتْ هرَما للموتِ كأسٌ والمرء ذائقها

وقال كُراع :الكأس : الزجاجة، والكأس أيضا : الخمر . فبدأبقولنا.اه

وتُعطَفْ بالبناء للمفعول .

وهذا البيت من قصيدة لعدىّ بن زَيد العِبادِىّ . وبعده : صاحب الشاهد

(ويقولُ الأعداء : أودىْ عدِىٌّ وبنوه قد أيقنوا بعَلاق)

وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الستين(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه(٤) .

١٦٢ (صَعْدَةٌ نابِتَةٌ فى حائرٍ أينما الريحُ تميِّلْها تَمِلْ)

لما تقدّم قبله . فتكون الريح فاعلة بفعل محذوف يفسّره المذكور : أى أينما تميِّلْها الريحُ تُميِّلها .

(١) أى بعض الحرفُ من ، أى أفاد التبعيض .

(٢) هو أمية بن أبى الصلت كما فى العينى ٢ : ١٨٧ وديوانه ٤٢ ، وعيون الأخبار ٣ : ٢٧٤ ونسب فى الكامل ٤٣ إلى رجل من الخوارج .

(٣) الخزانة ١ : ص ٣٨١

(٤) سيبويه ١ : ٤٥٨ . وانظر أيضاً الخزانة ٣ : ٤٦٠ ، ٦٤٢ بولاق ، والعينى ٤ : ٤٣٤ ، ٥٧١ وابن الشجرى ١ : ٣٣٢، ٣٤٧ والانصاف ٦١٨ .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لابن جُعيل ، منها هذه الأبيات :

أبيات الشاهد

(وضَجيعٍ قد تعلَّلْتُ به طيِّبٍ أردانُه غيرِ تَفِلْ
فى مكانٍ ليس فيه بَرَمٌ وفراشٍ مُتَعالٍ مُتْمَهِلْ
فإذا قامتْ إلى جاراتِها لاحتِ الساقُ بخَلخالٍ زَجِلْ
وبِمَتْنَيْنِ إذا ما أدبَرتْ كالعِنانين ، ومُرْتَجٍّ رَهِلْ
صَعدةٌ قد سَمَقَتْ فى حائر . . . . البيت)

الضَّجيع : المضاجِع ، مثل النديم بمعنى المنادم والجليس بمعنى المجالس ، من الضُّجوع وهو وضع الجنب على الأرض ؛ وهو مجرور بربَّ المقدرة بعد الواو ؛ وجملة « قد تعلّلت » جواب ربَّ وهو العامل فى مجرورها ؛ وقد وقع جواب ربّ قبلَ وصْفه ، والتعلّل : التلهّى . وطيّب : صفةُ ضجيع ، وأرْدانُه : فاعله . والتَفِل ، بفتح المثّناة الفوقيّة وكسر الفاء ، وصفٌ من تفِلت المرأةُ تَفَلاً فهى تَفِلة ، من باب تعب : تركت الطِّيب والأدهان . والبَرَم بفتحتين : مصدرُ برِم به ، بالكسر : إذا سئمه وضجر منه . وفراش مطوف على مكان . ومُتْمَهِل : اسم فاعل من اتمهَلّ الشىء ، على وزن اقشعرّ ، أى طال واعتدل ؛ وأصل المادة تَمْهَل بمثناة فوقية فميم فهاء فلام . وزَجِل ، بفتح الزاى المعجمة وكسر الجيم : أى مصوِّت : وذلك أنّهم كانوا يجعلون فى الخلاخيل جَلاجل . وقوله : وبمتْنين ، هو تثنية مَتن ، وهو — كما قال ابنُ فارس — مكتنَفا الصُلْب من العصَب واللحم ؛ وهو متعلّق بمحذوف ، أى وإذا ما أدبرَت أدبَرت بمتنين كالعِنانين وبمرتجّ الخ ، وهو مثنّى عِنان الفَرَس ؛ وعِنانا المتن : حبْلاه ؛ أراد أنّ خَصْرَها مجدولٌ لَطيف ؛ وأراد بالمرتجّ الكفلَ . والرَّهِل ، بفتح فكسرٍ : المضطرب .

٤٥٨

وقوله (صَعدة) أى هى صَعْدة ؛ والصَّعدة : القناة التى تنبُت مستويةً فلا تحتاج إلى تثقيفٍ[1] وتعديل ؛ وامرأةٌ صعدة : مستوية القامة ، شبّهها بالقناة . وأنشده الجوهرىّ — فى مادة صعد — ولم ينسُبه إلى أحد . وقال العينيّ : نسبه الجوهرىّ إلى الُحسام بن صُدَّاء الكلبى . ولا أدرى أين ذكره

و (الحائر) بالحاء المهملة ، قال أبو نصر : يقال للمكان المطمئن الوسَط المرتفِع الحروفِ : حائر — وأنشد هذا البيت — وإنما قيل له حائر ، لأنَّ الماء يتحيّر فيه فيجىء ويذهب . . قال الأعلم : الحائر : القرارة من الأرض يستقرّ فيها السيل فيتحيّر ماؤه : أى يستدير ولا يجرى ، وجعلَها فى حائر لأنَّ ذلك أنعمُ لها وأشد لتثنّيها[2] إذا اختلفت الريح اهـ . وقال أبو بكر الزُّبيدىّ (فى كتاب لحن العامّة) : ويقولون للحَظيرة تكون فى الدار حيرا ، ويجمعونه أحيارا . والصواب حائر وجمعه حُورانٌ وحِيران . وبالبصرة حائر الَحجّاج ، معروف . وقال أحمد بن يحيي ثعلب : الحائر هو الذى تسمّيه العامّة حِيراً وهو الحائط اهـ .

وروىَ بدلَ نابتة : (قد سَمَقَتْ[3]) أى طالت وارتفعت .

ابن جعيل

و (ابن جُعَيل) صاحب هذا الشعر ، بضم الجيم مصغّر جُعَل . واسمه كعب بن جُعيل بن قُمير ، مصغّر قمر ، ابن عُجْرة بن ثعلبةَ بن عوف بن مالك ابن بكر بن حَبيب بن عمرو بن تغلِب بن وائل . وهو شاعر مشهور إسلامىّ كان فى زمن معاوية . وفيه يقول عُتبة بن الوَغْل[4] التغلَبيّ :

(١) ط : « تثقيق » ، صوابه فى ش .
(٢) كذا عند الأعلم (سيبويه ١ : ٤٥٨) . وفى ط : « وأسد لنبتها » ، وفى ش « وأشد لنبتها » .
(٣) ط « سمتت » صوابه فى ش .
(٤) هكذا ضبطه البغدادى بقلمه فى نسخته من فرحة الأديب التى سبقت الإشارة إليها فى التقديم .

سُمِّيتَ كعبا بِشرِّ العظامِ وكان أبوك يُسمَّى الجُعَلْ
وإنّ مكانَكَ من وائلٍ مكانَ القُرادِ من استِ الجَمَلْ[1]

هكذا ذكره الآمدىّ فى المؤتلف والمختلف ، ونسب إليه الشعر الذى منه بيت الشاهد .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء[2] : « وكعب بن جُعَيل هو الذى قال له يزيد بن معاوية : اهجُ الأنصار ؛ فدلّه على الأخطل . ولكعبٍ هذا أخٌ يقال له عُمير بن جُعيل بالتصغير ، وهو شاعر أيضاً ، وهو القائل يهجو قومه :

كسا اللهُ حَيَّيْ تغلبَ ابنةَ وائلٍ مِن اللؤمِ أظفاراً بطيئا نصولها !

ثم ندم فقال :

ندِمتُ على شتمى العشيرة بعد ما مَضَتْ واستتبّتْ للرواة مَذاهبُهْ
فأصبحتُ لا أستطيعُ دفعاً لما مضى كما لا يَرُدُّ الدَّرَّ فى الضَّرع حالبُهْ »

٤٥٩ وفى الشعراء شاعر آخر يقال له ابن جُعيل بالتصغير ، واسمه شبيب التغلبيّ وستأتى ترجمته إن شاء الله تعالى فى خبر ما ولا[3] وفيهم أيضاً من يقال له « ابن جُعَل » مكبّرا ، وهو تغلبيّ أيضاً كاللذَين قبله ، واسمه عَميرة — بفتح العين — ابن جُعَل بن عمرو بن مالك بن الحارث بن خبيب بن عمرو ابن غَنْم بن تغلب بن وائل ، شاعرٌ جاهليّ ؛ وهو القائل :

فمن مبلغٌ عنّي إياسَ بنَ جندلٍ أخا طارقٍ ، والقولُ ذو نَفَيانِ
فلا توعِدَنّى بالسلاحِ ، فإنّما جمعتُ سلاحى رهبةَ الحدَثانِ !

(١) هذا البيت نسبه الأعلم فى شرح أبيات سيبويه إلى الأخطل .
(٢) الشعراء ٦٣١ — ٦٣٢ .
(٣) فى الشاهد ٢٨٣ .

جمعت ردينيًّا كأنّ سِنانه سَنَا لهبٍ لم يتصِلْ بدُخان

كذا فى المؤتلف أيضاً للآمديّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد المائة ، وهو من شواهد س[1] .

١٦٣ (ألا رَجُلاً جَزاهُ اللهُ خيراً يدُلُّ على محصِّلةٍ تُبيتُ)

على أنّ (ألا) عند الخليل قد تكون للتحضيض ، كما فى هذا البيت ، أى ألا تُرُونَنِي رجلا — هو بضمّ التاء من الإراءة ، لا بفتحها من الرؤية .

قال سيبوَيه : وسألت الخليل عن هذا البيتِ ، فزعم أنه ليس على التمّني ، ولكنْ بمنزلة قول الرجل : فهلاّ خيراً من ذاك ؟ كأنه قال : ألا تُرُونى رجلا جزاه الله خيرا !

قال ابن هشام فى المغْنى « ومن معانى ألاَ العرضُ والتحضيضُ ، ومعناهما طلب الشىء ؛ ولكنّ العرْضَ طلبٌ بِلين ، والتحضيضَ طلبٌ بحثٍّ ؛ وتختصّ ألا هذه بالفعليّة ، ومنه عند الخليل هذا البيت ، والتقدير عنده : ألا تُرُونى رجلاً هذه صفته ! فحُذِف الفعلُ مدلولاً عليه بالمعنى . وزعم بعضُهم : أنه محذوف على شريطة التفسير ، أى ألا جزىٰ الله رجلاً جزاه خيرا . وألا على هذا للتنبيه . وقال يونس : ألا للتمنِّي ، ونوّنَ الاْسم للضرورة . . وقولُ الخليل أوْلىٰ ، لأنه لا ضرورة فى إضمار الفعل بخلاف التنوين . وإضمار الخليل

(١) سيبويه ١ : ٣٥٩ . وانظر الخزانة ٢ : ١١٢ ، ١٥٦ /٤ : ٤٧٧ بولاق والعينى ٢ : ٣/٣٦٦ : ٣٥٢ . وابن يعيش ٢ : ١٠١ ، ١٠٢ وشرح شواهد المغنى ٧٧ ، ٢١٩ ونوادر أبى زيد ٥٦ .

أولىٰ من إضمار غيره ، لأنه لم يُردْ أن يدعوَ لرجل على هذه الصفة ، وإنما قصد طلبَه . وأما قول ابن الحاجب في تضعيف هذا القول : إنَّ « يدُلُّ » صفةٌ لرجل فيلزم الفصل بينهما بالجملة المفسِّرة وهي أجنبيّة ، فمردود بقوله تعالى (إنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ له وَلَد[1]) ثم الفصل بالجملة لازم وإن لم تقدّر مفسِّرة إذ لا تكون صفةً[2] لأنها إنشائية اهـ كلام المغْني .

وقدّر العاملَ غيرُ الخليل ألا أجد رجلا . وقدَّره بعضهم ألاَ هاتِ رُجلا . ورُوي أيضاً (ألا رجلٍ) بالرفع والجرّ ، فالرفع اختاره الجوهريّ على أنه فاعل لفعل محذوف يفسِّره المذكور ، أي ألا يدلّ رجل . وقيل : رجل مبتدأ تخصَّصَ بالاستفهام والنفي ، وجملة يدلّ خبرُه . والجرّ على تقدير ألا دَلالةَ رجل ، فحذف المضاف وبقي المضاف إليه على حاله . وقال الصاغاني في العباب : الجر على معنى أماَ مِنْ رجل . وهما ضعيفان . وجملة جزاه الله خيرا دعائيَّة لا محلَّ لها .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة طويلة لعمرو بن قِعاَس المُراديّ . وهذا مطلعها وأبياتٌ منها :

أبيات الشاهد

(ألا يا بَيتُ بالعَلياء بَيتُ ولولا حبُّ أهلِكَ ما أتيتُ
ألا يا بيت أهلُك أوعدوني كأنّي كلَّ ذنبِهِم جنَيت
ألا بَكَرَ العواذل فاستَميتُ وهل من راشدٍ لي أنْ غوَيتُ[3]

٤٦٠

---

(١) الآية ١٧٦ من النساء .

(٢) في النسختين : « إذ لا تكون مفسرة » وهو خطأ ظاهر ، فإن الجملة الانشائية يصح التفسير بها ، وصوابه من مغني اللبيب (مبحث ألا) .

(٣) في النسختين : « إما غويت » والتصحيح للشنقيطي في نسخته ومما سيأتي في الشرح .

إذا ما فاتني لحمٌ غريضٌ ضربتُ ذراع بَكرى فاشتويت
وكنت متى أرىٰ رِقًّا مريضا يُصاحُ على جِنازته بكيتُ
أُمَشِّى فى سَراة بنى غُطيف إذا ما سامَنِي ضَيمٌ أبَيتُ
أرجِّلُ لِمّتي وأجرُّ ذيلى وتحمل بِزّتى أُفُقٌ كميتُ
وبيتٍ ليس مِن شَعَر وصوفٍ على ظهر المطيَّة قد بنيتُ
ألا رجلاً جزاه الله خيراً يدلُّ على محصلةٍ تبِيتُ
ترجِّل لّمتى وتقُمُّ بيتى وأُعطيها الإتاوةَ إن رضِيتُ)

والبيت الأوّل من شواهد سيبويه ، نسبه إلى عمرو بن قِعاس ، وأورده فى باب النداء . قال الأعلم : الشاهد فيه رفع البيت ، لأنه قصدَه بعينه ولم يصِفْه بالمجرور بعده فينصبَه ، لأنه أراد : لى بالعلياء بيتٌ ولـكنى أو ترك عليه لمحبتى فى أهلك .

وقوله : كأنّى كلَّ ذنبهم أتيتُ ، قال المازنىّ : معناه : كأنّى جنيت كلَّ ذنبٍ أتاه إليهم آت . وقوله : فاستمَيت : أى علوت عن سَماع عذْلهنّ ؛ وهو افتعلت من السموّ، أى أنا أعلىٰ من أن أُلامَ على شىء ؛ وهل من راشد لى إن غوَيت . واللحم الغريض : الطرىّ . والبَـكر بالفتح . والرِّق بكسر الراء المهملة . يصف نفسَه بالعفّة ورقّة القلب . وأُمَشِّى بالتشديد : لغة فى أمْشى بالتخفيف . وغُطيف بالتصغير جدّه الأعلىٰ . والبِزّة ، قال فى المصباح : يقال فى السلاح بِزّة بالـكسر مع الهاء ، وبَزٌّ بالفتح مع حذفها . ورُوىَ بدله : (وتحملُ شِـكّتى) بكسر الشين وهى السلاح أيضاً . وأُفُق بضمّتين : الفرس الرائع ، للأنثى والذكر ؛ كذا فى العباب . وأنشدَ هذا البيت . والـكُميت من

الخيل : بين الأسود والأحمر ، وقال أبو عُبيد : ويُفرق بينه وبين الأشقر بالعُرْف والذَّنَب: فإن كانا أحمرين فهو أشقَر، وإن كانا أسودَين فهو الكميت

وقوله : وبيت ليس من شعر الخ ، يريد : إنّني جعلت ظهرَ المطيّة بدلاً من البيت . وهذا أبلغُ من قول محمَّد بن هانىء الأندلسيّ :

قومٌ يبيتُ على الحشايا غيرُهُمْ ومَبيتُهم فوقَ الجِياد الضُمَّرِ

والحشايا : جمع حشيَّة ، وهي الفِراش .

وقوله : (يدلّ على محصَّلة تبِيت) المحصِّلة بكسر الصاد قال الجوهريّ وابن فارس[1] — وتبعهما صاحب العباب والقاموس وغيرُهما — : هي المرأة التي تحصِّل تراب المعدِن . وأنشدوا هذا البيتَ . قال ابن فارس : وأصل التحصيل استخراجُ الذهب من حجر المعدن ، وفاعلُه المحصِّل . وهذا ، كما ترىٰ ركيكٌ ، والظاهر ماقاله الأزهريّ في التهذيب ، فإنه أنشَد هذا البيتَ وما بعده وقال : هما لأعرابي أراد أن يتزوَّج امرأة بمُتْعة . فصادُه مفتوحة . وأنشد الأخفش هذا البيتَ (في كتاب المعاياة) وقال : قوله محصلّة موضع يجمع الناسَ أي يحصِّلهم . وتبيت فعلٌ ناقص مضارعُ بات ، اسمها ضمير المحصلّة ، وجملة ترجِّل لِمّتي في محل نصب خبرها . وفيه العيب المسمى بالتضمين وهو توقف البيت على بيت آخر[2] وخرّجه بعضهم على أنه بضم أوله من أبات ، أي تجعل لي بيتاً أي امرأة بنكاح ؛ وعليه فلا تضمين ؛ لكنّي لم أجدْ أباتَ بهذا المعنى في كتب اللغه . وزعم الأعلم أنّه فعلٌ تام فقال : « طلبُها للمبيت إمّا

(١) ط : « وابن قابوس » صوابه في ش وشرح شواهد المغني للبغدادي ١ : ٣٧١ مخطوطة دار الكتب .

(٢) في هامش أصل المطبوعة كما ذكر مصححها : « وفيه أيضاً عيب لم يذكره الشارح ، وهو عيب الردف »

للتَّحصيل أو الفاحشة » . وروى بعضهم : (تَبيث) بالمثلَّثة وقال : العرب تقول : بُثْتُ بالشيء بَوثا وبِثته بَيثا : إذا استخرجتَه . أراد امرأة تعينه على استخراج الذهب من تراب المعدن . وهذا غفلة عما قبله وما بعده .

والترجيل : التسريح وإصلاح الشعر ، واللِّمّةُ بالكسر : الشعر الذى يجاوز شحمةَ الأذن . وقَمَّ البيتَ قمًّا — من باب قتل — : كنسه . والإتاوة قال فى المصباح : وأتوته آتوه إتاوة بالكسر : رشوته .

عمرو بن قعاس

و (عمرو بن قِعاس) بكسر القاف بعدها عين ، قال الصاغانى فى العباب : ويقال ابن قِنْعاس أيضاً : أى بزيادة نون بينهما .

وهذه نسبته من جمهرة ابن الكلبيّ : عمرو بن قِعاس بن عبد يَغوثَ بن مخدش بن عَصَر — بالتحريك — ابن غَنْم — بفتح فسكون — ابن مالك ابن عوف بن منبّه بن غُطيف بن عبد الله بن ناجية بن مالك بن مراد ؛ المرادِيّ المَذحِجِيّ . ومن ولد [عمرو[1]] ابنِ قِعاس هانئُ بن عُروة بن نِمْران ابن عمرو بن قِعاس ، قتلَه عبيد الله بن زياد مع مُسلم بن عقَيل بن أبى طالب وصلَبهما اهـ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد المائة[2] :

١٦٤ (تَعُدُّونَ عَقْرَ النِيبِ أفضلَ مَجْدِكُمْ
بنى ضَوطَرَى لولا الكَمِيَّ المقنَّعا)

---

(١) التكملة من ش وتحتها كلمة « صح » .

(٢) انظر أيضاً الخزانة ٤ : ٤٩٨ والكامل ١٥٨ والعينى ٤ : ٤٧٥ وابن الشجرى ١ : ٢٧٩ ، ٢/٣٣٤ : ٢١٠ وابن يعيش ٢ : ٣٨ ، ١٠٢/٨ : ١٤٤ ، ١٤٥ والخصائص ٢ : ٤٥ وشرح شواهد المغنى ٢٢٩ وديوان جرير ٣٣٨ .

على أن الفعل قد حُذف بعد (لولا) بدون مفسَّر : أى لولا تعدّون

قال المبرّد فى الكامل : لولا ، هذه ، لا يليها إلاّ الفعل لأنّها للأمر والتحضيض مُظهراً أو مضمَراً كما قال :

تعدُّون عَقْر النِيب . . . . . البيت

أى هلاّ تعدّون الكمِىّ المقنّعا .

ومثلَه قدّر ابنُ الشجرىّ فى أماليه وقال : أراد لولا تعدّون الكمىَّ ، أى ليس فيكم كمىّ فتعدّوه .

وكذلك قدّره أبو علىّ (فى إيضاح الشِعر ، فى باب الحروف التى يحذف بعدها الفعل وغيره) وقال : فالناصب للكمىّ هو الفعلُ المرادُ بعد لولا، وتقديره : لولا تلقَون الكمىّ ، أو تبارزون ، أو نحوُ ذلك ، إلا أن الفعل حُذف بعدها لدلالتها عليه .

فكل هؤلاء كالشارح جعل لولا تحضيضيَّة وقدّر المضارعَ لأنها مختصّة به. وخالفهم ابن هشام فى المغنى ، فجعلها للتوبيخ والتنديم وتختصُّ بالماضى ، وقال : « الفعل مضمَر ، أى لولا عددتم . وقولُ النحويِّين : لولا تعدّون ، مردودٌ ، إذ لم يُرِد أن يحضَّهم على أن يعُدّوا فى المستقبل ، بل المرادُ توبيخُهم على ترك عدِّه فى الماضى . وإنما قال تعدُّون على حكاية الحال ، فإن كان مراد النحويين مثلَ ذلك فحسَن » اهـ .

و (تعدّون) اختُلف فى تعديته إلى مفعولين : قال ابن هشام فى شرح الشواهد : « اختُلف فى تعدِّى عدّ بمعنى اعتقد إلى مفعولين ، فمنعه قوم وزعموا فى قوله :

لا أعُدُّ الإقتار عُدماً ، ولـكنْ فقدُ مَن قد رُزِيتُه الإعدامُ[1]

أنّ عُدماً حالٌ . وليس المعنى عليه . وأثبته آخرون مستدلين بقوله :

فلا تعدُدِ المولىٰ شريكَكَ فى الغنىٰ ولـكنّما المولىٰ شريكك فى العدمِ[2]

وقولِه : تعدّون عَقر النيب . . الخ اهـ

وجهُ الاستدلال فى البيت الأوّل أنّ قوله شريكَك . وفى البيت الثانى أن قوله أفضل مجدكم ، معرفتان لا يجوز نصبهما على الحاليّة ، لأنها واجبة التنـكير .

٤٦٢

وقوله : (الـكمىّ المقنّعا) منصوب على أنه المفعول الأوّل لتعدّون المحذوف بتقدير مضاف ، والمفعول الثانى محذوف : أى لولا تعدّون عقر الـكمىّ أفضلَ مجدكم . ولا يجوز أن يكون من العدّ بمعنى الحساب ، قال اللخمىّ فى شرح أبيات الجمل « وأما عدَّ ، مِن العدد وهو إحصاء الشىء ، فيتعدّىٰ لمفعولين أحدهما بحرف الجرّ . وقد يحذف — تقول : عددَتك المال ، وعددت لك المال » اهـ . فهو متعدّ باللام ؛ وتقدير (مِنْ) لا يستقيم . وقدّر بعضهم من حروف الجرّ مِن ، وقال : هلاّ تعدّون ذلك من أفضل مجدكم . نقله ابن المستَوفى فى شرح أبيات المفصل . وفيه نظر . وذكَر أيضاً وجوهاً أُخَر : (منها) أنّ أفضل مجدكم بدلٌ من عَقْر النيب . وفيه أن هذا ليس بدلَ اشتمال ولا بدلَ بعض لعدم الضمير ، ولا بدلَ كلّ لأنّه غيره ، ولا بدلَ غلطَ لأنّه لم يقع فى الشعر . و (منها) أنّه منصوب على المصدر بتقدير مضاف أى تعدّون عقر النيب عدَّ أفضلَ مجدكم . و (منها) أنه نعت أو عطف بيان .

(١) لأبى دواد الإيادى فى العينى ٢ : ٣٩١ .
(٢) للنعمان بن بشير فى العينى ٢ : ٣٧٧ .

و (العقر) . مصدر عقَر الناقةَ بالسيف من باب ضرب : إذا ضرب قوائمَها به . قال فى المصباح : لا يطلق العقْر فى غير القوائم ، وربما قيل : عقر البعير : إذا نحره . و (النِّيب) : جمع ناب ، وهى الناقة المسنّة . و (المجد) : العز والشرف . و (بنى ضوطرىٰ) : منادىٰ ، قال ابن الأثير فى المرصَّع : بنو ضوطرىٰ ـ ويقال فيه : أبو ضوطرىٰ : هو ذمٌّ وسبٌّ . وأنشدَ هذا البيت وقال : وضوطرىٰ هو الرجل الضخم اللئيم الذى لا غَناء عنده ، وكذلك الضَّوطر والضيطر . ومثله فى سِفْر السعادة ؛ وزادَ ضَيطاراً ، وقال : وجمع ضَيطار ضياطرة . وقال حمزة بن الحسين : العرب تقول : يا ابن ضَوطر ، أى يا ابنَ الأمَة . وقال اللخمىّ : الضَّوطر : المرأة الحمقاء . و (الكمىّ) : الشجاع المتكمّى فى سلاحه ، لأنه كَمى نفسَه أى سترها بالدِرع والبَيضة ؛ كذا فى الصحاح . و (المقنّع) بصيغة اسم المفعول الذى على رأسه البيضة والمغفَر . حاصل المعنى : أنّكم تعدّون عقر الإبل المسنّة التى لا ينتفَع بها ولا يرجىٰ نسلُها أفضلَ مجدكم ، هلا تعدُّون قتلَ الشجعان أفضلَ مجدكم ؟ وهذا تعريضٌ بجبنهم وضعفهم عن مقارعة الشجعان ومنازلة الأقران .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الفرزدق .

قضية عقر الإبل

و (قضيّة عقْر الإبل) مشهورة فى التواريخ ، محصَّلها أنه أصاب أهلَ الكوفة مَجاعة ، فخرج أكثر الناس إلى البوادى — وكان غالب أبو الفرزدق رئيسَ قومه — فاجتمعوا فى أطراف السَماوة من بلاد كلْب على مسيرة يوم من الكوفة ، فعقر غالبٌ لأهله ناقةً صنع منها طعاماً وأهدىٰ إلى قوم من تميم جِفاناً ، وأهدى إلى سُحيم جفنةً فكفاها وضربَ الذى أتىٰ بها ، وقال : أنا مفتقرٌ إلى طعام غالب ؟! ونحر سُحيم لأهله ناقة ؟ فلما كان من الغد نحر غالبٌ لأهله ناقتين ونحر سحيم ناقتين ؛ وفى اليوم الثالث نحر غالبٌ ثلاثاً فنحر

سحيم ثلاثاً ؛ فلما كان اليومُ الرابع نحر غالب مائةَ ناقة ولم يكن لسحيم هذا القدر فلم يعقر شيئاً ؛ ولما انقضت المجاعة ودخل الناس الكوفةَ قال بنو رياح لسحيم : جررت علينا عارَ الدهر ، هلاّ نحرت مثل ما نحر غالب ، وكنّا نعطيك مكانَ كلِّ ناقةٍ ناقتين ؟ ! فاعتذر أن إبله كانت غائبة ، ونحرَ نحوَ ثلاثمائة ناقة . وكان فى خلافة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فمنَعَ الناسَ من أكلها وقال : إنّها ممّا أُهِلّ لغير الله به ولم يكن الغرضُ منه إلاّ المفاخرة والمباهاة ! فجمِعَت لحومُها على كُناسة الكوفة ، فأكلها الكلابُ والعِقْبان والرَّخَم .

٤٦٣

وقد أورد القالىّ هذه الحكايةَ فى ذيل أماليه[1] بأبسَط ممّا ذكرناه ، وأورد ما قيل فيها من الأشعار وما مُدِح به غالبٌ وهُجِى به سُحيم .

﴿ تتمّة ﴾

بيت الشاهد نسبه ابنُ الشجَرىّ فى أماليه للأشهب بن رُميلة . وكذا غيره . والصحيح أنه من قصيدة لجرير لا خلافَ بين الرواة أنّها له . وهى جواب عن قصيدةٍ تقدّمت للفرزدق على قافيتها . وكان الفرزدق تزوّج حَدْراء الشَيبانيّة ، وكان أبوها نصرانيًّا وهى من ولد بِسْطام بن قيسٍ ، وماتت قبل أن يصل إليها الفرزدق وقد ساق إليها المهر ، فترك المهرَ لأهلها وانصرف . وكان جرير عاب عليه فى تزويجها ، فقال الفرزدق فى ذلك من قصيدة :

يقولون زُرْ حَدْراء ، والتُّربُ دونَها ، وكيف بشىءٍ وصلُه قد تقطّعا

يقول ابنُ خِنْزِيرٍ : بكيتَ ، ولم تكن على امرأةٍ عَينى إخالُ لِتَدمعَا

(١) ذيل الأمالى ٥٢ — ٥٤ .

وأهوَنُ رزءٍ لامرئٍ غيرِ عاجزٍ رَزيّةُ مُرتجِّ الروادف أفرعا
وما مات عند ابنِ المراغة مثلُها ولا تبعتْه ظاعناً حيث دعدَعا

فأجابه جرير بقصيدة طويلة منها :

(وحدراء لو لم يُنجها اللهُ برّزت إلى شرِّ ذى حرثٍ دَمالا ومزرعا[1]
وقد كان رجساً طُهِّرتْ من جِماعهِ وآب إلى شرِّ المضاجع مَضجَعا)

ثم قال :

(تعدُّون عقر النِيب أفضلَ سعيكم ، بنى ضَوطَرَىٰ ، هلاّ الكمىَّ المقنَّعا
وقد علِم الأقوامُ أنّ سيوفَنا عَجمنَ حديدَ البَيضِ حتى تصدَّعا
ألا ربَّ جبّارٍ عليه مهابةٌ سقَيناه كأسَ الموت حتّى تضلّعا)

والقصيدتان مسطورتان أيضاً فى منتهى الطلب من أشعار العرب .

وترجمة جرير تقدمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب[2] . وتقدمت ترجمة سُحيم بن وَثيل أيضاً فى الشاهد الثامن والثلاثين[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد المائة[4] :

١٦٥ (ونبِّئتُ لَيلىٰ أرسلَتْ بشفاعةٍ إلىَّ ، فهلاَّ نفسُ لَيلىٰ شَفيعُها)

على أن الجملة الاسميّة قد وقعت فيه بعد أداة التحضيض شذوذا .

---

(١) الدمال ، كسحاب : السماد . ط : « ومن رعا » صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، ومن ديوان جرير ٣٣٦ .
(٢) الجزء الأول ص ٧٥
(٣) الجزء الأول ص ٢٦٥
(٤) انظر أيضاً الخزانة ٣ : ٥٩٧/٤ : ٤٩٨ ، ٥٢٤ بولاق والعينى ٣:٤١٦/٤ : ٤٥٧ ، ٤٧٨ والحماسة ١٢٢٠ بشرح المرزوقى وشرح شواهد المغنى ٧٩ .

هذا البيت أورده أبو تمّام فى أوّل باب النسيب من الحماسة ، مع بيت ثان وهو :

(أأكْرَمُ مِن ليلىٰ علىّ فتبتغى به الجاهَ أم كنتُ امرأً لا أُطِيعها)

قال ابن جنّي فى إعراب الحماسة : « هلاّ من حروف التحضيض ، وبابه الفعل ، إلاّ أنّه فى هذا الموضع استعمل الجملة المركّبة من المبتدإ والخبر فى موضع المركّبة من الفعل والفاعل ؛ وهذا فى نحو هذا الموضع عزيزٌ جدّا » وكذا قال شرّاح الحماسة . وخرّجه ابن هشام فى المغنى على إضمار كانَ الشأنيّة ؛ أى فهلاّ كان هو أى الشأن . ثم قال : وقيل : التقدير فهلاّ شفعت نفسُ ليلى ! لأنّ الإضمار من جنس المذكور أقيَس . وشفيعُها على هذا خبرٌ لمحذوف أى هى شفيعها . ونسب أبو حيّانَ الوجهَ الأوّل لأبى بكر بن طاهر ، ونسب الوجه الثانىَ إلى البصريّين .

٤٦٤

ونُبِّئ يتعدّى لثلاثة مفاعيل ، المفعول الأوّل التاء وهى نائب الفاعل ، وليلىٰ المفعولُ الثانى ، وجملة أرسلَتْ فى موضع المفعول الثالث . وقوله : بشفاعة أى بذى شفاعة ؛ فالمضاف محذوف أى شفيعاً . يقول : خُبِّرْتُ أنّ ليلى أرسلتْ إلىّ ذا شفاعة ؛ تطلبُ به جاهاً عندى ، هلاّ جعلت نفسَها شفيعَها .

وقوله : أأكرَم من ليلىٰ الخ ، الاستفهام إنكارٌ وتقريع . أنكر منها استعانتَها عليه بالغير . وقوله : فتبتغى ، منصوبٌ فى جواب الاستفهام ، لكنّه سكّنه ضرورة . وأم متّصلة ، كأنه قال : أىَّ هذين توهّمتْ ، طلبَ إنسان أكرَم علىّ منها أم اتّهامَها لطاعتى لها ؟ ! وخبر أكرمُ علىّ محذوفٌ ، والتقدير أكرم من ليلىٰ موجوداً فى الدنيا . وقد أورد ابن هشام هذا البيتَ فى الباب الخامس من المغنى ، شاهداً على اشتراط الصفة لما وطِّىء به من خبر

أو صفةٍ أو حال . وفى أمالى ابن الشجرىّ : فى البيت إعادة ضمير من أطيعها ضميرَ متكلّم وفاقاً لـكنتُ، ولم يُعَد ضميرَ غائب وفاقاً لامرأً ، على حدّ (بلْ أنتم قومٌ تجْهَلُون(١)) .

والبيتان نسبهما ابنُ جنّي فى إعراب الحماسة للصِمَّة بن عبد الله القُشَيْرىّ

قال أبو رِياش فى شرح الحماسة : « وكان مِن خبر هذين البيتين ، أنّ الصِمَّة بن عبد الله كان يهوىٰ ابنة عمّه ، تسمَّى ريَّا ، فخطبها إلى عمّه فزوّجه على خمسين من الإبل ، فجاء إلى أبيه فسأله فساق عنه تسعاً وأربعين ، فقال : أ كملْها ! فقال : هو عمُّك وما يناظرك فى ناقة ! فجاء إلى عمّه بها ، فقال : والله لا أقبلُها إلاّ كلَّها . فلَجَّ عمُّه ولجّ أبوه ؛ فقال : والله ما رأيت ألأمَ منـكما ، وأنا ألأمُ منكما إنْ أقمت معكما ! فرحل إلى الشام فلقى الخليفة فـكلّمه ، فأعجب به وفَرض له ، وألحقه بالفُرسان . فـكان يتشوّق إلى نجْد ، وقال هذا الشعر » اهـ .

الصمة القشيرى

والصمّة ، كما فى جمهرة الأنساب ، هو الصِمّة بن عبد الله بن الحارث ابن قُرَّة بن هُبيرة . كان شريفاً ، شاعراً ، ناسكاً عابداً — وقُرَّة بن هبيرة وَفد على رسول الله ﷺ ، فأكرمه وكساه واستعمله على صدَقاتِ قومه — وينتهى نسبه إلى قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية ابن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيلان ابن مضر .

(تتمّة)

نسب العينّي البيتَ الشاهدَ إلى قيس بن الملوَّح . قال : ويقال : قائله ابنُ الدُّمينة .

---

(١) الآية ٥٥ من سورة النمل .

ونسبه ابن خلِّكانَ فى وَفَيات الأعيان — على ما استقرّ تصحيحه فى آخر نسخة منها — لإبراهيم بن الصولىّ ؛ وأنّ أبا تمّام أورده فى باب النسيب من الحماسة . وذكر أنّ وفاة إبراهيم بن الصولىّ فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين ، ووفاةَ أبى تمّام فى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . والله تعالى أعلم .

* * *

باب التحـــذير

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والستون بعد المـائة ، وهو من شواهد س[1] .

١٦٦ (فإيّاك إياكَ المِراءَ فإنّهُ إلى الشَّرِّ دَعَّاءٌ وللشرِّ جالبُ) ٤٦٥

على أن حذف الواو شاذّ .

قال س : « اعلم أنّه لا يجوز أن تقول إياك زيداً ، كما أنّه لا يجوز أن تقول : رأسَكَ الجدارَ . وكذلك : إياك أن تفعلَ ، إذا أردتَ : إياك والفعلَ . فإذا قلتَ : إيّاك أن تفعل ، تريد : إيّاك أعظ مخافةَ أن تفعل ، أو من أجل أن تفعل ، جاز » .

يعنى أنّ [أنْ[2]] تقع بعد إيّاك على وجهين :

(١) فى كتابه ١ : ١٤١ . وانظر العينى ٤ : ١١٣ . ٣٠٨ وابن يعيش ٢ : ٢٥ والخصائص ٣ : ١٠٢ ومعجم المرزبانى ٣١٠ .
(٢) التكملة من ش بخط الشنقيطى .

أحدهما أن تجعل أن تفعل مصدراً هو مفعول به ، كما تقول : إياك وزيداً ، وأصله أن تقول : إيّاك وأن تفعل ، كما قلتَ : إياك وزيداً ، ولكنهم حذفوا الواوَ لطول الكلام . ويقدّر أيضاً إيّاك من أن تفعل إذا حذّرتَه الفعل .

والوجه الآخر : أن تجعل أن تفعل مفعولاً له ، وهذا لا يحتاج إلى حرفِ عطف ، ويجوز أن يقعَ المصدر موقعَه .

فإذا وقع أن والفعل بمنزلة المفعول ، ثم أوقعت المصدر موقعَه ، لم يك بدٌّ من إدخال الواو عليه كما تدخل على غيره من المفعولات .

ثمّ قال سيبويه : « إلاّ أنهم زعموا أن ابن أبى إسحاق أجاز هذا البيت »، وهو قوله : فإياك إياك المراء .. الخ

والشاهد فيه أنه أتى بالمراء وهو مفعول به ، بغير حرف عطف . وعند سيبويه أنّ نصب المراء بإضمار فعل ، لأنه لم يعطف على إياك . وابن أبى إسحاق ينصبه ويجعله كأنْ والفعلِ ، وينصبه بالفعل الذى نصب ايَّاك ، وسيبويه يقدِّر فيه : اتّقِ المراء ، كما يقدر فعلا آخر ينصِب إيَّاك . وقال المازنى : لمّا كرّر إيّاك مرّتين ، كانَ أحدُهما عوضاً من الواو . وعند المبّرد : المراء بتقدير أن تمارى ، كما تقول : إيّاك أن تمارى : أىْ مخافةَ أن تمارى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت نسبه أبو بكر محمد التاريخى فى طبقات النُّحاة — وكذلك ابن برّىّ فى حواشيه على دُرّة الغوّاص الحريريّة ، وكذلك تلميذه ابن خلَف فى شرح شواهد سيبويه — للفضل بن عبد الرحمن القُرشّى ، يقوله لابنه[1] القاسم بن الفضل . قال ابن برّىّ : وقبل هذا البيت :

---

(١) ط : « لابن » ، صوابه فى ش .

(مَن ذا الذى يرجو الأباعدُ نفعَه إذا هو لم تصلُح عليه الأقاربُ)

والأباعد: فاعل يرجو. يريد: كيف يرجو الأجانبُ نفعَ رجل أقاربُه محرومون منه.

و (المراء): مصدر ماريته أماريه مماراة ومراء: أى جادلته. ويقال ماريته أيضاً: إذا طعنتَ فى قوله، تزييفاً للقول، وتصغيراً للقائل. ولا يكون المراء إلاّ اعتراضاً، بخلاف الجدال: فإنّه يكون ابتداء، واعتراضاً. والجِدَال[1] مصدر جادل: إذا خاصم بما يشغَل عن ظُهور الحق ووضوح الصواب. كذا فى المصباح.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد السابع والستّون بعد المائة، وهو من شواهد س[2].

١٦٧ (أَخاكَ أخاكَ إنّ مَنْ لا أخاله كَساعٍ إلى الهَيْجا بغَير سِلاحِ)

على أن (أخاك) منصوب على الإغراء، وهو مكرّر. يريد: الزم أخاك. غير أن هذا مما لا يحسنُ فيه إظهارُ الفعل عند التكرير، ويحسن إذا لم يكرّر لأنهم إذا كرّرُوا وجعلوا أحَد الاسمين كالفعل، والاسمَ الآخرَ كالمفعول، وكأنّهم جعلوا أخاك الأوّل بمنزلة الزم، فلم يحسن أن تَدخُل الزمْ على ما قد جُعل بمنزلَة الزمْ.

وجملَة (إنّ من لا أخاله الخ) استئنافٌ بيانىّ. وأكّد لأنّه جواب عن السبب الخاص. ومَنْ: نكرة موصوفة بالجملة بعدَها، وقيل: موصولة.

---

(١) ط: « والجدل » صوابه فى ش.

(٢) سيبويه ١: ١٢٩ ونسبه الأعلم إلى إبراهيم بن هَرْمَة القرشى، وإن كان البغدادى قد نسبه إلى مسكين الدارمى. وانظر العينى ٤: ٣٠٥ والخصائص ٢: ٤٨٠ والهمع ١: ١٧٠/٢: ١٢٥.

٤٦٦ ولا : نافية للجنس ، وأخا : اسمُها ، واللام مقحمة بين المتضايفين ، نحو قولهم : « يا بؤس للحرب » والخبر محذوف أى موجود ونحوُه .

قال ابن هشام فى المغنى : « ومن ذلك قولهم : لا أبا لزيد ، ولا أخا له ، ولا غلامَىْ له ؛ على قول سيبويه : إنّ اسمَ لا مضافٌ لما بعد اللام . وأمّا على قول مَنْ جعل اللامَ وما بعدها صفةً ، وجعلَ الاسمَ مشبَّها بالمضاف لأنّ الصفة من تمام الموصوف ، وعلى قولِ من جعلهما خبراً ، وجعل أبا وأخا على لغةِ مَن قال : إنّ أباها وأبا أباها ، وجعل حذف النون على وجه الشذوذ ؛ فاللام للاختصاص ، وهى متعلِّقة باستقرار محذوف . اهـ

وقوله : (كساع إلى الهيجا الخ) خبر إنّ يقول : استكثِرْ من الإخوان ، فهُم عدَّة تستظهِرُ بها على الزمان ؛ كما قال النبي ﷺ : « المرء كثيرٌ بأخيه» . وجعلَ مَن لا أخا له يستظهِرُ به ، كمن قاتل عدوَّه ولا سلاح معه . وقد صدَق فإنَّ مَن قطع أخاه وصَرَمه ، كان بمنزلة مَن قاتل بغير سلاح .

وقد أورد هذا البيتَ أبو عُبيد القاسم بن سلاّم فى أمثاله وقال : « هو مثلٌ فى استغاثة الرجل بأهل الثقة » .

و (الهيجا) : الحرب ؛ تمد وتقصر . قال ابن خلف : وهى فَعْلاء أو فَعْلَىٰ فمن قصرَها فيكون المحذوف منها ألفَ المدّ دون ألف التأنيث . وإنما كان حذف ألف المدّ أولىٰ من حذف ألف التأنيث لوجهين : أحدهما أنّ ألف التأنيث لمعنى ، وألف المدّ لغير معنى ؛ فكان حذفُ ما ليس لمعنى ، أولىٰ مما جاء لمعنى . والثانى : أن جميع ما قُصر ، مِما همزته للتأنيث ، لا ينصرف بعد القصر ؛ ولو كان المحذوف منه همزةَ التأنيث لانصرفَ الاسم ، لزوال علامة التأنيث ، كما صرفت قُريقِرٍ وحُبَيِّرٍ مصغرى قَرقَرىٰ وحُبارىٰ ، لزوال علامة التأنيث منه . ألا ترى قولَه :

يارُبَّ هَيجا هي خيرٌ منْ دَعَهْ

قصَره ولم يَصرِفه ؟ والقصر فيها ضرورة ، وقيل : هو لغة . ولو كان المحذوف منه ألفَ التأنيث لقال : يا رُبَّ هيجاً هو خير ، وكان ينوِّن هيجاً فيذكِّرها ويقول : هو خير ، ولا يقول : هي خير . ا هـ .

صاحب الشاهد

وهذا البيت أول أبيات لمسكينٍ الدارِميّ . وبعده :

أبيات الشاهد

(وإنَّ ابنَ عمِّ المرء فاعلمْ جَناحُهُ وهل يَنهض البازى بغير جَناح
وما طالبُ الحاجات إلاَّ معـذَّباً وما نال شيئاً طالبٌ لنجاحِ !
لحا اللهَ مَنْ باع الصديقَ بغيره ، وما كلُّ بيسع بعته برَباح !
كمُفسِدِ أدناهُ ومُصلِح غيرِه ولم يَأتمر ، فى ذاك غيرُ صَلاح ؟)

فى الأغانى وغيره : أن مسكيناً الدارمىّ لما قدِم على معاوية أنشده :

إليكَ ، أميرَ المؤمنين ، رحلَتُها تُثير القطا ليلاً وهُنَّ هُجُود
على الطائر الميمون والجَدّ صاعد[1] لـكلِّ أُناسٍ طائرٌ وجُدود
إذا المِنبَرُ الغَربىُّ خلَّى مكانه[2] فإنــّ أميرَ المؤمنينَ يزيدُ

وسأله أن يفرض له ، فأبىٰ عليه — وكان لا يفرض إلاّ لليمَنَ — فخرج من عنده وهو يقول :

أخاكَ أخاكَ إنّ من لا أخا له . . . . الأبيات

ولم يزل معاوية كذلك حتّي كثُرَت اليمنُ وعزّت قحطانُ وضعُفت عدْنان فبلغ معاويةَ أنّ رجلاً من اليمن قال : هممت أن لا أحل حَبوتى حتى أُخرِجَ كلَّ نزارىّ بالشام . ففرض من وقته لأربعةِ آلافِ رجل من قيس . فقدم

(١) فى النسختين : « ساعد » ، صوابه من الشعراء ٥٢٩ والأغانى ١٨ : ٧٢ .
(٢) ط : « حل مكانه » ، صوابه فى ش والشعراء ، وفى الأغانى . « خلاه ربه » .

لذلك على معاوية عُطاردُ بن حاجب ، فقال له : ما فعل الفتى الدارمىُّ الصبيحُ الوجه الفصيحُ اللسان — يعنى مِسكينا — فقال : صالحٌ يا أميرَ المؤمنين ؛ قال : أعلِمْه أنّى قد فرضت له ، فله شَرَف العَطاء[١] وهو فى بلاده ، فإنْ شاء [أن[٢]] يقيمَ بها أو عندنا فليفعل ، فإنّ عطاءه سيأتيه ، وبشِّرْه بأنّى قد فرضتُ لأربعة آلافٍ من قومه . فكان معاويةُ يُغزى اليمنَ فى البحر وتميماً فى البَرّ ، فقال النَجاشىّ ، وهو شاعر اليمن[٣] :

ألا أيُّها الناس الذين تَجَمَّعوا ... بعَكّا ، أُناسٌ أنتمُ أم أباعر

أيَتركُ قيساً[٤] آمنين بدارهمْ ... ونَركبُ ظهر البحرِ والبحرُ زاخر

فواللهِ ، ما أدرى ؛ وإنّى لسائلٌ ... أهمْدانُ تحمى ضيمَها أم يُحابِرُ[٥]

أم الشرفُ الأعلىٰ من اولادِ حِمْيَر ... بنو مالك أنْ تَستمرَّ المرائرُ[٦]

أأوصىٰ أبوهم بينَهم أنْ تَواصَلوا ... وأوصىٰ أبوكم بينكم أنْ تَدابَروا؟!

فرجع القومُ جميعاً عن وَجهِهم ، فبلغ ذلك معاويةَ ، فسَكّن منهم ، وقال : أنا أُغزيكم فى البحر لأنّه أرفقُ من الخيل وأقلُّ مُؤونة ! وأنا أُعاقبكم فى البرّ والبحر[٧] . ففعَل ذلك .

---

(١) فى الأغانى ١٨ : ٧٠ : « قد فرضت له فى شرف العطاء » .

(٢) التكملة من الأغانى .

(٣) فى الأغانى : « فقال شاعر اليمن » . وبعد إنشاد الأبيات : « قال ويقال إن النجاشى قال هذه الأبيات .

(٤) الأغانى : « أتترك قيس » .

(٥) يحابر بن مالك بن أدد ، أبو مراد . ثم سميت القبيلة باسمه .

(٦) الأغانى : « إذ تستمر » .

(٧) المعاقبة هنا بمعنى المناوبة .

مسكين الدارمى

و (مسكين الدارمى) اسمه ربيعة بن عامر بن أُنيف بن شُريح بن عمرو ابن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارِم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم.

قال الكلبيّ: كلُّ عُدَس فى العرب بضم العين وفتح الدال، إلاّ عدُسَ ابن زيد هذا، فإنه مضموم الدال. هكذا فى جمهرة النسب.

ومسكين الدارمىّ شاعر شجاعٌ من أهل العراق، ولقّبَ المسكينَ لقوله:

أنا مسكينٌ لمن أنكرنى ولمن يَعرفنى جِدٌّ نَطِقْ[1]

ولقوله:

وسمِّيتُ مِسكيناً، وكانت لحاجة وإنّى لمسكين إلى اللهِ راغبُ[2]

وهذه القصيدةُ من أحسن شعره:

اتّقِ الأحمقَ أنْ تصحبَهُ إنّما الأحمقُ كالثوب الخلَق

كلّما رقّعتَ منه جانباً حرّكته الريحُ وَهناً فانخرقْ

أو كصَدعٍ فى زجاج فاحشٍ هل ترى صَدْعَ زُجاج يتفق!

وإذا جالستَه فى مجلس أفسد المجلس منه بالُخرُقْ

وإذا نَهنَهْتَهُ كى يرعوِى زادَ جهلاً وتمادىٰ فى الُحمُقْ

---

(١) الأغانى ١٨ : ٦٨ .

(٢) ورد فى هامش النسختين ما نصه : «كذا هذا البيت فى أكثر الدواوين والتواريخ، وأنشدنيه شيخنا الإمام ابن الشاذلى غير مرة :

وسميت مسكينا ومابى حاجة وإنى لمسكين إلى الله راغبا .

وقال لى : هكذا الرواية فيه والله أعلم . اهـ ابن الطيب» .

قلت : والذى فى الشعراء ٥٢٩ وأمالى المرتضى ١ : ٤٧٣ والأغانى ١٨ : ٦٨ : «وكانت لحاجة» بجيمين .

وإذا الفاحشُ لاقى فاحشاً فهنا كُمْ وافَق الشنُّ الطَبَقْ
إنما الفُحْشُ ومن يَعتادُه كغُرابِ السَّوء ما شاء نعَقْ
أو حِمارِ السَّوءِ إن أشبعته رمَح النـاسَ وإن جاع نَهَقْ
أو غُلامِ السَّوءِ إن جوَّعتَه سَرق الجارَ وإن يَشبَعْ فسَقْ
أو كغَيرَىْ رفَعت من ذيلها ثم أرختْه ضِراطاً[1] فانمزقْ
أيُّها السائلُ عمّا قد مضى[2] هل جديدٌ مثلُ ملبوسٍ خَلَقْ
أنا مسكينٌ لمن أنكرَني ولمن يَعرفُني جدُّ نطِقْ
لا أبيع الناسَ عِرضى ، إنّني لو أبيعُ النـاسَ عرضى لنفَقْ

٤٦٨

ومن شعره يرثى ابن سُميَّة[3] :

رأيتُ زيادةَ الإسلام ولّتْ جِهاراً حين ودعنا زيادُ

وردّ عليه الفرزدق بقوله :

أمسكينُ ، أبكى اللهُ عينَك ، إنّما جرىْ فى ضلالٍ دمعُها إذْ تحدّرا
بكيتَ امرأً من أهل مَيسانَ كافراً ككسرىْ على عِدّانه[4] أو كقَيصرا
أقول لهم ، لما أتانى نعيُّه : بهِ لا بظَبى بالصَّريمة أعفرا

قال الزمخشريّ فى أمثاله : « به لا بظَبي ، مثلٌ : أى جعلَ اللهُ ما أصابه

(١) كذا . والصواب : « ضرار » كما فى الشعراء ٥٣٠ .
(٢) فى الشعراء : « عمن قد مضى » .
(٣) يعنى زياد ابن أبيه . وسمية أمه .
(٤) فى النسختين : « على أعدائه » والتصحيح للشنقيطى فى نسخته مطابقا بذلك مافى اللسان (عدد) والأغانى ١٨ : ٦٨ . وفى معجم ياقوت : « على علاته » تحريف . والعدان : الزمان والعهد .

لازماً مؤثّرا فيه ، ولا كان مثلَ الظبي في سلامته منه . يُضرَبُ في الشماتة » .
وأنشد هذا البيتَ .

ثمّ رأيت المَيدانيّ قال : « الأعفر : الأبيض . أي لِتنزلْ به الحادثةُ
لا بظبي . يُضْرَب عند الشماتة . قال جريرٌ حين نعى إليه زيادُ ابنُ أبيه . . »
وأنشد هذا البيت ، وقال : ومثله .

* بِهِ لا بكلبٍ نابحٍ في السَّباسبِ *

ومن شعر مسكين :

اِصحب الأخيارَ وارغبْ فيهمُ ربَّ مَن صَحِبتَه مثل الجربْ
واصدُق الناسَ إذا حدَّثتَهمْ ودعِ الكِذْبَ لمن شاء كذَبْ
ربَّ مهزولٍ سمينٌ عِرضُه وسمينِ الجسم مهزولُ الحسَبْ

ومن شِعره الجَيِّدِ مما أثبته السيِّد المرتضىٰ علم الهُدىٰ في أماليه
الدرر والغرر :

إن أدعَ مِسكيناً فما قصرَتْ قِدرى بيوتُ الحيِّ والجُدْرُ
ما مسَّ رَحْلِي العنكبوتُ ولا جَدَياتُه من وَضعِه غُبْرُ[1]
لا آخذ الصِبيانَ ألثمُهمْ والأمرُ قد يُغزَىٰ به الأمر
ولربَّ أمرٍ قد تركتُ ، وما بيني وبين لقائه سِترُ
ومُخاصِمٍ قاومتُ في كَبَدٍ مثلِ الدِّهان فكان لي العذر
ما علّتي[2] قومى بنو عدُس وهمُ الملوكُ وخالى البِشر

(١) ط : « رجلى » ، صوابه في ش وأمالي المرتضى .
(٢) المرتضى : « ماعابني » .

عمّي زُرارةَ غـير منتحَل وأبى الذى حُدِّثتَه عمرو
فى المجد غُرتُنـا مبيِّنة للناظرين كأنّها البـدرُ
لا يرهبُ الجيرانُ غدرَتنا حتّى يوارىَ ذكرَنا القبرُ
لَسنا كأقوامٍ إذا كلَحت إحدى السنينَ فجارُهم تمر
مولاهُمُ لحـمٌ على وَضَم تنتابُه العِقبـانُ والنَّسْر
نارى ونارُ الجارِ واحدةٌ وإليه قَبْلى تُنزَل القِـدر
ما ضرَّ جارىَ أنْ أُجاوِرَه[1] أن لا يـكونَ لبيته سترُ
أعشَى إذا ما جارتى خرجتْ حتّي يُوارىَ جارتى الخِدر[2]
وَيَصمُّ عما كان بينهما سمعى، وما بى غيرَه وَقر[3]

٤٦٩

قوله : فما قصرت قدرى الخ ، أى سُترت . يريد : أنّها بارزةٌ لا يحجبها السَّواتِر والحيطان . وقوله : ما مسّ رَحْلي العنـكبوت الخ ، هذه كناية مليحة عن مواصلة السيرَ وهجر الوطَن ، لأنَّ العنـكبوتَ إنّما ينسِجُ[4] على مالا تناله الأيدى ولا يكثر استعماله . والجدَيات : جمع جَدْية بالسكون ، وهى باطن دفّة الرَّحل . وقوله : لا آخذُ الصِبْيان الخ ، يقول : لا أُقبلُ الصبيَّ وأنا أُريدُ التعرُّض لأمّه . ومثله لغيره :

ولا أُلقى لِذى الودَعات سَوطى أُلاعِبـه وريبَته أُريد

(١) المرتضى : « إذ أجاوره » .
(٢) المرتضى : « أعمى إذا ما جارتى » .
(٣) التفسير التالى من أمالى المرتضى بنصه ، وإن لم ينص البغدادى عليه .
(٤) المرتضى : « تنسج » وفى اللسان : « الفراء : والعنكبوت أنثى ، وقد يذكرها بعض العرب . وأنشد قوله :
على هطالهم منهم بيوت كأن العنـكبوت قـد ابتناها »

وأنشد ابنُ الأعرابيّ في مثله :

إذا رأيتَ صبيَّ القوم يَلثَمه ضخمُ المناكب لا عمٌّ ولا خالُ
فاحفظْ صبيّك منه أن يدنّسَه ولا يغرّنْك يوماً قلةُ المـال

وقوله : قاومت في كَبَد الخ ، الـكبد : المزَلّة التي لا تثبت فيها الأرجُل .
والدِهان : الأديم الأحمر . وقوله : فـكان لي العذر ، إنما يكون العذر إذا كان ثَمَّ ظُلم ؛ فيقول : إنما أقاوم وأخاصم مظلوماً متعدًّى عليه ؛ وإذا كان كذلك ، فيجب الاعتذار على الظالم ويكون العذر لي ، كقوله :

فإن كان سحراً فاعذريني على الهوىٰ وإن كان داء غيرَهُ فلَكِ العذرُ

وقوله : فجارهم تمر ، أي يُستحلىٰ الغدر به كما يُستحليٰ التمر . وقوله : ناري ونار الجار واحدةٌ الخ ، يقال : إنه كانت له امرأة تماضةٌ[1] ؛ فلما قال ذلك قالت له : أجلْ ، إنّما ناره ونارك واحدة لأنّه أوقد ولم توقِد ، والقدر تُنزل إليه قبلك ، لأنّه طَبخ ولم تطبخ وأنت تستطعمه . . وقوله : أن لا يكون لبيته سِتر ، يقال : إنّها قالت له : أجلْ ، إن كان له ستر هتـكتَه !

وقوله : أعشى إذا ما جارتي خرجت ، استشهد به في التفسير عند قراءة (ومَنْ يَعْشَ عَنْ ذِكْرِ الرحمن[2]) بفتح الشين ، ولأجله أوردتُ هذه القصيدةَ ، فإن شُرّاح شواهد التفسير اختلفوا في هذا البيت : فبعضهم نسبه إلى حاتِم الطائيّ ، وبعضهم نسبه إلى غيره . قال صاحب الـكشّاف : ومن يَعش بضم الشين وفتحها ؛ والفرق بينهما : أنّه إذا حصَلت الآفةُ في بصره قيل:

(١) ماضه مماضة ومضاضاً : لاحاه ولاجه . وفي أمالي المرتضى : « تماظه » ، بالظاء ، وهما بمعنى .

(٢) الآية ٣٦ من الزخرف . وقراءة « يعشَ » بفتح الشين هي قراءة يحيى بن سلام والحسن البصري ، كما في تفسير أبي حيان ٨ : ١٥ — ١٦ .

عشِىَ ؛ وإذا نظر نظر العُشْى ولا آفة به قيل : عَشَا . ونظيره عرِج لمن به الآفة ، وعرَج لمن مشىٰ مشية العُرْجان من غير عَرَج ، قال الحطيئة :

* متىٰ تأتِه تعشُو إلىٰ ضَوء ناره[1] *

أى تنظر إليها نظرَ العُشْى ؛ لمـّا يُضعِف بصرَك من عِظم الوَقود ، واتساع الضَّوء . وهو بيِّنٌ فى قول حاتم :

أعشُو إذا ما جارتى برزَتْ حتّى يوارىَ جارتى الخِدْرُ

وقرئ « يَعشُو[2] » . ومعنى القراءة بالفتح : ومَن يَعْمَ عن ذكر الرحمن ، وهو القرآن . وأما القراءة بالضمّ فمعناها : ومن يتعامَ عن ذكره ، أى يعرف أنه الحقُّ وهو يتجاهل ويتغابىَ . اهـ مختصراً . ٤٧٠

* * *

باب المفعول فيه

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والستّون بعد المـائة ، وهو من شواهد س[3] .

١٦٨ (فلأَ بغِيَنَّـكُمُ قنًا وعُوارِضاً ولأُقبِلَنَّ الخيلَ لابَةَ ضَرْغَدِ)

على أن (قناً وعُوارضا) منصوبان على إسقاط حرف الجرّ ضرورة ، لأنّهما مكانان مختصّان ، لاينتصبان انتصابَ الظرف . وهما بمنزلة ذهبتُ الشامَ فى الشذوذ .

---

(١) تمامه كما فى الديوان ٢٥ :

* تجد خيرنار عندها خير موقد *

(٢) هى قراءة زيد بن على ، كما فى تفسير أبى حيان ٨ : ١٦ .

(٣) فى كتابه ١ : ٨٢ ، ١٠٩ بولاق . وانظر ديوان عامر بن الطفيل ١٤٤ وأمالى ابن الشجرى ٢٤٨ .

أو عَدَ أعداءه بتتبعهم ، والإيقاع بهم حيث حلُّوا فى المواضع المنيعة .

ومعنى لأبغينّكم : لأطلبنّكم . والبغى له معنيان : أحدهما الطلب ، يقال : بغيت الضالّة . فهو متعدّ إلىٰ مفعول واحد . والآخَر الظلم والتعدّى ، يتعدىٰ بعلىٰ ، يقال : بغىٰ فلانٌ على فلان . فهو فعل لازم .

و (قناً) قال أبو عُبيد البكرىّ فى معجم ما استعجم : هو بفتح القاف وبعده نون ، وهو اسم مقصور يكتب بالألف ، لأنَّه يقال فى تثنيته : قنَوانِ ؛ هو جبلٌ فى ديار بنى ذُبيان ، قال النابغة[1] :

فإمّا تُنكِرِى نسبي فإنّى من الصُّهب السِّبالِ بنى ضِبابِ

فإنَّ منازلى وبلادَ قومى جُنوبُ قناً هنالِكِ كالهِضابِ[2]

وقال أبو عمرو الشيبانى : قَناً ببلادى بنى مُرّة ، وقال الشمّاخ :

تَرَبَّعَ من جَنْبَيْ قَناً فعُوارِضٍ نِتاجَ الثُّريَّا نوءها غيرَ مُخدِجِ[3]

وينبئك أنّ قناً جبلانِ ، قولُ الطِرِمّاح :

تحالَفَ يَشْكُرُ واللؤمُ قِدْماً كما جَبلا قَناً متحالفانِ

ولكونه اسم جَبَلين يثنّىٰ فيقال : قنَوين ، قال الشمّاخ :

كأنَّها وقد بدا عُوارِضُ والليلُ بينَ قَنَوَين رابضُ

بجَلْهَةِ الوادى قَطاً نَواهضُ

وبما ذكرنا لا يُلتفت إلى قول ابن القوطِيّة ، كما نقله أبو حيّان

(١) البيتان ليسا فى ديوانه . وانظر معجم ما استعجم ١٠٩٦ .

(٢) فى معجم ما استعجم : « هنالك فالهضاب » .

(٣) ش : « فتاج الثريا » صوابه فى ط والديوان ١٣ وروايته فيه :

تربع من حوض قنانا ونادقا نتاج الثريا حملها غير مخدج

نتاج الثريا ما ينبته مطرها . وحملها : ماؤها . غير مخدج : غير ناقص .

فى تذكرته : لا أعرف قناً فى الأمكنة ، وإنما هو قَبا بالموحّدة ، وليس قُبا المدينة ولا قُبا بطريق مكّة ، هذان يذكَّران ويؤنَّثان ، وذلك يذكّر لا غيره ومن ذكّره قصَره وصرفه ، ومن أنّثه مدّه ولم يصرفه اﻫ

وأقول : لم يذكُر أحدٌ ممّن ألّف فى المقصور والممدود ، أن قنا يمدّ .

وروى ابنُ الأنباريّ فى المفضّليات :

* فلأُنعِينّكُم المَلا وعُوارِضا *

والمَلا بالفتح : من أرض كلب . وأنعينّكم من النَّعى ، بالنون ، أى لأذكرنّ معايبكم وقبيحَ أفعالكم . يقال : فلان ينعىٰ على فلان ذنوبَه : أى يذكرها ويَصِفها . وروىٰ الحِرمازىّ : « فلأُبغينّكُم الملا » من البَغْى ، وهو الطلب . ولم يقع فى رواية ابن الأنبارىّ : قنا ، بدلَ الملا .

٤٧١

و (عُوارِض) بضم العين المهملة وكسر الراء وبعدها ضاد معجمة : جبل لبنى أسد ، وقال أبورياش : هو جبل فى بلاد طيّئ ، وعليه قبر حاتم . وهذا هو الصحيح . كذا فى معجم ما استعجم . و (اللابة) : الحَرّة بالفتح ، وهى أرض ذات حجارة [سُودٍ[1]] . و (ضرْغَد) بفتح الضاد والغين وسكون الراء ، قال أبو عُبيد البكرىّ : هى أرض لهذيل وبنى غاضرة وبنى عامر ابن صعصعة ، وقيل هى حرّة بأرض غطَفان من العالية ، وقال الخليل : ضرغد : اسم جبل ، ويقال : موضع ماء ونخل اﻫ . وقال أبو محمد الأعرابى ضرغد من مياه بنى مُرّة .

وقوله : ولأُقبلنّ الخيلَ ، هكذا رواه سيبويه . وفيه قولان :

---

(١) قيد للحجارة ، وبدونه لا يتحقق معنى الحرة ، ولعلها سقطت من النساخ .

(أحدها) لأبى علىّ الفارسىّ ، وهو أنّه فعل لازمٌ يتعدّى بحرف الجرّ ، والأصلُ لأُقبِلَنَّ بالخيل إلى لابة ضَرغد . كذا حكاه عنه أبو البقاء فى شرح الإيضاح للفارسىّ ، وابنُ خلف فى شرح أبيات سيبويه ، والسَّخَاوىُّ فى سِفر السعادة [١] قال : لأنّ أقبلَ فعلٌ غير متعدّ كقوله تعالى : (فأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ علىٰ بَعْضٍ [٢]) وتقول : أقبلت بوجهى عليه ؛ فأجاز هنا حذفَ حرْفَىْ جرٍ فى فعل واحد . وهذا تعسُّف ، مع أنّه منَع حذْفَ علىٰ ، من قولهم : كررت على مِسْمَعى ، وهو حرفٌ واحد .

والقول (الثانى) للعبدَرىّ شارحِ الإيضاح ، وهو أنّ أقبل هنـا متعدّ بمعنى جَعَلَ مقابِلا ، وليس ضدّ أدبر . والمعنى : لأجعلنّ الخيلَ تقابِل ؛ فهو متعدّ إلى مفعولين . وهذا هو المعروف فى اللغة ، فإنّ قَبَل بدون همزة يتعدّى إلى مفعول واحد بمعنى استقبل ، وأقبل بالهمز يتعدّىٰ إلى مفعولين قال أبو زيد فى نوادره : قَبَلَت الماشيةُ الوادى تقبُله قُبولاً ؛ إذا استقبلتْه ، وأقبلْتها إيّاه . وقال صاحب الصحاح : وأقبلْته الشىء : أى جعلته يَلى قبالته ؛ وأقبلتُ الإبلَ أفواهَ الوادى . وحكى السخاوىّ فى سِفر السعادة عن شيخه الإمام الشاطبىّ : أقبلته الرُمح : إذا جعلته قِبَله . وقال أبو حيّان فى تذكرته : ما نقله أبو زيد نقله الهجرىّ أيضاً فى نوادره ، وفى الحديث : أن حكيم بن حِزام كان يشترى العِير من الطعام والإدام ثم يُقبِلُها الشِّعبَ . وأنشد الشَّيبانىّ :

أُكلِّفهـا هَواجِرَ حاميـاتٍ وأُقبِلُ وجهَها الريحَ القَبولا اهـ

وروىٰ غير سيبويه ، منهم ابن الأنبارىّ فى شرح المفضليات :

---

(١) منه نسخة فى دار الكتب المصرية بخط البغدادى (برقم ٧٨ مجاميع م) كتبها سنة ١٠٧٤ ومعها كتاب فرحة الأديب للأسود الغندجانى بخط البغدادى أيضاً .

(٢) الآية ٥٠ من الصافات ، و ٣٠ من القلم .

* ولأهبطنّ الخيلَ لابةَ ضرغد *

قال : وروى أيضاً : « ولأوردنّ الخيل » .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ عدّتها ثلاثةَ عشَر بيتاً لعامر بن الطُّفيل العامرى .

قال أبو محمد الأعرابى : قالها عامر يوم الرقم ، يوم هزمتهم بنو مُرّة ففرّ عامر ، واختنق أخوه الحكم بن الطفيل . وفى ذلك اليوم قَتَل عُقبة بن أُنيس الأشْجَعىّ مائةً وخمسين رجلاً من بنى عامر ، أدخلهم شِعبَ الرَّقَم فذبحهم . فسمّى عقبة ذلك اليوم مُذَبِّحاً . والمخاطَب بشعر عامرٍ بنو مُرّةَ وفَزارة . وقنا وعُوارض : جبلان من بلاد بنى فزارة . . وأوّلها :

٤٧٢

(ولتَسألنْ أسماء وهى حَفيّـةٌ نُصَحاءها : أطُرِدْتُ أم لم أُطرَدِ)

قصيدة الشاهد

قال ابن الأنبارى : أسماء بنت قُدامة بن سكين الفَزارىّ ، قال أبو محمد الأعرابىّ : كان يهواها عامرٌ ويشبِّب بها فى شعره ، وكان قد فَجَر بها . انتهى . ونصَحاء : جمع نَصيح . وروىٰ شارحُ ديوانه : (فُصَحاءها) بالفاء ، قال : هو جمع فصيح . وطُردتُ ، بالبناء للمفعول والتّكلُّم .

(قالوا لها : فلقـد طَرَدْنا خيـلَه قَلَحَ الكلابِ . وكنتُ غير مُطَرَّدِ)

قَلَحَ منصوبٌ على الذمّ ، والقلَح : صفرة تعـلو الأسنانَ ، شبّه عامر بنى فَزارة بها . وجملة وكنتُ إلى آخره حال .

(لا ضَيرَ ، قدْ عَركتْ بمرّةَ بَرْكَها وتركنَ أشجَعَ مثلَ خُشْبِ الغرْقدِ)

هذا البيت لم يروه المفضّل فى المفضّليّات ولا شرّاحُها . قال شارح الديوان[1] : يقال للصَّدر : بَرْك بالفتح ، وبِركة بالـكسر . وأشجَع قبيلة . والغرقد : شجَر .

(١) ذكر الميمنى انه الأنبارى .

(فلأبغينّكم قنًا وعُوارِضا . . . . البيت)

هذا التفاتٌ من الغَيبة إلى التكلّم . خاطَبَ بنى فَزارة .

(بالخيل تعثُر فى القَصِيدِ كأنّها حِدَأٌ تَتَابَعُ فى الطريق الأقصَدِ)

القَصِيد : كِسَر القنا ، جمع قَصِيدة . والحِدَأ كعنب : جمع حِدَأة كعنبة ، وهى طائر معروف . وبالخيل : متعلّق بأقبِلَنّ فى البيت قبلَه . وجملة تعثُر حالٌ من الخيل .

(فى ناشئٍ من عامرٍ ومجرِّبٍ ماضٍ إذا سقط العِنانُ من اليدِ)

لم يرْوِ هذا البيت أيضاً صاحب المفضليات[1] . قال شارح الديوان : الناشىء الحدث حين نشأ . وقوله : سقط العنان ، أى لشدة الجَهْد .

(ولأثأرَنّ بمالكٍ وبمالكٍ وأخى المروْرَاةِ الذى لم يُسنَدِ)

معطوف على قوله : فلأبغينكم . يقول : لأدركنّ بثأر مالك ومالك ، أى لأقتُلَنّ بهما . والمروراة بالفتح : موضعٌ بظهر الكوفة ؛ وقال البكرىّ فى المعجم : هو جبلٌ لأشجَع . وقوله لم يسند : أى لم يُدفَن ولكنْ تُرِكَ للسباع تأكلُه .

(وقتيلُ مُرَّةَ أثأرَنَّ فإنّه فرْغٌ وإنّ أخاهمُ لم يُقصَدِ)

قتيل يروى بالحركات الثلاث : بالجر عطفاً على ما قبله أو الواو للقسم ، وبالرفع على المبتدأ والخبر أثأرن ، وبالنصب على أنه مفعول لفعل محذوف يدل عليه أثأرن . وليس مفعولَ أثأرن المذكور ، لأنّ الفعل المؤكّد لا يتقدّم معموله عليه . ومُرة : قبيلة . وأثأرنَّ ، توكيدُه يأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى

---

(١) ط : « لصاحب المفضليات » ، صوابه فى ش . وذكر الميمنى أن البيت لم يرد فى ديوانه ، وإنما هو عند السيوطى ٢١٦ عن شرح أبيات الإيضاح .

فى أدوات القسم[١] وفِرِغ روى بكسر الفاء والغين المعجمة بمعنى الهَدَر ؛ وروى بفتحها مع العين المهملة . أراد أنّه رأسٌ عالٍ فى الشَّرف . ولم يُقصَد : لم يقتل ؛ يقال : أقصدت الرجل : إذا قتلته . يقول : قتيلُ بنى مُرَّةَ صار دمُه هدَراً ، فلا بد من أخذ ثأرِه منهم ، فإنَّ أخا بنى مرة لم يُقتل إلى الآن ؛ فلا بدَّ من قتلهم وأخذ الثأر منهم .

٤٧٣

وبقيّة الأبيات لا حاجةَ لَنا بها .

عامر ابن الطفيل

و (عامر بن الطُفَيل) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرىّ . وهو ابن عمٍّ لبيدٍ الصحابىّ . وكنية عامر فى الحرب أبو عَقيل ، وفى السِّلْم أبو علىّ . وكانت أصيبت إحدىٰ عينيه فى بعض الحروب .

قال ابن الأنبارىّ فى شرح المفضّليّات : كان عامرٌ من أشهر فُرْسان العربِ ، بأساً ونجدة ، وأبعدِها اسماً ؛ حتّى بلغَ أنّ قيصرَ كان إذا قدِم عليه قادمٌ من العرب قال : ما بينَك وبينَ عامر بن الطفيل ؟ فإن ذَكر نسباً عظُم عندَه ؛ حتّى وفد عليه عَلقمة بن عُلاثة فانتسب له . فقال : ابنُ عمٍّ عامرِ ابن الطُفيل ؟ فغضب علقمةُ ، وكان ذلك ممّا أوغر صدرَه وهيّجه إلى أن دعاه إلى المنافرة . وكان عمرو بن معْدِ يكرِبَ — وهو فارسُ اليمَن — يقول : ما أُبالى أىَّ ظعينةٍ لقيتُ على ماء من أمْواه معَدّ ، ما لم يلقَني دونَها عبْداها أو حُرَّاها ! ويعنى بالحرَّينِ : عامرَ بنَ الطُّفيل ، وعُتيبةَ بن الحارث بن شهاب اليربوعىّ ؛ وعنيٰ بالعبدين : عنترةَ العَبْسىَّ والسُّلَيكَ بنَ السُّلَكة . قال الأثرم : ويقال : كانت المنافرة أنّ علقمةَ بن عُلاثة شرِب الخمر ، فضربه عمرُ الحدَّ ، فلحق بالروم فارتدّ ؛ فلمّا دخل على ملك الروم قال : انتسبْ .

(١) فى الشاهد الثانى عشر بعد الثمانمائة .

فانتسب له علقمة . فقال : أنت ابنُ عمٍّ عامرِ بن الطُفيل ؟ فقال : ألا أُرانى لا أُعرفُ ها هنا إلاّ بعامر ؟ ! فغضِبَ فرجَعَ فأسلم (وتقـدم بيان المنافرة فى الشاهد السادس والعشرين[1]) .

ولمّا قدمت وفودُ العرب على رسول الله ﷺ فى سنة تسعٍ من الهجرة ، قدم وفدُ بنى عامر ، فيهم عامرُ بن الطفيل ، وأَرْبَدُ بن قيس أخو لبيدٍ الصحابىّ لأمّه — وكانا رئيسَى القوم ومن شياطينهم — فقدم عامر بن الطفيل عدوُّ الله على رسول الله ﷺ وهو يريد الغدرَ به ؛ وقد قال له قومه : ياعامر ، إنّ الناس قد أسلموا فأَسلِمْ .قال : واللهِ لقد كنتُ آليت أنْ لا أنتهى حتى تتبع العرب عَقبي[2] فأنا أتّبع عقِبَ هذا الفتىٰ من قريش ! ثم قال لأربَدَ : إذا قدِمنا على الرجل فإنى شاغلٌ عنك وَجهَه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُهُ بالسيف ، فلمّا قدِما على رسول الله ﷺ وجعل يكلّمه وينتظر منْ أربَدَ ما كان أمره به ، فجعل أربدُ لايُحير شيئاً ، فلمّا رأىٰ عامرٌ ما يصنعُ أربدُ قال له عامر : أتجعلُ لى نصفَ ثِمار المدينة ، وتجعلنى ولىَّ الأمر من بعدكَ وأَسْلِم[3] ؟ فأبىٰ عليه صلى الله عليه وسلم ، فانصرف عامرٌ وقال : أمَا والله لأملأنّها عليك خيلاً ورجالاً . فلمّا ولّى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهمّ اكفِنِى عامرَ بنَ الطفيل . فلمّا خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأربد : ويلكَ يا أربدُ : أينَ ما كنتُ أمرتُكَ به ! والله ما كان على ظَهر الأرض رجلٌ أخوفُ عندى علىّ منك ! وآيمُ اللهِ لا أخافُكَ بعدَ اليوم أبداً . قال : لا أبالَكَ ! لا تعجَل علىّ ! واللهِ ما هممتُ بالذى أمرتَني به من أمره إلاّ دَخلتَ بينى وبين الرجل حتّي

---

(١) فى الجزء الأول من الخزانة ص ١٨٣ وما بعدها

(٢) ط : « عن تتبع العرب عقبي » ، صوابه فى ش والسيرة ٩٣٩ .

(٣) ط : « وتجعلنى ولى الأرض بعدك فأسلم » ، صوابه فى ش.

ما أرى غيرَك ، أفأضربُك بالسَّيف ؟! وخرجا[١] راجعين إلى بلادهم ، حتّى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث اللهُ على عامر بن الطفيل الطّاعونَ في عنقه ، فقتله الله في بيت امرأةٍ من بني سَلُولَ فجعل يقول : « يا بني عامر ! أغُدّةً كغُدّةِ البَكر في بيت امرأةٍ من بني سَلول[٢] ! » ثم خرج أصحابُه حين وارَوه الترابَ ، حتّى قدِموا أرضَ بني عامر ، فقالوا : ما وراءكَ يا أربد ؟ قال : لاشيء ، واللهِ لقد دعانا إلى عبادة شيءٍ لَوَدِدْتُ أنّه عندي الآنَ فأرميَه بالنَّبْلِ حتّى أقتلَه . فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين ، معه جملٌ له يبيعه ، فأرسلَ اللهُ عليه وعلى جَمَله صاعقةً فأحرقتهما .

٤٧٤

وروى ابنُ الأنباريّ في شرح المفضّليّات : لمّا مات عامرٌ نصبت بنو عامرٍ أنصاباً[٣] ، ميلاً في ميلٍ حِمًى على قبره ، لا تُنْشَر فيه راعيةٌ ، ولا يُرعى ، ولا يسلُكُه راكبٌ ولا ماشٍ ، وكان جبّار بن سَلْمَى بن عامر بن مالك غائبا ، فلمّا قدم قال : ما هذه الأنصاب ؟ قالوا : نصبناها حِمًى على قبر عامر . فقال : ضيّقتم على أبي عليّ ، إنّ أبا عليّ بانَ من الناس بثلاث : كان لا يعطَش حتّي يعطَش الجملُ ، وكان لا يضلُّ حتى يضلَّ النجم ، وكان لا يَجبُن حتّي يجبُنَ السيل !

ولعامرٍ وقائعُ في مَذحِج وخَثعم وغطَفان وسائرِ العرب .

* * *

(١) في السيرة ٩٤٠ : « وخرجوا » .

(٢) قال ابن هشام : « ويقال أغدة كغدة الإبل وموتا في بيت سلولية » .

قال الميمني : وهو مثل عند الميداني ٢ : ٣ والعسكري ٢٦ وثمار القلوب ٣٨٢ والنويري ٣ : ٤٢ واللآلي ٧١ .

(٣) الأنصاب : جمع نُصُب ، بضمتين ، وهي كل ماعبد من دون الله . ط « نصابا » صوابه في ش وابن الأنباري ٧٠٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستّون بعد المائة ، وهو من شواهدس[1] :

١٦٩ (لَدْنٌ بِهَزِّ الكفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ   فيهِ كما عَسَلَ الطريقَ الثَّعْلَبُ)

على أنّ حذفَ حرف الجرّ من (الطريق) شاذّ . والأصلُ : كما عسل فى الطريق الثعلبُ .

قال ابن هشام فى المغنى : « وقول ابن الطَّراوة : إنّه ظرفٌ ، مردودٌ بأنّه غير مبهَم . وقوله : إنّه اسم لكلّ ما يقبل الاستطراقَ فهو مبهَمٌ لصلاحِيَته لكلّ موضع ، منازعٌ فيه ؛ بل هو اسمٌ لما هو مستطرَق . انتهى

وقال الأعلم : استشهد به سيبويه على وصول الفعل إلى الطريق ، وهو اسم خاصّ للموضع المستطرَق ، بغير واسطةِ حرفِ جرٍّ تشبيهاً بالمكان ، لأنّ الطريق مكان . وهو نحوُ قول العرب : ذهبتُ الشامَ . إلاّ أنّ الطريق أقربُ إلى الإبهام من الشام ، لأنّ الطريق تكون فى كلّ موضعٍ يُسارُ فيه ، وليس الشام كذلك .

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ من قصيدة طويلة عدّتُها اثنان وخمسون بيتاً ، لساعدةَ ابنِ جؤيّة الهُذلىّ . وقبل بيت الشاهد هذه الأبيات :

أبيات الشاهد

(فتعاوَرُوا ضَرْباً ، وأُشرِعَ بينَهم   أَسَلاتُ ما صاغَ القُيونُ ورَكَّبوا

مِن كلّ أسحَمَ ذابلٍ ، لا ضَرَّهُ   قِصَرٌ ، ولا رَاشُ الكعوبِ مُعَلَّبُ

خِرْقٍ من الخطّىّ أُغمِضَ حدُّه   مِثْلِ الشِّهابِ رَفعتَه يتلهَّبُ

ممّا يُتَرَّصُ فى الثِّقاف يَزِينُه   أخذَى كخافيةِ العقاب مُحَرَّبُ

(١) فى كتابه ١ : ١٦ ، ١٠٩ . وانظر الخصائص ٣ : ٣١٩ وابن الشجرى ١ : ٤٢ / ٢ : ٢٤٨ وشرح شواهد المغنى ٥ ، ٢٩٩ والأشمونى ٢ : ٩١ ، ٩٧ والتصريح ١ : ٣١٢ وديوان الهذليين ١ : ١٩٠ وشرح أشعار الهذليين ١١٢٠ .

لدن بهزّ الكفّ يعسل متنه . . . . البيت)

التعاوُر : التداول بالطّعن وغيره . والضَّبْر بفتح المعجمة وسكون الموحَّدة : مصدر ضَبَر : إذا وثَب ، والضَّبْر : الجماعة أيضا . ورُوى موضعه : (ضَرباً) . وأشرعْت الرمحَ : أى أملته . والأسَلات : الرِماح . والقُيون : جمع قَين ، وهو الحدّاد . وأراد : بما صاغ القيونُ الأسِنّةَ . وقوله : مِن كلِّ أسحم : أى أسوَد . وروى بدله : (أسمر) . وكذلك رُوى : (أظمَى) وهو بمعناه . وأراد به الرُّمح . وذابل : قد جفّ وفيه لِين . يقول : ليس به قصرٌ فيضرَّه ولا ضعفٌ فينشدّ . فى الصحاح : « ورمح راشٌ أى خوّار . وناقة راشَة : ضعيفة » . وهو من مادة الريش . وهو خبر مبتدإ محذوف : أى ولا هو راشُ الكعوبِ ومُعَلَّب : خبرٌ بعد خبر . والمعلّب : اسم مفعول من علّبت الشىء : إذا شدَدته وحزَمته بعِلْباءِ البعير ، والعلباء بالكسر والمدّ : عصَب العنق . وقوله : خِرْقٍ من الخَطِّىّ ، هو بكسر الخاء وسكون الراء وبالجر : صفة لأسحمَ ذابلٍ . قال السكرىّ فى شرح أشعار هذيل : « يعنى بالخِرق الرُّمحَ ، ضربهُ مثلاً . يقول : هو فى الرماح مثلُ الخِرْق فى الفتيان . والخِرق : الذى فيصرّف فى الأمور ويتخرّق فيها . وأُغمِض حدُّه : يعنى أُلطِف ورُقِّق حدُّ السنان . والشِّهاب : السِراج ، شبّه السنانَ به ، عن غير أبى نصر . وقال الأخفش : خرِق : ماضٍ . وروى بعضُهم .

* خَرِق من الخَطّىّ أُلزِم لَهْذَماً *

والخَرِق ، أى بفتح فكسر : الطويل . واللهذم : الحديد القاطع » انتهى.

وقوله : مثلِ الشهاب بالجرّ : صفةٌ أخرى . وقوله : ممّا يُتَرّصُ الخ ، يعنى هذا الرمحُ ممّا يُترَّصُ أى يُحكَم ، فى الصحاح : أترصتُه وترّصته : أى أحكمته

٤٧٥

وقوّمته ، فهو مُتَرَّص وتَرِيص . وهو بالتاء المثناة والراء والصاد المهملتين . والثِّقافُ بالكسر : الخشبة التي يقُوَّم بها الرمح . وقوله : أخذىٰ : أى سنانٌ أخذىٰ ، وهو بالخاء والذال المعجمتين ، وهو صفة . قال السكّرىّ : أخْذى : منتصب مثل الأخذى[1] من الكلاب وهو المنتصب الأذن . وشبّهه بخافية العُقاب فى الدِّقّة ، والخافية : ما دون الرِّيشات العَشْر من مقدّم الجَناح ، وهى ريشةٌ بيضاء . ومخرَّب ، بالخاء المعجمة . يقول : كأنّه غضبانُ من الحرص أن يقعَ فى الدم . يقال : خرّبته بالتشديد لخرِب كفرح . أى أغضبته فغضب .

وقوله (لَدْن بهزّ الكف الخ) بجر لدن صفة أخرى لأسحم ذابل ، ويجوز رفعه على أنّه خبر لمبتدإ محذوف أى هو لدن ، واللَّدْن : اللَّيِّن الناعِم . ويَعسِل : يشتدّ اهتزازه . وعسَل الثعلبُ والذئب فى عَدْوه : إذا اشتدّ اضطرابه ، بفتح السين فى الماضى وكسرها فى المستقبل ، والمصدرُ عَسَلاً وعَسَلانا بتحريكهما . والباء فى قوله : بهزّ ، بمعنى عند متعلقة بلَدْن . قال ابن خلف ، فى شرح أبيات سيبويه : والأحسن أن يكون ظرفا ليعسِل : أى يعسل متنَه عند هزّه : فإن قيل : إن (فيه) ظرفٌ قد عمِل فيه يعسِلُ ، فكيف يعمَل فى ظرفٍ آخر ؟ فالجواب : أنّهما ظرفان مختلفان : لأنّ فيه ظرفُ مكان وبهزّ ظرفُ زمان . والهزّ مصدر مضاف إلى الفاعلِ ، والمفعولُ محذوفٌ : أى بهزّ الكفّ إيّاه . وقال أبو علىّ ، فى إيضاح الشعر : التقدير فى قوله يعسِل متنُه ، يعسل هو ، يريد أنّه لا كزَازة فيه إذا هززته ولا جُسُوّ . ومثل ذلك قول الآخر[2] :

---

(١) ط : « مثل الأخذة » صوابه فى ش . ولم أجد هذا الشرح للسكرى فى أشعار الهذليين .

(٢) هو تميم بن مقبل ، كما فى ديوانه ٣٢٨ والأمالى ١ : ٢٢٩ والحيوان ٥ : ٢٩ والموشح ١٥ .

أو كاهتزازِ رُدَينيٍّ تعاوَرَه أيدى التِجاّرِ فزادُوا متنَه لِينا

ومثل ذِكر المتن فى هذه المواضع والمرادُ الجمهورُ[1] ، قولُ الآخر :

* يغشيْ قَرًا عاريةٍ أقراؤُه *

ألا ترىٰ أن المعنى يغشى هذه الفلاة ، ولا يريدُ تخصيصَ مكان منها دونَ مكان . قال ابن خلف : ويجوز أن يريد ثَعلَب الرُّمح ، وهو طَرفه الداخل فى جُلْبة السِنان: أى يضطربُ وسطه كما يضطرب طرفه ، لاعتداله واستوائه . ونبّه بالأبعَد على الأقرَب ، لأنّه إذا اهتزّ وسَطه ، فأطرافهُ أولىٰ . انتهى. ولا يخفىٰ أنّ ذِكر الطريق على هذا يكون لغواً . والهاء من (فيه) ضميرُ الهزّ ، كما قاله أبو علىّ وابنُ الشجرىّ . وأعاده ابنُ خَلف على لَدْن . وجملة (يعسل متنُه) مفسِّرة لقوله : لدْن . وما ذكر هو رواية س . ورواه السكّرىّ فى أشعار هذيل كذا :

٤٧٦

(لَذٌّ بهزّ الـكَفِّ يَعسِلُ نَصْلُه)

واللّذٌّ بالفتح : اللذيذ . يقول : هذا الرمح إذا هُزَّ بالـكفّ فهو لذيذ أى تلتذّه الـكفّ . والالتذاذ فى التحقيق لِصاحب الـكفّ . وقال السكرىّ : يضطرب نَصْله كما يضطربُ الثعلبُ فى الطريق إذا عَدا ، والنصل : السنان . ورواية سيبويه هى الجيّدة .

ساعدة بن جؤية

وابن جُؤَيَّة (كما قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف[2]) ساعدَةُ بنُ جُؤَيّة . أخو[3] بنى كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذيل بن مدركة بن إلياس بن مُضَر . شاعر محسِّن جاهلى . وشعره محشوّ بالغريب والمعانى الغامضة ، وليس فيه من المُلَح ما يصلُح للمذاكرة . انتهى

(١) الجمهور : واحد الجماهير ، وهى الجماعات .

(٢) المؤتلف والمختلف ٨٣ . (٣) ش : « إحدى » ، صوابه فى ط .

وهو شاعرٌ مخضرمٌ : أدرك الجاهليّة والإسلام، وأسلم، وليست له صحبة. كذا قال ابن حجر فى الإصابة. فقول الآمدىّ : « جاهلىّ » ليس كما ينبغى.

وجُؤَيَّة بضم الجيم بعدها همزة مفتوحة وبعد الهمزة ياء مشدّدة. هذا هو المشهور. وهو مصغر، وفى مكبَّرِهِ خمسةُ أقوال بيّنها ابنُ خلف فى أوائل شرح أبيات سيبويه. ومقابلُ المشهورِ أنّه (ساعدة بن جُوين). والله أعلم.

وذكر الآمدى أن ابن جؤيّة شاعر آخر، اسمه عائذ بن جؤية النصْرى[1] اليربوعىّ.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد السبعون بعد المائة، وهو من شواهد س[2] :

١٧٠ (عَزَمْتُ عَلى إقَامَةِ ذى صَبَاحٍ لِأمْرٍ مَّا يُسَوَّدُ مَنْ يَسُودُ)

على أنّ الشاعر جرّ (ذى صَبَاحٍ) على لغة خثعم. وهو ظرف لا يتمكّن، والظروف التى لا تتمكّن لا تُجَرُّ ولا تُرفَع. ولا يجوز مثلُ هذا إلاّ فى لغة هؤلاء القوم، أو فى ضرورة.

قال سيبوَيه : وذو صباحٍ بمنزلة ذاتَ مَرَّة، تقول : سِيرَ عليه ذا صَبَاحٍ. خبرنا بذلك يونس. إلا أنّه قد جاء فى لغة خثعم مفارقاً لِذاتِ مَرَّةٍ ولِذات

(١) فى النسختين : « النضرى » بالضاد المعجمة، والصواب ما أثبت، لأن نسبه ينتمى إلى يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، كما فى المؤتلف : وانظر جمهرة ابن حزم ٢٦٩.

(٢) فى كتابه ١ : ١١٦ وانظر ابن الشجرى ١ : ١٨٦ وابن يعيش ٣ : ١٢ والهمع ١ : ١٩٧

ليلةٍ[1] . وأما الجيِّدة العربية فأن تكون بمنزلتها (يريد بمنزلتها : ظرفا) قال رجل من خثعم : عزمت على إقامة . . البيت . فهو على هذه اللغة يجوز فيه الرفع . انتهى .

وقال أبو البقاء فى شرح الإيضاح : قيل : هو بمنزلة ذاتَ مرَّة ، إلاَّ أنَّه أخرجه عن الظرف بالإضافة إليه ، وقيل : ذو زائدة : أى على إقامة صباح .

وجعل ابنُ جنِّي ، فى الخصائص ، إضافة ذى إلى صباحٍ من إضافة المسمَّى إلى الاسم ، نحو : كان عندنا ذاتَ مرَّة ، أى الدَّفعة المسمَّاةَ مرّة ، والوقتَ المسمَّى صباحا . وأنشدَ هذا البيت .

قال أبو علىّ الفارسىّ (فى التذكرة) : هذا البيتُ قاله الشاعر ولم يقل بيتاً غيرَه . وكان استمان هو وقومُه بملكٍ على أعدائهم ، فقال : إن أردتم أعنْتُكُمْ ، على أن يكون النَّهبُ لى ! فقالوا : لا نريد ذلك ! فقاتَلوا أعداءهم بأنفسهم ، فاستظهرَ عليهم أعداؤُهم ؛ فلمّا رأى استظهارَهم عليهم أعانَهم راضياً بأن لا يكون له النهب. فقال هذا الشاعرُ هذا البيتَ فقطْ يمدحُه . فاللام متعلّقة بيُسوِّد ، كأنّه قال : يُسوَّد لأمرٍ مَن يَسود : أى بعقله وفضله يَسُود ، ليس للاشىء ، بل لأمر فيه . انتهى .

وفيه : أنّه ليس بيتاً مفرداً ، وإنّما هو من أبيات . وليست القِصّة كما ذكرها : قال أبو محمّد الأعرابيّ فى فُرحة الأديب : هذا البيت لأنَس بن مدركة الخثعَمىّ . وذلك : أنه غزا هو ورئيسٌ آخرُ من قومه بعضَ قبائلِ العرب متساندَين ، فلما قرُبا من القوم أمسَيا فباتا حيث جَنَّ عليهم الليل ، فقام صاحبه

(١) فى النسختين : فى لغة خثعم « ذات مرة وذات ليلة » وتصحيحه وإكماله من سيبويه ١ : ١١٥ .

فانصرف ولم يغنم ، وأقام أنس حتّى أصبح ، فشَنّ عليهم الخيلَ فأصاب وغنِم ، وغَنَّم أصحابَه[1] . فهذا معنى قوله : عزَمتُ على إقامةِ ذى صَباح . وهو آخر الأبيات . قال أبو الندىٰ : وكان أنسٌ مجاوراً لِبنى الحارث بن كعب ، فوجَد أصحابُه منهم جفاءً وغِلْظة فأرادوا أن يفارِقوهم ، فقال لهم : أقيموا إلى الصباح ؛ فلمّا ظفر بنو الحارث ببنى عامر ، يوم فَيف الريح[2] ، قال عند ذلك ما قال . وأول الأبيات :

(دعوتُ بنى قُحافة فاستَجابوا فقُلتُ : رِدُوا فقد طابَ الوُرودُ
دعوتُ إلى المِصاعِ[3] فجاوبونى بورْدٍ ما يُنَهْنِهُه المُذيدُ[4]
كأنّ غمامةً برَقتْ عليهمْ من الأصْيافِ ترجُسُها الرُّعودُ[5]
عزمتُ على إقامةِ ذى صباح . . . . البيت) انتهى

ولا يخفى أنّ هذه الأبياتَ أجنبيّةٌ لا يَظهر ارتباطُها بالبيت الأخير .

والمِصاع : مصدر ماصَع أى قاتَل . والمَصْع : الضرب بالسيف . وقوله : (على إقامة ذى صَباح) لا يبعد أن يكون على تقديرِ : على إقامة ليلٍ ذى صباح . و (ما) زائدةٌ للتوكيد . يقول : عزمت على الإقامة إلى وقت

---

(١) هكذا ضبطت « غنم أصحابه » بخط البغدادى ، فى فرحة الأديب .

(٢) الميمنى : راجع لخبر يوم فيف الريح النقائض ٤٦٩ والعقد ٣ : ٤٠٩ والميدانى ٢ : ٣٣١ ، ٢٦٦ ، ٣٥٨ ، والعمدة ٢ : ١٦٧ ونهاية القلقشندى ٣٦٦ .

(٣) فى النسختين : « إلى الصباح » ، صوابه من فرحة الأديب مخطوطة البغدادى بدار الكتب ، كما أن التفسير يقتضى ذلك .

(٤) المذيد : الذى يعين على الطرد والدفع ، يقال أذاده : أعانه على الذود . ش : « المريد » ط : « المديد » صوابه من فرحة الأديب .

(٥) ترجسها ، من الرجس ، بالفتح ، وهو الصوت الشديد من الرعد . ط : « ترجيها » صوابه فى ش وفرحة الأديب . وفى فرحة الأديب : « من الأضياف » بالضاد المعجمة .

الصَّبَاح ، لأنّى قد وجدتُ الرأىَ والحزمَ قد أوجبا ذلك . ثم قال : (لأمرٍ مّا يُسوَّد مَن يَسُود) ، يريد : أنّ الذى يُسوِّده قومُه لا يسوِّدونه إلاّ لشىء من الخصال الجميلة والأمور المحمودة رآها قومُه فيه فسوَّدوه لأجلها .

وأنشد صاحبُ الكشّاف هذا البيتَ فى سورة الإخلاص ، فى جواب السائل : لِمَ كانت هذه السورة مع قِصَرها عِدْلَ القرآن ؟

قال الجاحظ فى كتاب (شرائع المروءة) : وكانت العربُ تُسوِّد على أشياء : أمّا مُضَر فتسوِّد ذا رأيها ، وأما ربيعة فمن أطعمَ الطعامَ ، وأما اليَمن فعلَى النسَب . وكان أهلُ الجاهليّة لا يسوِّدون إلاّ مَن تكامَلتْ فيه ستُّ خصال : السَّخاء ، والنجدةُ ، والصبر ، والحلم ، والتواضع ، والبيان ؛ وصار فى الإسلام سبعا . وقيل لقيس بن عاصم : بِمَ سُدْتَ قومَك ؟ قال : ببَذل الندىٰ ، وكَف الأذىٰ ، ونُصْرة المولى ، وتعجيل القِرىٰ . وقد يُسوَّد الرجلُ بالعقل والعِفّة والأدب والعلم . وقال بعضهم : السُّودد اصطناع العشيرة ، واحتمال الجريرة . وقال الأصمعىّ : ذكَر أبو عمرو بنُ العلاء عيوبَ جميعِ السادة ، وما كان فيهم من الخِلال المذمومة ، إلى أن قال : ما رأيتُ شيئاً يمنعُ من السُودد إلاّ قدْ رأيناه فى سيِّد : وجدنا الحداثةَ تمنع السُّودد ، وسادَ أبو جهل بن هشام وما طَرَّ شاربُه ، ودخل دارَ النَدْوة وما استوت لحيته . ووجدنا البُخل يمنع السُوددَ ، وكان أبو سُفيانَ بخيلاً عاهراً ، وكان عامر بن الطُفيل بخيلاً عاهراً[1] وكان سيِّداً . والظُّلم يمنع من السُودد ، وكان كُليبُ بن وائل ظالماً ، وكان سيِّدَ رَبيعة ، وكان حُذيفة بن بدر ظالماً ، وكان سيِّدَ غطفان . والُحمق يمنع السُوددَ ، وكان عُيَيْنة بن حِصْنٍ أحمقَ وكان سيِّداً . وقِلّة العدد تمنع السُودد ، وكان السيل

(١) فى النسختين « قاهرا » والشنقيطى فى نسخته جعلها « فاجرا » ، ولعل الوجه ما أثبت .

ابن معبد سيِّداً ولم يكن بالبَصرة مِن عشيرته رَجلان . والفقر يمنع السُودد ، وكان عُتبة بن ربيعة مملِقاً ، وكان سيِّداً .

وناظم هذا البيت أنَسُ بن مُدرِك الخثعمىّ ، كما ذكرنا . وهو جاهلىّ . ٤٧٨
وصَحَّفه ابنُ خلَف فى شرح أبيات سيبوَيه ، بأوسِ بن مُدْرِك ، وقال : أوس من الأسماء المنقولة إلى العلميّة . والأوسُ هنا الذئب ، وإن أمكن أن يكون من العطيّة .

وكشفتُ عن اسمِه فى الجمهرة لابن الكلبيّ فوجدته قال فى جمهرة خثعم ابن أنمار ، ما نصُّه: « أنَسُ بن مُدرِك[1] بن كُعيب — بالتصغير — بن عمرو ابن سعد بن عوف بن العَتيك بن حارثة بن سعد بن عامر[2] بن تيم الله ابن مبشِّر بن أكْلُب بن ربيعة بن عِفْرِس بن حُلْف[3] بن أفتَل وهو خثعم . وهو أبو سفيان الشاعر . وقد رَأَس » انتهى .

ونقل ابنُ خلَف عن الجاحظ : أنّ هذا البيتَ لإياس بن مُدرِكة الحنَفىّ . وهذا غيرُ مناسبٍ ، فإنّهم نقلوا أنّ قائلَ هذا البيتِ خَثعمىٌّ لا حنَفىّ . وخَثْعَم أبو قبيلةٍ من اليمن ، وهو خثعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغَوث ابن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد المائة :

---

(١) ويقال ابن مدركة كما فى الأغانى ٧ : ١٦١/٩ : ١٦ والعينى ٤ : ٣٩٩ .

(٢) ط : « تامر » صوابه فى ش والمعمرين للسجستانى .

(٣) كذا ضبطه ابن حزم فى الجمهرة ٣٩٠ بالحاء غير منقوطة مضمومة ولام ساكنة ، ثم قال : وفى الناس يقول حلف بالحاء مفتوحة غير منقوطة ولام مكسورة . وفى النسختين « خلف » بالخاء المعجمة . وضبطه فى القاموس (حلف) بفتح الحاء وسكون اللام .

١٧١ (صَلاءةُ وَرْسٍ وَسْطُها قَدْ تَفَلَّقا[1])

على أن (وسْط) ساكنة السين، قد تتصرّف وتخرج عن الظرفية كما في هذا البيت.

وصدرُه: (أتتْه بمَجلومٍ كأنّ جَبينه)

فوسْطُها مرفوع على أنّه مبتدأ، وجملة قد تَفَلّق خبره.

كذا أورده أبو عليّ الفارسيّ في الإيضاح الشعريّ، وابن جِنّي في الخصائص وأوردا له نظائر.

قال ثعلب في الفصيح: جَلَس وسْطَ القوم، بسكون السين؛ وجلس وسَطَ الدار واحتَجم وَسَط رأسِهِ، بفتح السين[2]. قال شارحُه الإمامُ المرزوقيّ: النحويُّون يَفصِلون بينهما ويقولون: وسْط، بسكون السين، اسمُ الشيء الذي ينفكّ عن المحيط به جوانبُه، تقول: وسْط رأسِهِ دُهنٌ، لأنّ الدُّهن ينفكّ عن الرأس ووسَط رأسه صُلب لأن الصُّلب لا ينفكُّ عن الرأس. وربّما قالوا: إذا كان آخرُ الكلام هو الأوّل فاجعلْه وسَطاً بالتحريك، وإذا كان آخرُ الكلام غيرَ الأوّل فاجعَلْه وسْطاً بالتسكين. وحَكىٰ الأخفش: أنّ وسطاً قد جاء في الشعر اسماً وفارَقَ الظرفيّة، وأنشدَ بيتاً آخِرُه «وسْطُها قدْ تفلّقا» وسْطُها مبتدأ مرفوع. ويقال وَسَطت الأمرَ أسِطُه وَسْطا بالسكون. وأبو العباس

---

(١) ديوان الفرزدق ٥٩٦ وابن الشجرى ٢ : ٢٥٨ والخصائص ٢ : ٣٦٩ والهمع ١ : ٢٠١ ونوادر أبي زيد ١٦٣ .

(٢) الميمني : نظم هذا الفرق يوسف بن محمد العقيلي من رجال الدرر الكامنة . فقال (البغية ٤٢٤ والتاج) :

فرق ما بين قولهم وسَطَ الشيءِ ووسْط تحريكاً أو تسكيناً

موضع صالح لبَينٍ فسكِّنْ ولِبَيْنٍ حرِّكْ تراه مُبينا

كجلسنا وسط الجماعة إذ هم وسَطَ الدار كلهم جالسينا

ثعلبُ راعيْ ، فيما اختاره هنا ، أنّ وسطا إذا كان بعضَ ما أُضيف إليه يُحرَّك السينُ منه ؛ وإذا كان غيرَ ما أضيف إليه يسكَّنُ سينُه ، ألا ترىْ أن وَسَطَ الدار بعضُها ، وأنّ وسْط القوم غيرُهم ! فأمّا تفسيرهم لوسطَ ببَيْنَ ، فبَيْنَ لشيئين يتباين أحدُهما عن الآخر فصاعداً ، تقول : بينَ زيد وعمرو بينٌ ، لتباينهما ؛ وإن كرّرت بينَ للتأكيد جاز . ووَسطَ لشيئين يتّصل أحدُهما بالآخر ، تقول : وسَطَ الحصير قلم ، ولا تقول : بينَ الحصير قلم ؛ إلا أنّه يُستعار فيُوضعُ بدلاً منه . انتهى .

وقال ابن هشام اللخمى فى شرح الفصيح : وسَطُ الشيء وأوسطه : ما بين طرَفيه ، فإذا سكّنتَ السين كان ظرفا ، وإذا فتحتَها كان اسما ؛ فإنّما يكونُ اسما إذا أردتَ به الوسطَ كلَّه ، ويكون ظرفاً إذا لم تُرِد به الوسطَ كلَّه وذلك إذا حسُنت فيه فى ، تقول : قعدت وَسْطَ الدار ، فوسط الدار ساكن الوسَط — وهو السين — لأنّه ظرف ولأنّك لا تأخذ بقعودك وَسَطَ الدار كلَّه ، وإنّما تريد قعدت فى وسط الدار ، فلمّا أسقطت فى ، انتصبَ على الظرف . فإن قلت : ملأْتُ وسَطَ الدار قمحا ، فتحتَ السين لأنّه مفعول به ، لأنّ ملأْت لا يقع إلا على الوسَط كلّه ، فقمحٌ نصب على التمييز ، لأنّ التقدير ملأْت وَسَطَ الدار من قمح . وكذلك تقول : حفرتُ وسَطَ الدار بئراً ، وبنيت وسَطَ الدار مجلساً ؛ فوسَطَ مفعول به ، وبئراً ومجلساً منصوبان على الحال . قال أبو علىّ فى التذكرة : « فإنْ قلتَ : إنه فى حال ما يُحفَر ليس ببئر ؛ فإنّ ذلك تجوُّز ؛ ألا ترىْ قوله تعالى (إنِّى أرانى أعصِرُ خَمْراً[1]) فالبئر أقربُ من هذا ؛ ألا ترىْ أنّ هذا فى حال العَصْر ليس بخمر حتّى يشتد !

٤٧٩

(١) الآية ٣٦ من يوسف .

وبعض الآبار فى العمق أقلّ من بعض ، ولا يخرجه ذلك عن أن يكون بئراً . ويجوز أن يحمل حَفرت على معنى جعلت ، فتنصبه على أنّه مفعول ، فإنّ هذا مذهبُ البصريِّين . وأكثرُ اللغَويِّين يجعلون الوسْط والوسط بمعنى واحد ، وهو مذهب أبى العبّاس ، وتمثيله يدلُّ على ذلك ، لأنه قال : وجلس وسْط الناس ، يعنى بينهم ، بسين ساكنة — على أنّ وسطاً ظرف ، ولذلك قدَّرَهُ بالظرف — ثم قال : وجلس وسَطَ الدار واحتجم وسطَ رأسه بتحريك السين. وهذا لا يجوز عند البصريّين ، لأنّه إذا فتح السينَ كان اسما وإذا كان اسما لم ينصبه إلاّ الفعلُ المتعدِّى . فقولُه : جلس وسَطَ الدارِ واحتجم وسَطَ رأسِهِ ، بفتح السين ، لا يجوز لما قدَّمنا . فإن سكّنت السين كان ظرفا وكان العامل فيه جلس . فاعلْم ذلك » انتهى .

وهذا مخالفُ لما قاله الامامُ المرزوقىّ ، فتأمل !

وروى أبو الحسن علىّ بن محمد المداينىّ فى كتاب النساء الناشزات — كما سيأتى[١] — (نصفُها قد تعلقّا[٢]) . وعليه لاشاهدَ فيه .

والمجلوم بالجيم واللام : اسم مفعول منْ جلمت الشىء جَلْما ، من باب ضرب : قطَّعته ، فهو مجلوم ، وجَلَمت الصوفَ والشعَر : قطعته بالجلمين : وهذا هو المراد هنا : قال صاحب المصباح : «الجَلَم بفتحتين : المِقراض ، والجلَمان بلفظ التثنية مثلُه ، كما يقال فيه : المقراض والمقراضان والقلَم والقلَمان . ويجوز أن يُجعل الجلمان والقلمان اسماً واحداً على فَعَلان ، كالسَّرَطان والدَّبَران ، وتجعل النون حرف إعراب . ويجوز أن يَبقيا على بابهما فى إعراب المثنّى ، فيقال : شرَيت الجلمين والقلمين » انتهى .

---

(١) فى الصفحة التالية ؟

(٢) كذا فى النسختين ، ورواية المدائنى الآتية للبيت : « قد تفلقا » .

وهذه رواية أبى زيد وغيره . ورواه أبو حاتم : (أتته بمَحْلوق) من حَلق رأسه بالموسى ، مثلا ، من باب ضرب .

والجبين : ناحية الجبهة من مُحاذاة النَّزَعة إلى الصُّدْغ ، وهما جَبينان : عن يمين الجبهة وشمالها ، قاله الأزهرىّ وابنُ فارس وغيرُهما . فتكون الجبهةُ بين جبينين . وجمعه جُبُن بضمتين وأَجْبِنَة مثل أسلحة ، كذا فى المصباح .

و (الصَّلاَيَة) بفتح الصاد : الحجر الأملس الذى يُسحَق عليه شىء ، ويقال : صَلاءة أيضاً بالهمزة . ورُوِىَ هنا بهما . قال فى الصحاح : «والصَّلاية : الفِهْر : أى حجرٌ مِلء الكفّ ، وإنّما قال امرؤُ القيس :

* مَداكُ عَرُوسٍ أو صَلاَيَة حَنْظَل[1] *

فأضافه إليه ، لأنّه يفلَق به إذا يبِس» . و (الوَرْس) بفتح الواو وسكون الراء : نبتٌ أصفرُ يزرَع باليمن ويُصبَغ به ، وقيل : صِنف من الكُرْكم ، وقيل : يشبهه . وقوله : (قد تفلّقا) يقال : فلَقته فلْقا من باب ضرب : شققته فانفلق ، وفلّقته بالتشديد : مبالَغة ، ومنه خوخ مُفلَّق ، اسم مفعول ، وكذلك المشمش[2] ونحوه : إذا تفلّق عن نواه وتجفّف ، فإن لم يتجفَّفْ فهو فُلُّوق ، بضم الفاء واللام مع تشديدها . وتفلَّقَ الشىء : تشقّق ، كذا فى المصباح .

٤٨٠

وهذا البيت من أبيات ثمانيةٍ للفرزدق ، رواها أبو الحسن علىّ بن محمد المدائنى ، فى كتاب النساء الناشزات ، قال : زوّج جريرُ بنُ الخطَفَى بنته

(١) صدره عند ابن الأنبارى والتبريزى : «كأن سراته لدى البيت قائما» .
وعند الزوزنى : «كأن على المتنين منه إذا انتحى» وعند ابن الأنبارى فى رواية : «كأن على الكتفين منه» . فعلى الرواية الأولى يكون «مداك» ومابعده مرفوعين ، وعلى الثانيتين يكون النصب .

(٢) فى النسختين : «المشمس» ، صوابه ما أثبت .

عُضيدة بن عُضَيدة ابن أخي امرأته(١) وكان منقوص العضُد ، فخلعها منه ، أي طلّقها بفدية فقال الفرزدق :

ما كانَ ذنبُ التي أقبلتَ تعتِلُها ... حَتّي اقتحمتَ بها أُسْكُفّةَ البابِ

كِلاهما حينَ جدَّ الجرىُ بينهما ... قد أقلعا وكِلا أنفَيهما رابِى

يا ابنَ المَراغة ، جهلاً حينَ تجعلُها ... دونَ القَلوص ودُونَ البَكرِ والنابِ

وقال الفرزدق أيضا :

لئن أُمَّ غَيلانَ استحلَّ حَرامَها ... حِمارُ الغَضا من ثِقْلِ ما كان رَنَّقا(٢)

لَما نالَ راقٍ مِثلَها مِن كَعابة(٣) ... علمناهُ ممّن سار غرباً وشرّقا

حبتْهُ بمخلوقٍ كأنّ جَبينَه ... (صَلايةُ ورْسٍ نِصفُها قد تفلّقا)

إذا بَرَكتْ لابنِ الشُّعور ونُوِّخَتْ(٤) ... على رُكبتيها للبُروك وألحقا

فما من دِراكٍ فاعلمَنّ لنادمٍ(٥) ... وإن صكّ عينيهِ الحِمار وصفّقا

وكيفَ ارتِدادى أمَّ غَيلانَ بعدَما ... جرى الماء فى أرحامِها وترقْرَقا

(١) فى الديوان ٢٣ : « وقال فى أم غيلان بنت جرير ، وكان جرير زوجها الأبلق الأسيدى » . والأبلق : لقب لعضيدة . وقد ضبط فى النقائض ٨٤٣ « عصيدة » بالتصغير وبالصاد المهملة ، وفى طبقات ابن سلام ٣٢٣ « عصيدة » بالتكبير وبالصاد المهملة أيضا . وابنة جرير هذه هى زينب ، كما فى النقائض ٨٤٣ وكنيتها أم غيلان كما فى الشعر . وامرأة جرير هذه هى أمامة كما فى طبقات ابن سلام . وفى ش : « بنته عضيدة من عضيدة » مع أثر تصحيح فى « من » . والصواب ما فى ط .

(٢) ط : « حمار التصا » صوابه فى ش والديوان ٥٩٦ والنقائض ٨٤١ . وفى الديوان والنقائض : « من تفل ما كان ريقا » يريد : تفل عليه بريقه حين رقاها . لكن شرح البغدادى فيما بعد يقتضى الإبقاء على ما ورد فى النسختين .

(٣) كذا . والصواب كما فى الديوان والنقائض : « فما نال راق مثلها من لعابه » .

(٤) ط : « إذا برك الابن » صوابه فى ش والديوان والنقائض .

(٥) فى النسختين : « نقادم » صوابه فى الديوان والنقائض .

سَتعلم مَن يَخزَى ويفضَحُ قومه إذا ألصقتْ عند السِفاد وألصقا

أُبَيلِقُ ، رَقّاء ، أُسَيِّدَ رَهطِه إذا هُوَ رِجْلَى أمِّ غَيلانَ فَرَّقا

فأجابه جرير بن الخطَفَى :

هلاّ طَلبتَ بعَقْرِ جِعْثِنَ مِنقَراً وبجَرِّها وتركت ذكر الأبلقِ[١]

سَبْعون والوصفاءُ مَهْرُ بناتِنا إذ مَهْرُ جِعْثِنَ مثلُ حَزْرِ البُنْدُقِ[٢]

كم قد أُثيرَ عليكم مِن خِزيةٍ ليس الفرزدقُ بعدها بفرزدقِ

انتهى ما أورده المدائنيّ .

وقوله : أقبلتَ تعتُلها ، يقال : عتلتُ الرجلَ أعتُلِه من بابَي نصر وضرب : إذا جذبتَه جذباً عنيفاً . وضمير المؤنَّث لعُضَيدة بنتِ جرير[٣] .

وروى أبو زيدٍ في نوادره :

* ما بالُ لَومِكُما إذ جئتَ تَعتُلها[٤] *

خطاباً لجرير وزوجته ، من اللَّوم وهو التعنيف . وروى المبرِّد في الاعتنان : « ما بالُ لومكها » بضمير المؤنّث فيكون ضميرَ بنته عُضَيدة[٥] . وقوله : حتى اقتحمت بها الخ ، أي إلى أن أدخلتَها عتَبة بابك .

---

(١) بجرها : مصدر ميمي من الجر بمعنى السحب . وفي ديوان جرير ٤٠٦ : « وبجرها » .

(٢) سبعون ، أي سبعون ناقة . والحزر : الحدس والتخمين . وفي الديوان والنقائض ٨٤٥ : « مثل حر البيذق » .

(٣) كذا . والصواب لأم غيلان بنت جرير .

(٤) الذي في النوادر ٦٢ : « ما بال لو مكها وجئت تعتلها » . وأصل النوادر المطبوعة صحيح جدا ، وهو بخط صاحب اللسان (والنسخة الآن محفوظة في الخزانة التيمورية برقم ٣٧٠ لغة فيحتمل أن يكون البغدادي سها فنسب إحدى الروايتين إلى غير موضعها من النوادر والاعتنان كما سيأتي .

(٥) كذا . وانظر ما سبق من التنبيه .

وقوله : كلاهما حين[1] جد الجرى الخ ، ضمير التثنية لابنة جرير عُضيدة ولزوجها . وزعم العينيّ وغيرُه أنّ الضمير للفرسَين . وزاد شارح شواهد المغنى أنّ فيه التفاتاً ، والأصل كِلا كما . وردّ عليه شارح المغنى الحلبيُّ ، بأنّه يأباه قولُ الشارحِينَ أنّ البيتَ فى وصف فرسين تجاريا . وهذا لا أصل له ، وكأنّهم فهموه من ظاهر البيت ، وسببُه أنّهم لم يقفوا على منشأ الشعر . وقوله : جدّ الجريُ أى اشتدّ العَدْو . وقوله : قد أقلعا ، يقال : أقلَع عن الأمر إقلاعاً : إذا تركه ؛ والصلة هنا محذوفة ، أى أقلعا عن الجرى . وقوله : رابى ، من الرَّبْو وهو النفَس العالى المتتابع ، يقال : ربا يربو : إذا أخذه الربْو . والبُهر بضم الباء وهو تتابع النفَس . وهذا تمثيل وتشبيه ؛ يقول : إنّ بنتَ جرير وزوجَها قد افترقا حين حصَلت الألفة بينهما ، ولم يمضيا على حالهما ، فهما كفرسَين جدَّا فى الجرى ووَقفا قبلَ الوصول إلى الغاية . ٤٨١

وهذا البيتُ من شواهد مغنى اللبيب وغيرِه من كتب النحو ، وأوردَ شاهداً على أنّ (كِلاَ) يجوز مراعاة لفظها فيعود الضمير إليها مفرداً ، ومراعاةُ معناها فيعودُ الضمير عليها مثنًى ؛ وقد اجتمعا فى هذا البيت .

وقوله : يا ابنَ المَرَاغة الخ ، المراغة : الأَتَان . [والفرزدق يقول لجرير يا ابن المراغة تعييراً له بأن عشيرته بنى كليب أصحاب حَمير . وقال الغورى : لأنّ أمه ولدته فى مراغة الإبل . وقال ابن عبّاد : المراغة الأتان[2]] لا تمنع الفُحولة ؛ وبذلك هجا الفرزدقُ جريراً . وقال بعضهم : المَرَاغَة أُمُّ جرير لقّبها به الأخطلُ . يريد أنّها كانت مَراغةً للرِّجال ، كذا فى العباب للصاغانى .

---

(١) ط : « حتى » ، صوابه فى ش .

(٢) هذه التكملة من ش ، وقد سقطت من ط .

وقوله : جهلاً حين تجعلها الخ ، يريد أنك جهلت فى تزويجك إيّاها لغير أهل الإبل .

وقوله : لئن أُمُّ غَيلان الخ ، أمّ غيلان هى بنت جرير ، وأراد بحِمار الغضا زَوجَها ، وهو فاعل استحلّ ؛ وحرامَها مفعوله . يقول : إن استحلّ بُضْعها ما كان حراما عليه قبل العقد . ورنّق بالراء المهملة والنون بمعنى أقام ؛ فى العباب : ورنّق القوم بالمكان : إذا أقاموا به ، ورنّق الطائر : إذا خفَق بجَناحيه ورفرف فوق الشىء ولم يطِرْ . أراد من كثرة إقامته مع الإلحاح .

وقوله : لمَا نالَ راقٍ الخ ، هذا جوابُ القسَم ، وجوابُ الشرطِ محذوف ، وراق ، بالتنوين ، اسمُ فاعلٍ مِنْ رقِيتُ السَّطْح والجبلَ : علوته[1] يتعدّى بنفسه . ومثلَها مفعوله . وكِعابة ، بكسر الكاف : مصدر كعَبت الجاريةُ تَكعُبُ كُعوباً وكِعابة إذا بدا ثديُها ، فهى كاعب وكَعاب بالفتح ؛ وفيه مضاف محذوف : أى من ذات كِعابة . وقوله : علمناه ، الجملة صفة راق .

وقوله : حبَتْه بمحلوق ، أى خصّصته بإعطاء فرْجٍ محلوق . ورُوى « أتته بمحلوق » . وهذا البيت فى صفة الفرج .

وقوله : إذا بركتْ لابن الشغَور الخ ، هذه كلمة سبّ ؛ والشَّغور ، فى الأصل : الناقة التى تَشغَر بقوائمها إذا أُخِذَت لتُرْكَبَ أو تُحلَب . وقوله : ونوِّخت ، بالنون والخاء المعجمة بالبناء للمفعول ، يقال : تنوَّخ الجملُ الناقةَ :

(١) الظاهر أنه من الرقيا ، ففى النقائض ٨٤١ أن جريرا أصابته حمرة فتورم ، وكان رجل من بنى أسيد بن عمرو بن تميم يقال له الأبلق يرق من الحمرة ويداوى ، فاتى ابن الخطفى فقال له : ما تجعل لى إن داويتك حتى تبرأ ؟ ، قال جرير : أجعل لك إن أبرأتنى من وجعى هذا حكمك . فداواه ورقاه حتى برئ فقال له جرير : احتكم . فاحتكم عليه الأبلق أن يزوجه أم غيلان بنت جرير فزوّجه إياها .

أناخها ليَسفَدها . والبرُوك : مصدر برَك بُروكاً أى استناخ ، قال جرير[١] :

وقد دَمِيتْ مَوَاقِعُ رُكبتَيها من التَّبْراكِ ليس من الصَّلاَةِ

وَقوله : ألحقا ، من ألحق الشىء بالشىء أى أوصله به ، معطوف على بركتْ .

وقوله : فما من دِراك الخ ، أى لا يقدر أن يلحقَهما قادمٌ عليهما ، أى لا يتفرَّقا منه لشدَّة شبَقِهما . وقوله : وإن صكّ الخ ، إنْ وصليّة وصكّه : ضربه ، والحمارُ فاعله . والتصفيق : الرّد والصرف .

وقوله : أبيلق رقّاء ، مصغّر أبلَق وهو اسم زوج بنت جرير ؛ ورقّاء مبالغةُ راقٍ صفة لأبيلق . وأسيِّدُ مفعولُه مضاف لما بعده . قال المبرد فى الاعتنان كان جرير زوّج بنته الأبلَق الأُسَيدِى ، أسيِّد بن[٢] عمرو بن تميم فلم يحمَدْه . وذكرَ هجاء جرير إيّاه ورهطَه .

وقوله : هلاّ طلبتَ بعُقرْ الخ ، العُقرْ بالضم : دية فرج المرأة إذا غُصبتْ على نفسها . وجِعِثِن بكسر الجيم والمثلثة : اسم أخت الفرزدق . ومِنقَر بكسر الميم وفتح القاف . أراد أولادَ الأشدّ المنقرىّ ، وكان عِمرانُ بنُ مرّة المِنقرىُّ أسَرَ جِعثِنَ أُختَ الفرزدق يوم السِّيدَانِ ، وفيه يقول جرير :

غمزَ ابنُ مُرّةَ يا فرزدقُ كَينَها غمْزَ الطبيب نَغانغ المعذُورِ

خزِىَ الفرزدقُ بعد وَقْعةِ سبعةٍ[٣] كالُحصْن من ولد الأشدِّ ذُكورِ[٤]

---

(١) ديوانه ٨٦ .

(٢) فى النسختين : « بنى عمرو » . وانظر الاشتقاق ٢٠١ ، ٢٠٦ والجمهرة ٢١٠

(٣) فى النسختين : « تسعة » وإن كان الشنقيطى حورها إلى « سبعة » مطابقة لما فى ديوان جرير .

(٤) الأشد هو سنان بن خالد المنقرى ، كما فى الاشتقاق ٢٥١ .

وقال أيضاً [١] :

على حفر السِّيدانِ لاقَيتَ خِزْيَةً ويومَ الرحالم يُنقِ ثوبَكَ غاسِلُه [٢]
وقد نوَّختْها مِنقرٌ قد علمتم لِمعتَلجِ الدأياتِ شَعْرٍ كَلاكِلُه [٣]
يفرِّجُ عِمرانُ بنُ مُرّة كَينَها وَينزُو نُزَاء العَيرِ أعلق حائله [٤]

والغمز : شبه الطعن والدفع . والكَيْنُ : لحم الفرْج . والنغانغ : أورام تحدُث فى الحلق . والمعذور : الذى أصابته العُذْرة ، وهو وجع الحلْق . يريد أنّ أخته نكَحها ، حين أُسِرَتْ ، سبعةٌ من ولد الأشدّ المِنقرَى . ويقال : علِقَت الأنثي من الذكر وأعلقت : إذا حملت . والحائل : التى يضربها الفحل فلا تحمِل . وهذا افتراء من جرير على جِعثِن ، فإنّها كانت من النساء الصالحات ، وقد اعترف جريرٌ بقذفه إيّاها وندم عليه ، وكان يستغفرُ الله ممّا قذَفها به ، كما مرّ .

والأبلق . زوج بنت جرير . وقوله : سبعون وانوصفاء ، هو جمع وَصيف . يريدُ أنّ مَهْرَ بناتِنا سبعون من الإبل مع انوصفاء .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد المائة :

١٧٢ (ألاَ قالتِ الخنساء يومَ لَقِيتُها : أَرَاكَ حَدِيثاً نَاعِمَ البالِ أَفْرَعَا [٥])

(١) ديوان جرير ٤٨٤ والنقائض ٦٨٢ .
(٢) ط : « ولم الدحا » ، صوابه فى ش والديوان والنقائض .
(٣) فى الديوان والنقائض : « الدأيين » . والدأيات : جمع دأية ، وهى فقار الـكاهل . وفى الديوان والنقائض : « بمعتلج » .
(٤) فى الديوان والنقائض : « حابله » بالباء .
(٥) الحماسة ٣٢١ بشرح المرزوقى والمفضليات ٢٦٨ .

على أنّ صفة الزمان القائمةَ مَقامَ الموصوفِ يلزمُها الظرفيّة عندَ سيبويه ، كما فى هذا البيت . أى زماناً حديثا :

وهذا البيت أوّلُ أبياتٍ ثلاثةٍ مذكورة فى الحماسة ، ثانيها :

فقلتُ لها : لا تنكرِينى فقلّما   يَسُودُ الفتىْ حتّي يَشِيبَ ويَصْلعا
وللَقارِحُ اليَعْبُوب خيرٌ عُلالةً   من الجَذَعِ المُرْخِي وأبعدُ مَنْزَعا)

الرواية فى الحماسة وشروحها :

* ألا قالتِ العَصماء لمّا لقيتُها *

والعصماء امرأة . و (الحديث) هنا : نقيض القَديم ، وهو هنا ظرف . يقول : قالت لى هذه المرأةُ لمّا التقيتُ معها : أعلَمك عن قريبٍ ناعمَ الحال أفرعَ ، أى تامَّ شعر الرأس ، لم يتسلّط صَلَعٌ ، ولا حَدَثَ انحسارُ شعر ، فكيف تغيَّرتَ ، مع قربِ الأمد ! والرؤية بصريّة ، وناعمَ البال مفعوله ، وأفرعا صفتُه . وناعم : من نعُم الشيء بالضم : أى صار ناعماً ليّناً ، وكذلك نعِم ينعَمُ مثل حذِر يحذَر ، وفيه لغة ثالثة مركبة بينهما : نعِم ينعُم ، بكسر الأول وضمّ الثانى ، ولغة رابعة نعِم ينعِم بكسر عينيهما ، وهو شاذّ ، كذا فى الصحاح .

و (البال) : القلب ، وخطر ببالى : أى بقلبي ؛ وهو رخىّ البال أى واسع الحال ، وهذا هو المراد . قال ابن الأنباريّ فى شرح المفضّليّات : « والأفرَع بالفاء والراء والعين المهملتين ، هو الكثيرُ شعرِ الرأس ؛ يقال : رجل أفرع وامرأة فرعاء ، وقد فرِع من باب فرِح . وضدُّ الأفرعِ الأزعرُ ؛ والمرأة زَعْراء » انتهى . وقال صاحب الصحاح : « الفرَع بفتحتين : مصدر الأفرَع وهو التامُّ الشعر ؛ وقال ابن دريد : امرأة فرعاء : كثيرة الشعر ، قال :

ولا يقال للرجل إذا كان عظيم اللِحية أو الجُمَّة أفرع ، وإنّما يقال أفرع لضدّ الاصلَع » انتهى .

وهذا المصراع الثانى قد وقع فى قصيدة متمّم بن نُويرة التى رثى بها أخاه مالكَ بنَ نويرة ، وهو :

تقول ابنةُ العَمْرِىُّ مالك بعدَما أراكَ حديثاً ناعمَ البالِ أفرَعا

٤٨٣

وقوله : فقلت لها الخ ؛ يقول : قلت لهـا : لا تستنكِرى ما رأيتِ من شحوب لونى وانحسار شعر رأسى ، فما ينال الفتىْ السيادة حتّى يستبدل بشبيبته شيباً ، وبوُفور شعرِ رأسه صلَعاً . وقوله : وللقارح اليعْبوب الخ ، القارح من الخيل بمَنزلةِ البازل من الإبل ، وهو الذى تمتْ واستَحكَمتْ قُوَّته . والقروح : انتهاء السّن ، واليعبوبُ : الفرس الـكثير الجرى ، والجَذَع : ماله سَنَتان . والعُلالة بالضم : بقيّة الجرى ، ويريد به هنا الجرى . والمرخَى : الذى يُرخَى فى سيره قليلاً قليلاً ، لا يُكلَّف أكثرَ من ذلك . ويُروىْ : (المرخِى) بكسر الخاء ، والإرخاء : لينٌ فى العدْو . ويُروى بفتح الخاء وهو المرسَل المهمَل . والمنزَع النزوع إلى الغاية . وانتصاب مَنزعاً وعُلالة على التمييز ، وهذا مثلٌ ضرَبَه فى تفضيل نفسه ، مع شيخوخته وقد أدَّبه الدهر ، على الأحداث الذين لم يجرِّبوا الأمورَ فيقول : ألفرسُ المتناهى فى القوّة والسنّ ، الذى يَجرى جرِيةَ المـاء ، سُهولةً ونفاذا ، خيرٌ بقاء وأبعدُ غاية من ابن سنَتَين[1] وهو مُهَملٌ لم يؤدَّبْ بإسراجٍ ولا إلجام .

وهذا الشعر لم يذكرْ قائله أحدٌ من شُرَّاح الحماسة .

* * *

(١) ط : « سنين » ، صوابه فى ش ، وهو تفسير الجذع .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثالث والسبعون، بعد المائة:

١٧٣ (باكَرْتُ حاجَتَها الدَّجاجَ بسُحْرَةٍ)

عجزُه:

(لأُعَلَّ مِنْها حِينَ هَبَّ نيامُها[1])

على أن (الدَّجاجَ) منصوبٌ على الظرف بتقدير مضافَين، أي وقت صِياح الدجاج، إذا كانت باكرتُ بمعنى بَكَرْت، لا غالبتُ بالبُكور.

أقول: باكَرَ متعدٍّ بنفسه إلى مفعول واحد، قال في المصباح: «وباكرت بمعنى بكَرت إليه». و(حاجتَها): مفعول باكَرْت[2]. وبكَرَ بالتخفيف، من باب قعد، فعلٌ لازم يتعدّى بإلى؛ يقال: بكَر إلى الشيء بمعنى بادر إليه أيَّ وقتٍ كان. وقال أبوزيد في كتاب المصادر: بكَر بُكوراً وغَدا غدُوًّا، هذانِ من أوّل النهار. فإذا نُقِلَ إلى فاعَلَ للمغالَبة، تعدَّى إلى مفعولٍ واحد. ومعنى (المغالَبة) أن يغلب[3] الفاعلُ المفعولَ في معنى المصدر. فضميرُ المتكلِّم — الذي هو التاء — فاعل، وقد غالبَ الدَّجاجَ — وهو المفعول — في البكور فغلَبه فيه. فيكون حاجتَها منصوباً بنزع الخافض، وهو إلى، لأنّ أصلَ باكَرَ يتعدَّى به كما ذكرنا. فإذا كان باكر من باب المغالبة، كان للتكثير في البكور إلى الحاجة، نحو ضاعفت الشيء بمعنى كثّرت أضعافه، فيكون قوله: حاجتَها، مفعولَه، ويكون الدجاج منصوباً على الظرف بتقدير مصدر مضاف، والتقدير صِياحَ الدجاج، وهذا المصدر نائب عن اسم الزمن الواقع ظرفا، أي وقتَ صياحه. وقد ذكر ابنُ قُتَيبة هذا البيتَ

(١) البيت من معلقة لبيد. وانظر المعاني الكبير ٤٥٣.
(٢) ط: «بكرت»، صوابه في ش.
(٣) ط: «يفعل»، صوابه في ش.

فى أبيات المعانى، وحمله على المغالبة مع تقديره المضاف، فقال: « أى بادرت بحاجتى إلى شربها أصواتَ الدِّيَكة، لأشربَ منها مرّةً بعد مرّة: وهو العَلَل » انتهى ومعنى بادرت سبقت: وكذا قال شرّاح المعلقات:

وهذا البيت من معلّقة لَبيدِ بن ربيعةَ المشهورةِ وقبلَه:

(أُغْلِى السِّباء بكلِّ أَدْكَنَ عاتقٍ   أَوْ جَوْنةٍ قُدِحَتْ وفُضَّ خِتامها
بصَبوحِ صافيةٍ وجذبِ كَرِينةٍ   بمُوَتَّرٍ تـأتـاله إبهامُهـا
باكرتُ حاجتَها الدَّجاجَ بسُحرةٍ   . . . . البيت)

٤٨٤

قوله: أغلى، بضم الهمزة، أى أشترى غالياً. والسباء، بالكسر والمد: اشتراء الخمر، ولا يستعمَل فى غيرها، يقال: سبأت الخمرَ بالهمز أسبؤها بالضم سبْئاً، بسكون الباء، ومَسْبَأً: إذا اشتريتَها لتشربَها: قال ابن هَرْمة:

كأساً بفيها صهباء معْرَقَةً (١)   يَغلو بأيدى التِجّارِ مسْبَؤُها

أى إنّها من جودتها يغلو اشتراؤها؛ واستبأتها مثله؛ والاسم السِباء على فِعالٍ بكسر الفاء؛ ومنه سمِّيت الخمر سَبيئة على وزن فَعيلة، وخمّارها سَبّاء على فعّال بالتشديد. وأمّا إذا اشتريتها لتَحملَها إلى بلدٍ آخر، قلتَ سبيتُ الخمر، بلا همز، كذا فى الصحاح. والباء بمعنى مع. والأدكن: الزِّقُّ الأغبَر. والعاتق، قيل: هى الخالصة — يقال لكل ما خَلَص: عاتق — وقيل: التى عتقتْ، وقيل: التى لم تُفتَح. فهو من صفة الخمر، وهو الصحيح،

---

(١) ط: « مغرفة » ش: « مفرقة » صوابهما ما أثبت. والمعرقة: التى تمزج قليلا، كأنه جعل فيها عرق من الماء. ومثله قول البرج بن مسهر:

رفعت برأسه وكشفت عنه   بمعرقة ملامة من يلوم

وانظر شرح شواهد المغنى ٢٧٩. وقبل البيت كما فى اللسان (سبأ):

خود تعاطيك بعد رقدتها   إذا يلاق العيون مهدؤها

لأنه يقال : اشترى زقَّ خمرٍ ، وإنما اشترى الخمر : فعاتق مضاف إليه . وقيل : العاتق من صفات الزقّ ، فهو وصفٌ لأدكن . والجونة بفتح الجيم : الخابيةَ . وقُدِحَتْ بالبناء للمفعول بمعنى غُرِفت ، والمِقدَحة بالكسر : المِغرفة ؛ وقيل : قِدحَت : مُزِجت ؛ وقيل : معناهُ بُزِلت ، يقال : بَزَلت الشيء بَزْلا ، بالموحّدة والزاى المعجمة إذا ثقبته واستخرجتَ ما فيه . وفُضّ : كُسِر ؛ وخِتامها : طينها . وفيه تقديم وتأخير ، أى فُضّ ختامها وقُدِحت ؛ لأنّه ما لم يُكسَر ختامُها لا يمكن اغترافُ ما فيها . يقول : أشترِى الخمرَ غاليةَ السعرِ : باشتراءِ كلِّ زقٍّ أدكنَ أو خابيةٍ سوداء قد فُضَّ ختامها وأغترِف منها . وتحرير المعنى : أشترى الخمرَ للنُدَماء عند غَلاء السعر . وأشترى كلَّ زقٍّ مقيَّرٍ أوخابيةٍ مقيَّرةٍ . وإنما قُيِّرَا لئلاَّ يرشَحا بما فيهما .

وقوله : بصَبُوحِ صافية الخ ، الصَّبوح : شُرب الغداة ، ويريد بالصافية الخمر، والكَرينة ، بفتح الكاف وكسر الراء المهملة : المغنّية بالعود ، والكِران بكسر الكاف ، هو العود : والموتَّر : العود الذى له أوتار . وتأتاله بفتح اللام الجارّة : من قولك تأتّيت له ؛ كأنّها تفعل ذلك على مَهَل وترسُّل . ويروى : (تأتالُه) بضمّ اللام : من قولك أُلتُ الأمر : إذا أصلحته ، كذا فى شروح المعلّقات[1] . وروى : (وصَبوحِ صافية) : بواوِ رُبَّ ، والمعنى : كم صَبوحٍ من خمر صافية ، استمتعت باصطباحها ، وجذبِ عوّادة عوداً موتَّرا يُعالِجُهُ[2] إبهامُ العوّادة ، استمتعت بالإصغاء إلى غِنائها .

وقوله : (باكرت حاجتها) الخ : باكرتُ متعلّقُ قوله : بصَبوحِ صافية ، على رواية الباء ، وهو جوابُ واوِ ربَّ على رواية الواو . ورُوى : (بادرت)

(١) انظر أيضا رسالة الغفران ١٠٨

(٢) فى النسختين : « معالجة » تحريف .

موضعَ باكرت . وضمير حاجتَها راجعٌ إلى الصافية المرادِ منها الخمر ، ومعناه : حاجتى فى الخمر ، فأضاف الحاجةَ إلى ضمير الخمر اتّساعا وجعلَه الشارحُ المحقِّق — فيما يأتى قريباً — من باب إضافة المصدر إلى ظرفه وقال : إلاّ أنه كالمضاف إلى المفعول به المنصوبِ بنزع الخافض ، أى حاجتى إليها وهو فى الحقيقة بمعنى اللام[1] . وروى فى ديوانه : (باكرتُ لذّتَها الدَّجاج) وهو جمع دَجاجة ، بفتح الدال وكسرها ، يطلق على الذكر والأنثى ، والهاء للواحد من الجنس ، والمراد هنا الدُّيوك . والمعنى : باكرت بشُربها صِياح الدِيكة . و (السُّحْرة) بالضم : أوّل السَّحَر . وقوله : (لأُعَلَّ) متعلّق بباكرت وبالبناء للمفعول ، من العَلَل وهو الشرب الثانى ، وقد يقال للثالث والرابع : علَل من قولهم : تعلّلت به : أى انتفعت به مرّة بعد مرّة ، والنهل محرّكة : الشُّرْب الأوّل . أى تعاطيت شُربَها قبلَ صَدْح الديك ، لأُسقَى منها مرّة بعد أُخرى ، أى حينَ استَيقظ نِيامُ السَحرِ . وهَبَّ من نومه : استيقَظ . ونِيام : جمع نائم . ومثلُه للنابغة الجعْدىّ :

سَبَقَتُ صِياحَ فَوارِيجِهـا وصوتَ نَواقيسَ لم تُضْرَبِ

قال الأصمعىّ : الفراريج : الدِيكة . وقال جريرٌ مثلَه :

لـمـا تذكّرتُ بالدَّيرينِ أرّقَني صوتُ الدَجاج وضَربٌ بالنواقيس[2]

وترجمة لبيد بن ربيعة تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[3]

* * *

(١) انظر شرح الرضى ١ : ١٧٤ . وموضع الاستشهاد بهذا الشطر مرة ثانية يكون بعد الشاهد التانى لهذا ، ولكن البغدادى أهمل ذكره كما سترى مكتفيا بإشارته هنا إليه .

(٢) هما دير فطرس ودير بولس ، بظاهر دمشق .

(٣) انظر الخزانة ٢ : ص ٢٤٦

وأنشد بعده، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد المائة[١] :

١٧٤ (يا سارِقَ الليلةِ أهلَ الدار)

على أنه قد يُتوسّع فى الظروف المتصرّفة، فيضاف إليها المصدرُ والصفةُ المشتقة منه، فإنّ الليل ظرفٌ متصرّف، وقد أضيف إليه سارق وهو وصف .

وقد وقع هذا فى كتاب سيبويه . وأورده الفرّاء أيضاً فى تفسيره، عند قوله تعالى (فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ[٢]) وقال : « أضاف سارقَ إلى الليلة ونصَب أهلَ . وكان بعض النحويّين ينصب الليلةَ ويخفض أهل، فيقول : يا سارقَ الليلةَ أهلِ الدار » هذا كلامه .

قال ابن خروف فى شرح الكتاب : « أهلَ الدار منصوب بإسقاط الجارّ، ومفعولُه الأوّل محذوف والمعنى : يا سارق الليلةِ لأهل الدار متاعاً، فسارق متعدّ لثلاثة، أحدها الليلة على السعَة، والثانى بعد إسقاط حرف الجر، والثالث مفعول حقيق . وجميع الأفعال متعدّيها ولازمها يتعدّى إلى الأزمنة والأمكنة » انتهى .

وفيه نظر، فان أهل اللغة نقلوا : أنّ سرق يتعدّى بنفسه إلى مفعولين، قال صاحب المصباح وغيره : سرقه مالاً يسرقه من باب ضربَ، وسرَق منه مالاً، يتعدّى إلى الأول بنفسه وبالحرف على الزيادة انتهى .

فجعَلَ مِنْ فى المثال الثانى زائدة . فالصواب أنّ الليلة هو المفعول الأوّل، وأهلَ الدار بدلٌ منها، فيقتضى أن يكون منصوباً بسارقَ آخر، لان البدل

---

(١) وهو أيضا من شواهد سيبويه ١ : ٨٩، ٩٩ . وقال ابن الشجرى فى أماليه ٢ : ٢٥٠ : « ومثل هذا فى الشعر جائز، قال :

* يا سارق الليلة أهل الدار * » .

وانظر ابن يعيش ٢ : ٤٥، ٤٦

(٢) الآية ٤٧ من سورة إبراهيم .

على نيّة تكرار العامل، والمفعول الثانى حُذف لإرادة التعميم أى متاعاً ونحوَه.

قال السيّد فى شرح الكشّاف: «وأهل الدار منصوب بسارق لاعتماده على حرف النداء، كقولك: ياضاربا زيداً، وياطالعاً جبلاً. وتحقيقه: أنّ النداء يناسب الذات، فاقتضى تقدير الموصوف، أى ياشخصاً ضارباً» انتهى. ولم يُجر للمفعول الثانى ذِكراً، وكأنه لوضوحه تركَه.

وقول الفَنارىّ فى حاشية المطول: الظاهر أنَّ انتصاب أهل الدار بمقدّر، أى احذرْ أهلَ الدارِ، خلافُ المعنى المقصود. قال السيِّد: والاتساع فى الظرف أن لايقـدَّر معه (فى) توسُّعاً، فينصب نصب المفعول به، كقوله: ويوماً شهدناه، أو يضاف إليه على وتيرته كـ(مالك يوم الدين) وسارقَ الليلة حيث جعل اليومَ مملوكا والليلةَ مسروقة وأما (مكرُ الليلِ والنهار[1]) فإنْ جعلا ممكوراً بهما — كما يقتضيه سياق كلامه فى المفصّل — كان مثالاً لما نحن فيه: من إجراء الظرف مجرى المفعول به، وإن جُعلا ما كِرَين[2] كانا مشبَّهين به فى إعطاء الظرف حكم غيره. والإضافة فى الكلّ بمعنى اللام. ولم يقيِّد المصنف — يعنى الزمخشرىّ — الإضافةَ بمعنى فى، وإن كانت رافعة مئونة الاتساع وما يتبعه من الإشكال، إمّا لأنّ إجراء الظرف مُجرى المفعول به قد تحقّق فى الضمائر بلا خلاف، وصورة الإضافة لما احتملت وجهَين كانت محمولة على ما تحقّق، فلا إضافةَ عندهم بمعنى فى. وإما لأنّ الاتّساع يستلزم فخامةً فى المعنى، فكان عند أرباب البيان بالاعتبارِ أولى. ومَنْ أثبتها من النُّحاة فلِنَظَرِه فى تصحيح العبارة على ظاهرها. انتهى كلامه.

٤٨٦

(١) الآية ٣٣ من سورة سبأ.

(٢) ط: «مؤكدين»، صوابه من ش.

وقوله: « وما يتبعه من الإشكال » هو وصف المعرفة بالنكرة ، لأنّ الإضافة على الاتساع لفظيةٌ ، فيشكل كونُه صفةً للاسم الكريم ؛ فلو كانت الإضافة بمعنى « فى » لكانت معنويّةً وصحّ الوصفُ به ، لحصول التعريف للمضاف ؛ بناء على أنّ الإضافة اللفظية لا تكون على تقدير حرف .

واعلم أنّ صاحب الكشّاف قال فى (مالك يوم الدين) : معنى الإضافة على الظرفيّة — بعد أنْ قال : إنّ يوم الدين أضيف إليه مالك على الاتساع — فظاهره التنافى بينهما ، لأنّ الإضافة على الاتساع لفظيّة ، وكون المعنى على الظرفيّة يقتضى أنّ الإضافة معنويّة . فدفعه السيّد بقوله : يعنى أنّ الظرف — وإن قُطِع فى الصورة عن تقدير فى ، وأُوقع مَوقِع المفعول به — إلا أنّ المعنى المقصودَ الذى سيق الكلام لأجله ، على الظرفية ؛ لأنّ كونه مالكاً ليوم الدين كنايةٌ عن كونه مالكاً فيه للأمرِ كلّه ، فإنّ تملُّكَ الزمانِ كتملُّك المكانِ يستلزم تملُّكَ جميعِ ما فيه . انتهى .

وإضافةُ الوصف إلى الظرف المذكور ، من قبيل المجاز اللغوىّ عند السيِّد ، ومن باب المجاز الحُكمىّ عند التفتازانىّ .

وردّه السيّدُ بقوله : « ومن قال : الإضافة فى مالك يومِ الدين مجازٌ حُكمىّ ، ثمّ زعم أنّ المفعولَ به محذوف عامٌّ يشهد لعمومه الحذف بلا قرينة ؛ ورَدَ عليه أنّ مثلَ هذا المحذوفِ مقدَّرٌ فى حُكم الملفوظ ، فلا مجازَ حُكمياً كما فى « واسألِ القرْية [1] » ، إذ كان الأهلُ مقدَّرا » . انتهى .

* * *

(١) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[١] :

١٧٥ (أستغفرُ اللهَ ذنباً)

هو قطعة من بيت ، وهو :

أستغفِرُ اللهَ ذنباً لستُ مُحصيَه[٢] ربَّ العبادِ إليه الوجهُ والعَمَلُ

على أنّ الأصل استغفر الله من ذنب ، فحذف مِنْ لأنّ استغفر يتعدّى إلى المفعول الثانى بمن .

ومعناه طلب المغفرة أى الستر على ذنوبه . وأراد بالذنب جميعَ ذُنوبه ؛ فإنّ النكرة قد تعُمّ فى الإثبات . ويدلّ عليه قوله : « لستُ محصيَه » أى أنا لا أُحصى عددَ ذُنوبى التى أذنبتُها ، وأنا أستغفر اللهَ من جميعها . و (ربّ العباد) صفة للاسم الكريم . قال الأعلم : والوجه هنا : القصد والمراد ، وهو بمعنى التوجّه ، أى إليه التوجه فى الدعاء والطلب والمسألة ، والعبادةُ والعملُ له . يريد : هو المستحقّ للطاعة .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسينَ التى لا يُعرَف قائلها .

* * *

٤٨٧ وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد المائة ، وهو من شواهد المفصّل[٣] :

---

(١) فى كتابه ١ : ١٧ . وانظر الخصائص ٣ : ٢٤٧ وابن يعيش ٧ : ٦٣/٨ : ٥١ والعينى ٣ : ٢٢٦ والهمع ٢ : ٨٢ والأشمونى ٢ : ١٩٤ والتصريح ١ : ٣٩٤ .

(٢) فى النسختين : « أحصيه » وإن كان الشنقيطى حورها فى نسخته إلى « محصيه » ، وهو الصواب ، كما فى المراجع وما سيأتى فى الشرح .

(٣) ابن يعيش ٣ : ٨ . وانظر العينى ٣ : ٣٥٩ .

١٧٦ (كَوكَبُ الخَرقاءِ)

وهو قطعة من بيت ، وهو :

إذا كَوكَبُ الخَرْقاءِ لاحَ بسُحْرَةٍ سُهَيلٌ ، أذاعَتْ غَزْلَها فى القَرائبِ

على أنّ الشيء قد يضاف إلى الشيء لأدنى ملابَسة .

بيانه : أنّ الخرقاء هى المرأة التى لا تحسِن عمَلا ، والأخرَق : الرجل الذى لا يحسن صَنعةً وعمَلا — يقال : خرُق بالشيء من باب قرب : إذا لم يَعرِفْ عملَه . وذلك إمّا من تنعُّم وترفُّه ، أو من عدم استعدادٍ [و] قابليّة . ومنه الخرقاء صاحبة ذى الرُّمّة ، فإنّه أوّلَ ما رآها أراد أن يَستطعِم كلامَها ، فقدَّم إليها دلواً فقال : اخرُزيها لى ، فقالت : إنى خرقاء . أى لا أُحسِن العمل ! وليس الخرقاء هنا المرأةَ الحمقاء ، كما تُوُهِّم — فأضاف الكوكبَ إلى الخرقاء ، بملابسةٍ أنّها لما فرّطت فى غزلها فى الصَّيف ولم تستعِدَّ للشتاء استغزَلتْ قرائبَها عند طلوع سُهَيل سحراً — وهو زمان مجيء البرد — فبسبب هذه الملابَسة سمِّى سهيلٌ كوكبَ الخرقاء .

والإضافة لأدنى ملابسة ، من قبيل المجاز اللغوىّ عند السيِّد ، ومن المجاز العقلىّ عند التفتازانىّ . قال السيِّد فى شرح المفتاح فى بيان الإضافة لأدنى ملابسة : « الهيئة التركيبيّة فى الإضافة اللاميّة موضوعة للاختصاص الكامل ، المصحِّحِ لأن يُخبر عن المضاف بأنّه للمضاف إليه . فإذا استُعمِلتْ فى أدنى ملابَسةٍ ، كانت مجازاً لُغوياً ، لا حُكميًا ، كما تُوُهِّمَ . لأنّ المجاز فى الحكم إنّما يكون بصرف النسبة عن محلّها الأصلىّ إلى محلٍّ آخَر ، لأجل ملابسةٍ بين المحلَّين . . وظاهرٌ أنّه لم يقصِدْ صرفَ نسبةِ الكوكب ، عن شيء ، إلى الخرقاء بواسطة ملابسةٍ بينهما ، بل نسبَ الكوكب إليها لِظُهور جدِّها فى تهيئة ملابس

الشتاء : بتفريقها قُطنَها فى قرائبها ليُغزَل لها فى زمان طلوعه ، الذى هو ابتداء البرد ؛ فجُعِلتْ هذه الملابسة بمنزلة الاختصاص الكامل . وفيه لطف » .
انتهى كلامه .

وبه يسقط أيضاً كلام السيِّد[1] عيسىٰ الصفَوىّ فى جعله هذه الإضافةَ حقيقيّة وليست من المجاز فى شىء ، فإنّه قال فى مناقشته : فإنّ ذلك مما لم يُفهَم من كلامهم ، والأصل الحقيقة . مع أنّهم صرحوا بأنّ اللام معناه الحقيقىّ مطلقُ الاختصاص بمعنى المناسبةِ التامّةِ وزيادة الخُصوصيّة . فلا مجاز فى قولنا كوكب الخرقاء . انتهى .

و (كوكب الخرقاء) : فاعلٌ بفعل محذوف يفسِّره لاح . و (سهيلُ) بالرفع : عطف بيان لكوكب الخرقاء . وجملة (أذاعت) جواب إذا . وأذاعت أى فرّقت ؛ وفاعله ضمير المضاف إليه ، أعنى الخرقاء . ورُوى : (أشاعت غزْلَها) أى فرّقته ؛ متعدِّى شاع اللبنُ فى الماء : إذا تفرَّق وامتزج به . قال الأصمعىّ : إذا طلع سهيل عند غروب الشمس أوّلَ الليلِ ، كان وقت تمام السنة ؛ وفى الشتاء يطلع من أوّل الليل ؛ وفى آخر الصيف قُبيلَ الشتاء من آخر الليل .

وقد أنشد ابن السكِّيت هذا البيت فى أبيات المعانى ؛ وأورد بعده :

(وقالت: سَماء البيتِ فوقَكَ مُنهِجٌ ولمّا تُيسِّرْ أحبلاً للركائب)

وقال : تقول لزوجها — إذا لاح سهيل — : سَماء البيت فوقَكَ مُنهِج ، أى مخلق ، ولمّا تيسِّر لركائبنا أحبلاً ؛ فكيف تنتجع على هذه الحالة ؟ انتهى .

فجملة قالت معطوفٌ على أذاعت .

---

(١) ط : « أيضا ما للسيد » ، صوابه فى ش .

٤٨٨ قال ابن الأنباريّ : البيت عند العرب إنّما هو من صوف أو شَعَر ؛ فإذا كان من شجر فهو خَيمة . والسماء : السقف ، مذكّر ، وكل عالٍ مُظِلٍّ سماء . والمُنْهِج: اسم فاعل من أنهج الثوبُ : إذا أخذ فى البِلى . وتُيسِّر : تسهَّل وتهيَّأ ، مجزوم بلمّا . وأحبُل : جمع حبْل وهو الرَّسَن ونحوُه . والركائب : جمع رِكاب ؛ والرِّكاب بالكسر : الإبل التى يُسارُ عليها ، الواحدة راحلة ؛ وليس له واحدٌ من لفظه .

* * *

باب المفعول له

أنشد فيه ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

١٧٧ (يرْكَبُ كُلَّ عاقرٍ جُمْهُورِ مَخافةً وزَعَلَ المحْبُورِ)
(والهَوْلَ مِنْ تهوُّلِ الهُبورِ)

على أن (زَعلَ المحبور) و (الهولَ) مفعول لأجله . وفيه ردٌّ على الجَرمىّ فى زعمِهِ أنّ المسمَّى مفعولاً لأجله هو حالٌ . فيلزَم تنكيره .

وبيان الردّ : أنّ الأوّل معرَّف بالإضافة ، وهى إضافة معنويّة ؛ والثانىَ معرَّفٌ بألْ ، فلا يكونان حالَين ، فتعيَّن أن يكون كلٌّ منهما مفعولاً لأجله .

وقال ابن برّىّ ، فى شرح أبيات الإيضاح : وانتصاب مخافةَ ، وزعلَ والهولَ ، المعطوفينِ عليه ، على المفعول له . وأصله اللام ، فلمّا سقط الخافضُ تعدَّى إليه الفعل . والرياشىّ زعم أنّه لا يكون إلا نكرةً كالحال والتمييز . وسيبويَه يجيزُ الأمرين . انتهى .

(١) فى كتابه ١ : ١٨٥ . وانظر ديوان العجاج ٢٨ وابن يعيش ٢ : ٥٤ .

وهذا من أرجوزة للعجّاج . شبّه بعيرَه في السُرعة بالثّور الوحْشيّ الموصوف بهذا الوصف . فقوله (يركب) فاعلُه ضمير الثورِ الوحشيّ الذى خافَ من الصياد فذهب على وَجهه مسْرِعاً ، يصعد تِلالَ الرمْل ، ويعتسف المشاقّ .

و (العاقرُ) : العظيم من الرمْل الذى لا يُنبِتُ شيئاً ، شبِّه بالعاقر التى لا تَلِدُ قال أبو عبيدة : العاقر من الرمل : العظيم . وقال غيره : المشرِف الطويل . وهذا التفسير كلُّه واحد ؛ لأنّ المشرفَ الطويلَ والرملَ العظيم لا يُنبِتُ ، لعدم التراب والرطوبة التى يَكسِبُها المطمئنُّ السهلُ من الرمل . و (الجُمهور) بالضم : الرملة المشْرفة على ما حَولهـا ، وهى المجتمِعة ؛ وهو صفةٌ لعاقر . وإنّمـا خصّه ، لأن بقر الوحش إذا دهِمَها القانصُ اعتصمت بركوب الرمل ، فلا تقدِرُ الـكلابُ عليها . وقوله (مخافة) ، مفعول لأجله . قال صاحب اللباب : للمفعول له علّةُ الإقدام على الفعل ، يكون سبباً غائياً كقوله :

وأغفرُ عوراء الـكريمِ ادّخارَه[1]

وسبباً باعثاً ليس غايةً يُقصَدَ قَصـدها ، نحو قوله — وأنشدَ شعرَ العجّاج — فالخوف ، والزَّعل ، والهوْل ، كلٌّ منها سببٌ باعثٌ على ركوب الجمهور ، لا سببٌ غائىّ . و (زعَلَ) معطوفٌ على مخافة ؛ وهو بالزاى المعجمة والعين المهملة بمعنى النشاط ، مصـدر زَعِلَ من باب فرح ؛ والوصف زَعِلٌ بالـكسر . قال ذو الرُّمّة يصف ثوراً :

ولّى يَهُذُّ انهزاماً وَسْطَها زَعِلاً   جَذْلانَ قد أفرَختْ عن رُوعِهِ الـكُرَبُ[2]

وقال طرَفة بن العبد :

---

(١) انظر الشاهد ١٧٩ فيما سيأتى .

(٢) يهذ : يقطع الفلاة . وفى ديوانه ٢٧ : « يهز انهزاما » وفى شرحه : « أى يمر مرا سريعا » . ط : « يهر » ، وأثبت ما فى ش .

* وبلادٍ زَعِلٍ ظِلمانُها[1] *

و (المحبور) : اسم مفعول من حَبَرَنى الشىء إذا سَرَّنى ؛ من باب قتل .

فزَعَلَ مصدرٌ مضاف إلى فاعله ، فليس مفعولاً لأجله لاختلاف الفاعل ، ٤٨٩ وإنّما هو مصدرٌ تشبيهىّ . أى زَعلاً كزَعَل المحبور ، فالمحذوف هو المفعول له. وقوله : و (الهَوْلَ) معطوف على مخافة ؛ وهو مصدرُ هالَهُ يهولُه هَوْلاً : إذا أفزعه . قال الشارح : فالهول معناه الإفزاع لا الفزَع ، والثور ليس بمُفزِع بل هو فزِع . فالفاعلان مختلفان . وقد جوَّزه بعضُ النحويِّين، وهو الذى يقوَى فى ظنى وإن كان الأغلبُ هو الأوّل[2] أ هـ .

وقد فسّره شراح أبيات الكتاب بالفزع ، وهو المشهور . وعليه فالفاعل متّحد .

ونقل أبو البقاء فى شرح الإيضاح الفارسىّ عن بعضهم أنّه معطوفٌ على كلّ عاقر ، أى يركب كل عاقرٍ ، ويركب الهول ؛ فيكون مصدراً بمعنى اسم المفعول .

و (التهوُّل) تفعُّلٌ منه ؛ وهو أن يعظُم الشىء فى نفسك حتى يهُولك أمرُه . و (الهُبور) جمع هَبْر بفتح فسكون ، وهو ما اطمأنّ من الأرض وما حوله مرتفع . وروى شارح اللب :

* والهولَ من تهوُّرِ الهُبور *

وقال : الهول : الخوف . والتهوُّر : الانهدام . أى ولمخافته من تهوُّر

---

(١) عجزه كما فى ديوان طرفة ٦٦ :

* كالمخاض الجرب فى اليوم الخدر *

(٢) انظر شرح الرضى ١ : ١٧٦ ، ١٧٧ .

الأمكنة المطمئنّة . وقد استدلّ صاحبُ اللبِّ لتعريف المفعول له بزعلَ المحبور فقط ، من هذا الشعر . قال شارحه : وإنّما لم يذكر آخرَ البيت — ليكون شاهداً أيضاً للمفعول له المعرَّفِ باللام ، وهو الهول ، كما ذكرَ المعرَّف بالإضافة ـ لأنّه ذكَرَ فى شرح أبيات الكتاب أنّ الهول عطفٌ على كلٍّ ؛ وعلى هذا يكون مفعولا به لا مفعولاً له ؛ فلا يكون الإتيانُ به نصاً فى الاستشهاد . اه

قال ابن خلف : زعلَ المحبور عطف على مخافَة ، والهولَ معطوف على كلٍّ ثم قال : والأصل لمخافةٍ ، ولزعلِ المحبور ، وللهولِ ، أى لأجل هذه الأشياء يركبُ كلٌّ كثيب . هذا كلامه .

وترجمة العجاج تقدمت فى الشاهد الحادى والعشرين[1]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد المائة ، قول ابن دُرَيد :

١٧٨ (والشَيخ إن قوَّمتَه مِنْ زَيغِه   لم يقِمِ التثقيفُ منه ماالتَوىٰ)

على أنه يجوز أن يقال ضربته تقويماً فما استقام ، إذ قد يطلق أنه حصل التأثير[2] .

والتقويم : التعديل ، يقال : قوّمته تقويماً فتقوّم ، بمعنى عدّلته فتعدل ، ومثله أقامَه أى عدله . و (الزيغ) الميل ، يقال زاغت الشمسُ تَزيغ زَيغاً وأزاغَهُ إزاغة أى أماله . و (التثقيف) تعديل المعوَجّ . و (منه) متعلّق بيقُم . و (ما) موصولة أو موصوفة ، ويجوز أن تكون مصدريّة . و (التوىٰ) تعوّج ، وفاعله ضميرُ ما على الأوّل ، وضمير الشيخ على الثانى . وجملة الشرط والجزاء فى محلّ رفع خبر المبتدإ الذى هو الشيخ .

---

(١) الخزانة ١ : ص ١٧٠   (٢) انظر شرح الرضى ١ : ١٧٦

صاحب الشاهد — وهذا البيت من مقصورة ابن دُريد المشهورة . وقبلَ هذا البيت :

بعض المقصورة

(والناسُ كالنبتِ : فمنهُ رائقٌ ... غَضٌّ نضيرٌ عُودُه مُرُّ الجَنيْ
ومنه ما تقتحِمُ العينُ فإنْ ... ذُقتَ جَناهُ انساغَ عَذْباً فى اللَّها
يُقوِّمُ الشارخُ مِنْ زَيْغانِهِ[1] ... فيَستوى ما انعاج مِنهُ وانْحنيْ
والشيخ إن قوّمتَه من زَيغه ... . البيت
٤٩٠ كذلك الغُصنُ : يسيرٌ عطفُه ... لَدْناً ، شديدٌ غَمزُه إذا عَسا
مَن ظلَمَ الناسَ تحامَوْا ظلمَهَ ... وَعزَّ فيهم جانِباه واحتمىٰ
وهمْ لمن لانَ لهم جانبُه ... أظلمُ من حيّاتِ أنباثِ السَفىْ
والناسُ كُلاًّ إنْ فحصتَ عنهمُ ... جميعَ أقطارِ البلاد والقُرى[2]
عبيدُ ذى المال ، وإن لم يطعموا ... من غمره فى جُرْعةٍ تَشفى الصدىٰ
وهمْ لمن أملقَ أعداءٌ وإن ... شاركهمْ فيما أفادَ وحوَىٰ)

وتقتحمه العينُ . تَقُوته وتزدريه . واللَّها بالفتح : جمع لَهَاة ، وهى ما بين منقَطعِ أصلِ اللسان إلى منقَطع القلب من أعلى الفم . والشارخ : الشابّ . والزيغان : العدول عن الحق ، وانعاج . انعطف . و « ما » فيه الوجهان . وقوله : كذلك الغصن ، الإشارة راجعة إلى تقويم الشارخ والشيخ . واللَّدْن : اللّين ، والطرىّ . والغمز : العصر باليد والهزّ . وعسا : صلب واشتدّ . وقوله : أظلم من حيّات الخ ، الأنباث : جمع نَبْث بنون فموحّدة فمثلّثة ؛ فى القاموس : النَّبْث كفلس : النبش ، وقيل : التراب المستخرج من البئر . والسَّفَى ، بسين مهملة مفتوحة وفاء : التراب ؛ وهذا من قولهم فى المثل : « أظلمُ من

---

(١) الأصل فى ياء الزيغان ، هو الفتح ، وأسكنه للضرورة .

(٢) الميمنى : «هذا البيت لا يشبه سائر المقصورة ولا يوجد فى طبعة الجوائب ١١٢ ولا فى غيرها»

حيّة[١] ، لأنّها لا تحفر جُحراً ، وإنما تأتى إلى جُحر قد احتفره غيرُها فتدخل فيه وتغلِب عليه ؛ فكلّ بيت قصدت إليه هربَ أهلُه منه وخلَّوه لها .

وهذه القصيدة طويلة ، عدتُها مائتان وتسعة وثلاثون بيتاً ، لها شروح لا تُحصىٰ كثرة . وأحسن شروحها شرح العلاّمة الأديب أبى على محمّد ابن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخميّ السَّبْتيّ . وقد شرحتها أنا شرحاً موجَزاً مع إيضاح وافٍ ، وتبيين شافٍ ، فى أيام الشبيبةِ . نفع الله به .

ومدح ابنُ دريد بهذه المقصورة الشاهَ وأخاه أبا العباس إسماعيل ابنَي ميكال يقال : إنها اشتملت على نحو الثلث من المقصور . وفيها كلّ مثَلٍ سائر ، وخبرٍ نادر ؛ مع سلاسة ألفاظٍ ، ورشاقة أُسلوبٍ ، وانسجام معان يأخذ بمجامع القلوب .

وهذه نُبذةٌ من نسَبه وأحواله . وهو أبو بكر محمّد بن الحسَن بن دُريد[٢] وينتهى نسبُه إلى الأزْد بن الغَوْث ، ومنه إلى قحطان ، وهو أبو قبائل اليمن .

ولد بالبَصرة فى سنة ثلاثٍ وعشرين ومائتين ، ونشأ بها ، وتعلّم فيها ؛ ثم ارتحل منها مع عمّه عند ظهور الزِنج ، وسكَن عُمان ، وأقام اثنتىْ عشرةَ سنة ؛ ثم عاد إلى البَصرة ، وسكن بها زماناً ؛ ثم خرج إلى نواحى فارس ، وصحب ابنَيْ ميكال — وكانا يومئذ على عمالة فارس — وعمِل لهما كتابَ الجمهرة ، وقلّداه ديوان فارس ، فكانت الكتبُ لا تُكتَب إلاّ عن رأيه[٣] ، ولا ينفُذ أمرٌ إلاّ بعد توقيعه . وكان سخيّاً [متلافاً[٤]] لا يُمسك درهما .

---

(١) انظر الحيوان ١ : ٢٢٠/٤ : ١٤٩ ، ١٥٠ ، ٢٠٠/٦ : ٤٠١ .
(٢) دريد : مصغر أدرد تصغير ترخيم . والدرد ، محركة : ذهاب الأسنان .
(٣) سه : « وكانت لا تصدر كتب فارس إلا عن رأيه » .
(٤) التكملة من سه .

ومدحهما بهذه القصيدة المقصورة ، فوصلاه عشرة آلاف درهم[1] . ثمّ انتقل من فارس إلى بغداد ، ودخلها سنة ثمان وثلثمائة ، بعد عزل ابنَي ميكال وانتقالها إلى خراسان . ولما دخل بغداد أنزله عليُّ بنُ محمّد فى جواره وأفضلَ عليه ، وعرَّف الخليفةَ المقتدرَ العباسىَّ مكانَه من العلم ، فأجرىْ عليه فى كل شهرٍ خمسين ديناراً ، ولم تزل جاريةً عليه إلى حين وفاته . وتُوفِّى يومَ الأربعاء لاثنتَي عشرةَ ليلةً بقيت من شعبانَ سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ببغداد .

٤٩١ وكان مواظباً على شُرب الخمر ، قال أبو منصورٍ الأزهرىّ : دخلتُ عليه فرأيته سكرانَ فلم أعدِلْ إليه[2] . وقال ابن شاهين : كنّا ندخُل عليه فنستحيي ممّا نرى عنده من العِيدان والشَّراب المصفَّى . وعرض له فى رأس التسعينَ من عُمره فالجٌ وسُقِىَ التِرْياقَ فبَرِىء وصحَّ ورجَعَ إلى أفضلِ أحواله . ثم عاوده الفالج بعد عام ، لغذاءٍ ضارٍّ تناولَه ، فكان يحرِّك يديه حركةً ضعيفة ، وبطَل من مَحزِمه إلى قدميه ، فكان إذا دخل عليه داخلٌ ضجَّ وتألَّم لدخوله . قال تلميذه أبو علىّ القالىّ : كنتُ أقول فى نفْسى : إن الله عزّ وجل عاقبَه لقوله فى هذه المقصورة ، يخاطب الدهر :

مارستْ مَنْ لو هوتِ الأفلاكُ مِنْ جوانبِ الجوِّ عليه ماشكا

وكان يصيح من الداخل عليه صياحَ من يُنخَس بالمسالِّ — والداخلُ بعيد — وكان مع هذه الحال ثابتَ الذهن كاملَ العقل . وعاش مع الفالج عامَين . وكنت أسأله عن أشياء فى اللغة فيردُّ بأسرعَ من النفَس ، بالصواب . وقال لى مرّة — وقد سألته عن بيت — لئن طُفِئتْ شَحمتاَ عينىَّ لمْ تجد مَنْ يَشفِيك من العلم . وكان ينشد كثيراً :

(١) الصواب (بعشرة آلاف درهم) .
(٢) كذا فى النسختين . وفى معجم الأدباء ١٨ : ١٣١ : « فلم أعد إليه » .

فواحَزنى أن لاحياة لذيذة ولا عملٌ يرضَىٰ به اللهُ صالحُ !

وأشهر مشايخه : أبو حاتم السِجِستانىّ ، والرياشىّ ، وعبدُالرحمن ابن أخى الأصمعىّ ، والأُشْنانْدَانىّ . وسمع الأخبار من عمّه الحسين بن دُريد ، ومن غيره . وله من التآليف : الجمهرة فى اللغة ، وكتاب السَّرْج واللجام ، وكتاب الأنواء وكتاب المجتنى[1] وهذه الكتب عندى والحمد لله والمنّة .. وله كتاب الاشتقاق ، وكتاب الخيل الكبير ، والصغير ، وكتاب الملاحن[2] وكتاب زوّار العرب[3] ، وكتاب الوشاح[4] ، وغير ذلك .

وكان واسعَ الرواية لم يُرَ أحفظ منه ؛ وكانوا يقرءون عليه دواوين العرب فيسابِق إلى إتمامها ، من حفظه . وله شعر رائق . قال بعض المتقدّمين : ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء .

قال المسعودىّ فى مُروج الذهب : كان ابنَ دريد ببغدادَ ممّن بَرع فى زماننا فى الشعر . وانتهى فى اللغة ؛ وقام مقام الخليل بن أحمد فيها ، وأورد أشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدّمين . وشعره أكثر من أن يُحصىٰ .

* * *

(١) فى النسختين : « المجتبى » ، تحريف ، وقد طبع الكتاب فى حيدر أباد ١٣٤٢ بعناية المستشرق الفاضل كرنكو . وقال ابن دريد فى أوله : « سميناه كتاب المجتنى لاجتنائنا فيه ظرائف الآثار ، كما تجتنى أطايب الثمار » .

(٢) طبع فى مصر سنة ١٣٤٧ بتحقيق إبراهيم بن طفيش الجزائرى سنة ١٣٤٧ وطبع كذلك فى مصر سنة ١٣٢٣ وقبل ذلك فى ليدن سنة ١٨٥٩م وجوتا سنة ١٨٨٢م . وفى النسختين : « الملاحم » ، تحريف .

(٣) وكذا عند ابن خلكان . وعند ابن النديم والقفطى : « رواة العرب » . وهذا كله تحريف ، صوابه « رواد العرب » . وقد طبع هذا الكتاب فى مجموعة « جرزة الحاطب وتحفة الطالب » فى ليدن سنة ١٨٥٩ م باسم « السحاب والغيث ، وأخبار الرواد وما حمدوا من الكلأ » .

(٤) منه ورقتان فى (الميكروفلم) رقم ١٨٩٥ فى مجموعة من مكتبية الاسكوريال .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

١٧٩ (وأَغْفِرُ عَوراء الكَريمِ ادِّخارَهُ
وأُعرِضُ عن شَتمِ اللّئيمِ تَكرُّما[٢])

على أنه يَرِدُ على مَن اشتَرط التنكيرَ فى المفعول له هذا البيتُ وبيتُ العجّاج السابِقُ . فإنّ قوله : (ادّخارَه) مفعول له ، وهو معرفة .

قال الأعلَم : « نصب الادخارَ والتكرُّمَ على المفعول له ؛ ولا يجوز مثلُ هذا حتّى يكون المصدرُ من معنى الفعل المذكور قبلَه ، فيضارعَ المصدرَ المؤكِّد لفعله ، كقولك : قصدتك ابتغاء الخير . فإن كان المصدرُ لغير الأوّل لم يجُزْ حذفُ حرف الجرّ ، لأنّه لا يشبه المصدر المؤكِّد لفعله ، كقولك : قصدتُك لرغبة زيدٍ فى ذلك ، لأنّ الراغب غير القاصد » انتهى .

لكن المبرّد أخرجَهما من هذا الباب وجعَلهما من باب المفعول المطلق ، قال فى الكامل: « قوله : ادّخارُه ، أى أدّخرُه ادّخارا . وأضافَه إليه كما تقول: ادّخاراً له . وكذلك تكرما ، إنّما أراد التكرُّمَ فأخرجَه مُخرَجَ أتكرّمُ تكرُّما » انتهى .

٤٩٢

و (أغفر) : أستُر ؛ يقال : غفر الله لى ، أى ستر عنّي العقوبة فلم يعاقبْنى . و (العَوراء) بالفتح : الكلمة القبيحة ؛ ومنه العَورة للسَوءة

(١) فى كتابه ١ : ١٨٤ . وانظر ديوان حاتم ١٠٨ والكامل ١٦٥ ونوادر أبى زيد ١١٠ وابن يعيش ٢ : ٥٤ والعينى ٣ : ٧٥ والأشمونى ٢ : ١٨٩ والتصريح ١ : ٣٩٢ .

(٢) ويروى : « وأصفح عن شتم اللئيم » و « وأصفح عن ذات اللئيم » كما فى نوادر أبى زيد ١١٠ .

وكلُّ مايُستَحى منه . و (الادّخار) افتعال من الذُخر . وروى أبو زيد فى نوادره :

* وأغفرُ عوراء الكريمِ اصطِناعَهُ *

وهو افتعال أيضاً من الصُّنْع ، وهو الفعل الجميل . و (الإعراض) عن الشىء : الصفح عنه . يقول : إذا بلغتنى كلمةٌ قبيحةٌ عن رجُل كريم قالَها فىّ ، غفرتُها له لأجل كرمه وحسبَه ، وأبقَيتُ على صداقته وادّخرتُه ليومٍ أحتاجُ إليه فيه — لأنّ الكريم إذا فرّط منه قبيحٌ ندِمَ على مافعل ، ومنَعه كرمُهُ أن يعود إلى مثله — وأُعرِض عن ذمِّ اللئيم ، إكراماً لنفسى عنه ! وما أحسنَ قولَ طرَفَةَ بنِ العبْد[1] :

وعَوراء جاءت من أخٍ فرددتُها ... بِسالمةِ العَينينِ طالبةٍ عُذْرا !

وهذا من إحكام صَنعة الشعر ومقابلَةِ الألقاب بما يُشا كلها ويتمّ معانيها : وذلك أنّه لمّا كان الكلامُ القبيحُ يشبَّه بالأعورِ العينِ ، سُمِّى ضدُّه سالمَ العينين .

وقد أورد صاحبُ الكشّاف هذا البيتَ فى التفسير ، عند قوله تعالىٰ (حَذَرَ المَوْتِ) على أنّه مفعول له ، معرَّفاً بالإضافة ، كما فى ادّخارَه .

وهو من قصيدة طويلةٍ لحاتمٍ الطائىّ ، تتعلق بالكرم ومكارم الأخلاق . وهى مسطورة فى الحماسة البصريّة وغيرها . وهى هذه :

(وعاذِلَتين هَبَّتا بعد هَجْعةٍ ... تلومانِ مِتلافاً مُفيداً مُلوَّما

---

(١) لم يرد هذا البيت فى ديوانه . ونسب فى ذيل الأمالى ٦٢ إلى حاتم طيىء ، وليس فى ديوانه أيضا . وانظر الحيوان ٦ : ٤٠ .

تلومانِ ، لمّـا غوّرَ النجمُ ، ضَلّةً ، فتًى لا يرى الإنفاقَ في الحمد مَغرَما(١)
فقلتُ ، وقد طال العتابُ عليهما وأوعدتمانى أن تَبينا وتَصْرما :(٢)
ألا لاَ تلُومانى على ما تقدَّما كفى بصُروف الدهر للمرء مُحْكِما
فإنّكما لا ما مضى تدرِكانه ، ولستُ على ما فاتنى متندِّما
فنفَسك أكرمْها ، فإنّك إن تَهُن عليكَ فلن تلقى لها الدهرَ مُكرِما(٣)
أهِنْ للذى تَهوى التلادَ ، فإنّه إذا مُتَّ كان المـال نَهباً مقسَّما
ولا تشقَيَنْ فيه فيَسعَدَ وارثٌ به ، حين تغشى أغبرَ الجوفِ مُظلِما(٤)
يقسِّمه غُنْماً ويَشرى كِرامَه وقد صرتَ فى خطٍّ من الأرضِ أعظُما(٥)
قليلاً به ما يحمدَنَّك وارثٌ إذا نالَ ممّـا كنتَ تجمَعُ مغنَما(٦)
تحلَّمْ عن الأدنَينَ واستبقِ وُدَّهمْ ولن تستطيعَ الحِلمَ حتّى تحلَّما
وعوراءَ قد أعرضتُ عنها فلم تَضِرْ وذى أوَدٍ قوَّمتُه فتقوَّما
وأغفر عوراءَ الكريم ادّخارَه(٧) . . . . البيت
ولا أخذُلُ المولى وإن كان خاذلاً ولا أشتُمُ ابنَ العمِّ إن كان مُفحَما
ولا زادَنى عنه غناى تَباعُداً وإن كان ذا نقصٍ من المال مُصْرِما(٨)

---

(١) النوادر : « لما غور النسر » .
(٢) الديوان : « ولو عذرانى » .
(٣) الديوان : « فلن تنق » بالقاف .
(٤) الديوان : « تخشى » ، والنوادر : « تحشى » .
(٥) النوادر : « يبيعه غنما » .
(٦) الديوان « قليل .. إذا ساق » . وفى النوادر : « تجمع مقسما » .
(٧) فى الديوان والنوادر « اصطناعه » .
(٨) ط : « مناى » صوابه فى سه والديوان . ط : « مضرما » صوابه من سه : والمصرم : القليل المال .

وليل بهيمٍ قد تسربلتُ هَولَه … إذا الليلُ بالنِّكسِ الدنِيء تجهَّما[1]

ولن يَكسِبَ الصُّعلوكُ حمداً ولا غِنى … إذا هو لم يركبْ من الأمر مُعظَما

لحا اللهُ صُعلوكاً مناهُ وهمُّه … مِن العيش أن يَلقى لَبوساً ومَغنَما!

٤٩٣

يَنامُ الضحى، حتَّى إذا نومُه استوى … تنبَّه مثلوجَ الفؤاد مُوَرَّما[2]

مقيماً مع المثرِينَ ليس ببارحٍ … إذا نال جَدوَى من طعامٍ ومَجثِما

ولله صعلوكٌ يساوِرُ همَّه … ويمضي على الأحداث والدهرِ مُقدِما!

فتى طِلِباتٍ لا يرى الخَمصَ تَرحة … ولا شَبعةً إنْ نالَها عدَّ مَغنَما

يرى الخَمصَ تعذيباً، وإنْ يَلقَ شَبْعة … يَبِتْ قلبُه، من قِلَّةِ الهمِّ، مُبهَما[3]

إذا ما رأى يوماً مكارمَ أعرضتْ … تيمَّمَ كُبراهُنَّ ثُمَّتَ صَمَّما

ويَغشَى إذا ما كان يومُ كريهةٍ … صدورَ العوالي، فهْوَ مختضبٌ دَما

يرى رُمحَه، ونَبلَه، ومِجَنَّهُ … وذا شُطَبٍ عَضْبَ الضريبةِ مِخذَما

وأحناءَ سَرجٍ قاترٍ، ولِجامَه، … عَتادَ فتى هَيجا، وطِرفاً مسوَّما[4]

فذلك إن يَهلِكْ فحُسنَى ثناؤُه … وإن عاشَ لم يقعُد ضعيفاً مذمَّما)

قوله: هَبَّتا، أي استيقظتا. وغوَّرَ النجمُ: أي غابت الثريا. وقوله: ضَلّة، هو قيدٌ في اللوم، لامه ضَلّة: إذا لم يوفَّق للرشاد في لومه. والمَغْرَم بالفتح الغرامة. وأغبر الجوف: القبر، ومثله: خطٌّ من الأرض. وقوله: حتى تَحلَّما، أي تتحلّم أي تتكلّف الحِلم. وهذا البيت من شواهد مُغني اللبيب.

---

(١) الديوان والنوادر: «بالنكس الضعيف».

(٢) الديوان: «ليله استوى». والمورم: الضخم من الرجال.

(٣) في النسختين: «ولم يلق شبعة» صوابه من الديوان والنوادر.

(٤) ط: «سرج قاتر» صوابه في ش والديوان، وسيفسرها البغدادي.

وقوله : فلَمْ تَضِرْ ، من ضار يضير ضدّ نفع . والأَوَد بفتحتين : الاعوجاج . والنِّكْس ، بكسر النون : الردئ ؛ وأصلُه السَّهم الذى كُسِر فُوقُه . وتجهَّم : كلَح وجهُه . وَلحاَ الله : قَبحَ اللهُ . والصُّعلوك بالضمّ : الفقير . ومثلوج الفؤاد : البليد الذى ليست فيه حَرارةٌ من الهِمَّة . والمَجْثِم ، بفتح الميم وكسر المثلّثة : مكان الجثوم ، وهو بُرُوك الطائر . وقوله : ولِلّهِ صُعلوك ، تعجُّبٌ ومدحٌ ، يقال عند استغراب الشيء واستعظامِه ؛ أى هو صُنْع الله ومُختارُه ، إذ له القدرة على خلق مثله . ويُساوِر : يواثِب . وهمَّه ، أى عزْمه ، مفعول . وقوله : ويمضى على الأحداث ، أى لا يشغَلُه الدهرُ وحوادِثُه فى حالةِ إقدامِه على ما يُريد . وقوله : فتَي طَلِباتٍ ، إشارةٌ إلى علوّ همّته . والخَمْص بالفتح : الجوع . والتَرْحة : ضدُّ الفَرْحة . والشَّبْعة : المرّة من الشَّبْع . وثُمَّتَ : حرفٌ يعطف الجُمَل . ورمحَه ، وما عطف عليه : مفعولٌ أوّل ليَرَى ؛ وعَتادَ هو المفعول الثانى . وذا شُطَب ، هو السيف ، جمع شطبة : وهى الطَريقة فى مَتْن السيف . والمِجَنّ بالكسر : التُرْس والدَّرَقة . والعَضْب : القاطع . والضَّريبة : موضع الضرب والمِخذَم بكسر أوّله وبالمعجمتين : السيف القاطع ؛ وبإعجام الثانى فقط ، من الخَذْم وهو القطع السريع . والأحْناء : جمع حِنو بالكسر ، يطلق على ما فيه اعوجاجٌ من القَتَب والسَّرْج وَغيرهما . والقاتر ، بالقاف وبالمثنّاة الفوقيّة : الواقى والحافظ ، لا يَعقر ظَهْر الفَرَس . وعَتاد ، بالفتح : العُدَّة . وطِرْفا : معطوف على رمحَه الذى هو أوّل مفعولَى يرى ؛ وهو الكريم من الخيل . والمسوَّم المُعلَم تشهيراً لعِتْقه ولكرمه ، من السُّومة وهى العلامة ، أو المسيَّب فى المرعى ولا يركب إلاّ فى الحروب . وقوله : فذلك إن يَهلِك الخ ، الحُسنىٰ : مصدر كالبُشرىٰ ؛ وقيل : اسم للإحسان .

٤٩٤ والمعنى : لله فقيرٌ[١] يواثبُ هِمَّتَه ويَمضى مُقدِماً على الدهر ، والحالُ أنَّه فتيّ طَلِباتٍ يتجدَّد طلبُهُ كلَّ ساعة ، والدَّهرُ يُسعفه بمطلوبه لِجدِّه ورَشْده ، ولا يرى الجوعَ شدَّة ولا الشِّبَع غنيمةً ، لعلوِّ همته . فإن يَهلِك فله ثناء حَسَن ، وإن يَعِشْ يَعِشْ ممدَّحاً معزَّزاً .

واستشهد صاحب الكشّاف بهذه الأبيات ، من قوله : صُعلوكٌ يُساورُ همه ، إلى آخر الأبيات السبعة[٢] عند قوله : (أولَئكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ[٣]) على أنّ اسمَ الإشارة ، وهو أولئك ، مؤذِنٌ بأنّ المذكورِينَ قبلَه أهلٌ لاكتسابِ ما بعدَه للخصال التى عُدَّت لهم . فإنّه تعالى ذكَر المتّقين بقوله : (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ[٤]) ثم عدَّدَ لهم خِصالاً مِنْ كونهم يُؤمنون بالغيب ، ويُقيمون الصلاةَ ، ويُنفقون ممّا رزقهم الله ، ويؤمنون بما أُنزل على رسوله ، ويوقنون بالآخرة . ثم عقَّب ذلك بقوله :

فذلك إن يَهلِك فَحُسنَى ثناؤُه . . . . البيت

حاتم الطائى و (حاتم) هو حاتم بن عبد الله بن سَعْد بن الحَشْرَج بن امرِئ القَيْس ابن عَدِىّ بن أخزَم الطائىّ[٥] الجواد المشهور ، وأحد شعراء الجاهليّة . ويكنَى أبا عدىّ ، وأبا سفَّانة ، بفتح السين وتشديد الفاء . وابنه أدرك الإسلام وأسلَمَ .

---

(١) فى النسختين : « سر فقير » ، وحورها الشنقيطى إلى ما أثبت .

(٢) لم يستشهد الزمخشرى بألفاظ هذه الأبيات ، ولم يذكر أنها سبعة . ونص كلامه : « كما قال حاتم : ولله صعلوك . ثم عدد له خصالا فاضلة . ثم عقب تعديدها بقوله : فذلك إن يهلك .. إلى آخر البيت » .

(٣) الآية ٥ من سورة البقرة .

(٤) الآية ٢ من سورة البقرة .

(٥) ط : « أحزم » ، صوابه فى ش . وهو أخزم بن أبى أخزم الذى يضرب المثل فيقال « شنشنة أعرفها من أخزم » . الاشتقاق ٣٩١ .

وقد مضت ترجمته فى الشاهد الثامن والخمسين[1] .

أخرج أحمدُ فى مُسنَده ، عن ابنه عَدىٍّ قال : قلتُ يا رسولَ الله : إنّ أبى كان يَصِلُ الرحمَ ويفعل كذا وكذا، قال : إنّ أباكَ أرادَ أمراً فأدركَه، يعنى الذِّكْرَ .

وكانت سَفّانةُ بنته أُتِيَ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا محمّد ، هلَكَ الوالدُ ، وغابَ الوافدُ ، فإنْ رأيتَ أنْ تُخلِّيَ عنِّي ، ولا تشمِتَ بى أحياءَ العرَب ! فإنّ أبى سيِّدُ قومه : كان يفكُّ العانىَ ، ويحمى الذمارَ ، ويفرِّج عن المكروب ، ويُطعِم الطعامَ ، ويُفشى السَلام ، ولم يطلبْ إليه طالبٌ قطُّ حاجةً فردَّه ! أنا ابنة حاتم طيّ ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا جاريةُ ، هذه صفة المؤمن ! لو كان أبوكِ إسلامياً لترحّمنا عليه ! خلُّوا عنها ، فإنّ أباها كان يحبُّ مكارمَ الأخلاق ! »

قال ابنُ الأعرابىّ : كان حاتمٌ من شعراءِ الجاهليّة ، وكان جواداً يُشبه جودَه شعرُه ، ويصدِّق قولَه فعلِه ؛ وكان حيثُما نزلَ عُرِف مَنزِله ؛ وكان مظفَّرا : إذا قاتَل غلَب ، وإذا غَنِم أنهبَ ، وإذا ضرب بالقِداح فاز ، وإذا سابق سَبَقَ ، وإذا أسَر أطلق ؛ وكان أقسمَ بالله : لاَ يقتلُ واحدَ أمِّه ، وكان إذا أهلَّ رجبٌ نَحر فى كلِّ يوم عشرةً من الإبل وأطعَم الناسَ واجتمعوا عليه . وكان أوَّل ماظهرَ من جُوده ، أنّ أباه خَلّفه فى إبله ــ وهو غلام ــ فمرَّ به جماعةٌ من الشعراء ، فيهم عَبيدُ بنُ الأبرَص وبِشْر بن أبى خازم ، والنابغة الذُبيانى ، يريدون النُّعمانَ بن المنذر ؛ فقالوا له : هل مِنْ قِرًى ؟ (ولم يَعرِفْهم) فقال : أتسألونى القِرىٰ وقدْ رأيتم الإبلَ والغنمَ ؟ انزِلوا ! فنزلوا ، فنحر

(١) كذا . وصوابه فى الشاهد الأربعين . انظر الجزء الأول ص ٢٨٦ .

لكل واحدٍ منهم ، وسألهم عن أسمائهم ، فأخبروه ، ففرّق فيهم الإبلَ والغنمَ ، وجاء أبوه ، فقال : ما فعلتَ ؟ قال : طوّقتُك مجدَ الدهر ، تطويق الحمامة ، وعرَّفه القضيّة . فقال أبوه : إذاً لا أساكِنُك بعدَها أبدا ، ولا أوويك ! فقال حاتم : إذاً لا أبالى !

وأخبار كرم حاتم كثيرة وشهيرة .

ونذكر قضيّة قِراه بعد موته[1] :

روى مُحرِز مَولى أبى هريرة قال : مرّ نفرٌ من عبد القيس بقبرِ حاتم ، فنزلوا قريباً منه . فقام إليه رجل يقال له أبو الخيبَرىّ ، وجعل يَركُض برجله قبرَه ، ويقول : اقْرِنا . فقال بعضهم : وَيلَكَ ! ما يدعوك أن تَعرِض لرجلٍ قد مات ؟ ! قال : إن طَيِّئاً تزعُم أنّه ما نزل به أحدٌ إلاّ قراه . ثمّ أجنّهم الليل ، فناموا . فقام أبو الخيبرىّ فَزِعاً ، وهو يقول . واراحِلتاه ! فقالوا له : مالك ؟ قال : أتانى حاتم فى النوم وعقَر ناقتى بالسيف ، وأنا أنظر إليها ، ثمّ أنشدَنى شعراً حفظته ، يقول فيه :

أبا الخيبَرِى وأنت امرؤٌ ظلومُ العشيرة شتّامُها

أتيتَ بصَحْبِكَ تبغى القِرى لدى حُفرةٍ قد صَدَتْ هامُها[2]

أتبغى لىَ الذمَّ عند المبيت وحولك طىٌّ وأنعامُها

فإنا سنُشبِع أضيافَنا ونأتى المطىَّ فنعتامُها

فقاموا وإذا ناقة الرجل تَكُوس عَقيراً ، فانتحروها وباتوا يأكلون ،

(١) انظر المستجاد رقم ٣٧ والمحاسن المنسوب للجاحظ ٦٣ والبيهق ١ : ١٤٦ والقالى ٢ : ١٥٥ والإصابة (ترجمة أبى الخيبرى) .

(٢) ويروى : « صيحت هامها » ، وفى معنى « صدت هامها » قول ذى الإصبع :

يا عمرو الا تدع شتمى ومنقصتى أضربك حيث تقول الهامة اسقونى

٤٩٥

وقالوا قرانا حاتم حيًّا وميتاً ! وأردفوا صاحبهم وانطلقوا سائرين ، وإذا برجل راكب بعيراً ويقود آخر قد لحقهم ، وهو يقول : أيُّكم أبو الخيبَرىّ ؟ قال الرجل : أنا . قال : فخذ هذا البعير ، أنا عَدِىٌّ بن حاتم ، جاءنى حاتمٌ فى النوم وزعَم أنّه قَرا كم بناقتك ، وأمرنى أن أحملكَ ؛ فشأنَك والبعيرَ ؛ ودفعه إليهم وانصرف . وإلى هذه القضيّة أشار ابن دارة الغطفانىّ فى قوله يمدح عدىّ بنَ حاتم :

أبوك أبو سفّانة الخير لم يزلْ لَدَنْ شبَّ حتّى مات فى الخير راغبا
به تُضرَب الأمثالُ فى الشعر ميّتاً وكان له إذ ذاك حيًّا مصاحِبا[1]
قَرى قبرُه الأضيافَ إذْ نزلوا به ولم يَقرِ قبرٌ قبلَه الدهرَ راكبا[2]

* * *

باب المفعول معه

أنشد فيه وهو الشاهد الثمانون بعد المائة :

١٨٠ (جَمَعْتَ ، وفُحْشاً ، غِيبةً ونَميمةً
ثلاثَ خِلالٍ لستَ عنها بمرعَوِى[3])

على أن أبا الفتح بن جنّي أجاز تقدُّمَ المفعولِ معه على المعمول المصاحب ؛ متمسّكاً بهذا البيت ، والأصل جمعتَ غِيبةً وفُحشاً . والأولَى المنع ، رعاية لأصل الواو . والشعر ضرورة .

(أقول) : أجازه[4] ابن جني فى الخصائص قال : ولا يجوز تقديم المفعول

---

(١) فى ديوان حاتم ١١٢ : « فى الجود ميتا » و « إذا كان حيا » .
(٢) الديوان : « قط راكبا » .
(٣) الخصائص ٢ : ٣٨٣ والقالى ١ : ٦٨ والعينى ٣ : ٨٦ والهمع ١ : ٢٢٠ والأشمونى ٢ : ١٣٧ والتصريح ١ : ٣٤٤ / ٢ : ١٣٧ .
(٤) ط : « ذكره » ، وأثبت ما فى ش .

معه على الفعل ، من حيث كانت صورة هذه الواوِ صورةَ العاطفة ، ألا تراك لاتستعملها إلاّ فى الموضع الذى لو شئت لاستعملت العاطفة فيه ! فلما ساوقت[1] حرف العطف قبح : والطيالِسةُ جاء البَرْدُ ، كما قبح : وزيدٌ قام عمرو ، لكنّه يجوز جاء والطيالسةَ البَرْدُ كما تقول : ضربت وزيداً عمراً ، قال :

جمعتَ وفحشاً غِيبة ونميمة . . . . . . البيت . انتهى

وقال ابن الشجرىّ فى أماليه : ولا يجوز تقديم التابع على المتبوع للضرورة إلاّ فى العطف[2] دون الصفة والتوكيد والبدل . ثم قال : وإنما جاز فى الضرورة تقديمُ المعطوفَ ، لأن المعطوف غيرُ المعطوف عليه ، والصفة هى الموصوف ، وكذلك المؤكَّد عبارة عن المؤكَّد ، والبدل إما أن يكون هو المبدل أو بعضه ، أو شيئاً ملتبساً به . ومثلَه :

ألا يا نخلةً من ذات عِرْق عليكِ ورحمةُ اللهِ السلامُ . . اهـ ٤٩٦

فجعلَه من باب تقديم المعطوف ، لا من باب تقديم المفعول معه ، لأنه هو الأصل . لكنْ فى تنظيره نظر ، فإنّ قوله ورحمة الله ، معطوف عند سيبويه على الضمير المستكنّ فى الظرف أعنى قوله عليكَ كما تقدم بيانه[3] . وقوله خلالاً[4] ، بدل من قوله غيبة ونميمة وفحشاً ، جمع خَلّة بالفتح كالخصلة لفظاً ومعنى . وارعوى عن القبيح : رجعَ عنه .

وهذا البيت من قصيدة جيّدة فى بابها ، ليزيدَ بن الحكم بن أبى العاص

(١) ط : « سوفت » سه : « سوقت » صوابهما من الخصائص .
(٢) ط : « لا فى العطف » ، صوابه فى سه وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٧٩ .
(٣) الخزانة ١ : ص ٣٩٩ : ٢ ص ١٩٢
(٤) هذا التفات عن روايته للبيت إلى رواية الفارسى فى المسائل البصرية ، وهى كما سيأتى : « خلالا ثلاثا » . وقد جعلها الشنقيطى : « ثلاث خلال » .

صاحب الشاهد

الثَّقَفىّ . قال الأصبهانىّ فى الأغانى[1] : عاتب فى هذه القصيدة ابنَ عمِّه عبدَ الرحمن بن عثمانَ بن أبى العاص ، وله قصائد أُخر يعاتب فيها أخاه عبدَ ربِّه ابنَ الحكم .

وأورد هذه القصيدة القالىُّ فى أماليه[2] والأصبهانىّ فى أغانيه ، وابنُ الشجرىّ فى أماليه مختصرةً . وفى رواية كلِّ واحدٍ منهم ما ليس فى رواية الآخر .

وأوردها أبو علىّ الفارسىُّ بتمامها فى المسائل البصرية وهذه روايته — لكنه قال : قالها لأخيه من أبيه وأمِّه عبد ربِّه بن الحكم . وليس كذلك كما يظهر منها :

(تُكاشِرُنى كُرْهاً كأنَّكَ ناصحٌ ... وعينُك تُبدى أنَّ صدرَك لى دَوِى

لسانُكَ لى أرىٌ وغَيبُك عَلْقمٌ ... وشرُّكَ مبسوطٌ وخيرُك ملتوى[3]

تُفاوِضُ مَنْ أطوِى طوَى الكَشْحِ دونَه ... ومِن دون مَنْ صافيتَه أنت منطوِى

تُصافِحُ مَنْ لاقيتَ لى ذا عَداوةٍ ... صِفاحاً وعَنِّي بينُ عينِك منزوِى[4]

أراكَ إذا استغنَيتَ عنّا هجرتَنا ... وأنتَ إلينا عند فقرِكَ مُنضوِى

إليك انعَوى نُصحى ومالى كلاهما ... ولستَ إلى نصحى ومالى بمُنعوِى

أراك إذا لم أهوَ أمراً هَويتَه ... ولستَ لما أهوَى من الأمرِ بالهوِى

---

(١) الأغانى ١١ : ١٠٠ . وقال أبو الزعراء : إن بعض أبياتها لطرفة . فقال الأصبهانى : « ما اظن أبا الزعراء صدق فيما حكاه » .

(٢) الأمالى ١ : ٦٨ .

(٣) فى النسختين : « وعينك علقم » ، وقد يتجه ، لكنه يعارض كلام الفارسى نفسه فى هذا البيت كما سيأتى ، ولا يتفق مع رواية القالى وإن كان يوافق ما فى الأغانى .

(٤) وكذا فى الأغانى ، ورواية القالى : « وعنى بين » .

أراكَ اجتويتَ الخيرَ منّي وأجتوى ... أذاكَ فكلٌّ مُجْتوٍ قُرْبَ مجتوى[1]

فليتَ كَفافاً كان خيرُك كلُّه ... وشرُّكَ عنّي، ما ارتوى الماءَ مُرْتَوِى

لعلَّكَ أنْ تنأى بأرضِكَ نِيَّةٌ ! ... وإلاَّ فإنّى غيرَ أرضِكَ مُنْتَوى

تَبَدَّلْ خليلاً بى، كشكلِكَ شَكلُه، ... فإنّى خليلاً صالحاً بك مقتوى

فلَمْ يُغْوِنى ربِّى فكيفَ اصطِحابُنا ... ورأسُكَ فى الأغوىْ من الغَىِّ منغوى!

عدوُّك يخشى صَولتى إن لقيتُه ... وأنت عدوّى ليس ذاك بمستوى

وكم موطنٍ لولاىَ طِحْتَ كما هَوَى ... بأجْرامِهِ من قُلَّة النِيق مُنْهَوِى

نَداكَ عن المولى ونصرُكَ عاتمٌ ... وأنتَ له بالظُّلْم والغِمْرِ مختوى

تودُّ له، لو نالَهُ نابُ حيَّةٍ ... رَبِيبِ صَفاةٍ بين لِهْبَيْنِ مُنحَوِى

إذا ما بنى المجدَ ابنُ عمِّكَ، لم تُعِنْ ... وقلتَ: ألا بل ليتَ بُنيانَهُ خَوِى[2]

كأنّكَ إنْ قيلَ ابنُ عمِّكَ غانمٌ ... شَجٍ أو عَميدٌ أوْ أخو مَغْلَةٍ لَوِى[3]

تملَّأتَ من غيظٍ علىَّ، فلم يزلْ ... بكَ الغيظُ حتى كدتَ فى الغيظِ تنشوى

فما بَرِحتْ نفسٌ حسودٌ حُشِيتَها ... تذيبُك حتى قيلَ: هل أنتَ مكتوِى[4]

وقال النِطاسيُّون: إنّكَ مُشعَرٌ ... سُلَالاً! ألا بل أنتَ من حسدٍ جَوِى[5]!

---

(١) رواية أبى الفرج:

أراك احتويت الخير منى وأحتوى ... أذاك فكل يحتوى قرب محتوى

فيحسن صدر الكلام ويفسل آخره، وهو محرف ما هو هنا وفى الأمالى.

(٢) القالى والأصبهانى: «ألا ياليت».

(٣) الأغانى:

كانك إن نال ابن عمك مغنما ... شج أو عميد أو أخو علة لوى

(٤) الأمالى: «حسبتها تذيبك»، والأغانى: «حسبتها بذنبك».

(٥) الأمالى: «ذوى».

فديتَ امرأً لم يَدوَ للنأى عَهـدُهُ وعهدُكَ من قبلِ التنائى هو الدَّوِى
« جمعتَ وفحشاً غِيبةً ونميمةً : خِلالاً ثلاثاً لستَ عنها بمرعوى »
أفحشاً وخِبًّا واختناءً على الندَى كأنَّكَ أفعى كُـديةٍ فرَّ ، مُحجوِى
فيدحو بك الداحى إلى كلِّ سَوءةٍ فياشرَّ مَن يدحو بأطيَشِ مُدْحَوِى[1]
أتجمعُ تسآلَ الأخِلاَّءِ ما لَهمْ ، ومالَكَ من دون الأخلاء تَحتوى !
بَدَا منكَ غشٌّ طالما قد كتمتَه كما كتمتْ داءَ ابنها أمُّ مُدَّوِى)

قوله : تكاشرنى الخ ، يقال : كاشَر الرجلُ الرجلَ : إذا كشَّر كل واحد منهما لصاحبه ، وهو أن يبدىَ له أسنانَه عنـد التبسُّم ، وكرها بضمّ الكاف وفتحها : مصدرٌ وُضِع فى موضع الحال ؛ والدَّوِى : وصفٌ من الدَّوَى بالفتح والقصر : المرض ، دوِىَ يدوَى كفرح يفرح ؛ ودَوِى صدرُه أيضاً أى ضَغِن .

وقوله : لسانك لى أرىٌ الخ ، الأرْى : العسل ؛ والعَلْقم : الحنظل ؛ وحذف أداة التشبيه للمبالغة . قال أبو علىّ فى الإيضاح الشِعرىّ : اللسان هنا إمّا بمعنى الجارحة ، أو بمعنى الكلام : فإن جعلته من هذا أمكن أن يكون لى متعلّقا به ، كقولك : كلامُك لى جميل ؛ وإن جعلتَه بمعنى الجارحة احتمل أن تريد المضاف فتحذفَه ، فإذا حذفته احتمل وجهين : أحدهما أن يكون من قبيل صلَّى المسجدُ ، أى أهلُه ؛ والآخر أن تحذف المضافَ فتجعل اللسانَ كالكلام ؛ كما قالوا اجتمعت اليمامةُ : أى أهلُ اليمامة ، فجعلوهم كأنّهم اليمامة ؛ فإذا جعلتَه كذلك أمكنَ أن يتعلَّق به لى ، كما يتعلّق بالوجه الأوّل . ويجوز أن يكون لى ،

---

(١) الأغانى :

ويدعو بك الداعى إلى كل سوءة فياشر من يدعو إلى شر من دعى

وقوله : أرْىٌ ، الخبَر ، مثل : حلوٌ حامض . ويجوز فيه أن تجعله خبراً لقوله لسانُك ، وتريد به الجارحة ، لأنك تقول : فلان لطيف اللسان ، تريد به الكلامَ وتلقِّيَ الناسِ بالجميل ، فيحتمل ضمير المبتدأ ، وتجعلَ أرْياً بدلاً من الضمير فى لى . ويجوز أن يكون لى حالاً ، كأنه أراد : لسانك أرْىٌ لى فيكون صفةً فلمّا تقدم صار حالاً . . فإن قلتَ : إنّ أرْىٌ معناه مثل أرْى ، فالعامل معنى فعلٍ لم يجز تقدُّم الحال عليه ! فأقول : لك أن تضمر فعلاً يدلّ عليه هذا الظاهرُ ، فيُنصَب الحالُ عنه ، كأنه قال : لسانك يُستحلَى ثابتاً لى . أو لأنّها كالظرف ، فعمل فيها المعنَي . وأن تَجعَل اللِّسان حدثاً أشبهُ للتشاكل[1] لأنه عُطِفَ عليه ، وهو الضَيب اهـ .

وقوله : تُفاوض من أطوِى الخ ، فاوضه : إذا أظهر له أمرَه ، وأطوى ضدّ أنشُر[2] ، والطَّوَى : الجوع ، وهو مصدر طوِىَ يطوَى من باب فرح ، وهو مفعولُ أطوى : أى تظهر أمرَك لمن أُخفى عنه جوعى ، أى تنبسط فى الكلام عند عدوٍّ ولاأظهِره على شىء من أمورى ، وتنقبض عن أصدقائى ولا تظهرهم على شىء من أمرك نِكايةً فىّ .

وقوله : وعنّي بينُ عينك منزوى ، بينُ مرفوع بالابتداء لأنّه اسمٌ لا ظرف ، ومنزوى خبره ، وعنّي متعلق به ، يقال : انزوت الجلدة فى النار : أى اجتمعت وتقبّضت ، و : زوى مابين عينيه أى قبضها .

وقوله : وأنت إلينا عند فقرك منضوى ، انضوى إليه . لجأ وانضم إليه

وقوله : إليك انعوى نُصحى ومالى ، انعوى بمعنى انعطف وهو مطاوع[3] عويته أى عطفته .

(١) فى النسختين : « التشا كل » .

(٢) فى النسختين : « النشر » ، وحورها الشنقيطى إلى « أنشر » .

(٣) ط : « بمعنى عطف ، وهو مضارع » ، صوابه فى س .

وقوله : أراك إذا لم أهوَ أمراً ، هوِىَ الشىء يهواه هوًى من باب فرح : إذا أحبّه ، وهوَى بالفتح يهوِى بالكسر هُوِيًّا ، وكذلك انهوى : إذا سقط إلى أسفل ، وقد جاء[1] فى قوله :

وكم موطنٍ لولاى طحتَ كما هوى . . . . البيت

وقوله : أراك اجتويت الخير ، اجتواه بالجيم أى كرهه . وقوله : فليت كَفافا كان خيرك الخ ، يأتى شرحُه إن شاء الله تعالى فى ليت من أخوات الحروف المشبَّهة فى أواخر الكتاب[2] . وقوله لعلك أنْ تنأى الخ ، أى أرجو أن تنأى من أرضك أى تبعد عنها ، من النأى وهو البُعد ، وإلاّ : أى وإن لم تنأ ، فإنِّى عازمٌ على الرحيل عنها[3]. يقال : نويت نِيّة وكذلك انتويت ، أى عزمت .

وقوله : بك مقتوى ، قال فى الصحاح : « القَتْو : الخدمة . وقتوت أقتُو قَتْواً ومَقْتًى : أى خدمت . يقال للخادم مَقْتَوِىٌّ — بفتح الميم وتشديد الياء — كأنّه منسوب إلى المَقْتَى وهو مصدر . . ويجوز تخفيف ياء النسبة ». قال أبو علىّ فى الإيضاح الشِعرىّ : نصب خليلا بفعلٍ مضمَر يدلّ عليه مقتَوى . أى أقتو [ى] خليلاً . ويأتى شرح هذه الكلمة مفصّلة فى الشاهد الثالث والخمسين من بعد الخمسمائة .

وقوله : وكم موطن الخ ، طاح الرجل يطوح ويطيح : إذا هلك . والأجرام : جمع جِرم بالكسر ، وهو الجسم ، كأنّه جعل أعضاءه أجراماً توسعاً ، أىْ سقط بجسمه وثِقْله . وليس معناه هاهنا الذنوب كما فسّره ابن

---

(١) فى النسختين : « جاه » .
(٢) فى الشاهد الرابع والثمانين بعد الثمانمائة .
(٣) ط : « عن الرحيل عنها » ، صوابه فى سه .

الشجريّ به، فإنّه غير مناسب. والنِيق بكسر النون: أرفعُ الجبل. وقُلّته: ما استدَقّ من رأسه. وسيأتى، إن شاء الله تعالى، شرحُ هذا البيت فى باب الضمائر(١).

وقوله: نداك عن المولى، الندَى: الُجود. والمولى: ابنُ العمّ. وعنْ متعلّقة بعاتم، أى بطىء؛ يقال: عتَم من باب ضرب: إذا أبطأ وقصّر. ونصرُك: معطوفٌ على نَداك؛ وخبره محذوف. والغِمر، بكسر الغين المعجمة: الِحقد والغلّ؛ يقال: غمِرَ صدرُه علىّ من باب فرح. ومختوِى بالخاء المعجمة: الجائر المسقِط(٢).

وقوله: تودّله لونَابَهُ نابُ حيّةٍ، الحيّة معروفة، تكون للذكر والأنثى، قالوا: فلان حيّةٌ ذكر، والتاء للواحد من الجنس، كبطّة ودجاجة، وهنا بمعنى الذكَر بدليل الوَصف للربيب، من ربّ فلانٌ ولدهَ بمعنى ربّاه، فعيل بمعنى مفعول. والصفَاة: الصخرة الملساء. واللِهْب، بكسر اللام، ومثلهاللّصْب، قال أبو علىّ فى المسائل البصرية: هو الشقّ فى الجبل. والمنحوِى، بالنون والحاء المهملة: المجتمِع.

وقوله: ليت بُنيانَه خوِى، يقال: خوى المنزلُ من باب رضى يرضى ورمى يرمى، لغتان: أى سقط؛ قال تعالى: ﴿فهِىَ خاوِيةٌ على عُرُوشِها(٣)﴾ أى ساقطة على سقوفها.

وقوله: شجٍ أو عميد الخ، هو خبر كأنّ، والشَّجِي: الحزين المهموم. والعَميد: الذى قد عَمَده المرض، أى هدّه حتى احتاج إلى أن يُعمَد: أى

---

(١) فى الشاهد ٣٩٥.

(٢) كذا فى ط، وهو الصواب. وفى ش: «المقسط».

(٣) الآية ٤٥ من سورة الحج.

يستَد [١] فهو فعيل بمعنى مفعول . والمَغْلَة بفتح الميم وسكون الغين المعجمة ، قال أبو عليّ : علّة تـكون فى الجوف . واللوِى : الذى فى جوفه وجع ، تقول: لَوِىَ لَوًى كفرح فرحًا .

وقوله : فما برحت نفسٌ حسودٌ الخ ، النفس تذكَّر وتؤنث ، ولهذا وصفها بالمذكّر وأنّث لها الفعل والضمير . وحُشِيَتها بالبناء للمفعول والخطاب ، من الحشو ، يقال : حشَوت الوسادةَ وغيرَها حشواً . وروى (حسِبتها) بضمير المتكلّم من الحساب وهو الظنّ . والنُّطاسيُّون : العلماء بالطبّ ، الواحد نِطاسيّ . ومُشْعَر : اسم مفعول : أى ملبَسٌ شِعاراً ، بالكسر ، وهو ما ولى الجسدَ من الثياب . والسُلاَل بالضمّ : مرض السلّ . والجوى : من الجوَى وهو داء قلب [٢] ، وفعله من باب فرح .

٤٩٩

وقوله : لم يدوَ للنأى عهده ، تقدم تفسير دَوِى . وقوله : أَفُحْشاً وخِبًّا الخ الخِب بكسر الخاء المعجمة : مصدر خَبِبْتَ يارجلُ تَخَبّ خِبًّا ، من باب علم : إذا خدَع ومَكر . والاختناء بالخاء المعجمة وبعد المثنّاة الفوقيّة نون قال أبو علّى القالّى فى أماليه : هو التقبّض . والندَى : الجود . والكُدْيَة بالضمّ : الأرض الصُلْبة . وأراد بالأفعى الأُفعوانَ وهو ذكَر الحيّات ، ولهذا أرجع الضمير إليه مذكّرا . ومُحْجَوِى بتقديم المهملة على الجيم ، قال أبو علّى القالى فى أماليه نقلا عن ابن دريد : المحجَوى المنطوى .

وقوله : فيدحو بك الداحى الخ ، الدحو : الرمى ، يقال : ادْحَه أى ارمِه ، ويقال للفرس : مرّ يدحو دَحواً ، وذلك إذا رمى بيديه رمياً لا يرفع سُنْبُكَه عن الأرض كثيراً . والسَّوءة بالفتح : القبح والعيب . وأطيَش من الطَّيْش

(١) فى النسختين : « أى يشتد » .

(٢) جعلها الشنقيطى : « داء قلبي » .

وهو الخفّة . ومُدحوىّ أى مرمىّ ، بناه من ادحَوّاه لغة فى دحاه أى رماه

وقوله : « كما كتمت داء ابنها أمُّ مُدَّوِى » قال الأصمعىّ فى كتاب الصفات ، وابنُ دريد فى الجمهرة ، وأبو علىّ القالىّ فى أماليه ، وابنُ الأثير فى المرصَّع واللفظ له : أمّ مُدَّوِى يُضرب بها المثل لمن يورِّى بالشىء عن غيره ويَكنى به عنه . وأصله أنّ امرأة من العرب خطبت على ابنها جارية ، فجاءت أمُّها إلى أمِّ الغلام تنظُر إليه . فدخل الغلام فقال لأمه : أدَّوِى ! بتشديد الدال على أفتعل . فقالت له : اللجام معلّق بعمود البيت فِى السَّرْج فى جانبه . فأظهرت أنّ ابنها أراد أداة[1] الفرَس للركوب فَكتَمَتْ بذلك زَلَّة ابنها عن الخاطبة . وإنّما أراد ابنُها بقوله أدّوى ، أكلَ الدُّوَاية بضمّ الدال ، وهى القشرة التى تعلو اللبَن والمرق ، تقول منه : دوّى اللبن بتشديد الواو ، وقد ادَّويت على وزن افتعلت فأنا مُدَّوٍ بتشديد الدال فيهما ، أى أكلت الدُّواية . وأنشد هذا البيت .

وترجمة يزيد بن الحكم تقدمت فى الشاهد التاسع فى أوائل الكتاب[2]

* * *

وأنشد فيه ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد المائة :

١٨١ (عَلَفْتُها تِبناً وماء بارداً[3])

على أن التقدير : وسقيتها ماء . وقال ابن هشام فى مغنى اللبيب : وقيل

---

(١) فى النسختين : « إداوة » وجعلها الشنقيطى « أداة » .

(٢) الخزانة ١ : ص ١١٣

(٣) الخصائص ٢ : ٤٣١ وابن الشجرى ٢ : ٣٢٠ وابن يعيش ٢ : ٨ والعينى ٣ : ١٠١/٤ : ١٨١ والهمع ٢ : ١٣٠ وشرح شواهد المغنى ٣١٤ وأمالى المرتضى ٢ : ٢٥٩ والأشمونى ٢ : ١٤٠ والتصريح ١ : ٣٤٦ .

لا حذفَ ، بل ضمّن علفتها معنى أنلتها وأعطيتها . وألزموا صحّةَ نحوِ علفتها ماء بارداً وتبناً ، فالتزموه محتجّين بقول طرَفة :

* لها شَنَبٌ ترعى به الماء والشجرْ[1] *

وأورده صاحب الكشّاف عند قوله تعالى : (أفيضوا عَلَيْنا مِنَ الماء أو ممّا رَزَقَكُمُ اللهُ[2]) على تضمين أفيضوا معنى ألقُوا ، ليصحّ انصبابه على الشراب والطعام معاً ، أو على تقديرٍ بعد أو[3] أى أو ألقوا مما رزقكم الله ، كهذا البيت فى الوجهين .

وأورد له العلّامة الشيرازىّ والفاضلُ اليمنيُّ صدراً ، وجعل المذكورَ عجزاً هكذا :

(لما حطَطْتُ الرحْلَ عنها واردا عَلَفْتُها تبناً وماء باردا)

وجعله غيرُهما صدراً وأورد عجزا كذا :

(حتّى شَتَتْ همّالةً عيناها)

ولا يُعرَف قائله . ورأيتُ فى حاشية نسخةٍ صحيحة من الصحاح أنّه لذى الرُّمّة ففتّشتُ ديوانه فلم أجدْه فيه .

٥٠٠ وشَتَت بمعنى أقامت شتاءه ، فى القاموس : شتا بالبلد أقام به شتاء كشتّى وتشتّى ، وفاعله ضمير مستتر عائد إلى ما عاد إليه ضمير عَلَفتها . وهمّالة حال من الضمير المستتر ، وهو من هملَت العينُ : إذا صبّت دمعَها . وعيناها فاعله .

---

(١) الشنب : حدة الأنياب . ط : « سبب » وقد صححها الشنقيطى بما أثبت مطابقا ما فى الديوان ٤ وانظر العينى ٤ : ١٨١ وشرح شواهد المغنى ٣١٤ .

(٢) الآية ٥٠ من سورة الأعراف .

(٣) أى على تقدير عامل بعد « أو » أى أو ألقوا .

وزعم العينيّ أنّ شتّت بمعنى بدت — ولم أرَ هذا المعنى فى اللغة — وأنّ عيناها فاعله وحمّالة تمييز . وهذا خلاف الظاهر . فتأمّلْ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد المائة ؛ وهو من شواهد سيبويه[1] :

١٨٢ (وما النَّجْدِيُّ والمُتَغوِّرُ)

وهو قطعة من بيت لجميل بن معمر وهو :

(وأنتَ امرؤٌ من أهل نجدٍ، وأهلُنا تَهَامٍ ، وما النَّجْدِيُّ والمتغوِّرُ !)

على أنّ الرفع فى مثله أَوْلى من النصب على المفعول معه .

قال المبرِّد فى الكامل : قولهم : ما أنت وزيد ، الرفعُ فيه الوجه ، لأنّه عطَف اسماً ظاهراً على اسمٍ مضمر منفصل وأجراه مُجراه ، وليس ههنا فعل فيحمَل على المفعول ، فكأنّه قال : ما أنت وما زيد ، وهذا تقديره فى العربيّة ومعناه ، لست منه فى شىء ، وهذا الشعر كما أصِف لك يُنشَد :

وأنتَ امرؤٌ من أهْلِ نجدٍ ، وأهلُنا تَهَامٍ ، فما النجدى والمتَغوِّرُ !

وكذلك قولُه :

تكلّفنى سَوِيق الكَرْمِ جَرْمٌ وما جَرْمٌ وما ذاكَ السَّوِيقُ[2] !

فإن كان الأوّل مضمراً متّصلاً ، كان النصبُ ، لئلا يحمل ظاهر الكلام على مضمر[3] ؛ تقول : مالك وزيداً ، فإنّما تنهاه عن ملابسته ، إذ لم يجزْ وَزيد

(١) فى كتابه ١ : ١٥١ وديوان جميل ٩١ والعينى ٤ : ٤٠٨ وشرح شواهد المغنى ١٧٠ والكامل ١٨٨ .

(٢) نسب فى حواشى سيبويه والكامل إلى زياد الأعجم .

(٣) فى الكامل : « لئلا يحمل ظاهر على مضمر » .

وأضمرتَ ؛ لأنّ حروف الاستفهام للأفعال ، فلو كان الفعل ظاهراً لكان على غير إضمارٍ ، نحو قولك : ما زلتُ وعبدَ الله حتّى فعَل ، لأنّه ليس يريد ما زلتُ وما زال عبدُ الله ، ولكنه أراد : ما زلت بعبد الله ، فكان المفعولُ مخفوضاً بالباء فلمّا زال ما يخفضه وَصل الفعلُ إليه فنصبَه ، كما قال تعالى (وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً[١]) . فالواو فى معنى مع ، وليست بخافضة ، فكان ما بعدها على الموضع ؛ فعلى هذا يُنشَد هذا الشعر :

فما لكَ والتلدُّدَ حَوْلَ نجدٍ وقد غَصَّتْ تِهامةُ بالرجالِ[٢]

ولو قلتَ : ما شأنك وزيداً ، لاختِير النصب ، لأنّ زيداً لا يلتبس بالشأن ، لأنّ المعطوف على الشىء فى مثل حاله . ولو قلت : ما شأنُك وشأنُ زيدٍ ، لرفعته ، لأنّ الشأن يعطف على الشأن . وهذه الآية تفسَّر على وجهين من الإعراب : أحدهما هذا وهو الأجود ، وهو قوله تعالى (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُم[٣]) فالمعنى — والله أعلم — مع شركائكم ؛ لأنك تقول : جَمعتُ قومى وأجمعت أمرى[٤] ويجوز أن يكون لما أدخل الشركاء مع الأمر حمله على مثل لفظه لأن المعنى يرجع إلى شىء واحد فيكون كقوله[٥] :

يا ليت زوجَكِ قد غدا متقلِّداً سيفاً ورُمحا

وقال الآخر :

* شرّاب ألبان وَسَمْنٍ وأَقِطْ *

---

(١) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

(٢) نسب فى حواشى الكامل إلى مسكين الدارمى .

(٣) الآية ٧١ من سورة يونس .

(٤) فى النسختين : « وجمعت أمرى » ، والمعروف ان الجمع مشترك بين الذوات والمعانى ، وأن الإجماع مختص بالمعانى فلا يكون فى الذوات .

(٥) هو عبد الله بن الزبعرى ، كما فى حواشى الكامل .

انتهى كلام المبرّد ، ولجودته سُقناه برمّته .

٥٠١ وقوله : (وما النجْدِىُّ والمتغوِّر) ما مبتدأ والنجدى خبره . والمعنى : أنّ أهلى يرتابون بكَ إذا وجدوك عندهم ، لأنّك غريبٌ بعيدُ الدار منهم ، فينكرون كونَك بينهم ؛ فيجب أن تتجنّبَ وتُعرِض . تحذِّره بنى عمّها كما يأتى بيانه فى الأبيات . . و (تَهام) بفتح التاء منسوب إلى التَهَم بفتحتين ، بمعنى التِّهامة بكسر التاء ، وقد بيّنا هذا مشروحاً فى الشاهد الثامن عشر من أوائل الكتاب[1] . وتَهَام خبرٌ عن قوله (وأهلُنا) وإعرابه كقاض . ولم يقل تَهَامُون ، لأنّه نظر إلى لفظ أهل وهو مفرد ؛ ويجوز نظراً إلى المعنى تَهامون . وقال ابن خلَف : إنّما قال تهام ، لأنّه اكتفى بالواحد عن الجمع ، كقوله :

* كأنّ عينيّ فيها الصاب مذبوحُ[2] *

هذا كلامه فتأمّله .

و (نجد) قال فى الصحاح : هو من بلاد العرب ، وهو خلاف الغَور ، والغَورُ هو تهامة ؛ وكلُّ ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجْد ؛ وهو مذكّر ، وتقول : أنجدنا أى أخذنا فى بلاد نجد . وفى المثل : « أنجَدَ مَنْ رأى حَضَنا » ، وذلك إذا علا من الغَور . وحَضَنٌ محرّكة : جبل . و (المتغوِّر) اسم فاعل من تغوَّر فلان : إذا انتسب إلى الغور . وغار وغَوَّر أيضاً بالتشديد : إذا أتى الغور ؛ قال فى المصباح : « والغور المطمئنّ من الأرض . والغور قيل يطلق على تهامة وما يلى اليمن ، وقال الأصمعىّ : ما بين ذات عِرْق والبحر

(١) الخزانة ١ : ص ١٥٤ وما بعدها

(٢) لأبى ذؤيب الهذلى فى الهذليين ١ : ١٠٤ . وصدره :

* بات الخلىّ وبت الليل مشتجرا *

غورٌ وتِهامة ، فتهامة أوّلها مدارج ذاتِ عرْق من قِبَل نجد إلى مرحلتين وراء مكة ، وما وراء ذلك إلى البحر فهو الغَور » .

والبيت من قصيدة . وقبله :

أبيات الشاهد

(وآخرُ عهدٍ لى بها يوم ودَّعت ... ولاح لها خدٌّ مليح ومَحجِرُ
عَشيَّةَ قالت : لا يَضيعنَّ سِرُّنا ... إذا غبتَ عنّا ، وارعَهُ حينَ تُدبِرُ !
وأعرِضْ إذا لاقيتَ عيناً تخافُها ... وظاهرْ ببغضٍ ، إنّ ذلك أسترُ
فإنّك إن عرَّضتَ بى فى مَقالةٍ ... يَزِدْ فى الذى قد قلتَ واشٍ مكثِّرُ
ويَنشرُ سرًّا فى الصديق وغيرِه ... يَعِزُّ علينا نشرُه حين ينشر
وما زلتَ فى إعمال طَرفِك نحوَنا ... إذا جئتَ[1] حتّى كاد حبُّك يَظهرُ
لأهلىَ ، حتَّى لامنى كلُّ ناصح ... شفيق له قُربَى لدىَّ وأيصرُ[2]
وقَطّعنى فيك الصديق ملامة ... وإنّى لأعصى نهيَهم حين أُزجر[3]
وما قلتُ هذا ، فاعلمنّ تجنّياً ... لِصَرم ، ولا هذا بِنا عنكَ يُقصرُ[4]
ولكنّنى ـ أهلى فداؤكَ ! أتقى ... عليكَ عيونَ الكاشحين وأحذر
وأخشى بنى عمّى عليكَ ، وإنّما ... يَخاف ويُتّقى عِرضَهُ المتفكِّرُ
« وأنت امرؤ من أهل نجدٍ وأهلنا ... تَهامٍ وما النجدىُّ والمتغوِّرُ ! »
وطَرْفُكَ إمّا جئتَنا فاحفظنّه ... فزَيغُ الهوَى بادٍ لمن يتبصَّرُ

(١) بدله فى ط : « بعينك » .
(٢) ط : « له فرى لدى وأبصر » صوابه فى ش والديوان . وفى الديوان : « لدينا »
(٣) سقطت الكلمتان الأوليان من ش ، كما سقطت الأولى وحرفت الثانية إلى « قيد » فى ط ، وإكماله وتصحيحه من الديوان ومراجعه .
(٤) فى النسختين : « تجنبا » صوابه من الديوان ومراجعه . وفى النسختين : « ولا هذا بساعة يقصر » ، صوابه من الديوان ومراجعه .

وقد حُدِّثوا أنَّا التقينا على هوًى فكلُّهمُ من غُلَّة الغيظ مُوقَرُ[1]
فقلت لها : يا بَثْنَ أوصيتِ حافظاً وكلُّ امرئٍ لم يَرعَهُ اللهُ مُعْوِرُ
سأمْنَح طَرفى حين ألقاكِ غيرَكُمْ لكيما يَرَوا أنَّ الهوى حيثُ أُنظرُ
وأكنى بأسماءِ سواكِ ، وأتَّقى زيارتَكم ، والحبُّ لا يتغيَّرُ !

٥٠٢

فكم قدْ رأينا واجداً بحبيبه ، إذا خاف ، يبدى بُغضَهُ حين يَظهَرُ !)

وفى هذه الأبيات استشهاد ، ولهذا ذكرناها

وترجمة جميل بن مَعْمَر العذرى تقدمت فى الشاهد الثانى والستين[2] .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد المائة ، قولَ الراعى . وهو من شواهد س[3] :

١٨٣ (أزمانَ قومى والجماعةَ كالذى منَعَ الرِحالةَ أنْ تميل مميلا)

على أنه على تقدير : أزمان كان قومى والجماعةَ . فالجماعة مفعول معه على تقدير إضمار الفعل .

قال سيبويه : زعموا أنَّ الراعى كان ينشد هذا البيت نصباً . وقال : كأنّه قال : أزمان كان قومى مع الجماعة . وحذف كان لأنهم يستعملونها كثيراً فى هذا الموضع ، ولا لَبس فيه ولا تغيير معنى[4] .

---

(١) فى الديوان : « من حمله الغيظ » .
(٢) الخزانة ١ : ص ٣٩٧
(٣) فى كتابه ١ : ١٥٤ . وانظر العينى ٢ : ٩٥ / ٣ : ٩٩ والهمع ١ : ١٢٢ / ٢ : ١٥٦ وشرح شواهد المغنى ٢٠١ / والأشمونى ٢ : ١٣٨ والتصريح ١ : ١٩٥ وجمهرة القرشى ١٧٦ .
(٤) إلى هنا كلام سيبويه مع تصرف فى اللفظ .

ومثله قوله تعالى (واتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطينُ علَى مُلْكِ سُلَيمانَ[1]) أراد ما كانت تتلو .

قال ابن عصفور : وإنّما حمل على إضمار كان — ولم يحملْ على تقدير حذفِ مضافٍ إلى قومى ، فيكون التقدير : أزمان كونِ قومى والجماعة — لأنّ المصدر المقدَّر بأن والفعلِ من قَبيل الموصولات ، وحذف الموصول وإبقاء شىءٍ من صلته لا يجوز . فإن قلتَ : ما الدليل على أن قومى من قوله : أزمان قومى ، محمولٌ على فعل مضمر ؟ قلتُ : لأنّه ليس من قبيل المصادر ، وأسماء الزمان لا يضاف شىء منها إلاّ إلى مصدر أو جملة تكون فى معناه ، نحو : هذا يومُ قدومِ زيد ، وقولهم : يوم الجَمَل ، ويوم حَليمة ، فهو على حذف مضاف ، أى يوم حرب الجمل ونحوه .

قال الأعلم : « وصفَ ما كان من استواء الزمانِ واستقامةِ الأمور ، قبلَ قتل عثمان وشمول الفِتنة . وأراد التزامَ قومِهِ الجماعةَ وتركَهمُ الخروجَ على السلطان . والمعنى : أزمانَ قومى والتزامهم الجماعةَ وتمسّكهمْ بها كالذى تمسَّك بالرِحالة ومنعها من أن تَميل وتسقط . والرِّحالة (بالكسر) : الرحل ، وهى أيضاً السَّرْج . ضربَها مثلا » اهـ .

وهذا البيت من قصيدة طويلة عدتُها تسعةٌ وثمانون بيتاً ، للراعى . مَدَح بها عبدَ الملك بنَ مرْوان ، وشكا فيها من السُّعاة ، وهم الذين يأخذون الزكاة من قِبَل السلطان . وهى قصيدة جيِّدة ، كان يقول : من لم يَروِ لى من أولادى هذه القصيدةَ وقصيدتى التى أولُها :

بانَ الأحبةُ بالعهدِ الذى عَهِدوا

---

(١) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

— وهي في هذا المعنى أيضاً — فقد عقَّني :

وقبلَ بيت الشاهد :

(أَوَلِيَّ أمْرِ اللهِ إنَّا مَعْشَرٌ ... حُنفَاء نسجدُ بُكْرةً وأصِيلا

عُرْبٌ نرى لله في أموالنا ... حَقَّ الزكاةِ مُنَزَّلاً تنزيلا

قومٌ على الإسلام ، لمّا يَمنَعُوا ... ماعُونَهم ويُضيِّعُوا التهليلا

فادفَعْ مظالمَ عَيَّلت أبناءنا ، ... عنَّا ، وأنقِذْ شِلوَنا المأكولا

فنَرَى عَطِيَّةَ ذاك - إن أعطيتَه - ... مِن ربنا فضلاً ومنك جَزيلا

أنت الخليفةُ حِلمُه وفَعالُه ... وإذا أردتَ لظالمٍ تنكيلا

وأبوكَ ضارَبَ بالمدينة ، وحدَه ، ... قوماً هُمُ جعلوا الجميعَ شُكولا

قتلوا ابنَ عفَّانَ الخليفةَ مُحْرِماً ... ودعَا فلم أرَ مثلَه مخذولا

فتصدَّعتْ من بعد ذاكَ عَصاهُمُ ... شِقَقاً وأصبح سيفُهم مسلولا

حتَّى إذا استعرتْ عَجاجةُ فتنةٍ ... عَمياء ، كان كتابُها مفعُولا [1]

وَزَنتْ أميةُ أمرَها فدعَتْ له ... من لم يكن غُمراً ولا مجهولا

مَرْوانَ أحزَمَها إذا نزلت به ... حُدْبُ الأمورِ وخَيْرَها مسئولا [2]

أزمانَ رفَّعَ بالمدينة ذيلَه ... ولقد رأى زرعاً بها ونخيلا [3]

وديارَ مُلكٍ خَرَّبتها فِتنةٌ ... ومُشيَّداً فيه الحَمامُ ظَليلا

إنِّي حلفتُ على يَمينٍ بَرَّةٍ ... لا أكذِبُ اليومَ الخليفةَ قِيلا :

٥٠٣

(١) ط : « قرت » ، صوابه في سه . وفي الجمهرة : « نزلت عماية فتنة » .

(٢) في الجمهرة : « حدث الأمور » وبعده في التفسير : « حدث الأمور : حوادثها »

(٣) الجمهرة : « ولقد يرى » .

ما زُرتُ آلَ أبى خُبَيْبٍ وافداً يوماً أريد لبيعتى تبديلا
مِن نِعمَةِ الرحمٰن لا مِن حيلتى إنّى أعُدّ له علىَّ فضُولا
« أزمانَ قومى والجماعةَ كالذى لزِم الرِّحالة أن تَميل مَميلا »)

إلى أن قال :

(إنّ السُّعاة عَصَوكَ حين بعثتَهم وأتوا دَواهىَ، لو علمتَ،وَغُولا[1]
إنّ الذين أمرتَهم أن يَعدلوا لم يفعلوا ممّا أمَرْتَ فَتيلا
أخَذوا المخَاض من الفَصيلِ غُلُبّةً ظلُماً ويُكتَب للأمير : أفيلا
أخذوا العَريفَ فقطعُوا حَيزومَه بالأصبَحيّة ، قائماً مغلولا
أخذوا حَمُولَتَه فأصبحَ قاعداً ما يَستطيعُ من الديار حَويلا
يدعو أميرَ المؤمنين ، ودونَه خَرِقٌ تجرُّ بهِ الرياحُ ذُيولا !)

قوله : قوم على الإسلام لمّا يمنعوا ماعونهم ، أورده الزمخشريّ فى تفسيره عند قوله تعالى (وَيمنَعُون الماعُونَ[2]) على أنّ الماعون الزكاة . والتهليل هو قول لا إله إلاّ الله ، أراد كلمة التوحيد . وقوله عَيَّلت أبناءنا ، التعييلُ : سوء الغِذاء ، وعيَّل الرجلُ فرسَه : إذا سيّبه فى المَفازة . والإنقاذ : التخليص . والشِّلْو ، بالكسر : العضو . والشُّكول جمع شَكل بفتح أوّله وكسره : الشِّبه والمِثل ، أى جعلوا الناسَ متخالِفينَ بعد أن كانوا متّحدين . وقوله : قتلوا ابن عفّان الخ ، يقال : أحرم الرجل إذا دَخل فى حُرمةٍ لا تُهتك . قال العسكريّ (فى باب ما وهم فيه علماء الكوفيِّين ، من كتاب التصحيف[3]) :

---

(١) ط : « وأتوا دواعى » ، صوابه فى ش والجمهرة .
(٢) الآية ٧ من سورة الماعون .
(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف ص ١٢١ . وانظر أيضا ص ١٢٧ .

أخبرنا أبو عليّ الكوكبيّ حدّثني محمّد بن سُويد حدّثني محمّد بن هُبيرة قال :
قال الأصمعيّ للكسائيّ — وهما عند الرشيد — : ما معنى قولِ الراعى :

قتلوا ابنَ عفّانَ الخليفةَ مُحرِما . . . . البيت

فقال الكِسائى . كان مُحرِماً بالحجّ . قال الأصمعيّ : فقوله :

قَتلوا كِسْرَى بليلٍ مُحرِما فتولّى لم يُمتَّعْ بكَفَن[1]

هل كان محْرِماً بالحجّ ؟! قال الرشيد للكسائى : يا عليّ إذا جاء الشعر فإيّاك والأصمعيّ ! قال الأصمعيّ مُحْرِم أى لم يأتِ ما تستَحلُّ به عُقوبته ؛ ومن ثَمَّ قيل مسلم مُحْرِم : أى لم يُحِلَّ من نفسه شيئاً يوجب القتل . وقوله : قتلوا كسرى مُحْرِماً ، يعنى حرمةَ العهد الذى كان له فى أعناق أصحابه اه .

وقوله : حُدْبُ الأمور ، جمع أحدَب وحَدْباء ، أراد الأمور المشكلة . وقوله : مازرتَ آل أبى خُبَيب الخ ، أبو خُبيب هو عبد الله بن الزُّبير ، وكان ادّعى الخلافةَ يومئذٍ فى الحجاز . وقوله : إنّى أُعدّ له علىّ فضولا ، هو جمع فَضْل بمعنى الإحسان والإنعام ، وهو العامل النصبَ على الظرفيّة فى (أزمانَ) ويجوز رفعه على الابتداء والخبر محذوف ، أى من الفضول أزمانُ قومى الخ . قال صاحب كتاب التنبيه على ما أشكل من كتاب سيبويه : ويجوز رفع أزمان على أنّه خبر مبتدإ محذوف ، دون إظهار كان ، والواو واو معَ أيضا ، فتكون إضافة أزمان إلى الجملة الإسمية على هذا . ثم قال : والأوّل ، أى النصب على الظرفيّة ، أحسن وأكثر اه .

والسُّعاة : جمع ساع ، وهو كلّ من وَلَىَ شيئاً على قوم ، وأكثر ما يقال

(١) البيت لعدى بن زيد ، كما فى شرح ما يقع فيه التصحيف ١٢٧ . وانظر ملحقات ديوان عدى ١٧٨ .

ذلك فى وُلاة الصَّدقة أى الزكاة . وقوله : أخذوا المَخاض من الفصيل الخ ، المخاض : النوق الحوامل ، واحدها خَلِفة[١] . والفصيل : ابنها . والغُلُبَّة ، بضم الغين واللام وتشديد الموحّدة ، هى الغَلَبة بالتحريك والتخفيف . وهو وظلماً مصدران وَقعا حالَين من فاعل أخذوا . ويجوز نصب الثانى بالأوّل على أنّه مصدر معنوىّ . والأَفِيل ، ككريم ، من أولاد الإبل : ما أتى عليه سبعة أشهر ، وهو منصوب بيَكتُب بالبناء للفاعل ، أى يكتب الساعى . وعلى رواية البناء للمفعول ، وهى المشهورة ، مفعولٌ لفعل محذوف ، أى ويكتُب أخَذْنا من فلان أفيلا . وأورد ابنُ هشام هذا البيتَ فى المغنى على أنّ مِنْ فيه للبدل : أى تأخذ المخاض بدلَ الفصيل . قال ابن يَسْعون : ويجوز أن لا تكون بدليّة ، بل متعلّقة بأخذوا أى انتزعوه من أمّه . ورُوى بدلَه (مِن العِشار) فهى بيانيّة : أى كائنة من العِشار . وقوله : أخذوا العريف ، هو رئيس القوم ومتكلّمهم . والأصبَحيَّة هى السِّياط منسوبة إلى ذى أصْبَحَ من ملوك اليمن ، فإنه الذى اخترعَها . والخَرْق بالفتح : الفلاة .

الراعى

و (الراعى) اسمه عُبَيد بن حُصَين (بتصغيرهما) ابن مُعاوية بن جَندَل ابن قَطَن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نُمير بن عامر بن صعصعة . وكنية الراعى : أبو جندل . ولُقِّبَ الراعىَ لكثرة وصفه الإبلَ والرِعاء فى شعره . وقيل : لُقِّب به ببيت قاله[٢] .

وقال ابن قُتَيبة : اسمه حُصين بن مُعاوية . وكان يقال لأبيه فى الجاهلية الرئيس . وولدُه وأهلُ بيتِه فى البادية سادة أشراف .

(١) ومثله الركاب بمعنى المطى ، واحدها راحلة من غير لفظ الجمع ، وكذا واحدة الإبل ناقة .

(٢) هو كما فى الأمالى ٢ : ١٤٠ والمزهر ٢ : ٤٤٢ عن القالى .

وهو شاعر فحلٌ مشهور ، من شعراء الإسلام ، مقدَّم . ذكره الجُمحىُّ فى الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميّين . وكانَ يقدِّم الفرزدقَ على جرير ، فاستكفَّه جرير فأبى ، فهجاه بقصيدته البائيّة التى مطلعها :

* أقلِّى اللومَ عاذلَ والعِتابا *

ففضحه بها . وتقدَّم بيانه فى ترجمة جرير فى أوائل الكتاب[١] .

وفى المؤتلف والمختلف للآمِدىّ : مَنْ لَقَبُهُ الراعى من الشعراء اثنان : أحدهما هذا ، والثانى اسمه خَليفة بن بشير بن عُمير بن الأحوص من بنى عدىّ بن جَناب . وقيل غير ذلك[٢] .

* * *

باب الحال

٥٠٥

أنشد فيه ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد المائة[٣] :

١٨٤ (يقولُ ، وقد تَرَّ الوظيفُ وَساقُها
ألستَ تَرَى أنْ قَدْ أتيتَ بمُؤْيد ؟!)

على أنَّه يخرج عن تعريفِ الحالِ الحالُ التى هى جملةٌ بعدَ عاملٍ ليس معه ذو حال .

(١) الخزانة ١ : ص ٦٩ وما بعدها
(٢) انظر المؤتلف ١٢٢ فى النقل تصرف كبير .
(٣) البيت من معلقة طرفة . وانظر المنصف لابن جنى ١ : ٢٦٩ .

بيانه : أنّ جملة (وقد ترّ الوَظيف) حال ، وعاملها يقول ، ولا صاحب لها ؛ وأمّا فاعل يقول — وهو الضمير المستتر فليس صاحبَ الحال ، لأنّها لم تبيّن هيئتَه ، إذْ ليست من صفاته . وهذا إنّما يرد على تعريف المصنّف الحالَ فإنّه اعتَبر فيه تبيينَ الهيئة ولا يرد على تعريف الشارح ؛ فإنّه لم يعتبر فى الحدّ تبيين الهيئة . وقد أوّل الناسُ تعريفَ المصنِّف على وجوه ، منهم السيّدُ ركن الدين فى شرحه الكبير على الكافية ؛ وابنُ هشام فى شرح التسهيل ومغنى اللبيب ، وكذا الدَّمَامينيُّ وغيره .

(وترّ) بالمثنّاة الفوقيّة والراء المهملة ، قال ابن دُرَيد : تَرَّ العظمُ يَتُرُّه تَرًّا إذا قطعه ؛ وكذلك كلّ عضو انقطع بضَرْبة واحدة فقد تُرَّ تَرًّا ، ويُنْشَد بالوجهين قولُ طرَفة . وأنشَد هذا البيتَ فى الجمهرة . يريد أنّ ترّ ، ورد لازماً ومتعدياً . وروى برفع (الوظيف) على أنه فاعل ترّ اللازم ، بمعنى انقطع وفسّره يعقوب بن السكّيت فى شرح ديوان طرَفة ، وتبعه الأعلم فى شرحه ، بقوله : طنّ وندر . ورُوى بنصب (الوظيف) على أنّه مفعول ترّ المتعدّى ، بمعنى قطع ، وفاعله ضمير العضب فى بيتٍ قبله . وقوله : (وَساقها) معطوف عليه بالوجهين ؛ وضمير المؤنّث راجع إلى الكَهاة فى بيتٍ قبله ، وهى الناقة الضّخمة . والوظيف ما بين الرُسُغ[1] وفى اليد : ما بين الرسغ والذراع . وقوله : (ألستَ ترَى الخ) مَقول القَول . والخطاب فى الثلاثة لطرفة ، والاستفهام للتوبيخ . والرؤية يجوز أن تكون بَصَريّة ، فَأنْ مع ما بعدها فى تأويل مفرد منصوب على أنّه مفعول الرؤية ؛ وأنْ تكونَ عِلميّة ، فأنْ مخفّفة مِن الثقيلة واسمُها ضمير شأن وجملة قد أتيتَ خبرها ، وهى مع معمولها سادّة مَسَدّ المفعولين

(١) كذا فى النسختين . ولعله : « والوظيف فى الرجل ما بين الرسغ والساق » . وانظر اللسان (وظف) .

للرؤية . (والمؤيِد) : على وزن اسم الفاعل ، قال الأعلم : هو الداهية ، وأصلها من الأيْد وهو القوّة ، كأنّها داهيَة ذات شِدّة وقوّة . ورواه الخطيب التِبريزىّ فى شرح المعلّقات ، بزنة اسم المفعول أيضاً وقال : أى جئتَ بأمرٍ شديد يشدَّد فيه : من عقرك هذه الناقة . وليس المؤيد[1] من الوأد ، كما توهمه السيِّد فى حواشى هذا الكتاب ، فإنه قال : وأَدَه أى دفنَه حياً ، والمؤيد : الداهية . قال ابنُ جِنّى فى المنصف[2] ، وهو شرح تصريف المازِنىّ : الفعل المعتلّ العين إذا صحَّ ما قبلَ عينه نقلت حركة عينه[3] إلى الساكن قبلها ، نحو أقام واستقام . فأمّا ما اعتلّت فاؤه ، فإنّك لا تنقل إليها حركة العين ، وذلك قولك فى أفعلْت ، نحو آيمت وآولت ، من آمَ وآلَ . لأنه لمّا اعتلت الفاء وهى همزة فقلبت ألفاً صحّت العين ، وعلى ذلك قول الشاعر :

* كرأس الفَدَن المؤيَد[4] *

فهذا مُفعَل بزنة اسم المفعول ، من الأَيْد وهو القوّة ؛ ولم يقل المؤاد — أى بهمزة ممدودة بعد الميم المضمومة — وقال طرفة : « أنْ قد أتيتَ بمؤيِد » ، وهى الداهية وهى بزِنَة اسم الفاعل من الأيد أيضاً ، ولم يقل المُئيد — أى بميم مضمومة فهمزة مكسورة بعدها مثنّاة تحتيّة — وقالوا : آيدته فى أفعلته من الأيد ، وأيّدته فعَّلته . وآيدته قليلة مكروهة ، لأنك إن صَحّحْتَ فهو ثقيل ، وإن أعللتَ جمعتَ بين إعلالين . فعُدِل عن أفعلته إلى فعّلته فى غالب الأمر اهـ .

٥٠٦

---

(١) كذا فى النسختين . ولعلها « المؤئد » .

(٢) طبع فى مصر سنة ١٣٧٣ بتحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين .

(٣) ط : « نقلت حركته » ، صوابه فى سه . وانظر المنصف .

(٤) البيت للمثقب العبدى ، كما فى السمط ١١٣ . وهو بتمامه :

يُنْبِى تجاليدِى وأقْتادَها   نَاوٍ كَرأْسِ الفَدَنِ المُؤْيَدِ

وهذا البيت من معلَّقة طرَفة بن العبد المشهورة . وهذا ما قبلَه :

(وبَرْكٍ هُجُودٍ قد أثارتْ مَخافتى نَوادِيَها أمْشى بعَضْبٍ مجرَّدِ
فمَرَّتْ كَهاةٌ ذاتُ خَيْفٍ جُلالةٌ عَقِيلةُ شيخ كالوَبيل يَلَنْدَدِ
يقولُ وقد ترَّ الوظيف وساقها . . . . البيت
وقال ألا ماذا تَرَوْنَ بشارب شديدٍ علينا بَغْيُهُ متعمِّدِ[1]
فقالوا[2] : ذَروه ، إنما نفعها له وإنْ لا تردُّوا قاصىَ البَرْك يَزْدَدِ
فظلَّ الاماء يَمْتَلِلْنَ حُوارَها وتَسعَى علينا بالسَديف المَسرهدِ)

قوله : وبَرْك ، بفتح الموحَّدة ، مجرورٌ بواوِ ربَّ ؛ قال أبو عبيدة : البرك يقع على جميع ما يبرك من الجمال والنُوق على الماء وبالفَلاة من حَرِّ الشّمس أو الشَبَع ، الواحد بارك وباركة . وقيل : البرك : جماعة إبل الحىّ ، وقيل لها برك لاجتماع مباركها . وبَرَكَ البعيرُ : إذا ألقى صدرَه على الأرض . والهُجود : النيام ، جمع هاجد وهاجدة ؛ ومصدره الهجود أيضاً بمعنى النوم كالقعود والجلوس . ومخافتى : فاعلُ أثارت ، وهو مصدرٌ مضاف إلى المفعول ، والفاعلُ محذوف أى مخافتها إياىَ . ونَوادِيَها : مفعولُ أثارت ، أى أوائلَها وما سبق منها ؛ وهو بالنون ، يقال : لا يَنْداك منّى أمرٌ تكرهه ، أى لا يسبق إليكَ منّى وإنما خص النوادىَ لأنّها أبعدُ منه عند فِرارها . فيقول : لا يفلتُ من عَقرى ما قرُبَ ولا ما شَذَّ فنَدَّ . وقال ابن السكّيت : النوادى الثِقال أيضاً من الإبل ، الواحدة نادية . وجملة أمْشى ، حالٌ من الياء فى مخافتى . والعَضْبُ :

(١) ش : « نفعه » .
(٢) ويروى : « فقال » و « وقال » . وصوب التبريزى رواية « وقالوا » ، وقال : « من روى فقال فروايته بعيدة ، لأنه يحتاج إلى تقدير فاعل » .

السيف القاطع . والمجرّد : المسلول من غِمْده . يقول : رُبَّ إبلٍ كثيرةٍ باركةٍ قد أثارت نواديَ هذا البَرْكِ عن مباركها مخافتها إيايَ في حال مشيي إليها بسيفٍ مسلولٍ قاطع . يريد أنّه أراد أن ينحر لأضيافه بعيراً فنفرت منه لتعوُّدِها ذلك منه .

وقوله : فمرّت كَهاة الخ ، الكَهاة بفتح الكاف ، قال ابن السكّيت : هي الناقة الضخمة . وهذا هو المناسب ، لا ما قاله شُرّاح المعلّقات : من أنها الناقة المسِنّة الضخمة . والخَيف بفتح الخاء المعجمة ، قال ابن السكّيت : هو جِلد الضرع وقالوا: هو جلد الضَّرْع الأعلى الذى يسمَّى الجِراب . يقال : ناقة خَيفاء ، إذا كان ضَرْعُها كبيراً . وجُلالة بالرفع : صفة كَهاة ؛ وهى بضمّ الجيم بمعنى الجليلة والعظيمة . وعَقيلة شيخٍ : صفةٌ ثالثة ،أى خير ماله ؛ والعقيلة : الكريمة. وهذا الشيخ قال ابن السكيت : هو بعض بنى عمٍّ طرفة ، كان طرفة عقَر له ناقة .

وقال الزَّوزَنيّ : أراد بالشيخ أباه ، يريد أنّه نحر كرائمَ مالِ أبيه لنُدَمائه . وقيل : بل أراد غيره ممن يُغير على ماله . وقوله : كالوبيل ، صفة شيخ . قال ابن السكّيت : الوبيل العصا . وقال الزوزَنيّ : [الوبيل : العصا الضخمة[1]] فى الصحاح : الوبيل : الحُزْمة . فعلى هذا شبَّهَ عظامَه فى اليبوسة بالحطب ، والشيخَ بأنّه حزمة من الحطب . واليلندد : السيِء الخُلُق الشديد الخصومة ، صفة ثانية للشيخ . وقوله : يقول وقد ترّ الوظيف الخ ، أى قال الشيخ فى حال عقرى هذه الناقةَ الكريمة النجيبة . ومثلها لا يُعقَر للأضياف. وقوله : وقال ألا[2] ماذا ترون الخ ، فاعل قال ضميرُ الشيخ صاحب الناقة ؛ وذا اسم موصول ؛ وما استفهام منصوب بترون ؛ والباء متعلّقة بمحذوف .

(١) التكملة من الزوزنى .

(٢) فى ط : « إلى » فى هذا التفسير ، وفى النص السابق فى البيت ، تحريف .

أى قال الشيخ ، مستشيراً أصحابه : ما الذى ترون أن نفعل بطرَفة شارب الخمر يَبغى علينا بعَقْر كرائم أموالنا ؟ وقوله : فقالوا ذروه الخ ، أى ذَروا طرَفة فإنّ نفعَها للشيخ ، فإنّ طرَفة يُخلِف عليه ويَزيده ؛ وإن لم تردُّوا قاصىَ إبلكم يَعقِرْ منها أيضاً . وقيل : معناه : إن لم تردُّوا قاصىَ البَرْك وتردوه إلى أوله زاد فى نِفاره وذهَب . والقاصى : اسم فاعل مِن قَصا يقصو قُصُوًّا : إذا بعُد . وقوله : فظلّ الإماء الخ ، يمتَلِلْن بكسر اللام : أى يَشوِين فى المَلّة وهى الرَّماد الحارّ . والإماء : الخدَم . والحُوَار بضمّ المهملة : ولد الناقة . والسَّديف : قطَع السَنام . والمُسَرْهَد : المَرِىء الحسن الغذاء ، وقيل السمين . أى فظلّ الإماء يشتوين الولد الذى خرج من بطْنها تحْت الجمْر والرمادِ الحارّ ، وتَسعى الخدمُ علينا بقطَع سَنامها للقطْع يريد أنّهم أكلوا أطايبها وأباحوا غيرها للخدَم . وذِكْرُ الحُوَار يدلّ على أنّها كانت حُبلى ـ وهى من أنفس الإبل عندهم .

وترجمة طرَفة بن العبد تقدمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد المائة :

١٨٥ (وقَدْ أغْتَدِى والطَيرُ فى وُكناتِها بمنجَرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيكلِ)

لِما تقدَّم قبلَه . وقد بيّنّاه .

وهذا البيت من معلقة امرئ القيس المشهورة[٢] . وقوله : (وقد أغتدى) أى أخرج غدْوةً للصيد . و (الوُكنات) الواو مضمومة ، والكاف

(١) الخزانه ٢ : ص ٤١٩

(٢) انظر له أيضاً الخصائص ٢ : ٢٢٠ وابن يعيش ٢ : ٣/٩٦ : ٩/٥١ : ٩٥ وشرح شواهد المغنى ٢٩٢ .

يجوز ضمُّها وفتحها وسكونها ، جمع وُكْنة بضمّ فسكون . قال ابن جنّى في المحتسب : « ومن ذلك قراءة عبدالكريم الجزَرى : (فَتَكِنْ في صَخْرَة[1]) بكسر الكاف ، من قولهم وَكَن الطائر يَكِنُ وُكونا : إذا استقرّ في وُكْنته ، وهى مقره ليلاً ، وهى أيضاً عُشه الذى يَبيض فيه . وكأنه من مقلوب الكَوْن ، لأنّ الكون الاستقرر » اهـ .

والقاف لغة في الكاف ، يقال وُقْنة ووُقنات . ورُوى (في وُكُناتِها) بضمّتين جمع وُكر بضمّة فسكون ، وهو جمع وَكْر بفتح فسكون ، والوكر : مأوى الطائر في العُشّ . و (الطَّير) : جمع طائر كصَحْب جمع صاحب . وهذا المصراع قد استعمله امرؤ القيس في قصيدته اللاميّة ، قال :

وقد أغتدى والطيرُ في وُكناتها لِغَيثٍ من الوَسْمِىّ رائدهُ خالى

وفي الضاديّة[2] أيضاً ، وتمامه :

* بمنجردٍ عَبْل اليدَين قَبيض *

وفي البائية أيضا[3] ، وتمامه :

* وماء النَدَى يجرى على كلّ مِذْنَب *

وهذا البيت قد وقع في قصيدةٍ لعلقمةَ الفحلِ أيضا . وجملة : « والطير في وكناتها » حالٌ من ضمير المتكلّم ، أى أغدو إلى الصيد ملابساً لهذه الحالة . و (المنجرد) من الخيل ، قيل : الماضى في السير ، وقيل : القليل الشعر القصيرُه . وبمنجرد متعلّق بقوله أغتدى . و (الأوابد) : الوحوش ، جمع آبده .

---

(١) الآية ١٦ من سورة لقمان .
(٢) ط : « الصادية » صوابه في ش . وانظر ديوانه ٧٥ .
(٣) انظر ديوانه ٤٦ .

٥٠٨ يريد أنّ هذا الفَرس من سُرعته يَلحق الأوابد فيَصير لها بمنزلة القَيد . قال أبو عليّ فى التذكِرة : قيد الأوابد ، صفةٌ ، وهو مصدر كأنّه قال : يقيِّد الأوابد ، ثم استعمَل المصدر : بحذف الزيادة ، فوصف به . وقال التِبْرِيزىّ : تقدير قيد الأوابد ، ذى تقييد الأوابد . قال الباقِلاّنىّ فى إعجاز القرآن[1] : قوله قيد الأوابد — عندَهم — من البديع ومن الاستعارة ، ويروْنه من الألفاظ الشريفة ، وعنَى بذلك أنّه إذا أُرسل هذا الفرسَ على الصيد ، صار قيداً لها ، وكانت بحال المقيَّد من جهة سُرعة عَدْوه . وقد اقتدى به الناسُ واتّبعه الشعراء ، فقيل قيد النواظر ، وقيد الألحاظ ، وقَيد الكلام ، وقيد الحديث ، وقَيد الرُّهان ، قال ابن يعفُر :

بعقلّص عَتد جَهير . شدُّه قيدِ الأوابدِ والرِهانِ جَواد

وقال أبو تمّام :

لها مَنظرٌ قَيْدُ الأوابد لم يَزَلْ يَروح ويَغدو فى خفارته الُحبُّ

وقال آخر :

ألحاظُه قَيدُ عُيونِ الورَى فليسَ طرْفٌ يتعدَّاه

وقال آخر :

* قيَّد الُحسْنُ عليه الَحدَقا[2] *

و (الهيكل) قال ابن دريد : هو الفرس العظيم الِجرْم .

وبعد هذا البيت بيتٌ هو من شواهد مغنى اللبيب ، وهو :

(مِكَرٍّ مِفرٍّ مُقبلٍ مُدبرٍ معاً كجلمُودِ صَخْرحطّه السيلُ من عَلِ)

(١) إعجاز القرآن ١٠٧ .

(٢) ط : « الحدقان » صوابه فى إعجاز القرآن ، ومن ش مع أثر محو للنون .

مِكَرٍّ ومِفَرٍّ بكسر الميم فيهما وجرُّهما : أى فرس صالح للكَرّ والفرّ . والكرّ : العطف ، يقال : كرَّ فرسَه على عدوّه . أى عطفه عليه . ومِفعَل يتضمّن مبالغةً ، كقولهم : فلان مِسْعَرُ حَرْبٍ ، وفلانٌ مِقْوَل ومِصقع . وإنّما جعلوه متضمِّناً مبالغةً ، لأنّ مِفعَلاً يكون من أسماء الأدوات ، فكأنّه أداة للكرّ والفرّ ، وآلةٌ لتَسعِير الحربَ أى تلهيبها ، وآلةُ الكلام . ومُقبل ومُدبر ، بضمّ ميميهما : اسما فاعل من الإقبال والإدبار . والجُلمود ، بالضم : الصخر العظيم الصُّلْبُ . والحطّ : إلقاء الشيء من عُلْو إلى أسفل . وعلٍ ، بمعنى عالٍ أى من مكان عال .

وفى هذا البيت (الاتساع) قال ابن أبى الإصبَع ، فى تحرير التحبير[1] : الاتساع أن يأتىَ الشاعرُ ببيت يتّسع فيه التأويل ، على قدر قُوى الناظر فيه ، وبحَسَب ما تحتمل ألفاظُه ، كقوله فى صفة فرس :

مِكَرّ مِفرّ مقبل مدبر معاً . . . . البيت

لأنّ الحجر يطلب جهة السُفل لكونها مركزَه ، إذْ كلُّ شيء يطلب مركزَه بطَبعه ؛ فالحجر يُسرع انحطاطُه إلى السفل من العُلو ، من غير واسطة فكيف إذا أعانته قوّة دُفّاع السيل من علٍ ! فهو ، حالَ تدحرُجِه ، يُرى وجهُه فى الآنِ الذى يُرى فيه ظهره ، بسرعةِ تقلّبه ، وبالعكس . ولهذا قال : مقبل مدبر معاً ، يعنى يكون إدباره وإقباله مجتمعَين فى المعيّة ، لا يُعقَل الفرقُ بينهما . وحاصلُ الكلام وصفُ الفرس بلين الرأس وسُرعة الانحراف — فى صدر البيت — وشدّة العدْو — فى عجزه . وقيل : إنّه جمعَ وَصْفَى الفرسِ بحُسْن الخَلْق وشدّة العدْوِ ، ولكونه قال فى صدر البيت إنّه حسن الصورة كامل

---

(١) تحرير التحبير ٤٥٤ .

النصبة فى حالتى إقباله وإدباره ، وكرّه وفرّه ؛ ثمّ شبّهه بجلمود صخر حطّه
السيلُ من العلو بشدّة العدْو ؛ فهو فى الحالة التى ترى فيها لَبَبَه ترى فيها كفلَه ؛ ٥٠٩
وبالعكس . هذا ، ولم تخطُر هذه المعانى بخاطر الشاعر فى وقت العمل ، وإنّما
الكلام إذا كان قويًّا من مثل هذا الفحل ، احتمل لقوّته وُجوهاً من التأويل ،
بحسَب ما تحتمل ألفاظه ، وعلى مقدارِ قُوى المتكلّمين فيه . ومثله أيضاً [(١)] :

إذا قامتا تَضوّع المسكُ منهما نَسيمَ الصبا جاءتْ بريّا القرَنفل

فإنَّ هذا البيت اتّسع النُقّاد فى تأويله : فمن قائلٍ : تضوّع المسك منهما
بنسيم الصبا [(٢)] ، ومن قائل : تضوّع نسيمُ الصبا منهما ، ومن قائلٍ : تضوّع
المسكُ منهما تضوُّعَ نسيمِ الصَبا — وهذا هو الوجه — ومن قائلٍ : تضوّع
المسكُ منهما — بفتح الميم ؛ يعنى الجلد — بنسيم الصّبا .

وقال ابنُ المستوفى فى شرح أبيات المفصَّل : حدّثنى الإمام أبو حامد
سليان ، قال : كنّا فى خُوارَزْم ، وقد جرى النظرُ فى بيت امرئ القَيس :

إذا قامتا تضوّع المسكُ منهما . . . . البيت

فقالوا : كيف شبَّه تضوُّع المسك بنسيم الصَبا ؛ والمشبَّه ينبغى أن يكونَ
مثلَ المشبَّه به ، والمسك أطيبُ رائحة ! وطال القول فى ذلك فلم يحقّقوه ،
وكان سألنى عنه ، فأجبْت لوقتى أنّه شبّه حركةَ المسك منهما عند القيام بحركة
نَسيمِ الصَبا ، لأنَّه يقال تضوّع الفرْخ أى تحرّك ، ومنه تضوّع المسكُ تحرّك
وانتشرت رائحته : وذلك أنّ المرأة توصَف بالبطء عند القيام ، فحركة المسك
تكون إذاً ضعيفةً مثلَ حركة النسيم ، وانتشارُه كانتشاره ؛ فالتشبيه صحيح .

(١) الكلام على البيت التالى متقدم فى تحرير التحبير على الكلام فى البيت السابق .
(٢) تحرير التحبير : « نسيم الصبا » ، وما هنا صوابه .

والنسيم : الريح الطيّبة ، ونسيم الريح أوّلها حين تُقبل بلين . ولقائل أن يقول : إن نسيم الصبا — وهى الريح الطيبة إذا جاءت بريّا القرنفُل ، وهى أيضاً ريح طيّبة ، قاربت ريح المسك . وبعد أن جرى ذلك بمدّة طويلة وقع إلىّ كتابُ أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارىّ ، فى شرح القصائد السبعيّات ، فوجدته ذكر عند هذا البيت قولاً حسنا ، وهو قوله : ومعنى تضوَّع أخذ كذا وكذا . وهو تفعَّل من ضاع يضُوع ، يقال للفرْخ إذا سمع صوتَ أمّه فتحرك : قد ضاعته أمُّه تضُوعه ضَوْعاً[1] . فلا حاجة مع قوله أخذ كذا وكذا إلى تمحُّل لذلك ، ويكون التقدير : تضوَّع المسكُ منهما تضوُّعَ نسيم الصَبا ، أى أخذ كذا وكذا كما أخذ النسيم كذا وكذا . اهـ .

وترجمة امرئ القيس تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد المائة[3] :

١٨٦ (كأنَّ حوَامِيَه مُدْبِراً خُضِبْنَ وإنْ لم تَكُنْ تُخْضَبِ)

على أن (مدبراً) حال من المضاف إليه ، وهو الهاء فى حوَامِيَه .

صاحب الشاهد

وهذا البيتِ من قصيدةٍ فى وصف فرس ، للنابغة الجعْدىّ . وقبله :

٥١٠

(كأنَّ تماثيلَ أرْساغِهِ رِقابُ وُعُولٍ على مَشْرَبِ
كأنَّ حوَاميَه مُدبراً . . . . البيت)

وبعده :

(١) فى شرح القصائد السبع ٢٩ : « ضاعه صوت أمه يضوعه ضوعا » .
(٢) الخزانة ١ : ص ٣٢٩ ومابعدها
(٣) ديوان النابغة الجعدى ص ٢٠ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٧ ، ١٥٢ ، ١٥٦

(حِجارةُ غَيْلٍ برضْراضَةٍ كُسِينَ طِلاءً من الطُّحْلبِ)

التماثيل: جمع تِمثال بالكسر ، وهى الصورة . والأرساغ: جمع رُسْغ بالضمّ ، وهو ، من الدوابّ: الموضعُ المستدِقُّ بين الحافر وموضع الوَظيف من اليد والرجل ، ومن الإنسان: مفصلُ ما بين الكفّ والساعد والقدم إلى الساق[1] والوعول: جمع وَعل ، قال ابن فارس: هو ذكر الأروى وهو الشاة الجبلية . وكذلك قال فى البارع ، وزاد: والأنثى وَعِلة بكسر العين ، وتسكّن فيهما . والمشرَب بالفتح موضع الشُرب . وهذا البيت من التشبيه البديع الذى لم يُسبَق إليه: شبّه أرساغه فى غلظها ، وانحنائها ، وعدم الانتصاب فيها ، برقاب وُعولٍ قد مدّتْها لتشربَ الماء[2] . وهذا البيت من شواهد أدب الكاتب[3] قال: « ويُستحَبّ أن تكون الأرساغ غِلاظاً يابسة » . وأنشد هذا البيت .

وقوله: (كأنّ حَوامِيَه . . الخ) الحوامى: جمع حامِيَة بالحاء المهملة ، وهى ما فوق الحافر ، وقيل: هى ما عنْ يمين الحافر وشِماله ؛ ولكل حافرٍ حاميَتان ؛ قال ابن قتيبة: هما عن يمين السُنبُك وشِماله . والسُنبُك بالضمّ: طرف مقدّم الحافر . و (تخضب) بدلٌ من (تكُن) بدل اشتمال ، لاشتمال الخضاب على الكَون . وهو من قبيل بدل الفعل من الفعل ، ولهذا ظهر الجزم . وكُسر للقافية .

والحجارة: جمع حَجر وهى الصَّخرة . والغَيْل ، بفتح الغين المعجمة: الماء الجارى على وجه الأرض . والرَّضراضة: الأرض الصُّلبة ، قال ابن السكّيت

(١) هذا التفسير من المصباح المنير .
(٢) قوله « وهذا البيت » إلخ اقتبسه البغدادى من ابن السيد فى الاقتضاب ٣٣٧ .
(٣) أدب الكاتب ص ٩٩ ط: التجارية ١٩٦٣ .

فى أبيات المعانى : ورضراضة : أرضٌ مرصوصة بحجارة بالضاد المعجمة والمهملة قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب [١] : ويستحب أن تكون الحوافرُ صِلاباً غير نَقِدَة — والنقَد ، بالتحريك : أن تراها متقشِّرة — وتكونَ سُوداً أو خضراً لا يبْيضّ منها شىء ؛ لأنّ البياض فيها رِقّةٌ اهـ . شبّه حوافره بحجارة مقيمة فى ماء قليل . وذلك أصلبُ لها ، يقال للصخرة التى بعضُها فى الماء وبعضها خارج : أتأن الضَّحْل — والضَّحْل : الماء القليل — وذلك النِّهايةُ فى صلابتها . وإيّاها عنى المتنبّى بقوله :

أنا صخرةُ الوادى إذا ما زُوحِمَتْ ... وإذا نطقتُ فإنّنى الجوزاء [٢]

وإذا كانت جوانبُ الحوافر صِلاباً على الوصف الذى ذُكر ، وكانت سوداً أو خضراً ، فقلاديها أصلبُ وأشدُّ سواداً وخضرة . وكُسِين ، بالبناء للمفعول من الكُسْوة . والنونُ ضمير الحجارة . والجملة حالٌ من ضمير الظرف ، أعنى قولَه برضراضة . والطِّلاء بالكسر : كلّ ما يُطلَى به ؛ وهو المفعول الثانى لكسا . يقال طلَيته به : أى لطخته به . والطُّحلب ، بضمّ اللام وفتحها مع ضمّ الطاء ، وتكسر أيضاً مع كسر الطاء ، وهو خُضرة تعلو الماء المزمِن . وقد طَحلبَ الماء فهو مُطَحلِب بكسر اللام وفتحها .

قال ابن الشجرىّ فى المجلس الثالث من أماليه عند قول المسيَّب بن عامر فى مدح عُمارة بن زياد العبْسىّ :

كسَيفِ الفرند العَضْب أخلِصَ صقلُه ... تَراوحُهُ أيدِى الرجال قياما [٣]

---

(١) أدب الكاتب ص ١٠٠ ط : التجارية ١٩٦٣ . وفى لفظه بعض اختلاف

(٢) فى ديوان المتنبى ١ : ١٢ : « فإننى الجوزاء » .

(٣) فى النسختين : « كيف الفرند » و « ترى وجه أيدى » صوابهما من أمالى ابن الشجرى ١ : ١٧ .

٥١١ إنّ قوله قياماً ، نصب على الحال من الرجال . والحالُ من المضاف إليه قليلة ، ومن ذلك قولُ الجعْدىّ :

* كأنّ حواميَه مدبراً *

نصب مدبراً على الحال من الهاء . . . وأنشدوا فى الحال من المضاف إليه قولَ تأبَّطَ شرًّا :

سلبتَ سلاحى بائساً وشتمتَنى فيا خيرَ مَسْلُوبٍ ويا شرَّ سالبِ

ولستُ أرى أنّ بائساً حال من الياء فى سلاحى ، ولكنّه عندى حالٌ من مفعول سلبتَ المحذوف ، والتقدير : سلبتَنى بائساً سلاحى[1] . ومثله قوله تعالى : (ذرْنى وَمَنْ خلَقتُ وَحِيدا[2]) وقوله تعالى : (أهٰذَا الذى بعَثَ اللهُ رَسُولا[3]) أى خلقتُه ، وبعَثَه . وإنّما وجب العدول إلى ما قلنا ، لعزّة حال المضاف إليه . فإذا وجدتْ مندوحةٌ وجب تركه . وسلَب يتعدّى إلى مفعولَين يجوز الاقتصار على أحدهما ، كقولك : سلبت زيداً ثوباً ، وقالوا : سُلِبَ زيدٌ ثوبُه ، بالرفع على بدل الاشتمال ، وثوبَه ، بالنصب على أنّه مفعول ثان ؛ وفى التنزيل (وإنْ يَسْلُبْهم الذبابُ شيئاً لا يَستَنْقِذُوه منه[4]) فيجوز على هذا أن نجعل بائساً مفعولا ثانياً بتقدير حذف الموصوف ، أى سلبتَ سلاحى رجلاً بائساً ، كما تقول : لتعامِلنّ منّى رجلاً منُصِفا . وممّا جاءت الحال فيه من المضاف إليه ، قوله تعالى : (قُلْ بلْ مِلّةَ إبراهِيمَ حَنيفا[5]) قيل : إنّ حنيفاً حالٌ من إبراهيم ، وأوجَهُ من ذلك ، عندى ، أن تجعله حالاً من المِلّة

(١) بعده فى الأمالى : « وجاء بالحال من المحذوف لأنه مقدر عنده منوى » .

(٢) الآية ١١ من سورة المدثر .

(٣) الآية ٤١ من سورة الفرقان .

(٤) الآية ٧٣ من سورة الحج .

(٥) الآية ١٣٥ من سورة البقرة .

وإن خالفها بالتذكير ، لأنّ الملة فى معنى الدين ، ألا ترى أنّها قد أبدلت من الدين فى قوله تعالى : (ديناً قِيَماً مِلّةَ إبراهِيم[١]) فإذا جعلتَ حنيفاً حالا من الملّة ، فالناصب له هو الناصب للمِلّة ، وتقديره : بل نتّبِع ملّة إبراهيم حَنيفا . وإنّما أضمر نتّبع لأنّ ما حكاه الله عنهم من قولهم : (كونُوا هُوداً أو نَصارَى تَهتَدُوا[٢]) معناه اتّبعوا اليهوديّة أو النصرانية ؛ فقال لنبيّه ﷺ : قلْ بلْ نتبعُ مِلّة إبراهيم حنيفا . . وإنّما ضُعف مجىء الحال من المضاف إليه ، لأنّ العامل فى الحال ينبغى أن يكون هو العامل فى ذى الحال . اهـ كلامه .

وقال أيضاً ، فى المجلس الرابع والعشرين[٣] : وأمّا قوله مُدْبِرا ، فحالٌ من الهاء ، والعامل على رأى أبى علىّ ما تقدّره فى المضاف إليه من معنى الجارّ . يعنى أنّ التقدير كأنّ حوامىَ ثابتةٌ له مدبراً ، أو كائنةٌ له . قال : ولا يجوز تقديمُ هذه الحالِ ، لأنّ العامل فيها معنًى لا فعلٌ محْض . قال : ولا يجوز أن يكون العاملُ ما فى كأنّ مِنْ معنى الفعل ، لأنّه إذا عمل فى حالٍ لم يعمل فى أخرى . يعنى أنّ كأن قد عمل فى موضع خُضِبْن النصبَ على الحال ، فلا يعمل فى قوله مدبرًا . وهذا القول يدلّ على أنّه يُجيز أن يَنصبِ حالَ المضاف إليه العاملُ فى المضاف . وإذا كان هذا جائزاً عنده ، فإنْ جعل خُضِبْن خبرَ كأنّ فالعامل إذاً فى مدبراً ما فى كأنّ من معنى الفعل . وهذا إنّما يجوز إذا كان للمضاف ملتبساً بالمضاف إليه : كالتباس الحوامى بما هى له ؛ ولا يجوز فى ضربت غلامَ هندٍ جالسةً ، أن تنصب جالسة بضربْت ، لأنّ الغلام غير مُلتبس بهند كالتباس الحوامى بصاحبها . ولا يجوز عندى أن تنصب جالسة

---

(١) الآية ١٦١ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ١٣٥ من سورة البقرة .

(٣) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٥٧ .

٥١٢ بما تقدَّره من معنى اللام[١] فى المضاف إليه ، فكأنّك قلت : ضربت غلاماً كائناً لهندٍ جالسةً ، لأنَّ ذلك يوجب أن يكون الغلامُ لهندٍ فى حال جلوسها خاصّة ، وهذا مستحيل . وكذلك قوله : كأنَّ حوامِيَهُ مُدْبراً ، إن قدَّرت فيه : حوامىَ ثابتةً له مُدبراً ، وجب أن يكون الحوامى له فى حال إدباره دون حال إقباله . وهذا يوضّح لك فسادَ إعمالك فى هذه الحالِ معنى الجارِّ المقدَّرِ فى المضاف إليه . ولا يجوز إذن ضربت غلامَ هند جالسةً لذلك ، ولعدم التباس المضاف بالمضاف إليه . ونظير ما ذكرناه : من جواز مجيء الحال من المضاف إليه إذا كان المضاف ملتبساً به ، قوله تعالى (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ[٢]) أخبر بخاضعين عن المضاف إليه ، ولو أخبر عن المضاف لقال خاضعةً أو خُضَّعاً أو خَواضِع . وإنّما حسُن ذلك ، لأنَّ خضوع أصحاب الأعناق بخضوع أعناقهم . وقد قيل فيه غيرُ هذا ، وذلك ما جاء فى التفسير من أنَّ المراد بأعناقهم كبراؤهم . وقال أهل اللغة : أعناقهم : جماعاتهم ، كقولك : جاءنى عُنُق من الناس : أى جماعة . فالخبر فى هذين القولين عن الأعناق . وقوله : خُضِبن[٣] ، عند أبى علىّ فى موضع نصب بأنّه حال من الحوامى ، ولم يجعله خبر كأنَّ لأنّه جعل خبرَها قوله حجارةُ غَيْل ، ولم يُجِزْ أن يكونا خبرين لـكأنَّ : على حدِّ قولهم هذا حلوٌ حامض ، أى قد جمع الطعمين ، قال : لأنّك لا تجد فيما أخبروا عنه بخبرين أن يكون أحدُهما مفرداً والآخر جملة : لا تقول زيدٌ خرجَ عاقلٌ . والقول عندى : أن يكون موضعُ خضبن رفعاً بأنّه خبر كأن ، وقوله حجارةُ غَيْل خبر مبتدإ محذوف ، أى هى حجارة غيل ، وأداة التشبيه محذوفة ، كما قال[٤] :

(١) س : « الـكلام » صوابه فى ط وأمالى ابن الشجرى .
(٢) الآية ٤ من سورة الشعراء .
(٣) هذا الـكلام فى الأمالى متقدم على الـكلام السابق ، أى فى ١ : ١٥٦ .
(٤) هو النابغة ديوانه ٦٤ واللسان (كرر ٤٥٢ كذن ٢٣٧ أضا ٤٠) .

* فهنّ إضاءُ صافياتُ الغلائلِ[١] *

أى مثلُ إضاء ، والإضاء : الغُدران ، واحدها أضاة[٢] فعلة جُمعت على فِعال ، كرقَبة ورِقاب : شبّهَ الدروعَ فى صفائها بالغُدْران .

و (النابغة الجَعْدىّ) كنيته أبو ليلى ، وهو كما فى الاستيعاب : قيس ابن عبد الله . وقيل : حيّان[٣] بن قيس بن عبد الله بن عَمرو بن عُدَسَ ابن ربيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وقيل : اسمه حيّان بن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح بن عُدَسَ بن ربيعة بن جَعْدة . وإنّما قيل له النابغة ، لأنّه قال الشعر فى الجاهلية ، ثمّ أقام مدّةً نحوَ ثلاثين سنة لا يقول الشعر ، ثم نبغ فيه فقاله ، فسمّى النابغة . وهو أسنّ من النابغة الذبيانى ، لأنّ الذبيانىّ كان مع النعمان بن المنذر ، وكان النعمان بن المنذر بعدَ المنذر ابن محرِّق ، وقد أدرك النابغةُ الجعْدىّ المنذرَ بنَ محرِّق ونادمَه . ذكر عمر ابن شبّة أنّه عمّر مائةً وثمانين سنة ، وأنّه أنشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

قيس النابغة الجعدى

لبست أُناساً فأفنَيتهم ... وأفنيت بعد أُناسٍ أُناسا

ثلاثة أهلِين أفنَيتهم ... وكان الإلهُ هو المستآسا

فقال له عمر : كم لبثت مع كلّ أهل ؟ قال : ستّينَ سنة .

وقال ابن قتيبة[٤] : عمرَ الجعدىّ مائتين وعشرين سنة ومات بأصبهان .

---

(١) صدره : * علين بكديون وأبطن كرّة *
(٢) ط : « أضاءة » صوابه فى سه وأمالى ابن الشجرى .
(٣) فى الإصابة والاستيعاب ٤ : ١٥١٤ : « حبان » وفى إحدى نسخ الاستيعاب : « حيان » وفى الأغانى ٤ : ١٢٧ : « حسان » .
(٤) فى الشعر والشعراء ٢٤٨ — ٢٤٩ .

ولا يدفع هذا ما مرّ ، فإنَّه أفنى ثلاثة قرون فى مائة وثمانين سنة ، ثم عمّر إلى زمن ابن الزُبير وبعده .

والبيتان من قصيدة سينيّة . والمستآس : المستعاض ، مُستفعَل من الأوس ، والأوْس : العطية عوضاً . وبعدهما :

٥١٣

وعِشتُ بعَيشَيْنِ ، إنّ المنو ن تلقى المعايش فيها خساسا
فحيناً أُصادف غِرّاتِها وحيناً أُصادِف منها شِماسا
شهدتُهمُ لا أرجّي الحيا ةَ حتّي تساقَوا بسمر كئاسا[1]

وهو جمع كأس .

قال السِجِستْانى فى كتاب للعمّرين[2] : وقال حين وفَت له مائة واثنتا عشرة سنة :

مضَتْ مائةٌ لعامٍ وُلِدت فيه وعشرٌ بعدَ ذاك وحِجّتانِ
فأبقى الدهرُ والأيّامُ منّي كما أبقَى من السيف اليمَانى
تَفَلّلَ وهو مأثورٌ جُراز إذا جُمعت بقائمِهِ اليدانِ[3]
ألا زعمت بنو كعب بأنّى ـ ألا كذبوا ! كبيرُ السنِّ فانى[4]
فمن يَحرِصْ على كِبَرى فإنّى مِن الفِتيان أزمانَ الخُنانِ

الخُنان : مرضٌ أصاب الناس فى أُنوفهم وحُلوقهم ، وربّما أخذ النعَمَ ، وربّما قتل اﻫ . وهو بضمّ الخاء المعجمة وبعدها نون مخففة ، فى القاموس :

---

(١) السمر : الرماح . ويروى : « بسم » كما فى حواشى الشعراء .
(٢) المعمرين ٦٥ .
(٣) ط : « وهو عاثور » صوابه فى المعمرين وسمه مع أثر تصحيح وأمالى المرتضى ١ : ٢٦٤ .
(٤) فى الإصابة : « بنو أسد بأنى أبو ولد » .

والخُنان، كغراب: زكام الإبل ؛ وزمن الخُنان كان فى عهد المنذر بن ماء السماء وماتت الإبل منه(١).

ووفد الجعدىّ على النبي صلى الله عليه وسلم مُسْلِماً، وأنشده، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من أوّل ما أنشده قوله فى قصيدته الرائية(٢):

أتيتُ رسولَ الله إذ جاء بالهدى ... ويتلو كتاباً كالمجرّة نَيِّرا
وجاهدتُ حتّى ما أحِسُّ ومَن معى ... سُهَيلاً، إذا ما لاح ثُمّتَ غَوَّرا(٣)
أقيمُ على التقوَى وأرضَى بفِعلها ... وكنتُ من النار المَخُوفة أحذَرا

إلى أن قال:

وإنّا لَقومٌ ما نُعَوِّد خيلَنا، ... إذا ما التقَينا، أن تَحِيد وتَنفِرا
ونُنكِر يوم الرَّوعِ ألوانَ خيلِنا ... مِن الطعنِ حتّى تحسب الجَونَ أشقَرا(٤)
وليس بمعروفٍ لنا أنْ نَرُدَّها ... صِحاحاً، ولا مستنكراً أن تُعقَّرا
بلغنا السماء مجدُنا وسناؤُنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا(٥)

وفى رواية عبد الله بن جراد:

علَونا على طُرّ العِباد تكرُّما ... وإنّا لنرجو فوقَ ذلكَ مَظهَرا

---

(١) فى الأغانى ٤ : ١٢٨ : « سئل محمد بن حبيب عن أيام الخنان : ما هى ؟ فقال : وقعةلهم، فقال قائل منهم وقد لقوا عدوهم : خنوهم بالرماح ! فسمى ذلك العام بالخنان ».

(٢) هى فى ديوانه ٧٠ — ٧٦ وجمهرة القرشى ١٤٥ — ١٤٨ وهى أولى المشوبات. ورويت أيضا فى الاستيعاب ٤ : ١٥١٥ — ١٥١٦ واللآلى ٢٤٧، ٧٧٢ وأمالى المرتضى ١ : ٢٦٧.

(٣) فى أمالى المرتضى : « ثم تنورا ».

(٤) فى الإصابة والأمالى : « نحسب » بالنون.

(٥) الأغانى والإصابة : « مجدنا وجدودنا » وفى الجمهرة : « بلغنا السما مجدا وجودا وسوددا ».

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إلى أين يا أبا ليلى ! فقال : إلى الجنة ! فقال : نعم إن شاء الله !

ولا خيرَ فى حلم إذا لم تَكن له بَوادرُ تَحمى صفوَه أنْ يُكدَّرا
ولا خيرَ فى جهل إذا لم يكن له حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصدرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يفضُضِ اللهُ فاك ! فكان من أحسن الناس ثَغراً ؛ وكان إذا سقطت له ثَنِيّة نبتت ، وكان فوه كالبدر[1] المتهلّل يتلألأ ويَبرُق .

وهذه القصيدة طويلة : نحو مائتى بيت ؛ وأنشد جميعَها للنبى صلى الله عليه وسلم وأوّلها :

خليليَّ غُضّا ساعـةً وتَهجَّرا[2] ولُوما على ما أحدثَ الدهرُ أو ذَرا

٥١٤ وهى من أحسن ما قيل من الشعر فى الفخر بالشجاعة ، سَباطةً ، ونَقاوة ، وحَلاوةً . ومنها :

تذَكّرتُ والذكرى تَهيج على الفتى ومِن حاجة المحزونِ أن يتذكّرا
ندامايَ عِندَ المنذر بن محرِّق أرى اليومَ منهم ظاهرَ الأرضِ مقفِرا[3]
تَقَضّى زمانُ الوَصْل بينى وبينَها ولم ينقضِ الشوقُ الذى كان أكثرا
وإنّى لأستَشفى برُؤية جارِها إذا ما لِقاؤها علىَّ تعذّرا
وألقى على جِيرانِها مَسْحة الهوى وإن لم يكونوا لى قَبيلاً ومعشرا

(١) سه : « كالبرد » .
(٢) ويروى : « عوجا ساعة » .
(٣) ط : « عبد المنذر » ، صوابه فى سه وسائر المراجع .

تردَّيتُ ثوبَ الذلِّ يومَ لقيتُها … وكان ردائى نخوة وتجبرا[1]

حسبنا زماناً كلَّ بيضاء شَحْمَةً … ليالىَ إذ نغزو جُذاماً وحِمْيَرا[2]

إلى أن لقينا الحىَّ بكر بنَ وائلٍ … ثمانينَ ألفاً دارِعِينَ وحُسَّرا

فلما قَرَعنا النبْعَ بالنبع : بعضه … ببعض ، أبتْ عِيدانُه أنْ تكسَّرا

سَقيناهمُ كأساً سَقَونا بمثلها … ولكننا كنّا على الموت أصبرا !

قال عمر بن شبّة : كان النابغةُ الجعدىّ شاعراً مقدَّماً ، إلاّ أنّه كان إذا هاجى غُلِب ، وقد هاجى أوسَ بنَ مَغْرَاء ، وليلى الأَخيَليَّة ، وكعبَ ابنَ جُعَيل ، فغلبوه — وهو أشعر منهم — مراراً . ليس فيهم من يقرب منه . وكان قد خرج مع علىّ رضى الله عنه إلى صِفِّين ، فكتب معاوية إلى مرْوانَ ، فأخذ أهلَ النابغة ومالَه ، فدخل النابغةُ على معاوية ، وعنده مرْوان وعُبيد الله ابن مروان[3] ، فأنشده :

مَن راكبٌ يأتى ابنَ هندٍ بحاجتى … على النأى والأنباء تنمى وتُجْلَبُ !

ويُخبِر عنّي ما أقولُ ابنَ عامرٍ … ونِعْمَ الفتى يأوى إليه المعصَّبُ !

فإن تأخذوا أهلى ومالى بِظِنّةٍ … فإنّى لأحرار الرجال مجرِّبُ[4]

صبورٌ على ما يَكره المرء كلِّه … سِوَى الظلمِ ، إنّى إنْ ظُلِمتُ سأغضبُ

---

(١) ط : « نجوة وتجبرا » صوابه فى ســ والديوان .

(٢) البيت وما بعده إلى آخر الأبيات فى ديوانه ، ولم يذكر فى جمهرة القرشى . ورواها أبو تمام فى الحماسة ١٠٠ — ١٠٦ بشرح المرزوقى منسوبة إلى زُفَر ابن الحارث الكلابى .

(٣) فى النسختين : « وعبيد الله بن مروان » وجعلها الشنقيطى فى نسخته « وعبد الله ابن عامر » ، مطابقا ما فى الأغانى ٤ : ١٣٨ .

(٤) الأغانى : « فإنى لحراب الرجال » .

فالتفتَ معاويةُ إلى مروانَ فقال : ما ترى ؟ قال : أرى أن لا تردّ عليه شيئاً ! فقال : ما أهونَ عليك أن يَقطع عليَّ عِرضي ثم تَرويه العرب ! أما والله إن كنتَ لممَّن يرويه ! أردُد عليه كلَّ شيء أخذتَه . . ثم أقحمتْه سَنَةٌ ، فدخل على ابن الزُّبير فى المسجد الحرام يَستَجْدِيه — ومدَحه بأبيات — فأعطاه من بيت المال قلائصَ سبْعاً ، وفرساً رَجيلا : وأوقر له الرِّكابَ بُرّاً وتمْراً وثياباً .

وفى تاريخ الإسلام للذهبيّ : أنّ النابغة قال هذه الأبيات (١) :

المرء يهوَى أن يَعيـــش ، وطُول عُمرٍ قد يضُرُّه
وتَتابُعُ الأيّامِ حـــتّى ما يرى شيئاً يسُرُّه
تَفنى بشاشتُه ويَبـــقى بعد حُلوِ العيش مُرُّه

ثم دخل بيته فلم يخرج منه حتى مات .

وفى الاستيعاب : كان النابغة يذكُر فى الجاهليّة دينَ إبراهيم والحنيفيّة ، ويصوم ، ويستغفِر — فيما ذكروا — وقال فى الجاهلية كلمته التى أوّلُها :

الحمد لله لا شريكَ لهُ من لم يقلْها فنفسَه ظَلما(٢)

٥١٥ وفيها ضُروبٌ من دلائل التوحيد ، والإقرارِ بالبعث والجزاء والجنّة والنار ، وصِفَةِ بعضِ ذلك : على نحو شعر أُميّة بن أبى الصَّلْت . وقد قيل إن هذا الشعر لأمية بن أبى الصلت ، ولكنّه قد صحّحه يونس بن حبيب ، وحمّادٌ

(١) وكذا فى حماسة البحترى ١٣٦ ومجموعة المعانى ١٢٥ وأمالى المرتضى ١ : ٢٦٦ . ونسب إلى النابغة الذبيانى فى الشعراء ١١١ ومقدمة جمهرة القرشى ٢٨ .
(٢) انظر قصيدة البيت فى الشعراء ٢٥٣ والديوان ١٢٢ والخزانة ٤ : ٤ .

الراوية ، ومحمّدُ بن سلاّم ، وعلىُّ بن سليمانَ الأخفشُ ، للنابغة الجعدىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد المائة(١) :

١٨٧ (عَوْذٌ وبُهْثَةُ حاشِدونَ ، عليهمُ حِلَقُ الحديدِ مُضاعَفاً يَتَلَهَّبُ)

على أنّه قد جاء فيه الحال من المضاف إليه : كالبيت الذى قبله . أعنى قوله مضاعفاً حال من الحديد .

قال أبو علىّ فى المسائل الشيرازيّات : قد جاء الحال من المضاف إليه فى نحوِ ما أنشدَه أبو زيد .

عَوْذٌ وبُهْثَةُ حاشِدون ، عليهمُ حَلَقُ الحديدِ مُضاعَفاً يتلهبُ

انتهى كلامه . قال ابن الشجرىّ ، فى المجلس السادس والسبعين ، فى أماليه : الوجه فى هذا البيت فيما أراه ، أنّ مضاعَفاً حالٌ من الحلَق لا من الحديد ، لأمرين : أحدهما أنّه إذا أمكن مجىء الحال من المضاف كان أولى من مجيئها من المضاف إليه ، ولا مانع فى البيت من كون مضاعَفاً حالاً من الحلَق ، لأنّنا نقول : حلَقٌ محكَمٌ ومُحكَمة . والآخر أنّ وصْفَ الحلَق بالمضاعف أشْبَه ، كما قال المتنبى :

أَقبَلتَ تبسِمُ والجيادُ عوابسٌ يَخْبُبْنَ بالحلَق المضاعف والقَنا

ويجوز أن يُجعل مضاعفاً حالاً من المضمَر فى يتلهّب ، ويتَلهَّب فى موضع الحال من الحلَق ؛ فكأنه قال : عليهم حَلَقُ الحديدِ يتلهَّبُ مضاعَفا .

---

(١) انظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢/١٦٧ : ٣٢٧ والهمع ١ : ٢٤٠ ونوادر أبى زيد ١١٣ .

وقال فى المجلس الخامس والعشرين مثلَ هذا ، ثم قال : ويتوجّه ضعفُ ما قاله من جهةٍ أخرى : وذلك أنّه لا عامل له فى هذه الحال ، إذا كانت من الحديد ، إلاّ ما قدّره فى الكلام من معنى الفعل بالإضافة . وذلك قوله : ألا ترى أنّه لا تخلو الإضافة من أن تكون بمعنى اللام أو مِن . وأقول : إنّ مضاعَفاً فى الحقيقة إنّما هو حال من الذِكْرِ المستكنّ فى عليهم ، إن رفعتَ الحلق بالابتداء ؛ فإن رفعتَه بالظرف على قول الأخفش والكوفيِّين فالحال منه ، لأنّ الظرف حينئذ يخلو من ذكر اهـ .

و (عَوذ) بفتح المهملة وآخره ذال معجمة ، هو عَوذ بن غالب بن قُطَيعة — بالتصغير — ابن عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان . و (بُهْثَة) بضمّ الموحّدة ، وهو بُهثَة بن عبد الله بن غطَفان . فبُهثة ابن عمٍّ بَغيض . وغَطفان هو ابن سعد بن قَيسِ عَيْلانَ بن مضر ، كذا فى جمهرة الأنساب لابن الكلبيّ .

و (حلَق الحديد) قال صاحب العباب : الحلْقة بالتسكين : الدِّرْع ، والجمع الحلَق بفتحتين على غير قياس ، وقال الأصمعى : حِلَق بالكسر مثل بَدْرة وبِدر ، وقَصْعة وقِصَع . وفى المصباح . الحلْقة : السلاح كلُّه . ثم أورَد الجمعَ مثلَ ما أورده صاحبُ العباب ، وقال : وحكى يونس عن أبى عمرو بن العلاء أنّ الحلقة بالفتح لغة فى السكون ؛ وعلى هذا فالجمع بحذف الهاء قياسٌ مثل قصَبة وقَصَب . وجمع ابنُ السرّاج بينهما وقال : فقالوا حلَق ثم خفّفوا الواحد حين ألحقوه الزيادةَ ، وغير المعنى . قال : وهذا لفظ سيبويه . وأمّا حلْقة الباب ، فقد قال صاحب العُباب والمصباح : هى بالسكون أيضاً ، تكون من حديد وغيره ؛ وحلْقةُ القوم كذلك ، وهم الذين يجتمعون مستديرين . وقال صاحب العباب : قال الفرّاء فى نوادره : الحلِقة بكسر اللام لغة بلحارثِ بن كعب ، فى الحلْقة بالسكون والحلَقة بالفتح قال ابن السكّيت : سمعتُ أبا عمرو الشَّيبانى

يقول : ليس في كلام العرب حَلَقة بالتحريك ، إلاّ في قولهم : هؤلاء حَلَقَة ، للذين يحلِقون الشعر جمع حالق اﻫ .

فقول الشاعر : حلق الحديد ، المراد من الحلَق الدُّروع ، سواء كسرت الحاء أو فتحت . وإضافتُها إلى الحديد كقولهم : خاتمُ فضةٍ ، وثوبُ خزٍّ . فالمضاعَف لا يكون حالاً إلاّ من ضمير الحلَق المستقرِّ في الجارّ والمجرور الواقعَين خبراً ، أو من الحلَق على مذهب سيبويه : من تجويزه مجيء الحال من المبتدإ ، أو من ضمير يتلهَّب . ولا يصحُّ أن يكون حالاً من الحديد إذ لا معنى له . فتأمَّلْ . وأيضاً الدِّرعُ المضاعَفة هي المنسوجة حَلْقتين حلْقتين ، قيل : ويجوز أن يراد بالمضاعَفة درعٌ فوقَ أخرى . و (يتلهَّب) : يشتعل ، استُعير للمعانِه . و (الحشْد) يكون لازماً ومتعدِّياً ، يقال حشد القومُ ، من باب قتل وضرب : إذا اجتمعوا . وحشدتُهم : أي جمعتهم .

وهذا البيتُ من أبياتٍ لزيدِ الفَوارسِ ، أوردها أبو محمَّد الأعرابيُّ في كتاب ضالّة الأديب . وهي :

(دُلِّهْتِ أنْ لم تسألى أيَّ امرئٍ ... بِلوَى النَّقيمة إذ رِجالُكِ غُيَّبُ
إذ جاء يومٌ ضوءه كظلامِه ... بادى الكواكبِ مُقْمَطِرٌّ أشهبُ
عَوذٌ وبُهثةُ حاشدونَ عليهمُ ... حلَقُ الحديد مضاعَفاً يتلهَّبُ
وَلَّوْا تَكبُّهم الرِّماحُ كأنَّهمْ ... أثْلٌ جافَتَ أُصولَه أو أثأبُ
لَدُ غُدوةٍ حتَّى أغاثَ شريدَهُمْ ... جوُّ العشارةِ فالعيونُ فزُنقبُ
فتركتُ زرًّا في الغبار كأنَّه ... بشَقيقتَي قُدَميَّةٍ متلبِّبُ)

قال أبو محمَّد الأعرابيّ : كان سبب هذه الأبيات ، أنَّه أغار زرُّ بن ثعلبة أحدُ بني عَوذ بن غالب بن قُطيعة بن عَبْس ، في بني عبس وعبدِ الله بنِ غطَفان ،

فأصابوا نَعَماً لبنى بَكر بن سعد بن ضبَّة ، فطردوها . فأتاهم الصَّريخ ، ورئيسُهم يومئذ زيدُ الفوارس ، حتّي أدركوهم بالنَّقيعة تحتَ الليـل ؛ فقتلوا زِرًّا ، والجنيد[١] بن تيجان[٢] من بنى مخزوم ، وابن أزنم من بنى عبد الله بن غطفان . فقال زيد الفوارس هذه الأبياتَ فى ذلك اهـ .

قوله : دُلِّهت بالبناء للمفعول وخطاب المؤنثة ، من التَّدْليه[٣] وهو ذَهاب العقل من همٍّ وعِشق ونحوِه . دعاء عليها أنْ لم تسألْ عنه[٤] أىُّ فارس كان هناك ! وأىّ امرئٍ خبر مبتدإ محذوف ، أى أنا ؛ ويجوز نصبه على أنّه خبر كان المحذوفةِ مع اسمها ، أى أىَّ امرئٍ كنت ، وبهـا يتعلَّق الظرفان . وإذ الثانية بدلٌ من إذ الأولى . والنَّقيعة ، بالنون : موضع بين بلاد بنى سَليط وضبّة . واللوى : ما التوى من الرمل . ويوم مُقمطِرٌ : مشتدٌ ، اقمطرّ أى اشتدّ . وأشهب : من الشُّهْبة ، وهو بياضٌ يصدَعه سَواد . وقوله : وَلَّوا تكبُّهم الخ ، ولّوا : أدبروا ، وجملة تكبُّهم حالٌ من الواو ، كبَّه : قلبه وصرَعه . والرماح : جمع رمح وجأفت الشجرةَ ، بعد الجيم همزة : أى قلعتها . والأثأب بالمثلثة كجعفر : شجر ، الواحدة أثْـأبة . والشريد : الطريد المهزوم ، وهو مفعول . وجوّ العشارة فاعله ، وهو موضع ، وكذلك العيون . وزنقب بالزاى والنون والقاف . وقوله : بشقيقتَي قُدَميّة ، هو مثنّي شقيقة ؛ والشقيقة كلُّ ما انشقّ نِصفين وكلٌّ منهما شَقيقة ؛ أى كأنّه ملفوفٌ بشُقّتي ثوب قُدَمية . وقُدَم بضم القاف وفتح الدال : حىٌّ باليمن ، وموضع تُصنَع فيه ثيابٌ حُمْر . ومتلبِّب ،

٥١٧

(١) ط : « والجند » .

(٢) كذا . والمعروف « تيحان » بالحاء المهملة .

(٣) فى النسختين : « من التدلهة » وصححها الشنقيطي بما أثبت .

(٤) ط : « تسأله عنه » صوابه من سه .

من تلبَّبَ بثوبه : إذا التفَّ به وتشمَّر . ولبّبته تلبيباً إذا جمعتَ ثيابَه عند نحره فى الخصومة ثم جرَرْته .

زيد الفوارس

وزيدُ الفوارسِ هو ابن حُصينٍ بن ضِرارٍ الضبِّيّ وهو جاهليّ . وذكره الآمديّ فى المؤتلِف والمختلف ، ولم يرفَعْ نسبَه ، ولا ذكر له شيئاً من شِعره . وهذه نسبته من جمهرة ابن الكلبيّ : زيد الفوارس بن حُصين بن ضِرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بَجَالةَ بن ذُهْل بن مالك بن بكر بن سعد ابن ضبّة بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مُضَر بن نزار بن مَعدّ بن عدنان . وضرار بن عمرو وكان يقال له : « الرَّدِيم » لأنّه كان إذا وقف فى الحرب ردَم ناحيتَه — أى سدّها — وطالت رياسته ، وشهد يومَ القُرْنتَين ، ومعه ثمانية عشر من ولده يقاتلون معه ، وزيدُ الفوارسِ كان فارسَهم . ولهذا قيل له : زَيد الفوارس .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد المائة[1] :

١٨٨ (وإنّا سوْفَ تُدرِكُنا المنايا مُقدَّرةً لنا ، ومقدَّرِينا)

على أنّه يجوزُ عطفُ أحدِ حالَى الفاعل والمفعول على الآخر ، كما فى هذا البيت : فإنّ (مقدّرة) حالٌ من الفاعل ، وهو (المنايا) ، و (مقدَّرينا) حالٌ من المفعول ، أعنى ضميرَ المتكلم مع الغير . أىْ تدركنا المنايا فى حال كوننا مقدَّرين لأوقاتها وكونِها مقدَّرة لنا .

و (المنايا) : جمع مَنيّة وهى الموت ، وسمّى منيّة لأنّه مقدّر ، من مَنَي له أى قدّر ، قال أبو قِلابَة الهُذَلىّ :

(١) لم أجد من استشهد به غيره .

فلا تَقُولنْ لشيءٍ سوفَ أفعلُه حتَّي تلاقَ ما يَمْنِي لك المانى[1]

أى ما يقدّر لك القادر .

وهذا البيت من معلّقة عمرو بن كلثوم التغلبيّ . وهذا مطلعها :

(ألا هُبّي بصَحنك فاصبَحِينا ولا تُبقى خُمورَ الأندَرِينا
مشَعْشَعةً كأنَّ الحُصَّ فيها إذا ما الماء خالَطَها سخينا
تجورُ بذى اللُّبانةِ عن هَواه ، إذا ما ذاقَها ، حتَّي يَلينا ؟
تَرى اللَّحِزَ الشَّحيحَ ، إذا أُمِرَّتْ عليهِ ، لمالِه فيها مُهينا ؟
صَدَدتِ الكأسَ عنّا أمَّ عمرٍو ، وكان الكأسُ مَجْراها اليمينا ؟
وما شرُّ الثَلاثة ، أمَّ عمرٍو ، بِصاحبكِ الذى لا تَصبَحِينا !
وإنّا سوفَ تدركنا المنايا . . . . البيت)

ألا : حرفٌ يفتتَح به الكلام ، ومعناه التنبيه . وهُبّي : معناه قومى من نومك ؛ يقال : هبَّ من نومه يهُبُّ هبًّا ، إذا انتبَه وقام من موضعه . والصَّحْن : القدَح الواسع الضخم . وقوله : فاصبحينا ، أى اسقينا الصَّبوح وهو شُرب الغَداة يقال : صَبَحهُ بالتخفيف صَبْحاً بالفتح . والأندَرِين : قرية بالشام كثيرةُ الخمر ؛ وقيل : هو أندَر ، ثمَّ جمعه بما حَوالَيه ؛ وقيل : هو أندَرون . وفيه لغتان ، منهم من يُعربه إعرابَ جمع المذكّر السالم ، ومنهم من يُلزمه الياء ويجعل الإعراب على النون ، وقال الزجّاج : يجوز مع هذا لزومُ الواو أيضاً .

٥١٨

وقوله : مشعشعة كأنّ الخ ، المشعشَعَة : الرقيقة من العَصْر أو من المِزاج ،

(١) وكذا فى اللسان (منى) . وروى فى شرح أشعار الهذليين ٧١٢ وديوان الهذليين ٣ : ٣٩ : « ما يمنى لك المانى » ، ووردت نسبته أيضا إلى سويد بن عامر المصطلق فى اللسان .

يقال: شَعْشِعْ كأسك: أى صُبَّ فيها ماء ؛ منصوبٌ على أنّه مفعول اصبَحينا، أى اسقينا ممزوجةً ؛ وقيل : حالٌ من خمور ؛ وقيل بدل منها . والحُصُّ ، بضمّ المهملة : الوَرْس وهو نبت أصفر يكون باليمن ، وقيل هو الزعفران . وقوله : سخينا قال أبو عَمرو الشَّيبانىّ : كانوا يسخِّنون لها الماء فى الشتاء ثمَّ يمزُجُونها به فهو على هذا حالٌ من الماء . وقيل : هو صفةُ موصوفٍ محذوف ، أى فاصبحينا شَراباً سخيناً . وفيه نظر . وقيل : سَخينا فِعْلٌ : أى جُدْنا ، يقال سَخِيَ يَسخَى ، من باب تعب ، والفاعل سخٍ ؛ وفيه لغتان أُخريان : إحداهما سخا يسْخو فهو ساخٍ من باب علا ، والثانية سخُوَ يسخُو مثل قرب يقرب سَخاوة فهو سخيّ . ويُروى : (شَحِيناً) بالشين المعجمة ، أى إذا خالطها الماء مملوءة به ، والشَّحْن : المَلء ، والفعل من باب نفع ، والشَحين بمعنى المشحون .

وقوله : تجور بذى اللُّبانة الخ ، من الَجور وهو العدول . واللُّبانة : الحاجة يَمدحُ الخمرَ ويقول: تَعدِل بصاحب الحاجة عن حاجته وهواه إذا ذاقها حتّى يَلين . أى هى تُنسى الهمومَ والحوائجَ أصحابَها ، فإذا شربوها لانُوا ونَسُوا أحزانَهم وحوائجهم .

وقوله : ترى اللَّحِز الخ ، اللَّحِز بفتح اللام وكسر المهملة وآخره زاى معجمة : الضيِّق البخيل ، وقيل : هو السيِّئ الخلق اللئيمُ . وقوله : إذا أُمِرَّت عليه ، أى أُديرت الكأسُ عليه . والمعنى : أنّ الخمر إذا كثر دَوَرانُها عليه أهانَ مالَه وجاد بِهِ .

وقوله : صددتِ الكأسَ عنّا الخ ، أى صرفتِ الكأسَ عنّا إلى غيرنا . وهذا البيت من شواهد سيبويه[1] على أنّ قوله اليمينا نصب على الظرف .

---

(١) فى كتابه ١ : ١١٣ ، ٢٠١ .

وفيه أربعة أوجه : أحدُها أن يكون مَجراها بدلاً من الكأس وهو مصدر لا مكان واليمينَ ظرفُ خبر كانَ . الثاني : أنّ اليمين خبر كانَ ، لا ظرف ، لكنْ على حذف مضاف أى مَجرى اليمين . الثالث : مَجراها مبتدأ ، واليمينَ ظرفٌ خبره ، والجملة خبر كانَ : الرابع : أن يُجعل المجرى مكاناً بدلاً من الكأس ، واليمين خبر كان ، لا ظرف . وأمَّ عمرو ، منادى . قال ابن خلف : هى أمُّ الشاعر ، وكان هوَ جالساً مع أبيه وأبى أمّه ، وكانت تسقى أباها وزوجَها وتُعرِض عنه استصغاراً له ، فقال لها : إذا سقيتِ إنساناً كأساً اجعلى الكأسَ بعدَه للذى على يمينه حتّى ينقضى الدَّور ، ولا ينبغى أن تَحقِرينى ، فلستُ بشرِّ الثلاثة ! يعنى نفسَه وأباه وأباها ! ﻫ . وهذا بعيد .

قال شُرَّاح المعلّقات : وبعضهم يَروى هذين البيتين لعَمْرو ابن أخت جَذيمة الأبرش[1] : وذلك أنه لما وجده مالكٌ وعقيل[2] فى البرِّيّة ، وكانا يشربان ، وأمّ عمرو هذه تصدُّ عنه الكأس ، فلمّا قال هذا الشعر سَقَياه وحملاه إلى خاله جَذيمة . وله خبر طويل مشهور .

وقوله : (وإنّا سوف تدركنا) الخ ، معنى هذا البيت فى اتصاله بما قبلَه ، أنه لمّا قال لها هبِّى بصحنك ، حثّها على ذلك . والمعنى : فاصبَحينا من قبل حضور الأجَل ، فإنّ الموت مقدَّر لنا ونحن مقدَّرون له .

وهذه القصيدة أنشدَها عمرو بن كلثوم ، فى حَضرة الملكِ عمرو بن هند — وهو ابنُ المنذر — وهندٍ أمّه ، ارتجالاً ، يذكر فيها أيّام بنى تغلِبَ

(١) انظر رسالة الغفران ١٨١ — ١٨٢ والعمدة ٢ : ٢١٧ .

(٢) هما نديما جذيمة اللذان ضُرب المثل بهما فى امتداد الصحبة وطول المنادمة . ولما وجدا عمرًا بالبرية وكان قد استهوته الجن فيما زعموا . ردّاه إلى جذيمة ، فأثابهما فى ذلك بصحبته ، فلزماه أربعين عاما حتى ضرب الدهر بينهما . انظر ثمار القلوب ١٤٣

٥١٩

ويفتخر بهم . وأنشدَ أيضاً عند الملك يومئذٍ ، الحارثُ بنُ حِلِّزة قصيدتَه التى أولُها :

* آذنَتْنا ببينها اسْماء *

وتقدّمت حكايتها[١] . قال معاوية بنُ أبى سفيان : قصيدةُ عمرو بن كلثوم ، وقصيدةُ الحارث بن حِلِّزة ، من مفاخر العرب ، كانتا معلَّقتين بالكعبة دهراً .

قال ابن قُتيبة فى كتاب الشعراء[٢] : قصيدةُ عمرو بن كُلثُومٍ من جيِّد شِعر العرَب ، وإحدى السبع . ولشغف تغلِبَ بها قال بعضُ الشعراء :

أَلْهى بنى تغلِبٍ عن كلِّ مَكرُمةٍ ... قصيدةٌ قالها عَمْرُو بن كُلثُومِ[٣]
يُفاخِرون بها مذْ كان أوَّلُهمْ ... يا للرِجال لِشعر غيرِ مَسْئوم[٤]

وكان سبب هذه القصيدة ما رواه أبو عمرو الشيبانىّ ، قال : كانت بنو تغلب بن وائل من أشدِّ الناس فى الجاهليّة . وقالوا : لو أبطأ الإسلام قليلاً لأَكلتْ بنو تغلِبَ الناسَ . ويقال: جاء ناسٌ من بنى تغلِب إلى بكر بن وائل يستسقونهم ، فطردتهم بكرٌ ، للحقْد الذى كان بينهم ، فرجَعوا ، فمات منهم سبعون رجلاً عطشاً . ثم إنّ بنى تغلبَ اجتمعوا لحرب بكر بن وائل ، واستعدَّت لهم بكر ، حتّى إذا التقوا كَرِهوا الحربَ ، وخافوا أن تعود الحرب بينهم

(١) انظر الخزانة ١ : ٣٢٥ وما بعدها

(٢) الشعر والشعراء ١٨٨ .

(٣) ـــ فقط : « تكرمة » .

(٤) الشعر للموج التغلبى ، وهو قيس بن زمان بن سلمة بن قيس بن النعمان ، وهو ابن أخت القطامى . المؤتلف ١٨٧ ومعجم المرزبانى ٤٧٨ . وقصيدته بكاملها فى ديوان عمرو بن كلثوم ص ٣١ ، وفى الأغانى ٩ : ١٧٦ أن الشعر لبعض شعراء بكر بن وائل وانظر البيان ٤ : ٤١ .

كما كانت ، فدعا بعضُهم بعضاً إلى الصلح ، فتحاكموا إلى الملك عمرو بن هند ، فقال عمرو : ما كنتُ لِأحكمَ بينكما حتّي تأتونى بسبعِين رجُلاً من أشراف بكر بن وائل ، فأجعلَهم فى وثاقٍ عندى ، فإن كان الحق لبنى تغلِبَ دفعتهم إليهم ، وإن لم يكن لهم حقٌ خلّيتُ سبيلَهم . ففعلوا ، وتواعدوا ليومٍ بعينه يجتمعون فيه . فجاءت تغلبُ فى ذلك اليوم يقودها عمرو بن كلثوم ، حتى جلس إلى الملك . وقال الحارث بن حِلِّزة لقومه ، وهو رئيس بكر بن وائل : إنّى قد قلت قصيدةً فمن قام بها ظفر بحُجّته وفَلَج على خصمه ! فروّاها ناساً منهم ، فلمّا قاموا بين يديه لم يرضَهم ، فحين علم أنّه لا يقوم بها أحدٌ مقامَه قال لهم : والله إنّى لأكره أنْ آتىَ الملكَ فيكلِّمَنى من وراء سبعة ستُور ، وينضحَ أثَرى بالماء إذا انصرفتُ عنه — وذلك لِبرص كان به — غير أنّى لا أرى أحداً يقوم بها مَقامى ، وأنا محتمل ذلك لكم . فانطلَق حتّى أتى الملك ؛ فلمّا نظر إليه عمرو بن كُلثوم قال للملك : أهذا يُناطِقنى وهو لا يُطيق صدرَ راحلته ؟! فأجابه الملك حتّي أفحمه . وأنشد الحارثُ قصيدتَه :

* آذنتنا ببينها أسماء *

وهو من وراء سبعة سُتور — وهند تسمع — فلمّا سمعتها قالت : تاللهِ ما رأيتُ كاليومِ قطُّ رجلاً يقول مثلَ هذا القولِ يُكلَّم من وراء سَبعة ستور ! فقال الملك : ارفعوا ستراً ! ودنا . فما زالت تقول ويُرفَع سِترٌ فستر ، حتّي صار مع الملك على مجلِسه ، ثمّ أطعمه فى جَفنته ، وأمر أن لا يُنضَح أثَره بالماء ، وجزَّ نواصىَ السَّبْعِينَ الذين كانوا فى يديه من بكر ، ودفعها إلى الحارث ، وأمره أن لا ينشد قصيدته إلاّ متوضِّياً . فلم تزل تلك النَّواصى فى بنى يشكر

بعد الحارث وهو [مِن[1]] ثعلبة بن غَنْم من بنى مالك بن ثعلبة . وأنشد قصيدتَه عمرُو بن كلثوم . هكذا نقل الخطيب التبريزىّ عن أبى عمرو الشيبانىّ . وهذا مخالف لما نقلناه عنه عند ذكر معلّقة الحارث بن حِلِّزة[2] والله أعلم .

عمرو ابن كلثوم

وعمرو صاحب هذه المعلّقة هو عمرو بن كُلثومِ بن مالك بن عتّاب بن سعد ابن زُهير بن جُشَم بنِ بكر بن حُبَيِّب بن عمرو بن غَنْم بن تغلِب بن وائل .

قال أبو عبيد البكرىُّ ، فى شرح نوادر القالىّ[3] ، عمرو بن كلثوم شاعرٌ فارس جاهلىّ ، وهو أحد فُتّاك العرَب ، وهو الذى فتك بعمرو بن هند .

٥٢٠

وكنيته أبو الأسود . وأخوه مُرّة هو الذى قتل المنذرَ بنَ النُعمان . وأمُّه أسماء بنتُ مهلهِل بن ربيعة . ولما تزوّج مهلهِلٌ هنداً بنت عتيبة[4] ، ولدت له جارية ، فقال لأمِّها : اقتُليها وغيِّبيها ! فلمّا نام هتَف به هاتفٌ يقول :

كم مِنْ فتى مؤمَّلْ وسيِّدٍ شمردَلْ
وعددٍ لا يُجهَلْ فى بطنٍ بنت مهلهِلْ

فاستيقظ ، فقال : أين بنتى ؟ فقالت : قتلتُها . فقال : لا ، وإلهِ ربيعة ! وكان أوّلَ من حلف بها . ثم ربّاها وسمّاها أسماء ، وقيل ليلى . وتزوّجها كلثومُ بن مالك . فلمّا حملت بعمرٍو أتاها آتٍ فى المنام فقال :

يا لَكِ ، لَيلَى ، مِن وَلدْ يُقدِم إقدامَ الأسدْ

---

(١) ط : « وهو ثعلبة » ، والتكملة من ش وشرح التبريزى للقصائد العشر . على أن الذى من ثعلبة بن غنم ليس الحارث ، بل هو النعمان بن هرم زعيم بكر فى ذلك اليوم . انظر مقدمة التبريزى على كل من معلقة عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة .

(٢) الخزانة ١ : ص ٣٢٥

(٣) سمط اللآلىء ٦٣٥ .

(٤) فى السمط : « هند بنت نعج بن عتبة » .

مِن جُشَمٍ فيه المَدَدْ   أقول قولاً لا فند[١]

فلما ولدت عَمراً أتاها ذلك الآتى فقال :

أنا زعيمٌ لكِ ، أمَّ عمرِو   بماجدِ الجَدِّ كَريمِ النَّجْرْ[٢]

أشجعَ من ذى لِبَدٍ هِزَبْرِ   وَقّاصِ أقرانٍ شـديدِ الأسْرِ

يَسودُهم فى خمسةٍ وعشرِ

وكان كما قال ، سادهم وهو ابنُ خمسَ عشرةَ سَنَة . ومات وهو ابن مائة وخمسين سنة اهـ .

وقال ابن قُتيبة فى كتاب الشعراء[٣] : عمرو بن كلثوم جاهلىٌّ قديم ، وهو قاتلُ عمرو بن هند الملك . . وكان سبب ذلك أنّ عمرو بن هند قال ذاتَ يومٍ : هل تعلَمون أحداً من العرب تَأنف أمُّهُ من خدمة أُمِّى ؟ قالوا : لا نَعلمها ، إلاّ ليلى أمَّ عمرو بن كلثوم ! قال : ولِمَ ذلك ؟ قالوا : لأنّ أباها مهلهلُ بن ربيعة ، وعمَّها كليبُ وائل أعزُّ العرب ، وبعلَها كلثومُ بن مالك فارسُ العرب ، وابنَها عمرو بن كلثوم سيِّد من هو منه ! فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيره[٤] ويسأله أن يُزِير أمَّهُ أمَّه . فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة فى جماعةٍ من بنى تغلب ، وأقبلت ليـلى فى ظُعُنٍ من بنى تغليب ، وأمر[٥] عمرُو بن هند برِواقه فضُرب ما بين الحِيرة والفرات ، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته ، فحضروا . ودخل عمرو بن كلثوم رواقه ، ودخلت ليلى بنت مهلهلٍ

---

(١) الفند : الكذب . فى النسختين : « لانفد » وصححها الشنقيطى فى نسخته ، مطابقا مافى السمط .

(٢) النجر : الأصل والأرومة . ط : « النحر » صوابه فى ش والسمط .

(٣) الشعراء ١٨٥ — ١٨٨ .

(٤) ط : « ليستزيره » وأثبت مافى ش والشعراء .

(٥) ط : « وأم » صوابه فى ش والشعراء .

على هندٍ قُبَّتَها — وهند أمّ عمرو بن هند عمّة امرئ القيس الشاعر ، وليلى بنتُ مهلهل هي بنت أخي فاطمة بنت ربيعة أمّ امرئ القيس — فدعا عمرو ابن هند بمائدةٍ فنصبها ثمّ دعا بالطُّرَف . فقالت هند : يا لَيلى ، ناوِليني ذلك الطبَق ! فقالت : لتقمْ صاحبةُ الحاجة إلى حاجتها ! فأعادت عليها . فلمّا ألحّت صاحت ليلى : واذُلّاه ! يا لَتغلِب ! فسمعها ابنُها عمرو بن كلثوم ، فثار الدمُ فى وجهه ، فقام إلى سيفٍ لعمرو بن هند معلّقٍ بالرِواق — وليس هناك سيفٌ غيره — فضرب به رأسَ عمرو بن هند حتّى قتله ، ونادى فى بنى تغلبَ فانتهبوا جميعَ ما فى الرِواق ، واستاقوا نجائبَه ، وساروا نحو الجزيرة . . . وابنه عتّاب بن عمرو بن كلثوم قاتِلُ بِشر بن عمرو بن عُدس . وأخوه مُرَّة ابن كلثوم قاتِلُ المنذرِ بن النعمان بن المنذر . ولذلك قال الأخطَل :

٥٢١

أبَنِي كُليبٍ ، إنّ عَمَّيَّ اللذا قَتَلا الملوكَ وفَكَّكا الأغلالا

والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد المائة (١) :

١٨٩ (كأنّه خارجاً مِنْ جنبِ صَفْحَتِهِ سَفُّودُ شَرْبٍ نَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَأَدِ)

على أنّ (خارجاً) حالٌ من الفاعل المعنويّ وهو الماء . لأنّ المعنى يشبه خارجاً . وقد بيّنه الشارح المحقّق .

وعامل الحال ما فى كأنّ من معنى الفعل ؛ قال أبو علىّ الفارسىّ فى الإيضاح الشعرىّ ـ وقد أورَد هذا البيتَ فى باب الحروف التى تتضمّن معنى الفعل ـ :

---

(١) انظر الخصائص ٢ : ٢٧٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٥٦ / ٢ : ٢٧٧ وديوان النابغة ٢٠ .

العامل فى خارجاً ما فى كأنّ من معنى الفعل . فإن قلتَ : لمَ لا يكون العاملُ ما فى الكلام من معنى التشبيه ، دونَ ما ذكرتَ ممّا فى كأنّ من معنى الفعل ؟ فالقول أن معنى التشبيه لا يمتنع انتصابُ الحال عنه ، نحو : زيد كعمرو مقبلاً ، إلاّ أنّ إعمالَ ذلك فى البيت لا يستقيم ، لتقدُّم الحال ، وهى لا تتقدَّم على ما يعمل فيها من المعانى .

والهاء فى (كأنّه) عائدة على المِدرَى المرادِ به قَرْنُ الثور . والضمير فى (صفحته) راجعٌ إلى ضُمْران وهو اسم كلب . و (السَّفُّود) خبر كأنّ ، بفتح السين وتشديد الفاء المضمومة ، وهى الحديدة التى يُشوى بها الكباب . و(الشَّرْب) بالفتح : جمع شارب . ونَسُوه أى تركوه حتّى نضج ما فيه . شبّه قرنَ الثور النافذَ فى الكلب بسَفُّودٍ فيه شِواء . والمفتأد ، بفتح الهمزة قبل الدال : المشْتَوى[١] والمَطْبخ ، وهو محلُّ الفَأْد بسكون الهمزة ، وهو الطبخ والنضج ، سواء كان فى قِدرٍ أو شواء[٢] . والمفتئِد ، بكسر الهمزة : اسمُ فاعل ، وهو الذى يعمل المَلّة ؟ والفئيد ، على فَعيل : كلُّ نار يُشوى عليها .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للنابغة الذُّبيانىّ ، يمدح بها النُّعمانَ بنَ المنذر ، ويعتذر إليه فيها ممّا بلغه عنه . وقد بيَّنّا سببَ اعتذاره فى ترجمته فى الشاهد الرابع بعد المائة[٣] .

وهذه القصيدة أضافها أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوىّ[٤]

---

(١) ط : « المستوى » صوابه فى ش وشرح التبريزى للقصائد .

(٢) ط : « قدراً أو إشواء » . والقدر بالفتح مصدر قدر بمعنى طبخ . والإشواء : مصدر أشوى بمعنى شوى كما فى المصباح

(٣) الخزانة ٢ : ص ١٣٠ وما بعدها

(٤) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادى النحوى ، المعروف بابن النحاس ، المتوفى سنة ٣٣٨ . وشرحه للمعلقات السبع منه نسخ بدار الكتب المصرية .

إلى المعلّقات السبع ، لجودتها . وقد أورد الشارحُ المحقِّق فى شرحه عدّةَ أبيات منها . وقبل هذا البيت :

أبيات الشاهد

(كأنَّ رَحْلى ، وقد زال النهارُ بنا ... بذى الجُلَيل ، على مُستأنسٍ وَحِدِ[1])

من وحشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أكارُعه ... طاوى المَصيرِ كسَيف الصَّيقَل الفَرَدِ

سَرَتْ عليه من الجوزاءِ ساريةٌ ... تُزجى الشَمالُ عليه جامدَ البَرَدِ

فارتاعَ مِن صَوت كَلّابٍ فباتَ له ... طوعُ الشوامتِ مِن خَوفٍ ومن صَرَدِ

فبثّهنّ عليه واستمرّ به ... صُمْعُ الكعوب بريئاتٍ من الحَرَدِ

فهابَ ضُمْرانُ منه حيث يُوزِعُه ... طَعنَ المُعارِكِ عند المُحْجَرِ النَجِدِ

شَكَّ الفريصةَ بالمِدرَى فأنفَذَها ... شكَّ المبيطِر إذْ يَشفِى من العَضَدِ

كأنّه ، خارجاً من جَنبِ صَفحتِه ... سَفُّودُ شَرْبٍ نَسُوه عند مُفْتَأَدِ

فظَلَّ يَعجُمُ أعلى الرَّوقِ منقبضاً ... فى حالكِ اللون صَدْقٍ غيرِ ذى أَوَدِ

لما رأى واشقٌ إقعاصَ صاحبِه ... ولا سبيلَ إلى عَقْلٍ ولا قَوَدِ

٥٢٢

قالت له النفسُ : إنِّى لا أرى طَمَعاً ... وإنّ مَولاكَ لم يَسْلَمْ ولم يَصِدِ

فتلكَ تُبلِغُنى النُعمانَ ، إنّ له ... فضلاً علَى الناسِ فى الأدنَى وفى البَعَدِ

الرحل : الناقة . وزال النهار : أى انتصف ، وهو من الزّوال . وبنا : الباء بمعنى على . والجُليل ، بضمّ الجيم[2] : الثُمام ، وهو موضع ، أى بموضعٍ فيه هذا النبت . وهذا النَّبتُ لا تأكله الدوابّ . والمستأنِس : الناظر بعينيه .

(١) الجليل ضبطها البغدادى بالضم ، كما أثبت . والمعروف فتح الجيم ، كما فى اللسان . قال : « واد لبنى تميم ينبت الجليل وهو الثمام » . وفى معجم البلدان حيث ضبطه بالفتح أيضا : وذو الجليل : واد قرب مكة » . وأنشد عجز البيت .

(٢) (انظر التعليق السابق ، ولم أجد من ضبطه بالضم ، فلعلها محرفة عن الجليل « بفتح الجيم » .

ورُوِى : (مستوجِس) وهو الذى قد أوجَس فى نفسه الفزع ، فهو ينظر . والوَحَد ، بفتحتين : الوحيد المنفرد ، وهو صاحبها : وعلى بمعنى مع . وجملة وقد زال النهار الخ ، حال . وهذه الأمور مما يوجب الإسراعَ ؛ فإنّ المسافر فى فَلَاةٍ يجدّ فى السير بعد الزوال ليصل إلى منزلٍ يجد فيه رفيقاً وعَلَفاً لدابّته .

وقوله : من وحش ، شبَّه ناقته بثور وحشيّ موصوفٍ بهذه الصفات الآتية . وخصَّ وحشَ وَجْرة لأنّها فلاةٌ بين مرّان وذات عِرْق ، ستُون ميلاً ؛ والوحش يكثر فيها ، ويقال إنّها قليلة الشرب فيها[1] . والمَوْشِىّ ، بفتح الميم : اسمُ مفعول من وشَيت الثوب أشيه وَشْياً وشِيةَ : أى لوَّنته ألواناً مختلفة . وأراد به الثورَ الوحشىّ ، فإنّه أبيضُ ، وفى أكارعه أى قوائمه نُقَط سُود ، وفى وجهه سُفْعة . وموشِىٍّ بالجرّ صفة وحش ، وأكارعُه فاعله . وطاوى المَصير أى ضامره ؛ والمصير المِعَى ، وجمعه مُصْران ، وجمع مُصران مَصارين . وقوله : كسيف الصَّيقَل ، أى يلمع . والفَرد ، بكسر الراء وفتحها وسكونها : الثور المنفرد عن أُنثاه ، وكذلك الفارد والفريد .

وقوله : سَرَتْ عليه الخ ، السارية : السحابة التى تأتى ليلاً . ومعنى سرتْ عليه الخ ، أى مُطِر بنَوءِ الجوزاء . وتُزجِى ، مصدرُه الإزجاء بالزاى والجيم ، وهو السَوق . والشَمال فاعله ، وهى ريحٌ معروفة . وجامدَ البرد : مفعولُه : أى ما صلُب من البَرَد .

وقوله : فارتاعَ من صَوت الخ ، أى فزع الثورُ وخاف . والكَلّاب ، بالفتح : الصَّيّاد صاحب الكِلاب . وله : أى للكلّاب . والفاء فى قوله : فبات ، عاطفة . وطَوعُ مرفوع ببِبات. والمعنى عند الأصمعىّ : فبات للكلّاب

---

(١) انظر شرح التبريزى . وفى شرح الوزير أبى بكر زيادة توضيح .

ما أطاعَ شوامتَه ، من الخوف والصَّرَد . وعند أبى عُبيدة : فبات له ما يسرُّ الشوامت . ورُوى (طَوعَ) بالنصب ، فمرفوع بات ضميرُ الكَلاّب ، وله أى لأجل الثور ، والشوامت : القوائم[1] ، جمع شامتة . أى فبات قائماً بين خوف وصَرَدَ — وهو مصدر صَرِد من باب فرح : إذا وجد البَرْد .

وقوله : فبثّهنّ عليه الخ ، بثّ : فرّق ، وفاعله ضمير الكَلاّب ، وضمير المؤنّث المجموعُ للكِلاَب المفهومةِ من الكَلاّب ، وضمير عليه للثور ، وكذلك ضمير به . وأراد بصُمْعِ الكعوبِ قوائمَ الكلاب ، والصُمْع : الضوامر الخفيَّة ، الواحدة صَمْعاء . والكُعوب : جمع كَعْب ، وهو المفصِل من العِظَام . قال أبو الفرج الأصبهانيّ فى الأغانى : يعنى بصُمع الكعوب أنّ قوائمه لازقة محدَّدة الأطراف مُلسٌ ليست بهزيلات[2] . وأصل الصَّمَع دقَّة الشىء ولطافته[3] . وبريئاتٍ حالٌ من الكعوب . والحَرَد ، بفتح المهملتين : أراد به العَيْب ، وأصله استرخاء عَصَبٍ فى يد البعير من شِدَّة العِقال ، وربما كان خِلقةً ، وإذا كان به نفَضَ يديه وضرب بهما الأرضَ ضرباً شديداً .

٥٢٣

وقوله : فهاب ضُمرانَ ، هو بضمّ الضاد المعجمة : اسم كلب . منه أى من الثور . وروى الأصمعىّ وأبو عبيدة (فكانَ ضُمْرانُ مِنه) . ويُوزِعه : يُغريه . فى الصحاح : أوزعته بالشىء فأوزِعَ به ، فهو موزَع به ، أى مُغرًى به . أى كان الكلب من الثور حيثُ أمره الكَلاّب أن يكون . وطعن

---

(١) انوزير أبو بكر : من نصب أراد بالشوامت القوائم . ومثله للتبريزى . وليس ما يمنع أن يراد بالشوامت من يشمت من الأعداء .

(٢) جعلها الشنقيطى « برهيلات » .

(٣) إلى هنا عبارة أبى الفرج فى الأغانى ٩ : ١٦٧ وفيها بدل « هزيلات » « رهلات » ، وبدل « دقة » « رقة » وليس فيها كلمة « ملس » وانظر شرح الوزير .

المُعارِكِ ، بالنصب ، أراد : يطعُن طعناً مثلَ طعن المُعارِك . ورُوى (ضَرْبَ المُعَارِكِ) وهو مثله . والمعارِك : اسم فاعل بمعنى المقاتل . والمُجْحَر : اسمُ مفعول من أجحرته ، بتقديم الجيم على المهملة ، أى ألجأته إلى أن دخل جُحْره فانجحر . و (النَّجُد) يُرْوَى بفتح النون وضمِّ الجيم ، بمعنى الشجاع ، من النَّجدة وهي الشجاعة ، يقال نَجُد الرجل بالضمّ ، فهو وصف للمُعارِك . ورُوى (النَّجِد) بفتح النون وكسر الجيم ، وهو إمّا بمعنى الشجاع ، فإنّ الوصف من النجْدة جاء بضمِّ الجيم وكسرها ، وإمّا وصفٌ من نجِد الرجلُ من باب فرح أى عرِق من عمل أو كَرْب وشدّة ، واسم العَرَق النَّجَد بفتحتين ، ومنه قوله فى هذه القصيدة : « بعد الأين والنَّجَد » . وقد نُجِد يُنْجَد بالبناء للمفعول نَجَدا بفتحتين ، أى كُرِب ، فهو منجود ونجيد أى مكروب . وعلى هذا فهو وصف المجحَر . ورُوى أيضاً (النَّجَد) بفتحتين ، فهو على حذف مضاف ، أى ذى النَّجَد . وروى أبو عبيدة : (حيثُ يوزعه طَعْنُ) بالرفع ، وقال : رفَع ضُمران بكانَ وجعل الخبر فى منْه ، أى كانَ الـكلبُ من الثور كأنّه قطعة منه ، فى قُرْبِه . وارتفع الطعنُ بيوزِعُه . وقال : سمعتُ يونس ابنَ حبيب يجيب بهذا الجواب فى هذا البيت .

وقوله : شكّ الفَريصةَ الخ ، فاعل شكّ ضميرُ الثَور . والفَريصة : اللَّحمة بين الجَنْب والـكتِف ، التى لا تزال تُرعَد من الدابّة ، وهى مَقتَل . وأراد بالمِدْرَى قرنَ الثَور : أى شكّ الثورُ بقرنه فريصةَ الـكلْب . وشكّ منصوبُ على المصدر التشبيهىّ ، أى شكّا مثلَ شكّ المبيطِر وهو البَيطار . ويَشفى : يُداوى ليحصُلَ الشفاء . والعَضَد ، بفتحتين : داء يأخذ الإبل فى أعضادها[1] فيُبَط[2] تقول منه : عضِد البعيرُ من باب فرح .

(١) ط : « أعضائها » ، صوابه فى ش والتبريزى والأغانى والوزير .

(٢) بط الجرح يبطه بطا : شقه . والمبطة : المبضع .

وقوله : (كأنّه خارجاً الخ) أى كأنّ القَرْن فى حال خُروجه سَفُّودٌ .
ومثلُه قول أبى ذؤيب الهُذَلىّ :

فـكأنّ سَفُّودَينِ لمّا يُقتِرا عَجِلا له بِشواءِ شَرْبٍ ينزَعُ

أى فـكأنّ سفودين لم يقترا بِشواءِ شَرْبٍ ، يُنزَع ، أى هما جَديدان(١) .
شبّه قرنَيه بالسفُّودين . وقوله : عَجِلا له ، أى للثور بالطعن الواقع بالـكلاب

وقوله : فظل يعجُم الخ ، عجمَه يعجُمه : إذا مضغَه . والرَّوق بالفتح : القَرْن .
والحالك : الشديد السواد . والصَّدْق بالفتح ، هو الصُلْب بالضم . والأَوَد ،
بفتحتين : العوَج ، أى ظلّ الـكلب يمضُغ أعلى القَرْن لمّا خرج من جَنْبيه ،
فى حالك ، يعنى القرن فى شدّة سواده . أى تقبّض واجتمع فى القَرن لِماَ يجدُ
من الوجع ، كما تقول : صلّى فى ثيابه . قال ابن قُتيبة فى أبيات المعانى(٢)
— وقد شرح أبياتاً خمسة إلى هنا — : من عادة الشعراءِ إذا كان الشعرُ مديحاً
وقال : كأنّ ناقتِي بقرةٌ أو ثورٌ أن تـكون الـكلابُ هى المقتولة . فإذا كان
الشعرُ موعظةً ومرثِيَةً أن تـكون الـكلابُ هى التى تقتُلُ الثورَ والبقرة :
ليس على أنّ ذلك حكايةُ قصّةٍ بعينها .

وقوله : لمّا رأى واشقٌ إقعاصَ الخ ، واشقٌ : اسم كلب . والإقعاص :
الموت السريع ، يقال رماه فأقعصَه : إذا قتله ، وأصله من القُعاص بالضمّ وهو
داء يأخذ الغنم فتموت سريعاً . والعقل : إعطاء الديَة . يقول : قُتِل صاحبُه
فلم يعقل به ولم يُقَدْ به(٣) .

(١) فى النسختين : « حديدان » تصحيف . وفى شرح المفضليات للأنبارى ٨٧٤ :
« لما يُقتَيرا » : جديدان لم يستعملا : أو « لما يَقتُرا » يبردا ، هما حارّان .
(٢) المعانى الـكبير ٢٢٤ .
(٣) ش : « ولم يفديه » ط : « ولم يقده » صوابهما من شرح الوزير
أبى بكر ٢١ .

وقوله : قالت له النفس الخ ، هذا تمثيل ، أى حدّثته نفسُه بهذا ، أى باليأس منه . والمولى : الناصر والصاحب ، وهو هنا الكلب . لم يسلم من الموت ولم يَصِدِ الثور . وقيل : للمولى صاحبُ الكلاب ، لم يسلم من الضرر لأنّ كلبه قتل . وقوله : فتلك تبلغنى النُّعمان الخ ، أى تلك الناقةُ التى تشبه هذا الثورَ تُبلِغنى النعمانَ . وقوله : فى الأدنى الخ ، البعَد بفتحتين قيل : إنّه مصدر ، ويستوى فيه لفظُ الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث ، وقيل : إنّه جمع باعدٍ مثل خادم وخَدَم ؛ وعلى هذا اقتصر صاحب الصحاح وأنشَدَ البيت ، أى فى القريب والبعيد . وروى ابنُ الأعرابىّ (وفى البُعُد) بضمّتين ، وهو جمع بعيد . وروى أبو زيد (وفى البُعَد) بضمّ ففتح ، وهو جمع بُعدَى مثل دُنىً جمع دنيا ، وسُفَل جمع سُفْلَى .

وقد لخّصتُ شرحَ هذه الأبيات ، مع إيضاح وزيادات ، من شرح ديوان النابغة ومن شرح القصيدةِ للخطيب التبريزىّ ومن أبيات المعانى لابن قتيبة . ولله الحمد .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[1] :

١٩٠ (فأرسَلَها العِراكَ ولم يَذُدْها ولم يُشْفِقْ على نَغَص الدِخالِ)

على أن المصدر المعرّف باللام قد يقع حالاً كما فى البيت : فإنّ العراك مصدرُ عارَكَ يعارِكُ معاركةً وعِراكاً ، يقال أورَدَ إبلَه العراكَ : إذا أوردها جميعاً الماء ، كما فى قولهم : اعتركَ القومُ : أى ازدحَمُوا فى المعركة .

(١) فى كتابه ١ : ١٨٧ . وانظر ديوان لبيد ٨٦ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٦٤ وابن يعيش ٢ : ٦٢ / ٤ : ٥٥ والإنصاف ٨٢٢ والعينى ٣ : ٢١٩ والهمع ١ : ٢٣٩ والتصريح ١ : ٣٧٣ .

وفيه مذاهب : الأولُ مذهب سيبويه : أنّه مصدر وقع حالاً . الثانى مذهبُ أبى علىّ الفارسىّ . وبيَّنهما الشارح المحقِّق . الثالث مذهب ابنِ الطَّرَاوة ، وهو أنّ العراكَ نعتُ مصدرٍ محذوف ، وليس بحال ، أى فأرسلها الإرسالَ العِراك .

وزعم ثعلبُ أنّ الرواية : (وأوردَها العِراك) وأنّ العراكَ مفعولٌ ثانٍ لأوردَها . وأمّا قولهم : أرسلها العراك ، فهو عند الكوفيِّين مضمّن أرسلها معنى أوردها ، فهو مفعول ثان لأوردَها . و (الإرسال) : بمعنى التخليَة والإطلاق ، وفاعلُه ضمير الحمار ، وضميرُ المؤنَّث لأتنِه وهى جمع أتانة[(١)] .
و (الذَّود) : الطرد . و (لم يشفق) أى الحمار ، من أشفق عليه : إذا رحمه .
و (النَّغَص) بفتح النون والغين المعجمة وإهمال الصاد : مصدر ، فى الصحاح : نغِصَ الرجُل بالكسر ينغَص نغَصاً : إذا لم يتمّ مُراده ، وكذلك البعير : إذا لم يتمّ شربه . وأنشدَ هذا البيت . ورُوى (نغْض) بالضاد المعجمة أيضاً ، لكنّه بسكون الغين ، وهو التحرُّك وإمالة الرأس نحوَ الشىء ؛ يريد أنّها تُميل أعناقَها إلى الماء بشدّة وتعب . قال السيرافىّ : يريد أنّ بعضها يزحَم بعضاً ، حتّى لا يقدر أن يتحرّك لشدّة الازدحام ؛ فهو واقف مزحوم ، لا يقدر أنْ يشرب ، ولا يتمكن من الحركة . و (الدِّخال) بكسر الدال : أن يُداخَل بعيرٌ قد شرب مرّةً فى الإبل التى لم تشرب حتّى يشربَ معها ، إذا كان كريمًا أو شديدَ العطش أو ضعيفاً . وقال الأعلم : الدِّخال : أن يُدخَل القوىّ بين ضعيفين أو الضعيفُ بين قويّين فيتنغّص عليه شربه .

وهذا البيت من قصيدة للَبيدِ بن رَبيعة الصحابىّ ، وصفَ به حُمُرَ وحْش

(١) فى القاموس أن الأتانة قليلة ، والأكثر الأتان بدون هاء . وكلمة « جمع » ساقطة من ش .

تعدو إلى الماء . يقول : أورد العَير أتُنه الماء دَفعةً واحدة ، مزدحِمة ، ولم يشفق على بعضها أنْ يتنغّص عند الشرب ، ولم يُذدْها لأنّه يخاف الصيّاد . بخلاف الرعاء الذين يدبِّرون أمرَ الإبل ، فإنّهم إذا أوردوا الإبلَ جعلوها قطعاً قِطعا ، حتّي تَروى . وقبله :

٥٢٥

أبيات الشاهد

(رَفعْنَ سُرادِقاً فى يومِ ريحٍ يُصفَّق بين مَيل واعتدالِ)

أراد بالسُّرادق الغُبار . ويصفّق : يردَّد ، تارة مائلاً وتارة مستوياً . والنون ضمير الأُتُن . ورأيتُ فى ديوانه : (فأوردَها العِراكَ) . وفاعله ضمير العير . وهذه القصيدة مطلعها :

(ألم تُلمِمْ على الدِّمَنِ الخوالى لسَلْمَى بالمَذَانبِ فالقُفَالِ)

وترجمة لَبيد تقدمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

١٩١ (جاءوا قَضّهُمْ بقَضِيضهِمْ)

هذا مأخوذٌ من بيتٍ أورده سيبويه .

(أتتنى سُلَيمٌ قضَّها بقَضِيضِها تمسَّح حَولى بالبَقِيع سِبالَهَا)

أنشده على أنّ قضّهم مصدرٌ وقع حالاً . وبيّنه الشارح المحقّق بما لا مزيد عليه . وقال الأعلم : معنى قضّها بقضيضها : منقضّاً آخرُهم على أوّلهم ؛ وأصل

(١) الخزانة ٢ : ص ٢٤٦ .

(٢) فى كتابه ١ : ١٨٨ . وانظر ابن يعيش ٢ : ٦٣ والأغانى ٨ : ١٠٠ وديوان الشماخ ٢٠ .

القضّ الكسر ، وقد استعمل الكسر موضع الانقضاض ، كقولهم : عُقاب كاسرة ، أى منقضّة انتهى . والكسر : الوقوع على الشىء بسرعة .

وهذا البيت للشّماخ . وبعدَه :

(يقولون لى: يا ، احلِفْ ولستُ بحالفٍ ، أُخادِعُهمْ عنها لكيما أنالهَا
ففرّجتُ غَمَّ النفس عنى بحَلْفةٍ كما قَدّت الشَّقْراء عنها جِلالهَا

فقوله : أتتنى سُلَيم ، بالتصغير ، ورُوى بدله (تميم) وهما قبيلتان . والسِّبال جمع سَبَلة وهى مُقدَّم اللحية . أراد أنّهم يمسحون لحاهم وهم يتهدّدونه ويتوعّدونه . وقال الأعلم : يمسّحون لحاهم تأهُّباً للكلام . والبَقيع : موضعٌ بمدينة الرسول ﷺ .

وقوله : يقولون لى يا احلف ، أى يا رجلُ احلِفْ ، أو يا للتنبيه . وقوله : أخادعهم عنها ، أى عن الحَلفة التى طالَبونى أن أحلِف بها ، فأقول لهم لا أحلف ، وأُظهِرُ أنّ الحلف يشقّ علىّ ، حتّى يلحوا فى استحلافى ، فإذا استحلفونى انقطعت الخصومة بيننا . وقوله : لكيما أنالها ، أى أنال الحَلفَة واليمين . ومثله قول بعضهم :

سألونى اليمينَ فارتعتُ منها لِيُغرُّوا بذلك الإنخداعِ
ثمّ أرسلتُها كمنحدَرِ السيـــلِ تعالَى من المكان اليَفاعِ

ومثله لابن الرومىّ :

وإنّى لذو حَلِفٍ كاذبٍ إذا ما اضطُرِرْتُ وفى الحال ضِيقُ
وهل من جُناحٍ على مُسلمٍ يدافِـع بالله ما لا يطيقُ[1] !

(١) طراز المجالس ١٢٩ وشرح المقامات للشريشى ١ : ٩٩ ومحاضرات الراغب ١ : ٢٣١ وسمط اللآلى ١٨٨ .

وقَدّ بمعنى شقّ وقطع طولاً . يريد : كشفت هذا الغمّ عنّي باليمين الكاذبة كما كشفت الشقراء ظَهرَها بشَقّ جُلّها عنه .

وسبب هذه الأبيات ، على ما روى محمّد بن سلام[١] ، قال : كانت عند الشمّاخ امرأةٌ من بنى سُليم ، فنازعتْه وادّعت عليه طلاقاً ، فحضر معها قومُها فأعانوها . فاختصموا إلى كَثِير[٢] بن الصَّلْت — وكان عثمانُ بن عفّان رضى الله عنه قد أقعَده للنظر بين الناس — فرأى كَثِير أنّ لهم عليه يميناً ؛ فالتوى الشمّاخ باليمين يحرِّضهم عليها ، ثمّ حلَف . وقال هذه الأبيات .

٥٢٦

وعن القاسم بن معن[٣] قال : كان للشمّاخ امرأةٌ من بنى سُليم ، فأساء إليها وضربَها وكسر يدَها ؛ ثمّ لمـا دخل المدينةَ فى بعض حوائجه ، تعلّقت به بنو سُليم يطلبون بظُلامة صاحبَتِهم ؛ فأنـكر ؛ فقالوا له : احلِف ! فجعل يُغلِظ أمرَ اليمين وشِدّتَها عليه ، ليرضَوا بها منه ، حتّى رَضُوا . فحلَف ، وقال :

(ألا أصبحتْ عِرسى من البيت جامحاً بغَير بلاء ، أىُّ أمرٍ بدا لَها
على خيْرةٍ كانت ، أم العِرسُ جامحٌ ، فكيفَ وقد سقنا إلى الحىّ مالَها
ستَرجعُ غضبَى نَزْرة الحظِّ عندَنا كما قطعتْ عنّا بليلٍ وِصالَها
أتتنى سُليم قضّها بقضيضها . . . . الأبيات الثلاثة)

وقيل : سببها أنّه هجا قوماً فاستحلفوه ، فحلَف وتخلّص منهم .

ترجمة الشماخ

والشمّاخ اسمه مَعْقِل بن ضِرار الغطَفانىّ . وهو مُخضرم : أدرك الجاهليّة والإسلام . وله صُحبة . وجعله الجُمَحىّ فى الطبقة الثالثة[٤] من شعراء الإسلام ،

(١) طبقات ابن سلام ١١٢ .
(٢) ط : « بشر » صوابه فى ش وابن سلام والأغانى ٨ : ٩٩ نقلاً عن ابن سلام .
(٣) الخبر عن الأغانى ٨ : ١٠٠ .
(٤) فى النسختين « الثانية » صوابه من الطبقات . وانظر الطبقات ص ١٠٣ .

وقرنَه بالنابغة الجَعْدىّ ولَبيد وأبى ذؤيب الهذلى . وقال : إنّه كان شديدَ مُتونِ الشعر ، وأشدَّ كلاماً من لبيد[١] ، وفيه كَزازة ، ولَبيدٌ أسهلُ منه منطقا[٢] .

وقال الحُطَيئة فى وصيّته : أبلِغوا الشمّاخَ أنّه أشعَرُ غطفان . وهو أوصف الناس للحَمير ، يروى أنّ الوليدَ بن عبد الملك أُنشِد شيئاً من شعره فى وصف الحمير فقال : ما أوصَفَه لها ! إنّى لأحسَب أنّ أحدَ أبويه كان حَمَّاراً ! وكان الشمّاخ يهجو قومَه وضيفَه ويمنُّ عليهم بقِراه . وهو أوصَفُ الناسِ للقَوس ، وأرجزُ الناس على البديهة ، وشهد الشمّاخ وقعة القادسيّة . قال المرزبانىّ : وتوفى فى غزوة مُوقَان فى زمن عثمانَ بن عفّان رضى الله عنه .

قال ابن قُتيبة ، فى كتاب الشعراء[٣] : أمّ الشمّاخ مِن وَلَد الخُرْشُب ، وفاطمة بنت الخرشب أمّ ربيع بن زياد وإخوته العبسيّين الذين يقال لهم : الكَمَلة[٤] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد المائة ، قولَ المتنبّي[٥] :

١٩٢ (وقَبَّلْتَنى على خوفٍ فَماً لِفَمِ)

وصدره :

قبّلتُها ودُموعى مَزْجُ أدمعِها

(١) كذا فى الأغانى عن ابن سلام . والذى فى الطبقات : « أشد أسر كلام من لبيد » .
(٢) انتهى كلام ابن سلام .
(٣) الشعراء ٢٧٥ .
(٤) انظر الكامل ١٣٠ وجمهرة ابن حزم ٢٥٠ .
(٥) ديوان المتنبي ٢ : ٣٠٢ .

على أنّ قوله : (فماً) حالٌ ، وصاحبُ الحال ضمير قبّلتنى المستتر ، أى جاعلةً فاها على فىّ .

أبيات الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ قالها فى صباه ، مطلعُها :

(ضَيفٌ ألمَّ برأسى غيرَ محتشِمِ | والسّيفُ أحسنُ فِعلاً منه باللِّمَمِ
اِبعَدْ ، بعِدْتَ بياضاً لا بياضَ له | لَأنتَ أسودُ فى عَينى مِن الظُّلَمِ
بحبٌ قاتلتى والشيب تغذيتى : | هوايَ طفلاً ، وشيبى بالغَ الحُلُمِ
فما أمرُّ برسمٍ لا أسائِلُه | ولا بذاتِ خِمارٍ لا تُريقُ دَمى
تنفَّستْ عَن وفاءٍ غيرِ منْصَدعٍ ، | يومَ الرحيلِ ، وشَعبٍ غيرِ ملتئمِ
قبّلتُها ودُموعى مَزْجُ أدمعِها | وقبّلتنى ، على خوف ، فماً لفمِ
فذُقتُ ماءَ حياةٍ من مُقبَّلِها | لوصابَ تُرباًلأحيا سالَفَالأُمَمِ)

٥٢٧

قوله : ضيفٌ ألمَّ برأسى الخ ، عنَى بالضيف الشيب . والمحتشِم : المنقبض المستحِى . يريد . أنّ الشيبَ ظهر فى رأسه دفعة مِن غير أن يظهرَ فى تَراخٍ . وهذا معنى قوله : غير محتشم . ثمّ فضّلَ فعلَ السيف بالشّعر ، على فعل الشيب به ، لأنّ الشيب أقبحُ ألوان الشعر . وهذا مأخوذ من قول البُحتُرىّ :

ودِدتُ بياضَ السيف يومَ لقِينَنى[١] | مكانَ بياضِ الشَّيبِ منه بمَفرِق

وقوله : اِبعَد بعِدت بياضاً الخ ، دعاء على الشَّيب . وبعِد يبعَد من باب فرح : إذا هلَك وذلّ . والبياض الأوّل : الشّيب ، والثانى : الرَّونق والحسْن . وأسودُ ، هنا : واحد السُّود . والظُّلَم : الليالى الثلاثُ فى آخر الشهر . يقول

(١) فى النسختين : « لقيتنى » بالتاء ، وإنما هو ضمير الغوانى فى بيت قبل هذا وهو :

أجدك ما وصل الغوانى بطمع | ولا القلب من رق الغوانى بمعتق

لِبَياض شَيبه : أنتَ عندى واحدٌ من تلك الظلَم . كقول أبى تمّام فيه :

له مَنظرٌ فى العين أبيضُ ناصعٌ ولـكنّه فى القلب أسودُ أسفعُ

وقيل : أسودُ أفعلُ تفضيلٍ جاء على مذهب الـكوفيّين . وهذا من أبيات مغنى اللبيب .

وقوله : بحبٌّ قاتلتى الخ ، عَنَى بقاتلتِه حبيبتَه . يعنى أنّ حبَّها يقتله . والباء من صلَة التغذَية . يقول : تغذّيت بهذين : الحبِّ والشيب . ثمّ فسّر ذلك بما بعدَه . يقول : هويتُ وأنا طفلٌ وشبتُ حين احتلمتُ لشِدّة ما قاسيتُ من الهوى : فصار غذائى . فقوله : شِواى مبتدأ ، وطفلاً حالٌ سدّ مسدَّ الخبر ؛ ومثله ما بعده . وقد فصَّل بهذا ما أجمله أوّلا ، لأنّه بيّن وقتَ العِشق ووقتَ الشَّيب .

وقوله : فما أمرٌّ برسمٍ الخ ، الرَّسم من أثَر الدار : ما كان ملاصقاً بالأرض . والطَّلَل : ما كان شاخصاً . يقول : كلُّ رسمٍ يُذكرنى رسمَ دارها ، فأسأله تسلّياً ؛ وكلُّ ذاتِ خِمارٍ تُذكِّرنيها ، فتريق دمى ؛ وقوله : تنفّستْ عن وفاءٍ الخ ؛ يقول : تنفّستْ يومَ الوَداع تحسُّراً على يوم فراق ، عن وفاء ، يعنى عمّا فى قلبها من وفاءٍ صحيحٍ غيرِ منشقّ . ويريد بالشُّعب الفراق ؛ من قولهم : شعبته : إذا فرقته . والمعنى : وعن حُزْن شَعْب . فحذف المضاف . وقوله : قبّلتُها ودموعى الخ ، أى بكَينا جميعاً حتّى امتزجتْ دموعى بدُموعها ، فى حال التقبيل . والمَزج : المِزاج ، مصدرٌ سمِّى به الفاعل . يقول : دموعى ما زَجتْ دموعَها . ونصَب فماً على الحال .

قال أبو حيّان فى الارتشاف : قال الفرّاء : أكثر كلامِ العرب كلّمتُه فاهُ إلى فىّ بالنصب ، والرفعُ صحيح وفيما أشبه هذا ، نحو : حاذيته ركبتَه

إلى ركبتى ، والأكثر فيه بالرفع . وإذا كان نكرة فالنصب المؤثَر المختار ، نحو : كلّمته فماً لفم ، وحاذيته ركبةً لرُكبة . ورفعُه وهو نكرةٌ جائزٌ على ضعف ، إذا جعلت اللام خبراً لفم ؛ وإن وضعت الواو موضعَ الصفة ، فقلت : كلّمته فوه وفىّ . وحاذيته ركبتُه وركبتى ، فالواوُ تعمل ما تعمل إلى ، والنصب معها سائغٌ على إعمال المضمر اهـ كلام الفرّاء . قال أبو حيّان : ويعنى بقوله : « والنصب معها » أى مع الواو فى الثانى . « سائغٌ على إعمال المضمر » يعنى جاعلاً ؛ أى جاعلاً فاه ، وجاعلاً ركبتَه . ويُقتصر فى هذا على موَرِد السّماع . ولو قدّمتَ حرف الجرّ فقلت : كلّمنى عبدُ الله إلى فِىّ فوه ، لم يجز النَّصبُ باجماع من الكوفيين ، وتقتضيه قاعدةُ قولِ سيبَويه فى أنه لا يجوز : إلى فىّ ، تبيين[1] ، كلَكَ بعد سَقياً لك ؛ وتقديم لك على سَقياً لا يجوز ، فينبغى أن لايجوز هذا . فلو قدَّمت فاه إلى فىّ على كلّمته ، فقلت : فاه إلى فىّ كلمتُ زيداً ، فأجازه سيبويه وأكثر البصريِّين ، واتَّفق الكوفيُّون على منعه ، وتبعهم بعض البصريِّين . فلو قلت : فوه إلى فىّ كلّمنى عبد الله ، لم يجز ذلك عند أحدٍ من الكوفيِّين ، ولا أحفظ نصاً عن البصريِّين ، والقياسُ يقتضى الجواز . اهـ

وقوله : فذقتُ ماء حياةٍ الخ ، جعل ريقَها ماء الحياة ، على معنى أن العاشق إذا ذاقه حَيِيَ به . ومعنى لو صاب تُرباً لو نزل على ترابٍ : من قولهم : صاب المطر يصوب صوباً ، بمعنى أصاب . يقول : لو وقع ريقُها على الأرض لأحيا الموتى من الأمم المتقدِّمة . وأوّلُ هذا المعنى للأعشى :

لو أسندَتْ ميْتاً إلى نَحْرِها ... عاشَ ، ولم يُنقل إلى قابرِ

(١) ش « قاعدة قول سيبويه فى أن إلى فى تبيين» وما أثبته من ط هو الموافق لما فى الارتشاف مخطوطة دار الكتب ٧٢٨ نحو ص ٧٥٦ .

فنقل أبو الطيّب الإِحْياء إلى ريقها .

وما شرحتُ به هذه الأبيات فهو من شرح الإمام الواحدىّ ، لخّصته منه باختصار : وترجمة المتنبّي تقدّمتْ فى البيت الحادى والأربعين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده :

(ولقَدْ أمُرُّ على اللئيمِ يَسُبُّنِي فَمَضيْتُ ثُمَّتَ قُلتُ لا يَعنِيني[2])

على أن اللام فى اللئيم زائدة . قد تقدّم الكلام على هذا البيت فى الشاهد الخامس والخمسين[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد المائة[4] :

١٩٣ (فَما بالُنا أمْسِ أُسْدَ العَرِينِ ومَا بالنا اليومَ شاءَ النَّجَفْ)

على أنّ أُسْدَ العرين ، وشاء النجف ، حالانِ ، إمّا على تقدير مِثل ، وإمّا على تأويلهما بوصف ، أى شجعاناً وضعافاً . وهذا ظاهر .

أبيات الشاهد

وهذا البيتُ آخر أبياتٍ أربعةٍ لأحد أصحاب علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهى :

(أيمنعُنا القومُ ماءَ الفـراتِ وفينا السيوفُ وفينا الحَجَفْ

(١) الخزانة ٢ : ص ٣٤٧

(٢) الخصائص ٣ : ٣٣٠ وابن الشجرى ٢ : ٢٠٣ والعينى ٤ : ٥٨ والهمع ١ : ٩/ ٢ : ١٤٠ وشرح شواهد المغنى ١٠٧ والأشمونى ١ : ١٨٠ / ٣ : ٦٠ ، ٦٣ والتصريح ٢ : ١١١ .

(٣) الخزانة ١ : ص ٣٥٧

(٤) وقعة صفين ١٦٥ .

وفينا عليٌّ ، له صَولةٌ إذا خوّفوه الرَّدَى لم يَخَفْ
ونحن الذين َ ، غَداةَ الزُّبيرِ وطَلْحةَ خُضنا غِمار التَلَف
فما بالنـا أمس أُسْدَ العرين . . . . الخ)

ومنشؤها على ما ذُكِر فى كتاب الفتوح وكتاب الروضة للحجوريّ : أن عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، لمّا نزل بصِفِّينَ — وصِفِّينُ مدينة عتيقة من بناء الأعاجم ، على شاطئ الفرات ، بالقرب من قِنَّسرين — فسبقه معاوية إلى الفرات ، ومنع عليًا وأصحابه من الماء ؛ فأرسل عليٌّ رضى الله عنه إلى معاوية ، الأشعثَ بنَ قيسٍ ، وصعصعةَ بنَ صُوحَان ، وقال : اذهبا إلى معاوية وقولا له : خيلُك حالتْ بيننا وبين الماء ، ونحن نَكْره قتالَـكم قبل الإعذار ! فأبلغاه الرسالة ، وجرى بينهم [كلام[(١)]] : فقال الأشعث : إنّك إنْ تمنعْنا الماء تَرَمنّا مالا تريد ، فخلِّ عن الماء قبل أن تُغلَب عليه ! وقال ابن صُوحان : إنّا لا نموت عطَشاً وسيوفُنا على عواتقنا ! فاستشار معاويةُ أصحابه ؛ فقال له الوليد بن عُتبة — وهو أخو عثمان من أمّه — : امنعْهم كما منعوه عثمان ! فقال عمرو بن العاص : ما أظنّ عليًّا يظمأ وفى يده أعِنَّة الخيل وهو ينظر إلى الفرات ، فخلِّ عنه وعن الماء . وقال ابن أبى سَرح : أمنعهم الماء منعَهم الله إياه ! فقال ابن صوحان : إنّما منعه الله الفَجَرة مثلَك ومثلَ هذا الفاسق : الوليد . وبقى أصحابُ عليّ يومَهم وليلتَهم عِطاشاً . فسمع عليٌّ رضى الله عنه صبيا ينشد :

أيمنعنا القومُ ماء الفراتِ . . . (الأبيات الأربعة)

ورجع الأشعث فقال : أيمنعنا القومُ وأنت فينا ! خلِّ عنّى وعنهم غداً ! قال عليّ : ذلك إليك . فنادى منادٍ له : من كان يريد الماء والموتَ فميعاده

٥٢٩

(١) التكملة من هامش ش .

الصُّبْح ! فأصبح عَلَى بابِ مِضرَبِه[1] أربعةَ عشرَ ألفا ، وسار القومُ وكلٌّ يرتجز برجَزه ، ثم قال الأشعث : تقدَّموا ! فلمّا أشرفوا على الماءِ قال لأصحاب معاوية : خلُّوا عن الماء وإلاّ وردْناه ! فقال أبو الأعور السُّلَمىّ : لا والله ، حتّى تأخذَنا السيوفُ وإيّاكم ! فقال الأشعث للأشتَر : أقحِمِ الخيلَ ! فأقحمَها حتى غمستْ سَنابكها فى الماء ، وأخذ القومَ السيوفُ فولَّوا عن الماء اه‍ .

فقوله : وفينا السيوف وفينا الحَجَف ، هو جمع حَجَفة بفتح الحاء المهملة والجيم ، يقال للتُّرس إذا كان من جُلود ليس فيه خشبٌ ولا عقب : حجفة ودَرَقة ؛ كذا فى العُباب . وقال ابن دُريد فى الجمهرة : هى جلودٌ من جلود الإبل يُطارَق بعضُها على بعض ويُجعلُ منها التِّرسَةَ . وقوله : ونحن الذين غداة الزُّبير ، يُشير به الى وقعة الجَمل . والغِمار : جمع غَمرة بالفتح ، وهى الشدّة . وقوله : أُسدَ العرين ، هو بفتح العين المهملة . فى الصحاح : العَرِين والعَرِينة : مأوى الأسد الذى يألفُه ؛ يقال : ليثُ عَرينةٍ وليثُ غابة . وأصل العرين جماعة الشّجر . وقوله . شاء النَجَف ، الشاء : جمع شاة ، فى الصحاح : الشاة من الغنم تذكّر وتؤنّث ، والجمع شِياهٌ بالهاء فى أدنى العدد ، تقول : ثلاث شياه ، إلى العشرة ؛ فإذا جاوزت فبالتاء ، فإذا كثرت قيل هذه شاء كثيرة . وجمع الشاء شُوِىّ . والنَّجَف ، بفتح النون والجيم ، قال ابن الأعرابى : هو الحلب الجيِّد حتى ينفض الضَّرع[2] ؛ يقال : انتجفتُ الغنمَ : إذا استخرجتَ أقصى ما فى الضَّرع من اللبن ، وانتجفتِ الريحُ السحابَ : إذا استفرغته ؛ وانتجاف

---

(١) المضرب : الفسطاط العظيم ، وضبطه صاحب القاموس كمنبر . قال الزبيدى : وضبطه شيخنا كمجلس .

(٢) ش « ينقص الفرع » تصحيف .

الشىء : استخراجه ، وكذلك استنجافه . والنَّجَف والنَّجَفة أيضاً : مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد ، والجمع نِجَاف . وقال ابن الأعرابى : النَّجفة المسنَّاة ، والنَّجَف : التَّلّ . وقال الأزهرىّ : النَّجَفة التى هى بظاهر الكوفة هى المسنَّاة تمنع ماء السيل أن يَعلوَ منازلَ الكوفة ومقابرَها ؛ وفيه مرقدُ علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه . قال إسحق بن إبراهيم الموصلى يمدح النجف[١] :

ما إن أرى الناس فى سهْل وفى جبلٍ أصفَى هواء ولا أعذَى من النَجَفِ[٢]

والبال هنا بمعنى الشأن والحالِ ؛ وهو العامل فى أمس وفى الحال ، لكونه بمعنى الفعل . قال التفتازانىّ — عندما قال الزمخشرىّ فى سورة آل عمران : ما بالُه وهو آمن — قوله : وهو آمن حالٌ عامله ما فى بال من معنى الفعل ؛ ولم نجد فى الاستعمال هذه الحالَ بالواو ، قال :

ما بالُ عينِك منها الماء ينسكب[٣] انتهى

٥٣٠ واعلم أن مجىء الحال بعد ما بال أكثرىّ ، وقد يأتى بدونها ، كقوله تعالى (فَمَا بالُ القُرونِ الأُولَى[٤]) . وقد وردت الحالُ بعدَه على وجوه : منها مفردة كبيت الشاهد ، كقوله[٥] :

---

(١) فى معجم البلدان (النجف) : « يمدح الواثق ويذكر النجف » .

(٢) وكذا فى ياقوت ، والوجه «رأى» ، وفى الأغانى ٥ : ٨٨ : « لم ينزل الناس» وأعذى ، من قولهم عذا البلد يعذو : طاب هواؤه . والعذاة : الأرض الطيبة البعيدة عن الماء والوخم . وفى النسختين والأغانى : « أغذى » صوابه فى ش .

(٣) هو أول بيت فى ديوان ذى الرمة . وعجزه :

* كأنه من كلى مفرية سرب *

(٤) الآية ٥١ من سورة طه .

(٥) زاد الشنقيطى فى هامش نسخته : « ومنها ماهى جمع » بعد كلمة « الشاهد » ، وهو سهو ، فإن « معلقات » حال مفردة أيضا كما هو فى اصطلاح النحاة ، لأنها ليست بجملة ولا شبهها .

فما بالُ النجومِ معلَّقاتٍ بقَلب الصَبِّ ليسَ لها براحُ

ومنها ماضيّة مقرونة بقد، كقول العامريّ :

ما بالُ قلبِك يا مجنونُ قد هَلِعا من حُبٍّ من لا ترى فى نَيلِه طَمَعا

وبالواو معها ، كقوله :

ما بالُ جهلِك بعد الحِلم والدِينِ وقد علاكَ مَشيبٌ حين لاحين(١)

وبدون قد ، كقوله أيضاً :

فما بالُ قلبي هدَّه الشوقُ والهوَى وهذا قميصى من جوَى الحزْن باليا(٢)

ومضارعيّة مثبتة ، كقول أبى العتاهية :

ما بالُ دينِكَ ترضى أن تدنِّسه وثوبُ دُنْياكَ مغسولٌ من الدنَس

وبالواو ، كقوله :

فما بالُ من أسعَى لأجبُر عظمَه حِفاظاً ، وينوِى من سَفاهتِه كَسْرِى(٣)

ومنفيّة ، كما أنشده ابن الأعرابى :

* وقائلةٍ ما بالُه لا يزورُها *

ومنها اسميّة غير مقترنة بواو ، كقول ذي الرُمّة :

ما بالُ عينِكَ منها الماء ينسكِبُ

* * *

(١) البيت لجرير فى ديوانه ٥٨٦ وسيبويه ١ : ٣٥٨ .

(٢) ط : « قده الشوق » وأثبت ما فى ش .

(٣) البيت لابن الذئبه الثقفى ، كما فى مجالس ثعلب ١٧٣ وشرح شواهد المغنى ٢٦٤ وأمالى القالى ٢ : ١٧٢ . ونسب إلى الأجرد الثقفى فى الشعراء ، ولعامر الجرمى فى حماسة الخماسة ١٠٤ ولكنانة بن عبديا ليل الثقفى فى حماسة ابن الشجرى ٧٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[1] :

١٩٤ (ومَا حَلَّ سَعْدِيٌّ غَرِيباً بِبَلْدَةٍ)

على أنه يجوز تنكيرُ صاحبِ الحالِ إذا سبقَه نفى : فإنّ (غريباً) حالٌ من (سَعْدِيٌّ) وهو نكرة . وجاز لأنّه قد تخصّص بالنفى . وببلدة متعلقٌ بقوله حلّ أى نزل وأقام .

وهذا صدر ، وعجزه :

(فيُنْسَبَ ، إلاّ الزِّبرِقانَ له أبُ [2])

قال أبو عليّ الفارسيّ فى التذكِرة القصْريّة : قيل : نصب الشاعر غريباً على الحال فى قوله فينسَبَ كأنّه قال : وما حلّ سعدىّ ببلدة فينسَب إلى الغربة . وهذا لا يجوز : أعنى نصبَ غريباً بيُنْسَب ، لتقدُّمه عليه ، لأنّ تقديم الصلة على الموصول لا يجوز ، والفِرارُ ممّا يجوز إلى مالا يجوز مرفوض . ولكنّه حالٌ من النكرة . فاعلم ذلك اهـ .

وروى أيضاً (وما حَلَّ سَعدِيٌّ غريبٌ) بالرفع ، فعلى هذا هو وصفٌ لسَعْدىّ . استشهد به سيبويه على نصب (يُنسَبَ) بعد الفاء على الجواب مع دخول إلاّ بعده للإيجاب ، لأنّها عرضَت بعد اتّصال الجواب بالنفى ، ونصبه على ما يجب له . . ويجوز الرفع أيضاً .

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٢٠ .
(٢) ضبطت « الزبرقان » بالرفع فى كتاب سيبويه ، ويرى البغدادى هنا نصبها .

وأورده الشارح المحقق في نواصب الفعل المضارع أيضاً على أنّ النفي راجعٌ إلى يُنسَب ، أي يَحُلّ ولا ينسب ؛ قال : « ولولا أنّ ما بعد الفاء منفيٌّ ، لما جاز الاستثناء ، إذ المفرّغ لا يكون في الواجب » إذ التقدير ما نُسِبَ ذلك السَّعْديّ إلى أحدٍ إلاّ إلى الزبرقان . فالزبرقان منصوبٌ بنزع الخافض وهو إلى ، وجملةُ له أب حالٌ من الزبرقان أي في حال كون الزبرقان أباً لذلك السَّعْديّ . والزبرقانُ سيِّد قومه وأشهرهم ، فإذا تغرَّب رجلٌ من بني سعد ، وهم رهط الزبرقان ، فسئل عن نسبه ينتسب إليه لشرفه وشُهرته .

٥٣١

الزبرقان بن بدر

والزِّبرقان من الصحابة ، وهو حُصين بنَ بدر بن امرئ القيس بن خَلَف ابن بَهْدَلَةَ بن كعب بن سعد بن زيدِ مناةَ بن تميم . قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب : وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قومه — وكان أحدَ ساداتهم — فأسلموا . وذلك في سنة تسعٍ . فولاّه صدَقاتِ قومه . وأقرّه أبو بكر وعمر على ذلك . وإنما سمّي الزبرقانَ لحُسنه ؛ شبِّه بالقمر ، لأنّ القمر يقال له الزبرقان . قال الأصمعيّ : الزبرقان : القمر ؛ والزبرقان : الرجل الخفيف اللِحْية . وقد قيل : إنّ اسمَ الزبرقانِ القمرُ ابن بدر[1] . والأكثر على أنّه الحصين بن بدر . وقيل : بل سمّي الزبرقانَ لأنّه لبس عمامةً مزبْرَقَة بالزعفران . والله أعلم اهـ .

اللعين المنقرى

وهذا البيت من قصيدة للَّعِين المِنْقَريّ . واسمه مُنازل بن زَمَعه . وكنيته أبو أُكيدِر ، مصغَّر أكدَر ، من بني مِنقَر ، بكسر الميم وفتح القاف ، وهو

---

(١) لعل ذلك لقول الشاعر فيه ، وقد يكون تغييرا لضرورة الشعر :

سيدركنا بنو القمر بن بدر   سراج الليل للشمس الحصان

انظر الاستيعاب ٥٦١ .

مِنقَر بن عُبيد ، بالتصغير ، ابنُ مقاعِس وهو الحارث بن عَمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم .

واللَعِين شاعرٌ إسلاميٌّ فى الدولة الأمَويّة . قال ابن قُتيبة فى كتاب الشعراء[١] ، والمبرّدُ فى الاعتنان واللفظ له ، قال راوياً عن أبى عبيدة : اعترض لَعينُ بنى مِنقَر[٢] لجرير والفرزدق فقال :

سأقضى بين كلْب بنى كُليب وبين القَين قَينِ بنى عِقالِ
بأنّ الـكلبَ مَرتعُه وخيمٌ وأنّ القَينَ يعمل فى سِفالِ

فلم يُجِبْه أحدٌ منهما ، فقال :

فما بُقْياً علىَّ تركتُمانى ولـكنْ خِفتُما صَرَدَ النبالِ
فدونـكما انظُرا : أهَجوتُ أم لا فذُوقا فى المواطن مِنْ نِبالى
وما كان الفرزدقُ غيرَ قَينٍ لئيمٍ خالهُ ، لِلُؤمِ تالى
ويتركُ جَدَّه الخطَفَى جريرٌ ويندُبُ حاجباً وبنى عِقالِ

فلم يلتفتا إليه فسقط اهـ .

قوله : فما بُقيا علىّ الخ ، البُقيا بالضمّ : الرحمة والشفقة . وصَرِدَ السهمُ من باب فرح ، من الأضداد ، إذا نَفَذ وإذا نـكل . فيكون المعنى على النفوذ إنّـكما خفتما نفوذَ سهامى فيكما أى هجائى . وعلى معنى النُـكول أى خفتما أن لا تنفُذ سهامُـكما فىَّ فعجزتما عنِّي .

وقد تمثّل بهذا البيت هارونُ الرشيدُ لمّا أراد قتلَ جعفرِ بن يحيى البرمكىّ .
قال ابن قُتيبة : وكان اللعين هجاّء للأضياف ، قال :

---

(١) الشعراء ٤٧٤ .
(٢) ط « ابن منقر » صوابه فى ش .

وأبغض الضيفَ ، مابى جُلّ مأ كَلِه   إلاَّ تنفُّجُه عندى إذا قعدا
ما زال ينفُج كِتفَيه وحبْوَته   حتَّى أقولُ : لعلّ الضيفَ قد ولَدا[1]

ووجه تلْقيب اللعين بهذا على ما رواه صاحب زَهر الآداب ، قال : سمعَه عمر بن الخطَّاب يُنشد شعراً ، والناس يُصلّون ، فقال : من هذا اللعينُ ؟! فَعلِق به هذا الاسم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد المائة :

١٩٥ (لمَيَّةَ موحِشاً طللٌ قديمُ[2])

على أنَّهم استشهدوا به لتقدُّم الحال على صاحبها المنكَّر . وفيه ما بيّنه الشارح المحقّق . قال ابن الحاجب فى أماليه على أبيات المفصَّل : يجوز أن يكون موحشاً حالاً من الضمير فى لميّة ؛ لجعْلُ الحال من المعرفة أولى مِن جعْلها من النكرة متقدِّمةً عليها ، لأنَّ هذا هو الكثير الشائع ، وذلك قليل ، فكان أولى .

وممن استشهد بهذا البيت ، على ما ذكره الشارح ، ابنُ جنّي فى شرح الحماسة عند قوله :

وهلاَّ أعدُّونى لمثلى ، تفاقَدوا !   وفى الأرض مبثوثاً شجاعٌ وعقربُ[3]

قال : من نصب مَبثوثاً فلأنَّه وصفُ نكرة قدِّم عليها ، فنُصِب على الحال منها ، كقوله :

لعزَّةَ موحشاً طللٌ قديم

(١) فى الحماسة ١٨٥٦ بشرح المرزوقى . « مازال ينفج جنبيه »
(٢) ابن يعيش ٢ : ٦٢ ، ٦٤ والتصريح ١ : ٣٧٥ .
(٣) هذا هو الشاهد ١٥٩ وقد سبق فى هذا الجزء ص ٢٩

ومنهم صاحب الكشّاف ، أورده عند قوله تعالى (وَجَعَلنا فِيها فِجاجاً سُبُلاً[1]) على أنّ فجاجاً كان وصفاً لقوله سبُلاً ، فلمّا تقدّم صار حالاً منه .

ومنهم الخبيصيّ فى شرحه للكافيَة الحاجبيّة ، قال : قدّم الحالَ وهو موحشا ، على ذى الحال وهو طلل ، لئلاّ يلتبس بالصفة . . قال شارح شواهده الكرْمانىّ : هذا لا يصلح لمطلوبه من وجوه : الأوّل أنّه محتمل غير منصوص ، إذ لا نسلِّم أنّه حال من طلل ، لجواز كونه حالاً من ضمير الظرف ، فلا يكون ذو الحال نكرة . الثانى : أنّه لو تأخّر عن ذى الحال لا يلتبسُ بالصفة ، لأنّ ذا الحال مرفوعٌ والحالَ منصوب . الثالث : أنّه لا يجوز أن يكون حالاً من طلل ، لأنّه مبتدأ ، والحال لا تكون إلاّ من الفاعل أو المفعول أو ما فى قوّتهما اه . وفى كلّ من الأخيرين نظر ظاهر .

وقد تكلّم السخاوى على هذا البيت فى سِفر السعادة[2] بما يشبه كلام الشارح ، إلاّ أنّ فيه زيادةً تتعلّق بمذهب الأخفش . وهذا ملخّصه : قال النُّحاة : انتصب موحشاً على الحال من طَلَلُ ، والعاملُ الجارّ والمجرور . وهذا كلام فيه نظر ، لأنّ الجارَّ والمجرور إمّا أن يقال فيه ما قال سيبويه أو ما قال الأخفش — وبينَ مذهبَ سيبويه وما يرِد عليه من اختلاف العامل فى الحال وذِيها[3] — ثمّ قال : وإن قُلنا بقول الأخفش فارتفاع طللٌ على أنّه فاعل والرافع له الجارُّ والمجرور ، ولا مِرْية[4] على قول الأخفش أنّ العامل فى الحال

---

(١) الآية ٣١ من سورة الأنبياء .

(٢) منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٧٨ مجاميع م) كتبها البغدادى بخطه سنة ١٠٧٤ .

(٣) أى صاحبها . وغيرها الشنقيطى بقلمه إلى « وبها » .

(٤) ش : ولا مزية « صوابه فى ط . والمرية : الشك .

هو العامل فى ذيها[١] . فإذا كان العامل غير متصرِّف لم تتقدَّم الحال عليه ولا على صاحب الحال ؛ ألا ترى أنَّه لا يجوز هذا قائماً زيد . ولا قائماً هذا زيد . والذى ينبغى أن يقال : العاملُ فى الحال الجارُّ والمجرور ، وصاحبُ الحال الضميرُ الذى فى الجارِّ والمجرور اهـ .

وبعد هذا :

(عفَّاه كلُّ أسحَمَ مستَديمُ)

والطلل : ما شخَص من آثار الدار . والموحِش : مِن أوحشَ المنزلُ : إذا ذهب عنه الناس وصار ذا وَحشة ، وهى الخلوة والهمّ ، كذا فى الصحاح . وعفاه بمعنى درسّه وغيَّره . وعفا يأتى متعدِّياً ، يقال عفَت الريح المنزلَ ، ويأتى لازما ، يقال عفا المنزلُ : إذا اندرس وتغيَّر . والأسحم هو الأسوَد ؛ والمراد هنا السَّحاب ، لأنَّه إذا كان ذا ماءٍ يُرى أسوَد لامتلائه . والمستديمُ : صفةُ كلّ ، وهو السحاب المطرِ مطَرَ الديمة ؛ والدِّيمة : مَطْرةٌ أقلُّها ثلث النهار أو ثلث الليل .

وهذا البيت ، مَن روَى أوَّلَه (لعزَّة مُوحِشاً الخ) قال . هو لكثيِّر عزَّة ، منهم أبو علىّ فى التذكرة القَصْرية . ومَن رواه (لميَّة مُوحِشاً) قال : إنه لذى الرُّمَّة ، فإنَّ عزَّة اسمُ محبوبةِ كثيِّر ، ومَيَّة اسم محبوبة ذى الرُّمَّة . والشاهد المشهور فى هذا المعنى هو :

لميَّة موحِشاً طَلَلُ يَلوحُ كأنَّه خِلَلُ

وقد قيل : إنَّه لكثيِّر عَزَّة . والخِلَل بالكسر : جمع خِلَّة ، قال

---

(١) انظر ما سبق فى الحواشى .

الجوهريّ : الخِلّة بالكسر : واحدة خِلَل السيوف ، وهى بطائنُ يغشّى بها أجفانُ السيوفِ منقوشة بالذّهب وغيره .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد المائة[1] :

١٩٦ (لَئِنْ كانَ بَرْدُ الماءِ حرّانَ صادياً إلىّ حبيباً إنّها لَحبيبُ)

على أن الحال تقدّمت على صاحبها المجرور بالحرف : فإنّ قوله : (حرّانَ صادياً) حالانِ ، إمّا مترادفتان أو متداخِلتان ، تقدمتا على صاحبهما ، وهو الياء المجرورُ بإلى . وإلى بمعنى عند متعلّقة بقوله حبيباً وهو خبر كانَ .

قال ابن جنّي فى إعراب الحماسة : « وقد يجوز فى هذا ، عندى ، وجهٌ آخرُ لطيفُ المعنى ، وهو أن يكون حرّانَ صادياً حالاً من الماء ، أى كان برد الماء فى حال حِرّته وصداه حبيباً إلىّ ، وصفَ الماء بذلك مبالغةً فى الوصف وجاء بذلك شاعرُنا فقال :

* وجُبتُ هجيراً يترك الماء صادياً[2] *

وإذا صَدِىَ فحسبُك به عطشاً ! فإن أمكن هذا ، كان حملُه عليه جائزاً حسناً ورأيت أبا علىّ يستسْهل تقديم حالِ المجرور — فى نحو هذا — عليه ، ويقول : هو قريب من حال المنصوب » اهـ .

أقول : أراد بشاعره أى بشاعر عصره ، أبا الطيّب المتنبي . الوجه

(١) الشعراء ٦٠٥ والكامل ٢٧٩ والعينى ٣ : ١٥٦ والأشمونى ٢ : ١٧٧ وديوان كثير ٢ : ١٩٢ وديوان عروة بن حزام الورقة ٥

(٢) صدره فى ديوان المتنبى ٢ : ٤٦٨ :

* لقيت المروري والشناخيب دونه *

الذى أبداه تخيُّلٌ صحيح ، فإنَّ الإنسان يحبُّ أن يكون الماء بارداً فى حال كونه حارّاً . ولكنَّ الوجهَ الأوَّل أحسنُ وأبلغ ، فإنَّ الماء الباردَ أُحبُّ إلى الإنسان عند عطشه وحرارته من كلِّ شيء . وهذا المعنى هو المتداوَل الشائع ، قال المبرّد فى الكامل : هو معنى صحيحٌ ، وقد اعتوره الحكماء وكلهم أجاد فيه .

ومثل بيت الشاهد قولُ عمر بن أبى ربيعة :

قلتُ وَجدى بها كوَجْدِكَ بالما ء إذا ما مُنِعتَ بَرْدَ الشرابِ !

فإنَّ قوله : إذا ما منعتَ برد الشراب ، يفيد ما أفاده قولُه : إلىَّ حرّانَ صادياً ، فإنّه يريد عنه وقت الحاجة إليه ، وبذلك صح المعنى . ومثله قول القَطامىّ :

فهُنَّ ينبذن مِن قولٍ يُصِبْنَ به مَوَاقعَ الماءِ مِنْ ذى الغُلَّة الصادى

ينبذن : يرمين به ويتكلّمن . والغُلّة ، بالضم : حرارة العطش .

ويروى عن علىّ رضى الله عنه ، أنّ سائلا سأله فقال : كيف كان حبُّكم لرسول الله ﷺ ؟ فقال : كان واللهِ أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا ، وآبائنا وأمهاتنا ، ومن الماء الباردِ على الظمأ ! !

والقول فيه كثير . وتعليقُ كونِها حبيبةً إليه على كون الماء حبيباً إليه فى تلك الحالة ، من باب التعليق على المحقّق . وقد تعسَّف بعضُهم فى جعل البرْد مصدراً ناصباً لحرّانَ وصادياً على المفعوليّة بتقدير الموصوف — أى جوفاً حرّانَ — وأنّ المرادَ جوفُ نفسه . وذلك هرباً من وقوع الحال فى مثل هذه

الصورة . حتّي إنّ بعضَهم مع عدم التأويل يقول : لا حجّة فيه ، لأنّ الشعر محلُّ الضرورة .

وقوله : (لئن كان) اللامُ هي اللامِ المؤذِنة ، وهي الداخلة على أداة شرطٍ ، للإيذان بأنّ الجوابَ بعدها مبنيٌّ على قَسمٍ قبلَها ، لا على الشرط . وتسمَّى الموطِّئة أيضاً ، لأنّها وطّأت الجوابَ للقسم أى مهّدته له ، سواء كان القسمُ غيرَ مذكور كقوله تعالى : (لَئِنْ أُخرِجُوا لا يَخْرُجُونَ[1]) أم كان مذكوراً قبلها ، كما هنا ، فإنّ قبلَ هذا البيتِ قولَه :

٥٣٤

(حلَفتُ بربِّ الراكِعِينَ لربِّهِمْ خُشُوعاً ، وفوقَ الراكِعِين رَقيبُ)

فجملة إنّها لحبيب ، جوابُ القسمِ المذكور وهو حلَفت . وقد أخطأ من قال : إنّ هذه الجملةَ جوابُ الشرط . مع أنّ هذا القائل نقل ضابطَةَ اللام الموطِّئة عن مغنى اللبيب . وضمير إنّها لعَفْراء بنتِ عمِّ عُرْوةَ بنِ حِزَام . والبيتان له من قصيدة أوّلُها :

(وإنى لَتعرُونى لذِكراكِ رَوعةٌ لَها بَيْن جِلدى والعِظَام دَبيبُ
وما هُو إلاّ أنْ أراها فُجاءةً فأُبهتَ حتّي ما أكادُ أُجيبُ
وأُصْرَفُ عَنْ رأْبى الذى كنتُ أرْتئِى وأُنسَى الذى أعددتُ حين تَغيبُ
ويُضمِر قلبي عُذرَها ، ويعينها عليَّ ، فمالى فى الفؤادِ نصيبُ[2]
وقد علمتْ نفسى مكانَ شفائها قريباً ، وهلْ مالا يُنالُ قريبُ
حلَفتُ بربِّ الراكعين لربِّهم . . . . البيتين
وقلتُ لعرّافِ اليمامة : داوِنى ! فإنَّكَ إن أبرأتَنِى لطبيبْ

(١) الآية ١٢ من سورة الحشر .

(٢) فى الديوان والشعراء والأغانى ٢٠ : ١٥٦ : « ويظهر قلبي » ويعينها عليه ، أى يمينها على نفسه . وفى المراجع : « ويعينها عليّ » .

فما بيَ من سُقْم ولا طَيفِ جِنَّةٍ ولكنَّ عمِّي الحميريَّ كذوبُ
عشيَّةَ لا عَفراء دانٍ مَزارُها فتُرجَى، ولا عَفراء منكَ قريبُ
فلستُ برائي الشمْسِ إلاَّ ذكرتُها ولا البدرِ إلاَّ قلتُ سوف تثوبُ
عَشيَّةَ لا خَلْفِي مفرٌّ، ولا الهوى قريبٌ، ولا وَجدي كوجدِ غَريبِ
فوا كبداً أمستْ رُفاتاً كأنَّما يُلذِّعها بالكفِّ كفُّ طبيبِ

وفي البيتين الأخيرين إقواء.

عروة ابن حزام

وعُروةُ بن حِزامٍ هو مِن عُذْرة، أحدُ عُشّاق العرب المشهورين بذلك، إسلاميٌّ: كان في مدة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

قال أبو عبد الله محمّد بن العباس اليزيديّ — في روايته ديوانَ عُروة بن حِزام عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب عن لقيطِ بن بُكَير المحاربيّ[(١)] — قال: كان من حديث عُروة بن حزام وابنة عمّه عَفراء ابنة مالك، العذريَّين، أنّهما نشئا جميعاً، فتعلَّقها علاقَةَ الصَّبِيّ؛ وكان قديماً في حجر عمِّه، وبلَغَ فكان يسأله أن يزوِّجه إياها، فيسوِّفُه؛ حتّى خرج في عِيرٍ لأهله إلى الشام، فقدم على أبي عفراء ابنُ عمٍّ لها من أهل البلقاء، وكان حاجًّا، فخطبها، فزوّجه إيّاها، فحملها. وأقبل عُروة في عِيره، حتى إذا كان بتَبوكَ نظر إلى رُفقةٍ مُقْبلة من قِبَل المدينة، فيها امرأةٌ على جمل، فقال لأصحابه: والله لكأنّها شمائلُ عَفراء! فقالوا: ويحكَ، ما تزال تذكُر عفراء، ما تُخلُّ بذكرها في حالٍ من الأحوال! فلم يَرُعْ إلاَّ بمعرفتها؛ فوقَف متحيِّراً لا يردُّ جواباً. حتّى إذا فقَدها قال:

(١) ط: «بن بكر الجادي» ش: «بن بكر المجاري»، صوابه ما أثبت. ولقيط بن بكير ترجم له في الفهرست ١٣٨ ومعجم الأدباء ١٧ : ٣٦ كان عالما صدوقا من رواة الكوفة توفي سنة ١٩٠ في خلافة الرشيد.

وإنى لتَعرونى لذِكراكِ روعةَ . . . . الأبيات المتقدّمة

ثم أخذه مرض السِّلّ حتّي لم يبْقَ منه شيئاً . فقال قوم : هو مسحور ؛ وقال قوم : به جِنّة . وكان باليمامة طبيبٌ يقال له « سالم » فصار إليه ومعه أهله ؛ فجعل يَسقيه الدواء فلا ينفعه ؛ فخرجوا به إلى طبيبٍ بحُجْر ، فلم ينتفع بعلاجه ، فقال :

٥٣٥ جَعلتُ لعرّافِ اليمامةِ حُكْمَهُ وعرّافِ حَجْرٍ ، إنْ هما شَفَيانى

فما تَرَكا مِن حيلةٍ يَعلمانِها ولا سَلوة ، إلاّ بها سَقَيانى

فقالا : شفاكَ اللهُ ! واللهِ ما لنا بما حُمِّلت منك الضلوعُ يَدانِ

قال النُعمان بن بَشير : بعثَني معاويةُ مصدِّقاً على بنى عُذْرة ، فصدَّقتهم ثم أقبلتُ راجعاً ، فإذا أنا ببيتٍ مُفردٍ[1] ليس قُربَه أحد ، وإذا رجلٌ بفِنائه لم يَبق منه إلاّ عَظْمٌ وجِلد ، فلمّا سمع وَجْسى ترنّم بقوله :

وعينانِ : ما أوفيتُ نَشْزاً فتَنظُرا بمأقَيهما إلاّ هُما تَكِفانِ

كأنّ قَطاةً عُلِّقت بجَناحها على كَبِدى ، من شدّة الخفقان

قال : وإذا أخَواتُه[2] حولَه أمثالَ الدُمَى فنظَر فى وجوههنّ ، ثمّ قال :

مَن كانَ من أخَواتى باكِياً أبداً فاليومَ ! إنِّى أُرانى اليومَ مقبُوضا

يُسمِعْنَنيهِ ، فإنِّى غيرُ سامِعِهِ إذا عَلوتُ رقابَ الناسِ مَعْرُوضا

---

(١) فى الشعر والشعراء ٦٠٨ حيث نقل منه البغدادى : « ببيت حريد » وهو الفريد الوحيد المنعزل .

(٢) فى النسختين : « إخوته » ، وإنما هن أخواته الإناث . وفى الديوان : « وإذا والله أمثال الدمى حوله : أخواته وأمه وخالته » ، وفى الشعراء : « وإذا أمثال التماثيل حوله : « أخواته وأمه وخالته » .

قال : فبرزْن ، واللهِ ، يَضرِبْن وجوهَهُنَّ ، ويَنْتِفْن شعورَهنَّ . فلم أبرحْ حتّى قَضى . فهيّأت من أمره ودفنتُه . كذا قال ابنُ قتيبةَ في كتاب الشعراء .

وحكى هذه الروايةَ راوي شعرِه ، عن عُروة بن الزبير ، ثم قال : ومرّ ركبٌ بوادي القُرى ، فسألوا عن الميّت ، فقيل : عروة بن حزام — وكانوا يَرِدُون البَلقاء — فقال بعضُهم لبعضٍ : واللهِ لنأتينَّ عَفراء بما يسوءها . فساروا حتّى مرُّوا بمنزلها ، وكان ليلاً ، فصاح صائحٌ منهم — وهي تسمع — فقال :

ألا أيُّها البيتُ المغفَّل أهلُه   إليكم نَعينا عُروةَ بنَ حزامِ

فهمتْ عفراء الصوتَ ونادتْ بهم :

ألا أيُّها الركبُ المخِبُّون،ويحَكمْ !   أحقًّا نعيتُم عُروةَ بنَ حِزامِ[1]

فقال بعضهم :

نعمْ ، قد دفنّاهُ بأرض نَطِيّةٍ   مقيماً بها في سَبْسَبٍ وإكامِ[2]

فأجابته وقالت :

فإن كانَ حقًّا ما تقولونَ فاعلموا   بأنْ قد نَعيتُم بدرَ كلِّ تِمامِ[3]

نَعيتم فتًى يُسقَى الغَمامُ بوجهِه   إذا هي أمستْ غيرَ ذاتِ غَمامِ

فلا نفَع الفِتيانَ بعدَكَ لذةٌ   ولا ما لقُوا من صِحّة وسلامِ

(١) المخبون : المسرعون ، من الخبب . ط : « المجنون » صوابه في ش والديوان والأغاني ٢٠ : ١٥٥

(٢) النطية : البعيدة : وفي النسختين : « بطيئة » ولا وجه له ، والصواب من ديوان عروة الورقة ٧ . ويروى أيضاً « بعيدة » كما في شرح الديوان .

(٣) في الديوان : « كل ظلام » .

وبِنْتَ الحبالَى لا يُرجِّين غائباً ولا فَرِحاتٍ بعدَهُ بغُلامِ

ثم أقبلتْ على زوجها فقالت له : إنّه قد بلغنى من أمرِ ذلك الرجل ما قد بلغك ، والله ما كان إلا على الحسَنِ الجميل ، وقد بلغنى أنه مات ، فإنْ رأيتَ أن تأذنَ لى فأخرجَ إلى قبره ! فأذِنَ لها ، فخرجتْ فى نسوةٍ من قومه تندبه وتبكى عليه ، حتّى ماتت .

قال : وبلغنى أنّ معاوية بن أبى سفيانَ قال : لو علمتُ بهما لجمعتُ بينهما .

(تنبيه)

٥٣٦ نسب المبرّد فى الكامل بيتَ الشاهد إلى قيس بن ذَريح ، وذكر ما قبله كذا :

حَلفتُ لها بالمشْعَرَينِ وزمزمٍ ، وذُوالعرشِ فوقَ المُقسِمِينَ رقيبُ
لئن كان بردُ الماء حرّان صاديا . . . . البيت

ونسبه العَينيّ إلى كثيِّر عزّة ، وقال : هو من قصيدة أوّلُها :

أَبَى القلبُ إلاّ أمَّ عمرٍو وبُغّضتْ إلىَّ نساءٌ ما لهنَّ ذنوبُ
حلفتُ لها بالمأزمينِ وزمزَمٍ ولَلّهُ فوقَ الحالِفِين رقيب
لئن كان بَردُ الماء حَرّانَ صادياً . . . . البيت

والصحيح ما قدّمناه . والبيتان من شعر غيره دَخيل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد المائة(١) :

(١) انظر الحماسة ١١٤٨ بشرح المرزوقى وعيون الأخبار ٤ : ١٤٧ والأشمونى ٢ : ١٧٨ .

١٩٧ (إذا المرء أعيَتْهُ المُروءةُ ناشئاً فَمطلَبُها كَهْلاً عليهِ شَديدُ)

لما تقدّم قبله .

قال ابن جنّي فى إعراب الحماسة : كهلاً حالٌ من الهاء فى عليهِ ، تقديره : فطلبها عليه كهلاً شديد . ثم قال : فإن قلتَ : فهلاّ جعلتَ كهلاً حالاً من الضمير فى المطْلَب ! قيل : للمصدر الخبر لا يضمرُ فيه الفاعل ، بل يحذف معه حذفاً . انتهى

وهذا البيت أحد أبياتٍ أربعة مذكورة فى الحماسة ، وهى :

(متَى ما يرى الناسُ الغنيَّ ، وجارُه فقيرٌ ، يقولوا : عاجزٌ وجَليدُ
وليس الغِنى والفقرُ مِنْ حيلة الفتى ولكنْ أحاظٍ قُسِّمَتْ وجُدودُ
إذا المرء أعيتْه المروءةُ ناشئاً . . . . البيت
وكائنْ رأينا مِن غَنيٍّ مذمَّمٍ وصُعلوكِ قومٍ ماتَ وهو حَميدُ)

جملة وجاره فقير : من المبتدإ والخبر ، حالٌ من الغنىّ . ويقولوا جواب الشرط . وقوله : عاجز وجليد ، خبرمبتدإ محذوف ، أى هذان عاجز وجليد ؛ والجملة مقُول القَول : والجليد : من الجَلادة وهى الصَّلابة ، أرادالقوّة على السعى وتحصيل المال . وقوله : ولكنْ أحاظٍ ، قال الأعلم : جمع حَظّ على غير قياس ، ويقال : هو جمع أحظٍ ، وأحظٍ جمع حَظّ وأصلُه أحُظُظ فأبدل من إحدى الظاءين ياء كراهةَ التضعيف . ويجوز عندى أن يكون أحظٍ جمعَ حظْوة ، وهى بمعنى الحظّ ، وفعلها حظِيت أحظَى ؛ فلا شذوذ . انتهى . والحظّ : النصيب . والجُدود : جمع جَدّ بفتح الجيم وهو البَخْت . أى أنّ الغنى والفقر ممّا قدّره الله ، فهى حُظوظ وجُدود خلقوا لها على ما علِم اللهُ من مصالح عباده .

وقوله : (أعيتْه) أى أتعبته ؛ متعدّى عيِى بالأمر إذا عجَز عنه ،

من باب تعب و (المروءة) : آدابٌ نَفسانيّة تحمل مراعاتُها الإنسانَ على الوقوف عند محاسن الأخلاقِ وجميلِ العادات . يقال : مرُؤ الإنسان ، فهو مَرِىءٌ — مثل قرُب فهو قريب — أي ذو مروءة . قال الجوهريّ : وقد تُشَدَّد فيقال مُرُوَّة . ورُوِى : (أعيتْه السِيادة) . و (ناشئاً) مهموزُ اللام ، في الصحاح : الناشىء : الحدث الذى جاوز حدَّ الصغر ، والجارية ناشِىء أيضاً . وهو حالٌ من مفعول أعيتْه . و (المطْلَب) مصدرٌ بمعنى الطلب . و (الكهل) : الرجل الذى جاوز الثلاثين ووخَطَه الشَّيبُ ، وقيل : مَن بلغَ الأربعين ؛ والمرأة كهلة .

وكائنْ بمعنى كم للتكثير ، ومذمّ أى غير محمود كثيراً ، والتشديد للمبالغة من الذمّ وهو خلاف المدح والصعلوك ، بالضم : الفقير . أى كم مِن غنيٍّ ساعدَتْه الدُّنيا ثم أصبح مذموماً لبخله ودَناءته ، وكم من فقير تجمّل وأنفق مانال فحمَدَه الناس .

صاحب الشاهد

وهذه الأبيات لرجلٍ من بنى قُرَيع (بالتصغير) وهو قُرَيع بن عَوْف ابن كعب بن زيدِ مناةَ بن تميم[1] ؛ كذا فى حماسة أبى تمام وحماسةِ الأعلم . وعيّنه ابنُ جنِّي فى إعراب الحماسة فقال : هو المُعلوط بن بدل القُرَيعى[2] . وفى حاشية صحاح الجوهرى (فى مادة حظ) هى للمُعلُوط السعدىّ ، وتروى لسُوَيد بن خَذّاق العبْدى[3] وكذا قال ابن برّى فى أماليه على الصحاح والله أعلم .

---

(١) كذا فى النسختين . والصواب « بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم » كما فى جمهرة ابن حزم ٢١٩ — ٢٢٠ والاشتقاق ٢٣٩ ، ٢٥٤ .

(٢) هو قريعى ثم سعدى ، وإن كان صنيع البغدادى يوهم أنهما شخصان ، فهم بنو قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . انظر جمهرة ابن حزم والاشتقاق .

(٣) من قولهم خنق الطائر وخزق ، إذا رمى بذرقه . وفى النسختين : « حذاق » صوابه بالخاء المعجمة كما فى الاشتقاق ٣٣١

و (المَعْلوط) اسم مفعول من عَلَطه بسهْمٍ عَلْطاً : إذا أصابه به .
وهو بالعين والطاء المهملتين .

ثم رأيتُ فى كتاب العباب ، فى شرحِ أبيات الآداب تأليف حسَن ابن صالح العدَوىّ اليمنيّ ، قال : البيتُ الشاهد للمخبَّل السَّعْدىّ ، من أبيات مشهورة متداوَلةٍ فى أفواه الناس ، أوّلها :

(ألا يا لقَومى لِلرُّسوم تَبِيدُ وعهدُك ممَّنْ حَبلُهنَّ جَديدُ)(١)
وللدار بَعْدَ الحىِّ يُبكِيكَ رسْمُها وما الدارُ إلاّ دِمنةٌ وصَعِيدُ
لقد زادَ نفسى بابن وَرْدٍ كرامةً علىَّ رجالٌ فى الرجال عَبيدُ
يَسُوقُونَ أموالاً وما سَعِدُوا بها وهمْ عند مَثْناةِ القيامِ قُعودُ
ولا سَوَّد المـالُ اللئيمَ ولا دنا لِذاكَ ولـكنَّ الـكريمَ يسودُ
وكائنْ رأينا من غنِىٍّ مذمَّمٍ وصُعلوكِ قومٍ ماتَ وهو حَميد
وليس الغِنى والفقرُ من حِيلة الفتى ولـكنْ أحاظٍ قسِّمتْ وجُدودُ
وما يكسب المـالَ الفتى بجِلاده لديه ، ولـكنْ خائبٌ وسَعيدُ
إذا المرء أعيتْه المروءة ناشئاً . . . . البيت

وترجمة المخبَّل السعدىّ تأتى فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد الأربعمائة .

* * *

وأنشد بعده :

(فما بالُنا أمسِ أُسْدَ العرينِ وما بالُنا اليومَ شاء النَّجَفْ)

(١) ط : « حلهن » صوابه فى ش .

وتقدم شرحه قريباً[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد المائة :

١٩٨ (بدَتْ قمراً ومالَتْ خُوطَ بانٍ وفاحتْ عَنْبراً ورَنَتْ غزالا[٢])

٥٣٨ على أنّ قمراً وما بعده ، من المنصوبات أحوالاً مؤوّلة بالمشتقّ ؛ أى بدَتْ مضيئةً كالقمر ، ومالت متثنّية كخُوطِ بانٍ ، وفاحت طيّبةَ النَّشْر كالعنبر ، ورنَتْ مليحةَ المنظرِ كالغزال .

قال الواحدىّ : هذه أسماء وضِعت موضعَ الحال . والمعنى : بدَت مشْبهة قمراً فى حسنها ، ومالت مشْبهة غصنَ بانٍ فى تثنّيها ، وفاحتْ مشْبهة عنبراً فى طيب رائحتها ، ورنَتْ مشْبهةً غزالاً فى سواد مُقْلتها . وهذا يسمّى التدبيج فى الشعر ، ومثله :

لاحتْ هلالاً ، وفاحت عنبراً وشذَتْ
مِسكاً ، وماستْ قضيباً ، وانثنتْ غصُنا

ومثله :

سفَرنَ بُدُوراً ، وانتَقبْنَ أهِلّةً ، ومِسْنَ غصوناً ، والتفَتْن جآذرا[٣]

انتهى . فقوله : (بدَت) يقال بدا يبدُو وبدُوًا . أى ظهَر ظهوراً بيِّناً . و (الخُوط) بضمّ الخاء المعجمة : الغصن الناعم لِسَنَة[٤] . وقيل : كلّ قضيب .

---

(١) انظر ماسبق فى هذا الجزء ص ٢٠١

(٢) ديوان المتنبى ٢ : ١٦٢ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٧٤ .

(٣) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٧٤ .

(٤) جعلها الشنقيطى : « نبته » .

و (فاحتْ) . من فاح المسك فَوحاً وفَيْحاً : انتشرت رائحتُه خاصٌ في الطِيب . و (رَنا) : من الرنوّ كدُنُوّ ، وهو إدامة النظَر بسكون الطَرْف كالرَنا ، ولهوٌ مع شغْلِ قلبٍ وبصرٍ وغلبةِ هوى ؛ والرَّنا : مايُرْنى إليه لحسنه . كذا في القاموس . وضمير بدت راجعٌ إلى حبيبته ، في قوله قبلَ هذا :

(بجِسْمِيَ مَنْ بَرَتْهُ ، فلو أصارتْ   وِشاحِي ثَقْبَ لؤلؤةٍ لَجالا)

أي أفدي بجسْمي الحبيبةَ التي نحَلتْه وبَرَته ، حتى لو جعلتْ قِلادتي ثَقْبَ دُرّةٍ لجالَ جسمي فيه ، لدقّته .

وهذا البيت من قصيدةٍ لأبي الطيِّب المتنبِّي ، مَدح بها بدرَ بن عمّار بن إسماعيلَ الأسديَّ . صاحب الشاهد

وترجمة المتنبيِّ تقدّمتْ في البيت الحادي والأربعين بعد المائة(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد المائة :

١٩٩ (كدأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيرِثِ قَبْلَهَا   وجارتِها أُمِّ الرَبابِ بمأْسَلِ)(٢)

على أنّ الدأبَ يعبَّر به عن كل حدثٍ لازمٍ : كالحسْن والجمال . أوغير لازم : كالضرب والقتل ؛ ولهذا يتعلّق به الجارُّ والمجرور ، والظرفُ ، والحال .

فقوله : (كدأبك) بمعنى كتمتُّعِك . فكَنَى ولم يصرِّح .

أقول : جعْل الدأبِ هنا كنايةً عن التمتّع لاوجْهَ له ، كما يعلم قريبا .

---

(١) الخزانة ٢ : ص ٣٤٧

(٢) من معلقة امرىء القيس . وانظر المنصف لابن جني ١ : ١٥٠ .

وهذا البيت من معلّقة امرئ القيس المشهورةِ ومطلعها :

(قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ ومَنزِلِ بسِقْطِ اللِّوى بين الدَّخول فحومَلِ
فتوضِحَ فالمقراةِ ، لم يعفُ رسمُها لِما نسجَتْها من جَنوبٍ وشَمْألِ
وقوفاً بها صَحبي علىَّ مطيَّهمْ يقولونَ : لاتهلِكْ أسًى ، وتجمَّلِ
وإنّ شِفائى عَبْرةٌ مُهراقةٌ فهل عندَ رسمٍ دارسٍ من مُعَوَّلِ
كدأبِكَ من أمِّ الحويرثِ قبلَها وجارتِها أمِّ الرَّباب بمأسلِ)

والبيتان الأوّلان يأتى شرحهما ، إن شاء الله عزّ وجلّ ، فى أواخر الكتاب ، فى الفاء العاطفة[1] .

وقوفاً بها صحبي الخ ، متعلّق بقوله : قفانبك ، فكأنّه قال : قِفا وقوفَ صحبي بها على مطيِّهم ، أو قفا حالَ وقوفِ صحبي . وقوله بها متأخر فى المعنى[2] ، يريد قفانبك فى حالِ وقْف أصحابى مطيَّهم علىّ . وقوله : وإنّ شفائى عَبرةٌ الخ ، العَبْرة : الدمعة . والمهرَاقة : المصبوبة ، وأصلها مُرَاقة من الإراقة ، والهاء زائدة . ومعوَّل : موضع عَوِيل أى بكاء ، أو بمعنى موضع ينال فيه حاجة : يقال عوّلت على فلان أى اعتمدت عليه .

قال الباقِلاّنىّ (فى معجز القرآن[3]) عند الكلام على معايب هذه القصيدة : هذا البيت مختلٌّ من جهةِ أنّه جعلَ الدمعَ فى اعتقاده شافياً كافياً ، فما حاجتُه بعد ذلك إلى طلب حيلة أخرى عند الرسوم ! ولو أراد أن يحسن

٥٣٩

(١) انظر الشاهد الحادى والخسين بعد الثلثمائة .
(٢) انظر لهذه العبارة وما قبلها إعجاز القرآن ٢٤٧ .
(٣) اسمه المعروف إعجاز القرآن . انظر منه ص ٢٤٧ .

الكلامُ لوجَب أن يدلّ(١) على أنّ الدمع لايَشفيه لشدّة مابه من الحزن ، ثم يسائل هل عند الرَّبْع من حيلةٍ أخرى(٢) وفى هذا مع قوله سابقاً لم يعف رسمها تناقضَ الكلامان وليس فى هذا اقتصار(٣) ؛ لأن معنى عفا ودرس واحد فإذا قال « لم يعف رسمها » ثم قال « قد عفا » فهو تناقض لا محالة ، واعتذار أبى عبيدة أقرب لوصحّ ، ولكن لم يردْ هذا القول موردَ الاستدراك على ما قاله زهير ، فهو إلى الخلل أقرب . انتهى .

وقوله : كدأبك من أمّ الخ ، قال أبو جعفر النحّاس فى شرحه ، وتبعه الخطيب التبريزىّ : الكاف تتعلّق بقوله قفا نبك ، كأنّه قال : قفا نبك كدأبك فى البكاء ، فهى فى موضع مصدر . والمعنى بكاء مثلَ عادتك . ويجوز أن تتعلق بقوله : وإنّ شفائى عَبَرة ، والتقدير : كعادتك فى أن تُشفَى من أمّ الحويرث . والباء فى قوله : بمأسَل ، متعلّقة بدأبك ، كأنّه قال : كعادتك بمأسَل . وهو جبل . وزاد الخطيب : « وأمُّ الحويرث هى هِرّ(٤) أمّ الحارث ابن حُصين بن ضَمْضَم الكلبىّ ، وأم الرَّباب من كلْب أيضاً . يقول : لقيتَ

(١) وكذا فى إعجاز القرآن ، وإن كان فى بعض أصوله هناك « يدخل » .

(٢ — ٣) مابين هذين الرقمين هنا على جانب من التحريف لايستطاع معالجته ، وأنقل هنا ما يقابله من إعجاز القرآن «٢٤٥ — ٢٤٦» : ثم فى هذه الكلمة خلل آخر ، لأنه عقّب البيت بأن قال :

* فهل عند رسم دارس من معول *

فذكر أبو عبيدة أنه رجع فأكذب نفسه ، كما قال زهير :

قف بالديار التى لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم

وقال غيره : أراد بالبيت الأول أنه لم يتطمس أثره كله ، وبالثانى أنه ذهب بعضه ، حتى لا يتناقض الكلامان . وليس فى هذا انتصار » .

ثم إن الرواية الصحيحة فى بيت زهير هى : « بلى وغيرها » . انظر ديوان زهير ١٤٥ ومعاهد التنصيص ١ : ٢٢٧ وأمالى المرتضى ٢ : ١٩٤ وشرح القصائد السبع ٢٦ وسمط اللآلى ٩٤٤ .

(٤) فى النسختين : « هرة » ، وأصلحها الشنقيطى فأزال التاء بقلمه ، كما شرح التبريزى للمعلقات ، وشرح القصائد السبع الطوال ٢٩ وسمط اللآلى .

مِن وقوفك على هذه الديارِ وتَذكُّرِك أهلَها كما لقيتَ من أمِّ الحويرث وجارتِها . وقيل : المعنى : كأنّك أصابك من التعب والنَّصَب من هذه المرأةِ كما أصابكَ من هاتين المرأتين » انتهى .

وقال أبو عُبيد البكريّ فى شرح أمالى القالى(١) : أم الحويرث التى كان يشبِّب بها فى أشعاره ، هى أخت الحارث [حُصَين(٢)] بن ضَمضَم ، من كلب ، وهى امرأة حُجْرٍ أبى امرئ القيس ، فلذلك كان أبوه طرده ونفاه وهَمّ بقتله انتهى . وهذا هو الصواب .

وقال الزوزنيّ : يقول عادتك فى حبِّ هذه كعادتك فى تَينِك ، أى قلة حظِّك من وصال هذه كمعاناتك الوجدَ بهما . وقوله . قبلها ، أى قبلَ هذه التى شغِفتَ بها الآن . والدأْب : العادة ، وأصلهما(٣) متابَعة العمل والجِدّ فى السعى انتهى كلامه .

فجَعَل الزوزنيّ قولَه كدأبك خبرَ مبتدإٍ محذوف . وهذا أقرب من الأوّلَين . فعُلِم مما ذكرنا أنّ الدأب كنايةٌ إمّا عن البكاء ، وإمّا عن المعاناة والمشقّة . والتّمتعُ لا مساس له ها هنا ، فتأمل .

وترجمة امرئ القيس تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين(٤) .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الموفى المائتين(٥) :

---

(١) سمط اللآلىء ٩٤٤ .

(٢) التكملة من سمط اللآلىء .

(٣) عند الزوزنى : « أصلها » بإفراد الضمير .

(٤) الخزانة ١ : ص ٣٢٩

(٥) معلقة عنترة . وانظر الخصائص ٢ : ٢١٦ والعينى ٢ : ٤١٤ والهمع ١ : ١٥٢ والتصريح ١ : ٢٦٠ .

٢٠٠ (ولَقَدْ نَزَلتِ ـ فلا تَظُنِّي غيرَه ـ
مِنِّي بِمَنْزِلَةِ المحَبِّ المكْرَمِ)

على أنّ معناه نزلتِ قريبةً منّي قربَ المحَبِّ المكْرم. وإنّما عُدّى بِمن، لكون معنى بمنزلة فلان: قريباً قُربَه أو بعيداً بُعْدَه.

وهذا البيت من معلّقة عنترةَ العبسىّ. قال أبو جعفر النحاس فى شرحه، — وتبعه الخطيب التبريزىّ — الباء فى قوله: (بمنزلة) متعلّقة بمصدر محذوف، لأنّه لمّا قال: (نزَلتِ) دلّ على النزول. وقوله: بمنزلة، فى موضع نصب، أى ولقد نزلتِ منّي منزلةً مثلَ منزلة المحَبِّ. وقال الزوزنىّ: يقول: ولقد نزلتِ من قلبي منزلةَ من يُحَبُّ ويكْرَم.

٥٤٠

والتاء فى (نزلتِ) مكسورة، لأنّه خطابٌ مع محبوبته عَبْلة، المذكورة فى بيت قبلَ هذا[1] وقوله: (فلا تظنّي غيره)، مفعول ظنّ الثانى محذوفٌ اختصاراً لا اقتصاراً، أى فلا تظنّي غيره، واقعاً أو حقّا؛ أى غيرَ نزولكِ منّي منزلة المحَبِّ. وبه استشهد شُرَّاح الألفيَّة وغيرُهم بهذا البيت. و (المحَبّ): اسم مفعولٍ جاء على أحبّ وأحببت وهو على الأصل، والكثيرُ فى كلام العرب محبوب[2]. قال الكسائىُّ: محبوب من حَببت؛ وكأنّها لغة قد ماتت. أى تُركت. وقال الأصمعىّ: تَحبّ بفتح التاء، ولا أعرفه فى غير التاء؛ ولا أعرف حببت. وحكى أبو زيد أنّه يقال حَببت أَحِبّ وأنت تَحِبّ ونحن نَحِبّ. و (والمكْرَم): اسم مفعول أيضاً؛ والواو

---

(١) القبلية هنا مطلقة، وإلا فان «عبلة» قد ذكرت قبله بثلاثة أبيات فى قوله:

وتحل عبلة بالجواء وأهلنا بالحزن فالصمان فالمتثلم

(٢) أى أن الأكثر فى اسم المفعول مجيئه من الثلاثى «محبوب»، كما أن الأكثر فى اسم الفاعل مجيئه من المزيد «محِب».

فى (ولقد) عاطفةٌ . وجملة (لقد نزلت) الخ جوابُ قسَم محذوف، أى ووالله لقد نزلتِ ، كقوله تعالى : « ولَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَه[١] » . وقوله : « فلا تظنّي غيره » جملة معترضة بين المجرور ومتعلَّقِه ، فإنّ منّي متعلّق بنَزلتِ . ولقد خبَط هنا خبْطاً فاحشاً شارحُ شواهدِ الألفيَّة ، فى قوله : الواوُ للقسمِ وجوابُ القسم قولُه : فلا تُظُنِّي غيره ، ثم قال : قوله فلا تظنّي نهيٌ معترِضٌ بين الجارِّ والمجرور ومتعلقه ، والباء فى بمنزلة بمعنى فى ، أى نزلتِ منّي فى منزلة الشيء المحبوب المكْرم . هذا كلامه ؛ ولا يقع فى مثله أصاغرُ الطَلَبة .

وترجمة عنترة تقدمت فى الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب[٢]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد المائتين :

٢٠١ (خرَجتُ مَعَ البازِى علىَّ سوادُ[٣])

هذا عجز ، وَصدره :

(إذا أنكرتْني بلدةٌ أو نكرْتُها)

على أن الجملة الاسميّةَ الحاليّة إذا لم يكن مبتدؤها ضميرَ صاحبِ الحال ، فإنْ كان الضمير فيما صدّر به الجملة فلا يُحكم بضعفه مجرّداً عن الواو ، كجملة علىّ سواد ، فإنّها حال من التاء فى خرجتُ .

فى المصباح : « أنكرته إنكاراً : خلافُ عرَفته ؛ ونكِرته مثل تعبت كذلك ، غير أنّه لا يتصرّف » . أى إذا لم يعرِف قدرى أهلُ بلدةٍ

(١) الآية ١٥٢ من آل عمران .
(٢) الخزانة ١ : ص ١٢٨
(٣) ديوان بشار ٣ : ٤٩ والأغانى ٣ : ٤٩ ومعاهد التنصيص ١ : ٩٧ .

أو لم أعرِفْهم خرجتُ منهم مبتَكراً مصاحباً للبازى ، الذى هو أبكَر الطُّيور ، فى حال اشتمالى على شىء من سواد الليل . و (البازى) على وزن القاضى ، فى الأصل : صفةٌ من بَزَا يبزُو : إذا غلَب . ويُعرَب إعرابَ المنقوص. والجمع بُزاة .

وهذا البيتُ من أبياتٍ لبشَّارِ بن بُرْد ، مدَح بها خالداً البرمكى ، وكان قد وفد عليه وهو بفارس ، فأنشدَه :

(أخالدُ ، لَم أهبط إليكَ بذِمَّةٍ ... سِوى أنَّني عافٍ وأنتَ جوادُ [(١)]

أخالدُ ، إنّ الأجرَ والحمدَ حاجتى ... فأيُّهما تأتى فأنتَ عِمادُ

فإن تُعطِني أُفرِغْ عليكَ مدائحى ... وإنْ تأبَ لم تُضْربْ علىَّ سِدادُ [(٢)]

رِكابى على حَرْفٍ ، وقلبى مشيَّعٌ ، ... وما لى بأرضِ الباخلين بِلادُ

إذا أنكرتْني بلدةٌ أو نَكِرْتُها ... خرجتُ مع البازى، علىَّ سَوادُ [(٣)])

يقال : هبَط من موضع إلى موضع : إذا انتقل إليه ، والهَبوط : الحدور كرسول فيهما . والذِّمة هنا العهد والحرْمة . والعافى : مِن عَفوته : إذا أتيته طالباً لمعروفه ، وجمعه العُفاة ، وهم طُلاّب المعروف . وهذا مثلُ قولِ دِعْبلٍ لمّا وفد على عبدِ الله بن طاهر :

جئتُك مستشفعاً بلا سَبَبٍ ... إليك ، إلاّ لحرمة الأدَبِ

فاقضِ ذِمامى ، فإنّني رجلٌ ... غيرُ مِلِحٍّ عليكَ فى الطلبِ

فبعَث إليه عبدُ الله بعشرة آلاف دِرهم ، وبهذين البيتين :

(١) فى الديوان : «لم أخبط إليك بنعمة» وفى الأغانى : « لم أخبط إليك بذمة » .

(٢) وكذا فى الأغانى . وفى الديوان : « لايضرب عليك سداد » .

(٣) فى الديوان : « نهضت » بدل «خرجت» .

أعجلْتَنا فأتاكَ عاجلُ برِّنا ولو انتظرتَ كثيرَهُ لم تقلِلِ
فخُذ القليلَ ، وكُنْ كأنَّك لم تَسَلْ ونكونُ نحنُ كأنّنا لم نَفعَلِ

وقد تداول هذين البيتين كثيرٌ من الكرماء ؛ فيظنّ الناسُ أنّهما لمن تداولهما .

والحَرْف : الناقة القويّة . والمشيَّع ، على وزن المفعول : الشجاع ، كأنّ له شِيعةً ، أى أتْباعا وأنصارا .

روَى الأصبهانىُّ (فى الأغانى) أنّ بشّاراً لمّا أنشَد هذه الأبياتَ دعا خالدٌ بأربعةِ أكياس ، فوضع واحداً عن يمينه ، وآخر عن شِماله ، وآخر بَين يديه ، وآخر من ورائه ، وقال : يا أبا مُعاذ ، هل استقلّ العماد ؟ فلَمَس الأكياسَ ثم قال : استقلّ والله أيُّها الأمير !

بشار ابن برد

و (بشّار بن بُرْد) أصله من طُخارِسْتان[١] من سبْي المهلَّب بن أبى صُفْرة — وهى ناحيةٌ كبيرة مشتملة على بُلدانٍ على نهر جَيْحون مما وراء النهر — وكنيته أبو مُعاذ ، ولقَبه المرعَّث — وهو الذى فى أذنه رِعاث ، وهو جمع رُعْثة ، وهى القرْطة — لقِّب به لأنّها كانت فى صغَره معلّقة فى أذنه[٢] . وهو عُقَيلي بالولاء ، نسبةً إلى عُقَيل بن كعب (بالتصغير) وهى قبيلة . وقيل : إنّه ولد على الرقّ أيضاً وأعتقته امرأةٌ عُقَيليّة . ووُلِدَ أكْمه جاحظَ الحدَقتين قد تغشّاهما لحمٌ أحمر . وكان ضخماً عظيم الخلْق والوجه مجدَّرا . وهو فى أوّل مرتبة المحدَثين من الشعراء المجيدين . وقد نشأ بالبصرة ، ثمّ قَدِم بغدادَ ومدح المهدىَّ بن المنصور العباسىّ ، ورُمى عنده بالزندقة : رُوى

---

(١) ضبط فى القاموس وابن خلكان بضم الطاء ، وفى معجم البلدان بفتحها .

(٢) انظر لتلقيبه بالمرعث قولين آخرين فى الأغانى ٣ : ٢٢ عن محمد بن سلام .

أنّه كان يفضِّل النارَ على الأرض ، ويصوِّب رأىَ إبليسَ فى امتناعه من السجود لآدم عليه السلام ، ونُسِب إليه قولُه :

الأرضُ مظلمةٌ ، والنارُ مُشرِقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانت النارُ [١]

فأمر المهدىُّ بضربِهِ ، فضُرِب سبعين سوطاً ، فمات من ذلك ، وذلك فى سنةِ ثمانٍ وستِّين ومائة ، وقد نيف على تسعين سنة . ومن شعره :

يا قوم أُذنى لبعْضِ الحىِّ عاشقةٌ والأذن تعشَقُ قبلَ العين أحْيانا

قالوا : بمن لا تَرَى تَهْذِى ! فقلت لهم : الأذن كالعينِ تُوفى القلبَ ما كانا [٢]

ومن هجائه للمهدىّ قولُه :

خليفةٌ يزنى بعمّاتِه يَلعبُ بالدَّبُّوق والصَّوْلَجان

أبدلنا اللهُ به غيرهُ ودسَّ مُوسَى فى حِرِ الخيزُران

وبينَه وبين حمّاد عجْرَد أهاجٍ فاحشةٌ ، ومن هجوه فيه :

نِعْمَ الفتَى ، لو كان يعبُدُ ربَّه ويقيمُ وقتَ صَلاتِهِ ، حمّادُ

وابيضَّ من شُربِ المُدامةِ وجهُهُ وبياضه يومَ الحساب سوادُ [٣]

وقُتل حمّادُ عجْرَد على الزندقة أيضاً فى سنة ستّ وستّين ومائة [٤] . ودُفن بشارٌ على حمّاد عجْرد فى قبرٍ واحدٍ [٥] ، فكتب أبو هشامٍ الباهلىُّ على قبرهما :

---

(١) انظر البيان ١ : ١٦ . وقد رد عليه قوله صفوان الأنصارى فى البيان ١ : ٢٧ .

(٢) ش : «توفى القلب» ، أى تؤنبه وتعطيه .

(٣) لعله تابع صاحب الوفيات فى إيراد هذا البيت بعد سابقه ، والحق أن بينهما ثالثاً ، كما فى الحيوان ٤ : ٤٤٥ والأغانى ٥ : ١٦٢ مع نسبة الشعر فى الأغانى إلى أبى الغول :

هدلت مشافره الدنان فأنفه مثل القدوم يسنها الحداد

(٤) ش : « ست وثمانين ومائة » . وفى الوفيات ١ : ٨٩ : « سنة سبع وقيل ثمان وستين ومائة ، وقد نيف على تسعين سنة » .

(٥) فى الأغانى ٣ : ٩٧ وابن خلكان (فى ترجمة حماد عجرد) أنهما قبران .

قد تبعَ الأعمَى قفا عجْرَدٍ فأصبحا جارَيْنِ فى دارِ
صارَا جميعاً فى يدَى « مالك » فى النارِ . والكافرُ فى النار
قالتْ جميعُ الأرضِ : لا مرحباً بقُرب حمّادٍ وبشّارِ

وترجمته فى الأغانى طويلة .

وأمّا (خالد) فهو خالد بن بَرمَكَ البرمكىّ[1] . وكان بَرْمَكُ من مجوس بلخ وكان يخدمُ « النُّوبَهار[2] » وهو معبدٌ للمجوس بمدينة بلْخ تُوقَد فيه النيران . وكان برمك عظيمَ المقدار ، وسادَ ابنُه خالدٌ ووَزَر لأبى العباس عبدِ الله السفّاح العبّاسىّ . وهو أوّل مَن وزَر مِن آل برمك . ولم يزل وزيراً إلى أن توفى السفاحُ ، ثمّ وزَر لأخيه أبى جعفرٍ المنصور ، إلى أن توفى فى سنة ثلاث وستّين ومائة . وكانت ولادته فى سنة تسعين من الهجرة .

يحيى البرمكى

و (يحيى البرمَكىّ) هو أبو جعفر والفضل ، قال المسعودىّ : لم يبلغْ مبلغَ خالدِ بن برمكَ أحد من ولده : فى جوده ، ورأيه ، ورياسته ، وعلْمه ، وجميع خلاله ، لا يحيى ، فى رأيه ووفور عقله ؛ ولا الفضل بن يحيى ، فى جوده ونزاهته ؛ ولا جعفر بن يحيى ، فى كتابته وفصاحة لسانه ؛ ولا محمّد بن يحيى ، فى سَرْوه وبُعد همّته ؛ ولا موسى بن يحيى ، فى شجاعته ورياسته .

* * *

(١) لياقوت فى رسم (نوبهار) بحث ممتع فى اشتقاق كلمة « برمك » إذ قال : « كانوا يسمون السادن الأكبر برمك ، لتشبيههم البيت بمكة ، يسمون سادنه ابن مكة فكان كل مَن ولى منهم السدانة برمكا » .

(٢) معناه الربيع الجديد ، ونُو بالضم بمعنى الجديد ط : « النور بها » ش : « النور بهاد » ، صوابهما ما أثبت . وفيه يقول الشاعر :

أوحش النوبهار من بعد جعفر ولقد كان بالبرامك يعمر

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثانى بعد المائتين:

٢٠٢ (نَصَفَ النهارُ الماءُ غامِرُهُ)

هذا صدرٌ وعجزه: (ورَفيقُهُ بالغَيْبِ ما يدرِى[1])

على أن ضمير صاحب الحال إذا كان فى آخر الجملة الحالّية، فلا شكّ فى ضعفه وقلّتِهِ[2]: فإنّ الماء مبتدأ، وغامِرُه خبرُه، والجملة حالٌ من ضمير نَصَف العائدِ إلى الغائص، والضمير الذى ربط جملة الحال بصاحبها، فى آخرها. وهذا على رواية نصبِ (النهار) على أنّه مفعول به — قال صاحب المصباح[3]: نَصفْت الشىء نَصفاً، من باب قتل: بلغت نِصفْه — وأما على رواية رفعه فالجملة حالٌ منه؛ ولا رابط، فتقدَّر الواو. وعليها كلام صاحب المغنى، قال: وقد تخلو الجملة الحالّية من الواو والضميرِ، فيقدَّر الضمير فى نحو: مررت بالبُرِّ قفيزٌ بدرهم؛ أو الواوُ، كقوله يَصِف غائصاً لطلب اللؤلؤ انتَصَفَ النهارُ وهو غائصٌ وصاحبُه لا يدرى ما حالُه:

نَصف النهارُ الماءُ غامره . . . البيت. انتهى

فنَصَف على هذا أيضاً من باب قتل، قال صاحب المصباح[3]: إن بلغ الشىءُ نصفَ نفسِه، ففيه لغات: نصف ينصُف من باب قتل يقتل، وأنْصف بالألف، وتنصّف؛ وانتصف النهار: بلغت الشمسُ وسط السماء، وهو وقت الزوال».

---

(١) ابن يعيش ٢ : ٦٥ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٩٠ والهمع ١ : ٢٤٦ وشرح شواهد المغنى ٢٩٧ والأشمونى ٢ : ١٩٢ .

(٢) ط: «فلا شك فى ضعفه وقوته»، وهو من عجيب التحريف. صوابه فى ش وشرح الرضى للكافية ١ : ١٩٤ .

(٣) ط: «المفتاح» صوابه فى ش. والنص فى المصباح المنير.

وقد أثبت هاتين الروايتين العسكريُّ فى كتاب التصحيف[1] ، والسيِّد الجرجانيُّ فى شرح المفتاح . أمّا العسكريّ فهذا كلامُه : قال الرياشيّ : « الذى يروى نَصف النهارُ ، بالرفع ، يريد معنى الواو أى انتصف النهارُ والماء غامره وهو تحت الماء ، يعنى الغوّاص ، وشريكه بالغيب ، أى بحيث يغيب عنه ولا يدرى ما حاله ؛ وإنّما يغوص بحبل معَه طرَفُه وطرفُه الآخرُ مع صاحبه . قال الرياشيّ: الحال إذا لم يرجع إلى الأوّل منها شىء فهو قبيح فى العربية . قال : وإذا صَيَّرتَه ظرفاً فهو جيِّد فى العربية . وقال المازنىّ : الجيِّد نصب[2] النهارَ على الظرف » انتهى . وكونُ النصبِ على الظرف ، تجوّز ؛ والصواب على المفعوليّة .

٥٤٣

وأما السيِّد فقد قال : « النهار منصوب ، من نصفت الشىء : بلغت نصفَه . والمراد طول مُكْثه تحتَ الماء . وفى الصحاح برفع النهار ، من نصف الشىءُ : بمعنى انتصف . فالجملة الحاليّة حينئذ خالية عن الضمير أيضا ، فاحتاج إلى أن قدّر الواو محذوفة ، أى والماء غامره أى ساتره » انتهى فعُلم من هذا أنّ مَن قال بوجود الضمير فى هذه الجملة ، جعَل صاحبَ الحال ضمير الغوّاص المستترَ فى نَصَف الناصبِ للنهار . وأن من قال بعدم الضمير ، جعَلَ الجملةَ حالاً من النهار المرفوع بنصف وقدّر الواو للربط ، وأمّا الضمير الموجود فغير رابطٍ ، لأنّه ليس عائداً على صاحب الحال ، وهو النهار ، بل هو عائدٌ على الغوّاص .

والعَجب من كلام ابن الشجرىّ فى أماليه ، فإنّه جعل الجملةَ حالاً من النهار المرفوع ، وقال : « الرابط الضمير » وهذا لا يصحّ فإنّ الضمير ليس للنّهار .

---

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ٢٨٥ .
(٢) ط : « نصف » صوابه فى س .

وهذه عبارته : ولو حذفتَ الضمير من جملة الحالِ المبتدإ به وا كتفيت بالواو ، جاز ، نحو : جاء زيد وعمرو حاضر . ولو حذفتَ الواوَ ا كتفاء بالضمير فقلت : خرج أخوك يده على وجهه ، جاز ، كقوله :

نصف النهار الماء غامره . . . . انتهى

وأعجبُ منه قول ابن السِيد فى شرح شواهد أدب الكاتب ، فى جعله الجملة حالاً ، وصاحبَ الحال غيرَ مذكور فى هذا البيت ، بل هو فى بيتٍ قبلَ هذا بأبيات . وهذا كلامه : « جملة الماء غامرُه حالٌ وكذلك الجملة التى بعدها . وكان ينبغى أن يقول : والماء غامره ، فيأتىَ بواو الحال ؛ ولكنّه ا كتفى بالضمير منها . ولو لم يكن فى الجملتين عائدٌ إلى صاحب الحال لم يجزْ حذف الواو . وأما صاحب هاتين الحالين فليس بمذكور فى البيت ، ولكنه مذكور فى البيت الذى قبله ، وهو :

« كَجُمانة البحْرىّ جاء بها غوّاصُها من لُجّة البحرِ » انتهى

وأغربُ من هذين القولين صنيعُ ابن جنّي فى سرّ الصناعة ، فإنه حكم على هذه الجملة بأنه لا رابط معها . ثم نقض كلامَه بجعلِ الضمير رابطاً للحال بصاحبها المحذوف . وهذا ما سطّره : إذا وقعت الجملةُ الاسمية بعد واو الحال كنتَ فى تضمينها ضميرَ صاحبِ الحال وتركِ تضمينها إيّاه مخيراً ؛ فالأوّل نحو جاء زيد وتحته فرس ، والثانى جاء زيد وعمرو يقرأ . فأمّا إذا لم يكن واوٌ فلا بدّ من الضمير ، نحو أقبل محمّد على رأسه قَلَنْسُوة . وإذا فَقدتْ جملةُ الحال هاتين الحالتين ، انقطعتْ ممّا قبلها ، ولم يكن هناك ما يربط الآخر بالأول ؛ وعلى هذا قولُ الشاعر :

نصفَ النهارُ الماء غامرُه . . . . البيت

يصف غائصاً غاص في الماء من أوّل النهار وهذه حالُه . فالماء من غامِرُه ربطت الجملة بما قبلها حتى جرَتْ حالاً على ما فيها ، فكأنّك قلت : انتصف النهارُ على الغائص غامراً له الماء ، كما أنك إذا قلت : جاء زيد ووجهه حسَن ، فكأنك قلت : جاء زيد حسناً وجهه . هذا كلامه فتأمله .

٥٤٤ وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمونٍ ، مدحَ بها قيسَ بنَ مَعْدِ يكرِبَ الكِنْديّ . وقد أجاد في التغزُّل بمحبوبته في أوّلها ، إلى أن شبهها بالدُّرّة ، ثم وصَف تلك الدُّرَّة كيف استُخْرِجتْ من البحر فقال :

(كجُمانَةِ البَحْرىّ جاء بها غَوّاصُها من لُجّةِ البحرِ[(١)]
صُلبُ الفؤادِ رئيسَ أربعَةٍ متخالِفِي الألوانِ والنَّجْرِ
فتنازَعُوا حتى إذا اجتمعوا ألقَوا إليه مقالِدَ الأمْرِ
وعَلَتْ بهم سجْحاء خادِمةٌ تَهوِى بهمْ في لُجّةِ البحرِ[(٢)]
حتى إذا ما ساء ظنُّهمُ ومضَى بهمْ شهرٌ إلى شهرِ
ألقَى مَراسِيَه بتهلُكةٍ[(٣)] ثَبَتَتْ مَراسِيها فما تَجرى
فانصبّ أسقَفُ رأسُهُ لَبِدٌ نُزِعَتْ رباعِيَتاه للصَّبْرِ
أشْغَى يمجُّ الزَّيتَ ملتمسٌ ظمآنُ ملتهبٌ من الفَقْرِ
قَتَلَتْ أباه ، فقال : أتْبَعهُ أو أستفيدَ رَغيبةَ الدَّهْرِ
نَصَفَ النهارُ الماءُ غامِرُه ، وشريكُهُ بالغَيْبِ ما يَدْرى

(١) قابل الأستاذ الميمنى هذه الأبيات على نسخة رامبور من ديوان الأعشى ، فأثبت مقابلته هنا .

(٢) في نسخة رامبور من ديوان الأعشى : « سجحاء حارسه » بدون نقط في الكلمة الأخيرة .

(٣) رامبور : « بمهلكة » :

فأصابَ مُنيتَه ، فجاء بهـا   صَدَفيَّةً   كمضيئةِ   الجمرِ
يُعْطَى بها   ثمناً   ويمنعُها   ويقولُ صاحبُه : ألا تشرى ؟(١)
وترى الصَّوارى يسجدُونَ لها   ويضمُّها   بيدَيه   للتَّجرِ(٢)
فلتلك(٣) شِبْهُ المالكيَّةِ إذْ   طَلعتْ   ببهجتِها   من   الخِدرِ)

الُجمانة ، بضمّ الجيم : حبَّة تُعمَل من فضة كالدرّة ؛ وجمعها جُمَان . أى هى كجُمانة البَحْرىّ . وصُلبُ الفؤادِ ، بالضمّ : أى قوىُّ الفؤاد وشديدُه ؛ هو صفةٌ لغوّاص . ورئيسَ أربعة بالنصب حال منه ، وقوله : متخالِفِى الألوان : صفة أربعة ، والإضافة لفظيّة . والنَّجْر ، بفتح النون وسكون الجيم : الأصل . أى أنّ هؤلاء الأربعةَ أصلهم مختلف ، وكذلك ألوانُهم مختلفة . والسَّجحاء ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة : [الطويلة(٤)] الظَّهر ؛ وأراد بها السَّفينة . والمَراسى : جمع مِرْساة بالكسر ، وهى آلة تُرسَى بها السفينة . وقوله : فانصبَّ أسقَفُ الخ . أى رمى بنفسه فى البحر وغاصَ لإخراج الدر . والأَسقَف ، بفتح الألف والقاف ، من السَّقَف بفتحتين ، وهو طولٌ فى انحناء . ولَبِدٌ ، بكسر الباء أى متلبد . وأشْفَى فعل ماض ، يقال أشفى على الشىء : أى أشرَفَ عليه . ويمجُّ : يقذف مِن فِيه ، كما هو عادة الغائص . وفاعلهما ضمير أسقَف . وملتمسٌ وما بعده من الوصفين نُعوت لأسقف . وقوله : قتلَتْ أباه الخ ، أى أنّ أباه هلَك فى حُبِّ هذه الدرّة أو فى تحصيلها ، فقال

(١) تشرى هنا بمعنى تبيع كما سيأتى ، وكما فى قول يزيد بن مفرغ :
وشريت   بردا   ليتنى   من بعد   برد   كنت هامه
(٢) ط : « للتحر » صوابه من ش والتفسير التالى .
(٣) ط : « فتلك » ، صوابه من ش .
(٤) التكملة من القاموس .

هذا الغائص : أتبع أبى فى الهلاك أو أستفيدَ مالاً كثيراً . والرَّغيبة : العطاء الكثير . وقوله : نصف النهار . . الخ رُوى (ورفيقُه) بدل (وشريكه) . ومُنْيَتَهُ ، هى ما يتمنّاه . وصدفيّة : حالٌ من الضمير المجرور بالباء . ويُعطَى ، بالبناء للمفعول . ويمنعها أى ويمنع الدرّة من البيع . وقوله : ألا تَشرى : أى ألاَ تَبيعها . والصَّوارى : جمع صارٍ ، وهو الملاّح والبحْرىّ . وروى (الشَّوارى) بدلَه ، وهو جمع شارٍ بمعنى المشترى . وسجودُهم لها ، لعزَّتها ونَفَاستها . والتَّجْر : مصدر تَجَرَ تَجراً وتجارة من باب نصر .

٥٤٥

ومن أبيات المديح :

(أنتَ الرئيسُ ، إذا هُمُ نزَلوا وتواجَهوا كالأُسْدِ والنُمرِ

أو فارسُ اليَحْمُوم يتبعُهُم كالطَّلْقِ يتْبَعُ ليلةَ البَهْرِ

ولأنتَ أشجعُ مِن أُسامةَ إذ يَقَعُ الصُراخُ ولُجَّ فى الذُّعْرِ[1]

ولأنتَ أجودُ بالعطاءِ مِن الرَّ يَّانِ لمـا ضُنَّ بالقَطرِ[2]

ولأنْتَ أحيا من مخبَّأةٍ عذراء تقطُنُ جانِبَ الكِسْرِ

ولأنتَ أبيَنُ ، حين تنطِقُ مِن لُقمانَ لمّا عىَّ بالأمرِ[3]

لو كنتَ مِن شَئٍ سوى بَشَرٍ كنتَ المنوِّرَ ليلةَ البَدرِ[4]

فارسُ اليحموم هو ملك العرب النعمانُ بن المنذر . واليحموم : اسم فرسه

(١) وامبور : « دعيت نزال ولج » .

(٢) ط : « فى القطر » صوابه فى ش والديوان .

(٣) ط : « ولأنت أحكم » ، وأثبت مافى ش والديوان . وفى الديوان أيضا : « عى بالمكر » وفى شرح شواهد المغنى : « ولأنت أنطق ... بالفكر » .

(٤) ينسب هذا البيت أيضاً إلى زهير . ديوانه ٩٥ وبشرح الأعلم ٦٤ . والشعراء ٨٨ ونسبه ابن قتيبة فى الشعراء ١٣٠ إلى المسيب بن علس .

المضمومة . وجُلَيّ بضم الجيم وفتح اللام وتشديد المثنّاة التحتيّة . وأحمس أفعل من الحماسة . وضُبيعة بالتصغير .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثالث بعد المائتين :

٢٠٣ (فألْحَقَهُ بالهادِياتِ ودونَه جَواحِرُها في صَرَّةٍ لم تَزَيَّلِ[1])

على أنّ قوله : (ودونه جَواحرها) جملة حاليّة ، لا الظرف وحدَه حالٌ والمرفوع بعده فاعله ، خلافاً لمن زعمه في نحو : جاءني عليه جُبَّةُ وشيٍ ، لأنّه لو كان من الحال المفردَة لامتنعت الواوُ ، فإنّها لا تكون مع الحال المفردة ؛ فلمّا ذُكِرَتْ في بعض المواضع ، عُرف أنّ الجملة حالٌ لا الظرف وحدَه . . وصاحبُ الحال الهاء في قوله : (فألحقَه) وهي ضمير المفعول . وفاعل ألحقه ضميرٌ مستتر راجعٌ إلى الغلام في بيتٍ قبله . والهاء ضمير الكميت . أي فألحقَ الغلامُ الكميتَ بالهاديات ، ويجوز العكسُ ؛ فيكون فاعل ألحقَ ضميرَ الكميت والهاء ضميرَ الغلام أي فألحق الكميتُ الغلامَ بالهاديات . وأراد بالهاديات أوائلَ الوحش ومتقدِّماتها — يقال : أقبلَتْ هَوادي الخيلِ : إذا تقدّمت أوائلُها — جمع هاديَة ، والهادي : أوّل كلِّ شيء . وضمير (دونَه) يعود على ما عاد عليه الهاء . و (جواحرها) : أي متأخراتها — والهاء ضمير الهاديات — وهو جمع جاحرة ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة ، يقال جَحَرَ فلانٌ أي تأخر . وجواحرها مبتدأ ودونَه الخبر تقدم عليه ، والجملة حالٌ كما تقدّم أي ودونَ مكانه ، أو ودونَ غايته التي وصل إليها ، أو دون بمعنى عند ؛ وقيل : دُونَ هنا بمعنى أقربَ . وردّه الزوزنيُّ بأنّه إنما يكون

---

(١) الشاهد من معلقة امرئ القيس .

دون بمعنى أقرَب منه إذ أُتِيَ باثنين ، نحو هذا دونَ ذاك[١] . و (الصَّرَّة) بفتح الصاد وتشديد الراء المهملتين ، يجوز أن يكون هنا إمّا بمعنى الضّجة والصّيحة ، وإمّا بمعنى الجماعة ، وإمّا بمعنى الشدّة من كرب أو غيره ؛ وقيل الصَّرَّة هنا الغُبار فقوله : فى صَرَّة ، فى بعض الوجوه حالٌ من الهاديات ، وفى بعضها حال من جواحرها ، كذا قال الزوزنى[٢] . ويجوز أن يتعلّق الجارّ فى جواحرها . وجملة (لم تَزَيَّلِ) صفة صَرة ؛ وأصله تَتَزَيَّل ، بتاءين ، أى لم تتفرق . وصفَ بهذا البيت شدّةَ عدْوِ فرسِهِ ، يقول : إنّ هذا الفرسَ لمّا لحق أوائلَ الوحش ، بقيتْ أواخرُها لم تتفرَّق ؛ فهى خالصةٌ له .

وهذا البيتُ من جملة أبياتٍ فى وصف الفرَس ، من معلّقة امرئ القيس المشهورة ، والأبيات هذه :

أبيات الشاهد

(وقد أغتَدِى والطيرُ فى وُكُناتِها بمنجردٍ قَيدِ الأوابدِ هَيكلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً كجلمودِ صَخرٍ حطَّه السيلُ من عَلِ
كُمَيتٍ يزِلُّ اللِبْد عن حالِ مَتْنِهِ كما زَلّتِ الصَّفواء بالمتنزّل
على الذَّبْلِ جيّاشٌ كأنَّ اهتزامَهُ إذا جاشَ فيه حَمْيُهُ ، غَلْيُ مِرْجَلِ
يَزِلّ الغلامُ الخِفُّ عن صَهَواته ويُلوِى بأثواب العَنيفِ المثقَّلِ
دَرِير كخُذْرُوف الوَليـدِ أمَرَّه تتابُعُ كفَّيْهِ بخَيْطٍ مُوَصَّلِ
له أيطَلا ظَبْيٍ ، وساقا نَعامةٍ ، وإرخاء سِرْحان ، وتقريبُ تتفل

٥٤٧

---

(١) العجب أن الزوزنى فى شرحه للبيت لم يعارض أن تكون دون بمعنى أقرب بل هو لم يثبت غير هذا المعنى قال : « فهى دونه ، أى أقرب منه . فلعله من سهو البغدادى ، ولم يتعرض التبريزى لهذه الكلمة .

(٢) لم أجد هذا الكلام أيضاً عند الزوزنى ، وانظر الحاشية السابقة . ولعلهما عن شارح آخر غير الزوزنى ، كما أنه غير التبريزى وابن الأنبارى .

مِسحٍّ إذا ما السابحاتُ على الوَنا … أثَرْنَ غباراً بالكَديد المركَّلِ
ضليعٍ ، إذا استدبرتَه سدّ فَرْجَه … بضافٍ فُوَيق الأرضِ ليس بأعزَل
كأنّ سَراتَه لَدَى البيت قائماً … مَداكُ عَروسٍ أو صَلاية حنظَلِ[1]
كأنّ دِماء الهادياتِ بنحره … عُصارةُ حِنَّاء بشَيبٍ مُرجَّلِ
فعنّ لنا سِربٌ كأنّ نعاجَه … عَذارى دَوارٍ فى مُلاءٍ مُذيَّلِ
فأدبَرْنَ كالجزْعِ المفصَّل بينَه … بجيدٍ مُعِمٍّ فى العَشيرة مُخوَلِ
« فألحقَه بالهادياتِ ودونَه … جواحِرُها في صَرّة لم تَزيَّلِ »
فعادى عداء بينَ ثَورٍ ونعجة … دِراكاً ولم يَنضَحْ بماء فيغسَلِ
فظلّ طُهاة اللحمِ ما بينَ منضِجٍ … صَفيفَ شواءٍ أو قديرٍ معجَّل
فرُحنا يكادُ الطَرفُ يقصُرُ دونَه … متى ما تَرَقَّ العينُ فيه تَسَهَّلِ
فبـاتَ عليه سَرجُه ولجامُه … وباتَ بعينى قائماً غيرَ مُرسَلِ)

قوله : وقد اغتدى الخ ، تقدّم شرحه قريباً[2] . وقوله : مِكرّ مِفرّ الخ ، بكسر أوّلها وفتح ثانيهما ، وهما بالجرّ صفتَان لقوله منجرد ، وكذلك مُقبل ومُدبر ، صفتان له ، لـكنّهما اسما فاعلٍ بضم أوّلها . قال صاحب القاموس : كرّ عليه : عطَف ، وعنه : رجع ؛ فهو كرّار ومِكرّ بكسر الميم . وقال

(١) هذا البيت لم يرد فى ش وورد فى ط بلفظ :

كأن على الكتفين منه إذا انتحى … مداك عروس أو صلاية حنظل

وهى غير الرواية التى اعتمدها المؤلف بالشرح فيما سيأتى . وأظن أن البيت كان ساقطا من نسخة المؤلف سهواً ، فأثبته ناسخ أصل المطبوعة الأولى أو طابعها وفق الرواية المشهورة .

(٢) انظر ص ١٥٦ وما بعدها من هذا الجزء

الزَوزَنيّ : مِفعَل يتضمَّن مبالغة ، كقولهم : فلانٌ مِسعَر حرب . وإنما جعلوه متضمِّناً مبالغةً لأنّ مِفعَلاً يكون من أسماء الأدوات كأنه أداة للكرّ والفرّ وآلة لتسعّر الحرب » . والجُلمود ، بالضمّ : الصَّخرة الملساء . وعلٍ بمعنى فوق ؛ واستشهد به سيبوَيه وصاحبُ مغنى اللبيب على أنّه بمعناه ، وأنّ الجرّ بمنْ لأنّه قدّره نكرة غير مضاف إلى شيء في النيَّة .

قال ابن رشيق في باب الاتساع ، من العمدة « إنّ الشاعر يقول بيتاً يتّسع فيه التأويل ، فيأتي كلٌّ واحدٍ بمعنى ، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوّته واتساع المعنى ، من ذلك قولُ امرئ القيس :

مِكرٍّ مفرٍّ مُقبلٍ مدبرٍ معاً . . . . البيت

فإنّما أراد أنّه يصلح للكرّ وللفرّ ، ويحسُن مقبلاً ومدبراً . ثمّ قال : معاً ، أي جميع ذلك فيه . وشبّهه في سرعته وشدّة جريه بجلمودٍ حطّه السيل من أعلى الجبل — وإذا انحطّ من عَلٍ كان شديدَ السُّرعة ؛ فكيف إذا أعانته قوّة السيل من ورائه ! — وذهب قوم ، منهم عبد الكريم ، إلى أنّ معنى قوله : كجلمود صخر الخ ، إنّما هو الصَّلابة ؛ لأنّ الصخر عندَهم كُلّما كان أظهرَ للشمس والريح كانَ أصلَب . وقال بعض مَن فسّره مِن المحدَثين : إنّما أراد الافراط : فزعم أنّه يُرَى مُقبلاً مدبراً في حال واحدة عندَ الكرّ والفرّ ، لشدَّة سرعته ؛ واعتَرضَ على نفسه فاحتجّ بما يُوجَد عِياناً ، فمثّله بالجُلمود المنحدِر من قُنّة الجبَل : فإنّك ترى ظهرَه في النَّصبة ، على الحال التي ترى فيها بطنه وهو مقبل إليك . . ولعلّ هذا ما مرّ قطُّ ببال امرئ القيس ، ولا خطَر في وهمه » انتهى .

٥٤٨

وحاصل هذا وصفُه بلين الرأس ، وسرعة الانحراف ، في صدر البيت ،

وشدّة العدْو في عجزه . وقيل : إنه جمع وصفَى الفرَس بحسن الخَلْق وشدّة العدْو ، لكونه قال في صدر البيت : إنّه حسَنُ الصورة كاملُ النَّصْبة في حالتَيْ إقباله وإدباره وكرّه وفرّه ، ثمّ شبّهه في عجز البيت بجلمودِ صخر حطّه السيل من العلو ، لشدّة العدْو ، فهو في الحالة التي ترى فيها لَبِبَهَ ترى فيها كفلَه . وبالعكس .

وقوله : كميت يزلّ اللبِدْ الخ ، الكميت : الذي عُرْفه وذنَبه أسْوَدان ؛ وهو مجرورٌ صفةُ منجرد . والحال : مقعَد الفارس من ظهر الفرس . والمتْن : ما اتّصل بالظَهر من العجز . والصَّفْواء : الصَّخرة الملْساء التي لا يثْبُت فيها شيء . والمتنزِّل ، اسم فاعل : الطائر الذي يتنزّل على الصخرة ؛ وقيل : هو السَيْل ، لأنّه يتنزّل الأشياء ؛ وقيل : هو المطر . والباء للتعديَة . يقول : هذا الكميتُ يزِلُّ لِبدُه عن حال متْنه ، لانمِلاس ظهره[1] واكتِنازِ لحه — وهما يُحمَدان من الفرَس — كما يُزِلّ الحجرُ الأملسُ النازلَ عليه ، فلا يثبت عليه شيء .

وقوله : على الذَّبْل جيّاش الخ ، الذَّبْل : الضمور . والجيّاش : الفرس الذي يَجيش [في[2]] عدْوِه ، كما تجيش القدْر في غلَيانها . واهتزامه : صوته . وحَمْيه : غليه . والمِرْجَل ، بكسر الميم : كلّ قِدْرٍ من حديد ، أو حجَر ، أو نُحاس ، أو خزَف أو غيره . يقول : تغلي حرارة نشاطه على ذُبول خَلْقه وضُمْر بَطْنه ، وكأنّ تكسُّر صهيله في صدره غليانُ قِدْر . جعله ذكي القلب نشيطا في العدْو مع ضُمْره ثم شبّه تكسُّر صهيله في صدره بغليان القِدر[3] .

---

(١) في النسختين « لاغلاس ظهره » ، وأصلحها الشنقيطي بما أثبته .

(٢) التكملة من ش والزوزني .

(٣) انظر هذا الكلام عند الزوزني .

ورُوى (على العَقْبِ جياش) . والعَقْب ، بفتح فسكون : جَرْىٌ بعْدَ جرْى ؛ وقيل : معناه إذا حرّكته بعَقِبك جاشَ ولم تحتجْ إلى السوط ، فإذا كان آخرُ عدْوه على هذه الحالة ، فما ظنُّك بأوله ؟ ! وجيّاشٍ بالجرّ صفة منجرد .

وقوله : يَزِلّ الغلامُ الخِفُّ الخ ، يزلّ : يزلق . والخِفّ بكسر المعجمة : الخفيف ؛ وسمع أبو عُبيدة فتحها . والصَّهْوة : موضع اللِبْد ، وهو مقعد الفارس . وجَمعها بما حوْلها[1] . ويُلوى ، بالضمّ : أى يُذهبها ويُبعِدها . والعَنيف : مَن ليس له رِفْق . والمثقَّل : الثقيل . قال بعضهم : إذا كان راكبُ الفرس خفيفاً رَمَى به ؛ وإن كان ثقيلاً رَمَى بثيابه . والجيِّد أنّ المعْنِي بأثواب العنيف نفسُه ، لأنّه غير حاذقٍ بركوبه . وقيل : معناه أنّه إذا ركبه العنيف لم يتمالك أن يُصلح ثِيابه ، وإذا ركبه الغلامُ الخِفّ زلّ عنه لسرعته ونشاطه ، وإنّما يصلح له مَن يُداريه .

وقوله : درير كخُذْرُوف الوليد الخ ، درير : مستدرّ فى العدْو . ويصف سرعة جريه : والخُذْرُوف ، بالضمّ : الفرّارة[2] التى يلعب بها الصِبيان يُسمع لها صوت . وأمَرّه : أَحْكَم فَتْله . يقول : هو يُدِرّ الجرىَ أى يديمه ويواصله ويُسرع فيه إسراع خُذروف الصبى إذا أَحْكَم فتل خَيطه وتتابعتْ كَفّاه

(١) هذا الكلام للتبريزى ، وقال الزوزنى : « وإنما عبر بصهواته ولا يكون له إلا صهوة واحدة لأنه لالبس فيه ، فجرى الجمع والتوحيد مجرى واحداً عند الاتساع ؛ لأن إضافتها إلى ضمير الواحد تزيل اللبس ، كما يقال رجل عظيم المناكب وغليظ المشافر ، ولا يكون له إلا منكبان وشفتان » .

(٢) كذا فى النسختين . والصواب « الخرارة » بالخاء كما هو عند التبريزى فى الشرح ، والزمخشرى فى الأساس (خرر) واللسان (خذرف) . وانظر القاموس (خذرف ، خرر) والخذروف لا يفر ، وإنما هو يدور ويصوت ، فيترجم بأنه « الدوارة » كما فى شرح البطليوسى ، وبأنه « الخرارة » .

فى فتله وإدارته بخيطٍ انقطَعَ ثم وُصِل . وذلك أشدّ لدَورانه لانملاسه[1] .

وقوله : أيطلَا ظَبْيٍ الخ ، الأيْطَل : الخاصرة : وإنّما شبّهه بأيطَل الظّبي لأنّه طاوٍ . وقال : ساقا نعامة ، والنعامة قصيرة الساقين صُلْبتُهما ، وهى غليظة ظَمْياء ليست برَهِلة . ويستحبُّ من الفَرَس قِصَر الساق ، لأنّه أشدُّ لرمْيها لوظيفها . ويُستحَبّ منه مع قِصَر الساق طولُ وَظيفِ الرجْل وطولُ الذراع ، لأنّه أشدّ لدحْوِه أى لرميه بها . والإرْخاء : جرىٌ ليس بالشديد . وفرسٌ مِرْخاء . وليس دابّةٌ أحسَنَ إرخاءً من الذئب . والسِّيرحان : الذئب . والتقريب : أن يرفع يدَيه معاً ويضعَهما معاً . والتتفل بضمّ التاء الأولى وفتحها مع الفاء : ولد الثعلب ، وهو أحسن الدوابّ تقريبا .

وقوله : مِسَحّ إذا ما السابحات الخ ، المِسَحّ ، بكسر الميم : الفرَس الذى كأنّه يصبُّ الجرىَ صبّاً . والسابحات : اللواتى عَدْوُهنّ سِباحة . والسباحة فى الجرى : أن تدحوَ بأيديها دحواً : أى تبسُطَها . والوَنا ، بفتح الواو والنون ، يمدّ ويقصر : الفتور . والكَديد ، بفتح الكاف : الموضع الغليظ . والمركّل ، اسم مفعول : الذى يركّل بالأرجل . يقول : إنّ الخيلَ السّريعة إذا فتَرت فأثارت الغبارَ بأرجُلها من التعب ، جرى هذا الفرسُ جرياً سهلاً كما يسُحُّ السَّحابُ المطر . وعلى تتعلّق بأثَرْنَ ، وكذلك الباء .

وقوله : ضليع إذا استدبَرْتَه الخ ، الضليع : العظيم الأضلاعِ المنتفخُ الجنْبَين[2] ضلُع يضلُع ضَلاعة . والاستدبار : النظر إلى دُبُر الشىء . والفَرْج ، هنا : ما بين الرِّجْلين . والضافى : السابغ . والأعزل : المائل الذَّنَب . ويُكره

(١) فى النسختين : « لاغلاسة » صوابه من الزوزنى ، وفيه : « لا غلاسه ومرونه على ذلك » وانظر الحاشيه (١) ص ٢٤٥ من هذا الجزء

(٢) ط « الجبين » ، صوابه فى ش .

٥٤٩

من الفرَس أن يكون أعزلَ ذنَبُه إلى جانب ، وأن يكون قصير الذنَب ، وأن يكون طويلاً يطأ عليه . ويستحبُّ أن يكون سابغاً قصيرَ العَسيب .

وقوله : كأنّ سَراتَه لدى البيت الخ ، السَّراة بالفتح : الظهر . والمَداك ، بالفتح : الحجَر الذى يُسحَق به ؛ والمِدْوَك بالكسر : الحجر الذى يُسحَق عليه ؛ من الدَّوْك وهو السحق والطَحْن . والصَّلاية بالفتح : الحجر الأملس الذى يُسحَق عليه شىْ . يقول : إذا كان قائماً عند البيت غير مُسْرج رأيتَ ظهْره أملسَ ، فكأنّه مَداكُ عَروسٍ : فى صفائها وانملاسها . وإنّما قيّد المَداك بالعَروس ، لأنّه قريبُ العَهْد بالطيب . وقيَّد الصَّلاية بالحنظل ، لأنّ حَبَّ الحنظَل يخرج دهنه فيَبرُق على الصلاية . ورواه العسكرىّ فى التصحيف[1] (صرَاية) ، قال : وممّا يُروى على وجهين «مداك عروس أو صَرايةِ حنظل»: رواية الأصمعىّ «صَراية» بالصاد مفتوحة غير معجمة وتحت الياء نقطتان ، وهى الحنظلة الخضراء ؛ وقيل : هى التى اصفرّت ، لأنّها إذا اصفرّت برَقت ، وهى قبل أن تصفرّ مغبرّة . قال : ومثله :

إذا أعرضَتْ قلت دُبّاءة من الخُضْر مغموسة فى الغُدُرْ[2]

أى مِنْ بريقها ، كأنّها قرعة . قال الشاعر :

كأنّ مَفارِق الهامات منهمْ صَرايات تهاداها الجَوارى

ورواه أبو عُبيدة «صِراية» بكسر الصاد ، وقال : هو الماء الذى ينقَع فيه الحنظل — ويقال صَرى يَصرِى صَرياً وصراية — وهو أخضرُ صافٍ . ورواه بعضهم «صَرابة حنظل» بباء تحتها نقطة واحدة . فمن قال هذا أراد الملوسة والصفاء . يقال : اصرأبَّ الشىء أى املاسَّ . انتهى .

---

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢٢٣ .

(٢) البيت لامرئ القيس فى ديوانه ١٦٦ .

وقوله : كأنَّ دماء الهاديات بنحْره الخ ، الهاديات : المتقدِّمات والأوائل . ويريد بعُصارة الحِنَّاء ما بقى من الأثر . والمرجَّل ، بالجيم : المسَرَّح ، والترجيل : التسريح . يقول : إنَّه يلحق أوَّلَ الوحش — فإذا لحق أوَّلَها عُلِم أنَّه قد أحرز آخرها — وإذا لحقها طعَنها فتصيب دماؤُها نحْرَه . وقوله : فَعَنَّ لنا سِرْب الخ ، عَنَّ : عرَض وظهر . والسِّرْب ، بالكسر : القطيع من البقر ، والظِّباء ، والنساء . والنِّعاجُ : جمع نعْجة ، وهى الأنثى من بقر الوحش ، ومن الضأن . « ودَوَار » بالفتح : صنَم كانوا يدُورون حولَه أسابيع ، كما يُطاف بالبيت الحرام . والمُلاء ، بضمِّ الميم : جمع مُلاءة ، وهى المِلْحَفة . والمذيَّل : السابغ ، وقيل : معناه له هدب ، وقيل : إنَّ معناه له ذيل أسود . وهو أشبه بالمعنى ، لأنَّه يصف بقر الوحش ، وهى بيضُ الظهورِ سودُ القوائم . يقول : إنَّ هذا القطيعَ من البقَر يلُوذ ببعْضِهِ ويدُور كما تدور العَذارى حولَ دَوَار . وهو نسك كانوا فى الجاهلية يدورون حوله . وقال العسكرىّ فى التصحيف : « يروى دُوار ، بدال مضمومة ودَوَار ، بدال مفتوحة وواو مخففة . وهو نُسكٌ كان لهم فى الجاهليّة يُدار حولَه . ودَوَّار — فى غير هذا ، بفتحة الدال وتشديد الواو — سجنٌ فى اليمامة . ودُوَّار ، مضموم الدال مثقَّل الواو : موضع » انتهى .

٥٥٠

وقال الزَّوزَنى : والمذيَّل : الذى أُطِيل ذيلُه وأُرخى . يقول : تعرَّض لنا قطيعٌ من بقَر الوحش كأنَّ إناثَه عَذارى يَطُفْن حولَ حجرٍ منصوب يُطاف حوله ، فى مُلاءٍ طويلة الذيل . شبَّه البقر فى بياض ألوانها بالعذارى ، لأنَّهنَّ مصُوناتٌ بالخدور لا يغير ألوانهن [حَرُّ الشمس] وغيره[1] وشبَّه

(١) ط : « لايغير ألوانهن غبرة » وفى ش : « لايغير ألوانهن وغيره » وتصحيحه من الزوزنى ، وفيه : « لايغير ألوانهن حر الشمس وغيره » .

طولَ أذنابها وسبوغ شَعرها بالملاء المذيّل . وشبّه حُسن مشيها بحسن تبختُر العذارى فى مشيهنّ .

وقوله : فأدبرن كالجَزْع المفصَّل الخ ، الجَزع ، بالفتح : الخرَز ، وقال أبو عُبيدة بالكسر ، وهو الخرَز الذى فيه سوادٌ وبياض . وبجيد : أى فى جِيد ، وهو العنق ومعنى مُعِمّ مخوِل له أعمام وأخوال ، وهم فى عَشيرة [واحدة[1]] كأنّه قال : كريم الأبوين . وإذا كان كذلك كان خرَزه أصفى وأحسَن . يصف أنّ هذه البقرَ من الوحش تفرّقت كالجَزْع ، أى كأنّها قِلادة فيها خرَز قد فُصِّل بينه بالخرز ، وجُعِلت القِلادةُ فى عُنق صبيٍّ كريمِ الأعمامِ والأخوال . شبّه بقرَ الوحش بالخرَز اليَمانىّ ، لأنّه يسودُّ طرفاه وسائرُه أبيض ، وكذلك بقرُ الوحش يسودُّ أكارعُها وخُدودها ، وسائرُها أبيض . شرط كونَه جِيدَ مُعمّ مُخول ، لأنّ جواهر قِلادة مثلِ هذا الصبيّ أعظمُ من جواهر قلادةِ غيره . وشرط كونَه مفصّلاً لتفرّقهنّ عند رؤيته .

وقوله : فألحقه بالهاديات ، تقدّم شرحه[2] . وقوله : فعادى عداء بين ثَور ونعجة الخ ، عادَى : والى بين اثنين فى طَلَق ، ولم يعرَق أى أدرك صيده قبل أن يعرَق . وقوله : فيغسَل ، أى لم يعرَق فيصيرَ كأنّه قد غُسل بالماء . ودِراكاً بمعنى مدارَكة ، فى موضع الحال . ولم يرد ثَوراً ونعجة فقطْ ، وإنّما أراد الكثير ، والدليل عليه قوله دِراكاً ، ولو أرادهما فقطْ لاستغنى عنه بعادَى . وفيه مبالغةٌ لا تخفى .

وقوله : فَظلَّ طُهاةُ اللَّحم الخ ، هو جمع طاهٍ ، وهو الطبّاخ . والصَّفيف : الذى قد صُفِّف مُرقّقا على الجمر ، وهو شواء الأعراب . والقدير : ما طبخ

---

(١) التكملة من التبريزى .

(٢) فى ص ٢٤١ من هذا الجزء وهو بيت الشاهد .

فى قِدر . ووُصف بمعَجّل ، لأنهم كانوا يستحسنون تعجيلَ ما كان من الصيد ويستطْرِفونه . يقول : ظلّ المُنضِجون اللّحم وهم صِنفان : صِنف يُنضجون شواء مصفوفاً على الحجارة فى النار والجمر ، وصِنفٌ يطبُخون اللحمَ فى القِدر . يقول : كثُر الصيدُ فأخصبَ القومُ فطبَخوا واشتَوَوْا . ومِن للتفصيل والتفسير(١) ، نحو هم من بينِ عالِمٍ أو زاهد ، يريد أنّهم لا يعدُون الصِنفين . وصَفيفَ منصوبٌ بمنضج ، وهو اسم فاعل . وقدير : مجرور بتقدير مضافٍ معطوف على مُنضِج ، والتقدير : أو طابخٍ قدير ، أولا تقديرَ لكنّه معطوفٌ على صفيف ، وخُفِض على الجِوار أو على توهُّم أنّ الصفيفَ مجرورٌ بالإضافة ، وعند البغداديِّين هو معطوف على صَفيف من قبيل العطف على المحلّ ، ولا يشترطون أن يكون المَحلّ بحقّ الأصالة . كذا فى مغنى اللبيب .

٥٥١

وقوله : ورُحنا يكاد الطرف الخ ، يقول : إذا نظرَتِ العينُ إلى هذا الفرَس أطالت النظر إلى ما يُنظَر منه ، لحسْنه ، فلا تكاد العينُ تستوفى النظرَ إلى جميعه . ويحتمل أن يكون معناه : أنه إذا نظرتَ إلى هذا الفرس لم تُدِمِ النظرَ إليه لئلاّ يصابَ بالعين ، لحسنه . وقوله : متى ما تَرَقّ الخ ، أى متى نظرتْ إلى أعلاه نظرَتْ إلى أسفله ، لكماله ، ليستتمّ النظر إلى جميع جَسَده . وأصلهما تَترقّ وتَتَسَهّل بتاءين ، وجُزِما على أنّ الأوّل فعلُ الشرط والثانى جوابه . وما زائدة ، ورُوى :

(ورُحنا وراحَ الطِّرْفُ ينفُضُ رأسَه)

والطِّرف ، بالكسر : الكريم الطرَفين . وينفض رأسه ، من المرح والنشاط .

---

(١) انما يستقيم هذا على رواية : « من بين منضج » ، لكن الرواية التى أوردها البغدادى من قبل « ما بين منضج » .

وقوله : فباتَ عليه سَرْجُهُ ، في بات ضميرُ الكميت ، وجملة عليه سرجه خبر بات ، وباتَ الثاني معطوفٌ على الأول ، وبعيني خبره ، أي بحيث أراه ، وقائماً حال ، وغيرَ مرسل أي غيرَ مهمل . ومعناه : أنّه لما جيء به من الصَّيْد لم يُرفَع عنه سَرجُه وهو عَرِقٌ ، ولم يقلع لجامه فيعتلف(١) على التعب فيؤذِيه ذلك . ويجوز أن يكون معنى فبات عليه سرجه الخ ، أنهم مسافرون ، كأنّه أراد الغدُوّ فكان مُعَدًّا لذلك . والله أعلم .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت في الشاهد التاسع والأربعين(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد المائتين :

٢٠٤ (وإنّ امرأً أسْرَى إليكِ ودُونَه
مِنَ الأرْضِ مَوْماةٌ وبَيداءُ سَمْلَقُ(٣))

لما تقدّم قبله : فإنّ جملة قوله : (ودونَه من الأرض مَوماة) من المبتدإ والخبر ، حالٌ لا الظرف وحدَه ، كما بيّنّاه . وصاحبُ الحال الفاعلُ المستتر في قوله أسرى العائد إلى امرئ . وأسرى بمعنى سرى ، قال في الصحاح : « وسَريت سُرًى ومَسْرًى وأسريت ، بمعنًى : إذا سِرت ليلاً . وبالألِف لغةُ أهلِ الحجاز ، وجاء القرآن بهما جميعاً . والكاف من إليكِ مكسورةٌ ، لأنه خطابٌ مع ناقته . و (دون) هنا بمعنى أمامَ وقدّامَ . و (المَوماة) بالفتح : الأرض التي لا ماء فيها ، وفي القاموس : المَوماء والمَوماة : الفَلاة ، والجمع

(١) في النسختين : « فيتعلق » صوابه من التبريزي .
(٢) الخزانة : ١ ص ٣٢٩
(٣) ابن الشجري ١ : ٣١٧ والإنصاف ٥٨ وديوان الأعشى ١٤٩ .

الموامى . وأشار إلى أنّها فَوْعَلَة : لأنّه ذكرها فى المعتلّ الآخرِ بالواو .
و (البَيداء) : القفر ، فَعْلاء من باد يبيد : إذا هلك . (والسَّمْلَق) الأرض المستوية . وبَيداء معطوف على موماة وسَملق صفته ، وجملة أسرى إليكِ صفة امرئ . وخبر إنّ (لمحقوقةٌ) فى بيتٍ بعدَه ، وهو :

(لَمحقوقةٌ أن تَستجيبي لصَوتهِ وأنْ تعلَمى أنَّ المُعَانَ مُوَفَّقُ)

وقد أنشد المحقّق الشارح هذين البيتين فى باب الضمير[1] على أنّ الكوفيين استدلّوا بهذا على أنّه يجوز تركُ التأكيدِ بالمنفصل ، فى الصفةِ الجارية على غير مَن هى له ، عند أمن اللَّبس ، والأصل لمحقوقة أنت . وهذه مسألةٌ خِلافيّة بين البصريِّين والكوفيِّين يأتى الكلامُ فيها إن شاء الله تعالى فى باب الضمير .

ومطلع هذه القصيدة :

(أرِقتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّقُ وما بىَ من سُقمٍ وما بى مَعْشَقُ)

قال ابن قُتيبة فى كتاب الشعراء[2] : سمع كسرى أنوشِروانَ يوماً الأعشى يتغنى بهذا البيت ، فقال : ما يقول هذا العربىّ ؟ قالوا : يتغنَّى بالعربية . قال : فسِّروا قوله . قالوا : زعم أنّه سهِر من غير مَرَض ولا عِشْق . قال : فهذا إذاً لِصٌّ .

وبعد هذا المطلع بأبياتٍ فى وصف الخمرة ، وهو من أبيات الكشّاف والقاضى :

(تُريكَ القَذى مِن دُونها وهىَ دونَه إذا ذَاقَها مَنْ ذَاقها يتمطّقُ)

---

(١) انظر الشاهد السابع والثمانين بعد الثلثمائة .
(٢) الشعر والشعراء ٢١٤ .

وهذا وصفٌ بديع فى صَفاء الخمرة . والتّمطّق : التذوق . قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : أراد أنّها من صفائها تُريك القَذاة عاليةً عليها ، والقَذى فى أسفلها فأخذه الأخطل فقال :

ولقد تُباكِرُنى على لَذّاتها صهباء عاليـة القذَى خرطومُ

ا هـ ، وسيأتى إن شاء الله عزّ وجل ، بعضُ هذه القصيدةِ فى باب الضمير وبعضها فى عَوْضُ من باب الظروف[1] .

وترجمة الأعشى تقدّمت فى الشاهد الثالث والعشرين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد المائتين[3] :

٢٠٥ (كما انتفَضَ العُصفُورُ بلَّله القَطْرُ)

هذا عجز ، وصدره :

(وإنّى لتعرُونى لذِكْراك هزّةٌ)

على أنّ الأخفَش والكوفيِّين استدلُّوا بهذا على أنّه لم تجبْ (قدْ) مع الماضى المثبَت الواقع حالاً ؛ فإنّ جملةَ (بلَّله القَطْرُ) من الفعل والفاعل ، حالٌ من العُصفور وليس معها قد ، لا ظاهرةٌ ولا مقدَّرة .

وهذه المسألة أيضاً خلافيّة : ذهبَ الكوفيُّون إلى أنّ الماضىَ المثبَت

(١) فى الشاهد السابع والثمانين بعد الثلثمائة ، ثم الشاهد الحادى والعشرين بعد الخمسمائة .

(٢) الخزانة ١ : ص ١٧٥

(٣) ابن يعيش ٢ : ٦٧ وشرح شواهد المغنى ٦٢ والعينى ٣ : ٦٧ ، ٢٧٨ والقالى ١ : ١٤٩ والأغانى ٢١ : ٩٧ والانصاف ٢٥٣ والهمع ١ : ١٩٤ والأشمونى ٢ : ١٢٤ ، ٢١٥ والتصريح ١ : ٣٣٦ / ٢ : ١١ وشرح السكرى للهذليين ٩٥٧ .

بدون قد، يقع حالاً بدليل قوله تعالى (أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ[(١)])
فحَصِرَتْ حالٌ بدليلِ قراءة الحَسَن البِصْرِيِّ ويَعقوبَ والمفضَّلِ عن عاصم[(٢)]:
(أَوْ جَاءُوكُم حَصِرَةً صُدُورُهُمْ) وقول أبى صخرٍ الهُذَلىّ:

* كما انتفَضَ العُصفورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ *

وقال البصريُّون: لا يجوز وقوعُه حالاً بدون قَدْ، لوجهين: أحدهما أنّه
لا يدلّ على الحال[(٣)]؛ والثانى أنّه إنّما يصلح أن يوضع موضعَ الحال ما يصلُح
أن يقال فيه الآنَ[(٤)]، نحو: مَررت بزيدٍ يَضْرِبُ؛ وهذا لا يصلح فى الماضى؛
ولهذا لم يجز ما زال زيد قام، وليس زيد قام، لأنّ ما زال وليس يطلبانِ الحال
وقامَ ماضٍ، ولا يلزم على كلامنا إذا كان مع الماضى قد، لأنّ قد تقرِّب الماضىَ
من الحال. وأما الآية والبيت، فقدْ فيهما مُقدَّرة؛ وقال بعضهم: حَصِرَتْ
صفةٌ لقومٍ المجرورِ فى أوّل الآية، وهو: (إِلاَّ الذين يَصِلونَ إلى قَوْمٍ)
وما بينهما اعتراض، ويؤيِّده أنه قُرِئ باسقاط أَوْ. وعلى ذلك يكون جَاؤكم
صفةً لقَوم ويكون حَصِرَتْ صفةً ثانيةً. وقيل: صفة لموصوف محذوف
أى قوماً حصرتْ صدورُهم. قال صاحب اللباب: وهذا مذهب سيبويه؛
وهو ضعيف، لأنّه إذا قدّر الموصوف يكون حالاً موطِّئة، وصفة الموطئة
فى حكم الحال فى إيجاب تصدُّرها بقدْ، وهو يَمنع حذفَ قدْ، لا سيّما والموصوف
محذوف، فإنّ الصفة تكون فى صورة الحال، فالإتيان بقدْ يكون أَولى.

---

(١) الآية ٩٠ من سورة النساء.

(٢) وكذا حفص عن عاصم فيما ذكر المهدوى. وحكى عن الحسن «حصرات» بالجمع، كما قرىء «حاصرات». وقرىء «حصرة» بالرفع على أنه خبر مقدم، فهى جملة اسمية فى موضع الحال. تفسير أبى حيان ٣: ٤١٧.

(٣) ط: «يدل على الحال» صوابه فى ش. وفى الإنصاف: «أحدهما أن الفعل الماضى لايدل على الحال، فينبغى ألا يقوم مقامه».

(٤) فى الإنصاف: «الآن أو الساعة».

وقال المبرّد : جملة حَصِرَت ، إنشائيَّةٌ معناها الدعاء عليهم ، فهي مستأنَفة . ورُدّ بأنّ الدعاء عليهم بِضيق قلوبهم عن قتال قومهم لا يتّجه . وقيل : حَصِرَت بدَل اشتمال من جاؤكم لأنّ المجيء مشتملٌ على الحصَر . وفيه بُعدٌ ، لأنّ الحصَرَ من صفة الجائين ، لا من صفة المجيء .

٥٥٣ وقد بَسط ابنُ الأنباريّ الكلامَ على هذه المسألة ، في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف .

واستشهد ابنُ هشام بهذا البيت في شرح الألفيَّة على أنّ المفعولَ له يُجر باللاّم إذا فقد بعض شروطه ، فإنّ قوله هنا لذكراك ، مفعولٌ له جُرَّ باللام ، لأنّ فاعله غيرُ فاعل الفِعل المعلَّل : وهو قوله لتَعرونى ؛ فإنّ فاعلَه هَزَّة ، وفاعلَ ذكراكِ المتكلِّم ، فإنّه مصدرٌ مضاف لمفعوله وفاعلُه محذوف ، أى لذكرى إيّاك .

و (الهَزَّة) بفتح الهاء : الحركة[1]، يقال هزَزْت الشيْ : إذا حرَّكته ؛ وأراد بها الرِّعْدة . ورُوى بدلَها (رِعْدة) . وروى القالىّ فى أماليه (فَترة[2]) . وسُئل ابنُ الحاجبِ : هل تصحُّ رواية القالى ؟ فأجاب : يستقيم ذلك على معنيَين : أحدهما أن يكون معنى لَتعرونى لتُرعِدنى ، أى تجعل عندى العُرَواء ، وهى الرِّعْدة ، كقولهم : عُرِيَ فلانٌ[3] : إذا أصابه ذلك ، لأنّ الفتور الذى هو السكونُ عن الإجلال والهَيبة ، يحصُل عنه الرِّعْدة غالباً عادةً ، فيصحُّ نسبةُ الإرعاد إليه ؛ فيكون كما انتفض منصوباً انتصابَ

(١) وبالكسر : النشاط والارتياح .

(٢) لم أجد هذه الرواية عند القالى ، وإنما الرواية عنده هى « هزة » . فيحتمل أن تكون رواية نسخة من الأمالى ، لأن كثيرا مما أشار البكرى فى التنبيه إلى أن القالى أخطأ فيه ورد فى الأمالى المطبوعة مُصححاً أو مغيراً .

(٣) كذا فى ش . وفى ط : « عرا فلان » .

قولك : أخرجته كخرُوجِ زيد ، إمّا على معنى كإخراج زيد[1] ، وإمّا لتضمّنه معنى خرج غالباً ، فكأنّه قيل خرج ، فصحّ لذلك مثل خروج زيد ، وحسن ذلك تنبيهاً على حصول المطاوِع الذى هو المقصود فى مثل ذلك ، فيكون أبلغَ فى الاقتصار على المطاوع ، إذ قد يحصلُ المطاوع دونه مثل أخرجته فلا يخرج . والثانى : أن يكون معنى لتعرونى لَتأتينى وتأخذُنى فترة ، أى سكون ، للسرورِ الحاصل من الذكرى ، وعبّر بها عن النّشاط لأنها تستلزمه غالباً ، تسميةً للمسبَّب باسم السبب ، كأنّه قال : لَيأخذُنى نشاطٌ كنشاطِ العصفور . فيكون كما انتفض ، إمّا منصوباً نصبَ له صوتٌ صوتَ حِمار — وله وجهان : أحدهما أن يكون التقدير يصوّت صوتَ حمار ، وإن لم يجزْ إظهارُه استغناء عنه بما تقدّم . والثانى أن يكونَ منصوباً بما تضمّنته الجملة من معنى يصوّت — وإمّا مرفوعاً صفة لفَتْرة ، أى نشاطٌ مثلُ نشاطِ العصفور . . وهذه الأوجه الثلاثة المذكورة فى الوجه الثانى ، فى إعراب كما انتفض ، تجرى على تقدير رواية رعدة وهزّة . وروى الرمّانى عن السكّرىّ عن الأصمعىّ :

إذا ذُكِرتْ يرتاحُ قلبى لذِكرِها كما انتفضَ العصفورُ بلّله القطرُ

وهذا ظاهر اهـ

و (انتفَض) بمعنى تحرّك ، يقال : نفضت الثوب والشجر : إذا حرّكته ليسقُط ما فيه . وبلّه يبلّه بلاً : إذا ندّاه بالماء ونحوه . و (القَطْر) : المطَر .

وفى شرح بديعيّة العُميانِ لابن جابر : أنّ هذا البيت فيه من البديع صنعة (الاحتباك) وهو أن يُحذف من الأوّل ما أُثبتَ نظيرُه فى الثانى ، ويُحذَفَ

(١) فى النسختين : « كإخراج خروج زيد » والوجه ما أثبت .

من الثانى ما أُثبت نظيرُه فى الأوّل ؛ فإنّ التقدير فيه . وإنّى لتعرونى لذكراك هزّة وانتفاضة كهزة العصفور وانتفاضته . فحذف من الأوّل الانتفاضُ لدلالة الثانى عليه ، وحُذف من الثانى الهزّة لدلالة الأوّل عليه ا هـ .

وهذا البيت من قصيدةٍ لأبى صخر الهُذَلىّ . أورد بعضَها أبو تمّام فى باب النسيب من الحماسة ، وكذلك الأصبهانىُّ بعضَها فى الأغانى ورواها تماماً أبو علىّ القالى فى أماليه ، عن ابن الأنبارى وابن دُريد . وهى هذه :

(للَيلَى بذاتِ الَجيشِ دارٌ عرفتُها ... وأُخرى بذاتِ البَيْن آياتُها سَطْرُ

كأنّهما مِلآنِ لم يتغيّرا ... وقد مرّ للدارَين من عهدنا عصر[(١)]

٥٥٤ وقَفت بربعيهما[(٢)] فَعىَّ جوابُها ... فقلت ــ وعينى دمعُها سَرَبٌ هَمْرُ :

ألا أيُّها الركبُ المخبُّون ، هل لكمْ ... بساكنِ أجْراعِ الحمَى بعدنا خُبْرُ[(٣)]

فقالوا : طوينا ذاكَ ليلاً ، وإن يَكنْ ... به بعضُ مَن تهوَى فما شعَر السفْرُ

أمَا ، والذى أبكَى وأضحكَ والذى ... أماتَ وأحيا والذى أمرُه الأمرُ

لقدْ كنتُ آتيهَا،وفى النفسِ هَجرُها ... بتاتاً لأُخرَى الدّهرِ ما طلعَ الفجرُ

فما هُوَ إلاّ أنْ أراها فُجاءةً ... فأُبْهَتَ لا عُرفٌ لدىَّ ولا نُكْرُ

وَأنسى الذى قد كنتُ فيهِ هجرتُها ... كما قدْ تُنَسّى لُبَّ شاربِها الخمْرُ

وَما تركتْ لى مِنْ شذى أهتدى به ... ولا ضِلَع إلاّ وفى عَظْمها كسر[(٤)]

وَقد تركتْنى أغبِطُ الوحشَ أن أرى ... قرينين منها لم يفزِّعهما نَفْرُ[(٥)]

ويمنَعنى من بعض إنكارِ ظُلمها ... إذا ظَلَمتْ يوماً وإن كان لى عذرُ

(١) الأمالى : « من بعدنا » .
(٢) الأمالى : « برسميها » .
(٣) الأمالى : « بأجراع » .
(٤) الأمالى : « شدى » و « فى عظمها وقر » .
(٥) الأمالى : « أليفين منها لايروعهما الذعر » .

مَخافةُ أنِّى قد عَلمت لئن بدا … لى الهجرُ منها ما على هَجْرِها صبرُ

وأنِّىَ لا أدرى إذا النفسُ أشرفَتْ … على هَجرِها ما يَبلُغَنّ بِىَ الهجر[1]

أبى القلبُ إلاّ حُبَّها عامريّةً … لها كُنيةٌ عَمرٌو، وليس لها عمرو

تـكاد يدى تَنَدَى إذا ما لمستُها … ويَنبُت فى أطرافها الورَق الخضرْ[2]

وإنِّى لَتعرُونى لذِكراكِ فَتْرة … كما انتفضَ العصفورُ بلَّله القَطْر[3]

تمنَّيتُ من حُبِّي عُليّةَ أنّنـا … على رَمَثٍ فى البحر ليس لنا وَفْرُ

على دائمٍ لا يعبُر الفُلْكَ مَوْجه … ومن دوننا الأعداء واللُّجَجُ الخُضر

فنقضى هُمومَ النفس فى غير رِقْبةٍ … ويُغرق من نَخشى نميمتَه البحر[4]

عجِبتُ لِسَعى الدّهر بَينى وبينَها … فلما انقضَى ما بينَنا سَكنَ الدهر

فيا حبَّ ليلَى، قد بلغتَ بِىَ المَدَى … وزدتَ على ما لَيس يبلُغُه الهجرُ

ويا حبَّها زِدنى جَوًى كلَّ ليلةٍ … ويا سَلوَةَ الأيّامِ مَوْعِدُكِ الحَشْرُ

فليس عَشيّاتُ الحِمى برواجعٍ … لنا أبداً ما أبرمَ السَّلَمُ النَّضْر[5]

هجرتُكِ حتّى قيل: ما يعرف الهوَى، … وزُرتُكِ حتّي قيل: ليس له صَبْرُ

صَدقتِ! أنا الصَّبُّ المصابُ، الذى به … تباريحُ حُبٍّ خامرَ القلبَ أو سِحْرُ

فيا حبّذا الأحياء ما دمتِ حَيّةً … ويا حَبّذَا الأمواتُ ما ضَمّكِ القبرُ)

فقوله: مِلآنِ، أصلُه من الآنِ[6]. وقوله: أمَا والذى أبـكَى وأضحكَ

---

(١) ط: « بها الهجر ».

(٢) الأمالى: « النضر ».

(٣) انظر لـكلمة « فترة » ما سبق فى حواشى (٢) ص ٢٥٦ من هذا الجزء.

(٤) ط: «ويغدو من نخشى نميمته»، صوابه من الأغانى وتصحيح الشنقيطى بقلمه.

(٥) كذا فى النسختين، والمعروف: « فليست ».

(٦) فى الهمع للسيوطى عند الكلام على الآن: قال الفراء: وذهب بعضهم إلى أنه معرب وفتحته إعراب على الظرفية، واستدل له بهذا البيت. قال السيوطى: والمختار عندى القول بإعرابه، فهو منصوب على الظرفية، وإن دخلته (من) جر.

الخ ، هو من أبيات الكشّاف ومغنى اللبيب ، أنشده فى أمّا . وقوله : فما هو إلاّ أن أرَاها فُجاءة الخ ، هو من أبيات سيبويه[١] ، ويأتى شرحه إن شاء الله عزّ وجل فى نواصب الفعل[٢] . وقوله : وما تركت لى من شَذًى ، هو بفتح الشين والذال المعجمتين ، بمعنى الشدّة وبقيّة القوّة . والضِّلَع ، بكسر الضاد وفتح اللام . وقوله : تمنّيت من حُبّي عُلَيّة أنّنا على رَمَث ، هو بفتح الراء والميم وبالثاء المثلثة ، قال القالى : أعواد يُضَمّ بعضُها إلى بعضٍ كالطَّوْف[٣] ، يركبُ عليها فى البحر . وقوله : ما أبرَمَ السَلَمُ النَّضْرُ ، يقال أبرم السَّلَمَ : إذا خرجَتْ بَرَمتُه وهى ثَمرته . قال فى الصحاح : « البرَمَ محرّكةً : ثمر العِضاه ، الواحدة بَرَمةٌ ؛ وبَرَمةُ كلّ العِضاه صفراء إلاّ العُرفط فإنّ بَرَمته بيضاء ؛ وبرَمة السَلَم أطيبُ البَرَم ريحاً » .

٥٥٥

حكى الأصبَهانيّ فى الأغانى عن أبى إسحاقَ إبراهيمَ الموصليّ قال : دخلتُ على الهادى فقال : غنّني صوتاً ، ولك حُكمُكَ ! فغنّيته :

وإنّى لتَعرونى لذِكراكِ هزّةٌ كما انتفض العصفورُ بلّله القَطْرُ

فقال : أحسنتَ والله ! وضرَب بيده إلى جيب دُرّاعته[٤] فشقّ منها ذراعاً ، ثمّ قال : زدنى ! فغنّيته :

هجرتُكِ حتى قيل : لا يعرف الهوَى وزُرتكِ حتى قيل : ليس له صَبر

فقال : أحسنتَ . ثم ضرب بيده إلى دُرّاعته فشقّ منها ذراعاً آخر ؛ ثم قال : زدنى ! فغنيتُه :

(١) فى كتابه ١ : ٤٣٠ .
(٢) انظر الشاهد السبعين بعد الستمائة من الخزانة ، وسيبويه .
(٣) ط ، « كالطوق » ، صوابه فى ش .
(٤) الدّراعة ، كرمانة : جُبة مشقوقة المقدم .

فيا حبَّها زِدْنى جَوًى كلَّ ليلةٍ ... ويا سَلوة الأحبابِ موعدُكِ الحشرُ

فقال : أحسنتَ ! وشقَّ باقى دُرّاعته من شدّة الطرب ، ثمّ رفع رأسه إلىّ وقال : تَمَنَّ واحتَكِم ؟ فقلتُ : أتمنّى عيْنَ مَرْوان بالمدينة . قال : فرأيته قد دارتْ عَيناه فى رأسه ، فخِلتُهما جَمْرتين ؛ ثم قال : يا ابن اللَّخْناء ، أتريد أن تَشْهَرَنى بهذا المجلِس ، وتجعلَني سَمَراً وحَديثاً ، يقول الناس أطرَبَه فوهبه عَيْنَ مَروان . أما والله لولا بادرةُ جهلِك التى غَلَبت على صحّة عقلك ، لألحقتُك بمن غَبَر من أهلك . وأطرق إطراقَ الأفعُوان ، فخِلتُ مَلَكَ الموتِ بينى وبينه ينتظِر أمره . ثم رفعَ رأسه وطلب إبراهيمَ بن ذَكْوانَ وقال : يا إبراهيمُ خذْ بيدِ هذا الجاهِل وأدْخِله بيتَ المـال ، فإنْ أخذ جميعَ ما فيه فدعه وإيّاه ؟ قال : فدخلتُ وأخذتُ من بيت المال خمسين ألف دينار .

أبو صخر الهذلى

و (أبو صَخر الهذلىّ) هو عبد الله بن سَلْم[1] السهْمىّ الهذلىّ شاعرٌ إسلامىٌّ من شعراء الدولة الأمويّة . كان متعصِّباً لبنى مَرْوانَ مواليًا لهم ، وله فى عبد الملك بن مَرْوان وأخيه عبدِ العزيز مدائحُ كثيرة . ولمّا ظهر عبدُ الله ابن الزُّبير فى الحجاز وغلَب عليها ، بعد موت يزيدَ بنِ معاوية ، وتشاغَل بنو أميّةَ فى الحرْب بينهم فى مَرْج راهطٍ وغيره دخل عليه أبو صخر الهذلىُّ فى هُذَيل ، ليقبِضوا عطاءهم ، وكان عارفاً بهواهُ فى بنى أميّة ، فمنعه عطاءه ؛ فقال : تمنَعُنِي حقًّا لى وأنا امرؤٌ مسلمٌ ما أحدثْتُ فى الإسلام حدَثاً ولا أخرجت من طاعة يداً ! قال : عليكَ ببنى أميّة ، اطلُبْ منهم عطاءك ! قال : إذاً أجِدُهمْ سَبِطةً أكُفُّهم ، سَمِحةً أنفسهم ، بُذَّلاً لأموالهم ، وَهّابين لمجتديهم ، كريمة

(١) فى النسختين : « سالم » ، صوابه من الأغانى ٢١ : ٩٤ عن السكرى وحواشى اللآلى ٣٩٩ ، وفى شرح السكرى للهذليين ٩١٥ : « بن سلمة » وكذا فى شرح شواهد المغنى ٦٢ . وعند العينى ١ : ١٦٢ « مسلم » .

أعراقهم ، شريفةً أصولهم ، زاكية فروعهم ، قريباً من رسول الله ﷺ نسبهم وسببهم[١] ؛ لهم السودد فى الجاهلية[٢] والملكُ فى الإسلام ، لا كمن لا يُعَدُّ فى عيرها ولا نفيرها ، ولا حكم آباؤه فى نقيرها وقطميرها ، ليس من أحلافها المطيَّبين ، ولا من ساداتها المطعِمين ، ولا من هاشمِها المنتخبين[٣] ، ولا عبدِ شمسها المسوَّدين ؟ ! وكيفَ تُقاسُ الأروسُ بالأذناب[٤] وأينَ النصلُ من الجفن ، وأين السِّنان من الزُّجِّ والذُّنابَى من القُدامى ؟ ! وكيف يُفضَّل الشحيحُ على الجواد ، والسُّوقةُ على الملوكِ ، والجائعُ بخلاً على المطعِم فضلاً ؟ ! فغضب ابنُ الزبير حتَّى ارتعَدت فرائصه ، وعَرِق جبينُه ، واهتزّ من قَرْنه إلى قدَمه وامتقِع لونه ، ثم قال له : يا ابن البوّالة على عَقبيها ، يا جِلفُ يا جاهل ، أما والله لولا الحرماتُ الثلاثُ : حُرْمة الإسلام ، وحُرمة الشهْر الحرام ، وحرمة الحَرَم ؛ لأخذتُ الذى فيه عيناك ! ثم أمَرَ به إلى سجنِ عارِم[٥] ، فحبس فيه مدّة ، ثم استوهبته هُذيل ومَن له فى قريش خُئُولة ، فأطلقه بعد سنَة ، وأقسم أن لا يعطيه عطاءً مع المسلمين أبداً . فلمّا كان عامُ الجماعة[٦] وولى عبدُ الملك

٥٥٦

(١) بين هذا الكلام وتاليه فى الأغانى ٢١ : ٩٤ : « ليسوا إذا نسبوا بأذناب ولا وشائظ ولا أتباع ، ولا م في قريش كفقعة القاع » .

(٢) فى النسختين : « لهم سودد فى الجاهلية » ، والأوفق ما أثبت من الأغانى .

(٣) ط : « هاشميها » ، صوابه فى ش والأغانى . وقبل هذه الفقرة فى الأغانى : « ولا من جوداتها الوهابين »

(٤) الأغانى : « وكيف تقاتل » ، صوابها « تقابل » .

(٥) فى القاموس : « سجن عارم حبس فيه عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية » وقال ياقوت فى (عارم) : « ثم كان بعد ذلك سجناً للحجاج ، ولا أعرف موضعه ، وأظنه بالطائف » .

(٦) فى النسختين : « الحجاج » ، وصححها الشنقيطى بما أثبته . وعام الجماعة هو العام الذى أجمع الناس فيه على عبد الملك بن مروان ، وهو سنة ٧٣ انظر الطبرى فى حوادث سنة ٨٦ وهذا هو عام الجماعة الثانى ، لأنه سبق عام جماعة قبله وكان ذلك سنة ٤١ حين أجمعت كلمة الأمة الإسلامية على معاوية بعد تنازل الحسن بن على .

ابن مرْوان وحجّ ، لقيه أبو صَخر ، فقرَّبه وأدناه وقال له : إنه لم يَخْفَ عليَّ خبرُك مع الملحِد[1] ، ولا ضاعَ لدىَّ هواك ولا موالاتُك . فقال : إذا شَفَى اللهُ منه نفسى ، ورأيتهُ قتيلَ سيفِك وصريعَ أوليائك ، مصلوباً مهتُوكَ السِتْر ، مفرّق الجمْع ، فما أُبالى ما فاتنى من الدنيا ! ثم استأذَنه فى مديح ، فأنشده قصيدةً ، وأمر له عبدُ الملك بما فاته من العطاء ، ومِثْـلِهِ من ماله ، وحمَله وكساه . كذا فى الأغانى .

* * *

وأنشد بعده :

(يقولُ ، وقد تَرّ الوظيفُ وساقُـها : ألستَ تَرَى أنْ قد أتَيْتَ بمُؤْيِدِ)

تقدّم شرحه فى الشاهد الرابع والثمانين بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[3] :

٢٠٦ (أفى السِّـلْمِ أعياراً ، جَفاء وغِلْظةً

وفى الحربِ أشباهَ النِّساءِ العَوارِكِ)

على أنّ (أعْياراً) و (أشْباهَ النساءِ) منصوبان على الحال عند السيرافى ومَن تبعه ، وعلى المصدر عند سيبويه .

قال السُّهيلى فى الروض الأُنُف : هذا البيتِ لِهند بنتِ عتبة[4] ، قالته

(١) مع الملحد ، ساقطة من الأغانى .

(٢) الخزانة : ص ١٥١ من هذا الجزء .

(٣) فى كتابه ١ : ١٧٢ . وانظر السيرة ٤٦٨ والروض الأنف ٢ : ٨٢ – ٨٣ والعينى ٣ : ١٤٢ .

(٤) لم ينسبه السهيلى ، وإنما فسره ، والنسبة فى أصل السيرة .

لفَلّ قريشٍ حين رجَعوا من بَدْر . يقال : عرَكت المرأة : إذا حاضَت . ونصبَ أعياراً على الحال ، والعاملُ فيه محتزَل ، لأنه أقام الأعيار مُقامَ اسمٍ مشتق ، فكأنّه قال : فى السلم بُلداء جُفاةً مثلَ الأعيار . ونصبَ جفاء وغلظة نصبَ المصدرِ الموضوعِ موضعَ الحال ، كما تقول : زيد الأسدُ شِدّةً ، أى يُماثله مماثلة شديدة ، فالشدّة صفة للمماثَلة ، كما أنّ المشافهَة صفة للمكالَمَة إذا قلتَ : كلّمته مشافهة ، فهذه حالٌ من المصدر فى الحقيقة . وتعلُّق حرفِ الجرّ من قولها أفى السلم ، بما أدّتْه الأعيار من معنى الفعل ، فكأنّها قالت : أفى السلم تتبلّدون . وهذا الفعل المختزَلُ الناصبُ للأعيار ، ولا يجوز إظهارُه اﻫ . وزعم العَينىّ أنّ قوله : جفاء ، منصوبٌ على التعليل ، أى لأجلِ الجفاءِ والغلْظة . ولا يخفى سقوطه . والهمزة للاستفهام التوبيخىّ . و (السلم) بكسر السين وفتحها : الصُّلح ، يذكّر ويؤنث . و (الأعيار) : جمع عَيْر بالفتح : الحمار أهليًّا كان أمْ وحشِيا ، وهو مَثَلٌ فى البَلادة والجهل . و (الجفاء) قال فى المصباح : وجفا الثوبُ يجفُو : إذا غلُظ ، فهو جافٍ ، ومنه جفاء البَدْو ، وهو غِلْظتهم وفَظَاظتهم . والغِلْظة بالكسر : الشدّة وضد اللِّين والسَّلاسة . وروى (أمثال) بدل قوله أشباه . و (العَوارك) : جمع عارِك ، وهى الحائض ، من عرَكتِ المرأة تعرُك ، كنصر ينصر ، عروكاً أى حاضَت . وبَخّتْهم وقالت لهم : أتجفون الناسَ وتُغلِظون عليهم فى السلم ، فإذا أقبلتِ الحربُ لِنْتُم وضعُفتم ، كالنساء الحُيض ؟! حرّضتِ المشركينَ بهذا البيت على المسلمين . والفَلّ بفتح الفاء : القوم المنهزمون .

هند بنت عتبة

وهند بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمْس بن عبد مناف ، القرشيّة العبشميّة ، والدة معاوية بن أبى سفيان ، أخبارُها قبلَ الإسلام مشهورة . وشهدت أُحُداً وفعلتْ ما فعلتْ بحمزة ؛ ثم كانت تؤلّب وتحرِّض على المسلمين ، إلى أن جاء

٥٥٧

الله بالفتح ، فأسلم زوجُها ، ثم أسلمت هى يومَ الفتح . كذا فى الإصابة لابن حَجَر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد المائتين[1] ، وهو من شواهد س[2] :

٢٠٧ (أنا ابنُ دَارةَ مَشْهُوراً بِها نَسَبِي ... وَهَلْ بِدَارَةَ يالَلنّاسِ مِنْ عارِ)

على أن قوله (مشهوراً) حالٌ مؤكِّدة لمضمون الخبر . ومضمونه هنا الفخر ورُوِى : (أنا ابن دارة معروفاً بها نسبى) . وقوله : نَسَبِي ، نائبُ الفاعلَ لقوله مشهوراً . والباء مِن بها متعلّقة به لا نائبُ الفاعل ، كما وَهِم العينى . وهذه الحال سببيّة . و (هل) للاستفهام الإنكارىّ . و (من) زائدة ، و (عار) مبتدأٌ منعَ من رفعه حركةُ حرف الجرّ الزائد . و (بدارةَ) خبرُه . و (يالَلنّاسِ) اعتراضٌ بين المبتدأ والخبر . ويا لِلنداء لا للتنبيه ؛ وللنّاس منادى ، لا أنّ المنادَى محذوفٌ تقديره : قومى[3] . واللام للاستغاثة ، وهى تدخل على المنادى إذا استُغيث نحو : يالله ، لا أنّها للتعجُّب المجرَّد خلافاً للعينىّ فى الثلاثة . و(دارة) اسمُ أمّ الشاعر ، وهو سالم بن دارة[4] ، قال ابن قتيبة :

(١) الحق أن هذا الشاهد هو (الثامن) بعد المائتين ، وأن قبله شاهدا قد سقط ، ليس يدرى سبب سقوطه بدليل أن الشاهد التالى رقمه هو (التاسع بعد المائتين) . والشاهد المفقود هو كما فى شرح الرضى ١ : ١٩٦ وسيبويه ١ : ١٧٢ :

أفى الولائم أولاداً لواحدةٍ ... وفى العِيادةِ أولاداً لِعَلّاتِ

وفى نسخة ش عولجت أرقام الشواهد بعد هذا بأن جعل الشاهد التالى لهذا هو الثامن بعد المائتين . ثم سلسلت أرقام الشواهد إلى آخر الكتاب .

(٣) ط : « إلا أن المنادى محذوف . . . الخ » ، وهو تناقض ظاهر ، صوابه من ش ، ويدل له أيضا قول البغدادى قريبا : خلافا للعينى فى الثلاثة .

(٤) فى النسختين : « سالم بن أبى دارة » بإقحام « أبى » ، صوابه فى الشعراء ٣٦٢ والأغانى ٢١ : ٤٩ والمؤتلف ١١٦ ونوادر المخطوطات ١ : ص ٩٢ .

وهي من بني أسد ، وسمِّيت بذلك لأنَّها شبِّهت بدارَةِ القمر ، من جمالها .
وقال الحُلوانيّ في كتاب أسماء الشعراء المنسوبين إلى أمهاتهم : « دارةُ لقبُ أمه ، واسمها سَيفاء ، كانت أخيذةً أصابها زيدُ الخيلِ من بعض غطفان من بني أسد ، وهي حُبلى ، فوهبها زيدُ الخيل لزُهير بن أبي سُلمى . فربُّما نُسِب سالمُ بن دارة إلى زيد الخيل » اهـ . وقال أبو رياش في شرح الحماسة ، والأصبهانيّ في الأغاني : دارة لقبُ جدِّه ، واسمُه يَربوع . وعلى هذا قد رُوِى :

(أنا ابنُ دارةَ معروفاً بها نسبِي)

ورُوِى أيضاً : (معروفاً له نسبِي)

قصيدة البيت

وهذا البيت من قصيدة طويلةٍ لسالم بن دارةَ[1] ، هجا بها زُميل بن أُبير أحدَ بني عبدِ الله بن [عبد] مناف الفَزاري[2] منها :

(بلِّغ فَزارةَ إنِّي لن أسالِمَها حتَّي ينيكَ زميلُ أمَّ دينارِ
لا تأمَننَّ فَزاريًّا خَلَوتَ به بعد الذي امتلَّ أيرَ العَيرِ في النارِ
وإنْ خلوتَ به في الأرض وَحدَكما فاحفَظْ قَلوصَك واكتُبْها بأسيارِ
إنِّي أخافُ عليها أنْ يُبَيِّتَها عارِي الجَواعِرِ يَغشاها بقُسْبارِ
أنا ابنُ دارةَ معروفاً له نسبِي وهَل بدارةَ يا للنّاس مِن عارِ
جُرثُومةٌ نَبتتْ في العِزِّ واعتَدلتْ تَبغى الجرائمَ مِنْ عُرفٍ وإنكارِ
مِن جِذْمِ قيسٍ ، وأخوالي بنو أسَدٍ من أكرمِ الناسِ ، زَنْدى فيهمُ وارى)

وأمّ دينار هي أمُّ زُميل . وقوله : بعد الذي امتلّ أيرَ العير الخ : العَير ،

(١) انظر لها الروض الأنف ٢ : ٢٨٨ وشرح الحماسة للتبريزي ١ : ٢٠٥ والإصابة ٣ : ١٦٢ .

(٢) التكملة من الخزانة ٢ : ١٢٧ سلفية ، وجمهرة ابن حزم ١٧٦ والاشتقاق ١٠٦ .

بالفتح : الحمار . وامتلّ أيرَ العير أى شوَى أير الحمار فى المَلّة ، وهى الرَّماد الحارّ . وبنو فزارة يُرْمون بأكل أير الحمار مشويا . وسيأتى إن شاء الله تعالى شرح هذا مستوفى فى باب المثنى . والقلوص : الناقة الشابّة . واكتُبْها : من كتبَ الناقةَ يكتبها بضمّ التاء وكسرها : ختَم حَياءها أوخزَمَها بسَيرٍ أو حلقةِ حديد لئلاّ يُنزَى عليها . والأسيار : جمع سَير من الجلد . وعارى الجواعر : أى بارز الاسْت والفَقْحة . والقُسبار ، بضمّ القاف : الذَّكَر الطويل العظيم . وجُرثومة الشىء ، بالضمّ : أصلُه . وتَبغى : مِن البَغْى ، يقال بغَى عليه بَغْياً : إذا علا عليه واستطال ؛ فأصلُه تبغى على الجرائيم . والعُرف ، بالضمّ : المعروف . والجِذم ، بالكسر والفتح : الأصل . وورَى الزَّنْد : كرَمى : خرج نارُه ؛ ويقال : « ورت بك زِنادى » يقال هذا فى التمدّح والافتخار . وتقدّمَ سببُ هجوِه لبنى فَزارةَ وسببُ هذه القصيدةِ ، مع ترجمته ، فى الشاهد الخامس بعد المائة[1] .

٥٥٨

* * *

باب التمييز

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع بعد المائتين[2] :

٢٠٩ (وستُّوكَ قد كرَبَتْ تَكمُلُ)

على أنّ العددَ الذى فى آخره النون يُضاف إلى صاحبه أكثرَ من إضافته إلى المميز . أى قرُب أن يكمُل ستُّون سنةً من عُمرِكَ .

---

(١) الخزانة ٢ : ص ١٣٩ وما بعدها

(٢) انظر الهمع ١ : ٢٥٤ والأغانى ١٨ : ١٩٣ .

وهذا المصراع من قصيدةٍ للكميت بن زيد ، مدَح بها عبدَ الرحمن ابن عَنْبَسة بن سعيد بن العاص بن أُمَيَّة . وأوَّلُها :

(أأبْكاكَ بالعُرُفِ المَنْزِلُ وما أنتَ والطَّلَلُ المُحْوِلُ
وما أنتَ ، ويكَ ، ورسمُ الديارِ وستُّوكَ قد كَرَبتْ تَكمُلُ)

قال الأصبَهانيّ في الأغاني : « كان بين بني أَسَد وبين طيِّء حربٌ ، فاصطلحوا وبقي لِطَيِّئٍ دمُ رَجلين ، فاحتمل ذلك رجلٌ من بني أسد ، فمات قبل أن يوَفِّيه[1] . فاحتمله الكميت ، فأعانه فيه عبد الرحمن بن عَنبسة ، فمدحه الكميت بهذه القصيدة ؛ وأعانه الحَكَمُ بن الصَلْت الثَقَفيّ ، فمدحه بقصيدته التي أولها :

[رأيت الغواني وحشا نفورا

وأعانه زياد بن المغفَّل الأسدي فمدحه بقصيدته التي أولها[2] :]

* هل للشَّبَاب الذي قد فات من طلب *

ثم جلس الكميت ، وقد خرج العطاء . فأقبل الرجلُ يُعطى الكميتَ المائتين والثلثمائةِ وأكثَرَ وأقلَّ ؛ وكانت دية الأعرابيّ ألفَ بعير ، ودية الحَضَريّ عشرةَ آلاف درهم ؛ وكانت قيمة الجمل عشرةَ دراهمَ ، فأدّى الكميتُ عشرين ألفاً عن قيمة ألفَي بعير » اهـ

فقوله : أأبكاك ، يخاطب نفسَه ويقرِّرها مستفهِماً . والعُرُف ، بضمّ العين والراء المهملتين : موضع . والمنزل : فاعلُ أبكاك ؛ قال الزمخشريّ في كتاب

(١) في الأغاني : « قبل أن يؤديه » .
(٢) التكملة من الأغاني .

الأمكنة والمياه : عُرْفة الأملَح ، وعُرْفة رقد ، وعرفة أعيار[1] : مواضعُ تسمَّى العُرَف[2] . وأنشدَ بيتَ الكميت . وفى المحكَم لابن سِيدهْ : العُرُف بضمّتين موضع ، وقيل جبل . وأنشد البيت أيضا . وكذا ضبطه أبو عُبيد البكرىّ فى معجَم ما استعجم ، وقال : هو ماء لبنى أسد . وأنشد البيت ، وقال : ويخفَّف بسكون الراء ، قال عبّاس بن مرداس :

خُفافيّةٌ بطنُ العَقيق مَصِيفُها   وتحتلُّ فى البادِينَ وجْرَةَ والعُرْفا

فدلّ قولُ عبّاس أنّ العُرف بوادى بنى خُفَاف اه .

وقوله : وما أنتَ الخ ، استفهامٌ توبيخىّ يُنكر بكاءه ، وهو شيخٌ ، على الأطلال . والطَّلَل : الشاخِص من آثار الدار ، وشخصُ كلّ شىء . والمحْوِل : اسم فاعل مِن أحولَ الشَّئ : إذا مرّ عليه حَولٌ ، وهى السنة . ووَيْك : كلمة تفجُّع ، وأصله ويلَك . و (ستُّوكَ) مبتدأ ، وما بعده خبره ، والجملة حالية . و (كَرَبَ) بفتح الراء كُرُوباً : دنا . وكرَبَ من أخوات كاد تعمل عملَها ، واسمها ضمير الستّين . وجملة (تكمُل) فى موضع نصبٍ خبرها .

وترجمة الكميت بن زيد تقدّمت فى الشاهد السادس عشر[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد المائتين : ٥٥٩

٢١٠ (فيالكَ مِنْ ليلٍ كأنَّ نجُومَهُ   بكلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بيَذْبُلِ[4])

---

(١) فى النسختين : « أعيال » صوابه فى كتاب الزمخشرى ٧١ ومعجم البلدان .

(٢) العرف : جمع عُرفة ، وهى كل متن منقاد ينبت الشجر ، ذكر منها ياقوت ثلاث عشرة عرفة وانظر القاموس (عرف) .

(٣) الخزانة ١ : ص ١٤٤

(٤) الشاهد من معلقة امرىء القيس . وانظر العينى ٤ : ٢٦٩ والهمع ٢ : ٣٢ وشرح شواهد المغنى ١٩٥ والأشمونى ٢ : ٢١٧ .

على أن قوله : (منْ ليلٍ) تمييزٌ عن المفرد الذى هو الضمير المبهم فى قوله (يا لك) .

وفيه أنّ الضمير غيرُ مبهَم ، لتقدُّم مَرجِعه فى البيت قبلَه ، وهو قوله « ألا أيّها الليلُ الطويلُ » كما يأتى ، فالتمييز فيه عن النسبة لا عن المفرد ، ومِنْ لبيان الجنس . وقال المرادىّ فى شرح الألفيّة : مِنْ زائدة فى الكلام الموجَب ، ولهذا يُعطَف على موضع مجرورها بالنصب ، كقول الحطيئة :

يا حُسْنَهُ مِنْ قَوامٍ ما ومُنْتَقِباً[1]

وصحّح هذا أبو حيّان فى الارتشاف . و (يا) : حرف نداء ؛ واللام للتعجُّب تدخل على المنادى إذا تُعُجِّب منه . ولأجل هذا أورد ابنُ هشامٍ هذا البيتَ فى المغنى ؛ قال فى شرح بانت سُعاد : الأصل يا إياك أو يا أنت ، ثمّ لمّا دخلت لامُ الجرّ انقلبَ الضميرُ المنفصل ، المنصوبُ أوالمرفوع ، ضميراً متّصلاً مخفوضاً . وأورده المرادىّ فى شرح الألفيّة على أنّ اللام فيه للاستغاثة ، استغاث به منه لطوله ، كأنّه قال : يا ليلُ ما أطولَكَ ! قال ابنُ هشام : وإذا قيل يا لَزيد بفتح اللام فهو مستغاث ، فإن كسرت فهو مستغاثٌ لأجله ، والمستغاث محذوف ، فإن قيل يا لك احتملَ الوجهين . والباء فى قوله : (بكل) متعلِّقة بِشُدَّت . و (المغار) بضمّ الميم : اسمُ مفعول بمعنى المُحكَم ، من أغَرْتُ الحبلَ إغارةً : إذا أحكمتَ فَتْله . و (يذبُل) : اسم جبَل ، لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل ، وصرفه للضرورة . يقول : إنّ نجوم الليل لا تفارق محالَّها ، فكأنّها مربوطة بكلّ حبْل مُحْكَم الفَتْل فى هذا الجبَل . وإنّما استطالَ الليلَ لمقاساةِ الأحزان فيه .

---

(١) ط : « ومنتقبا » والقصيدة بائية ، وهى مفتتح ديوان الحطيئة . وصدره :
* طافت أمامة بالركبان آونة *

صاحب الشاهد

وهذا البيت من معلّقة امرئ القيس المشهورة . وفيها خمسة أبيات في وصف الليل ، وهي :

أبيات الشاهد

(وليلٍ كموج البَحْر أرخَى سُدولَه ... عليَّ بأنواعِ الهُموم لِيَبتَلى
فقلتُ له لمـا تمطَّى بِصُلْبِه ... وأردفَ أعجازاً وناءَ بكَلْـكَلِ
ألاَ أيُّها الليلُ الطويلُ ، ألا انجلِي ... بِصُبحٍ ، وما الإِصباحُ مِنكَ بأمْثَلِ
فيالكَ من ليلٍ كأنَّ نجومَه ... . البيت
كأنَّ الثريّا عُلِّقت فى مَصامِها ... بأمراسِ كَتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ)

فقوله : وليل ، الواو واو ربَّ والسُّدول : السُّتور ، جمع سُدْلٍ ؛ وسدل ثوبَه : إذا أرخاه . يقول : رُبَّ ليل يحاكى أمواجَ البحرْ فى توحُّشه وهَوله ، وقد أرخَى على ستورَ ظَلامِهِ معَ أنواع الحزن لِيختبرنى : أأصبر أمْ أجزَع ! وهذا ، بعد أن تغزَّلَ ، تمدَّحُ بالصَّبْر والجلَد . وقوله : فقلت له لمَّـا تمطَّى الخ ، تمطَّى : امتدَّ . وناء : نهض . والكَلْـكَل : الصدر . والأعجاز : الأواخر ، جمع عَجُز ؛ وهو من استعمال الجمع موضع الواحد . وقد استشهد ابنُ مالكٍ بهذا البيت على أنّ الواوَ لا تدلّ على الترتيب ، لأنّ البعير ينهَض بكلكله ، والأصل : فقلت له لمّـا ناء بكلـكله وتمطَّى بصلبه وأردف أعجازَه .

وقوله : ألا أيُّها الليلُ الطَّويل الخ ، انجلِي : أمرٌ بمعنى انكشِفْ ؛ والياء إشباع . والإصْباح : الصَّباح . والأمثَل : الأفضل . وأورد هذا البيتَ فى تلخيص المفتاح على أنّ صيغة الأمر فيه للتمنِّي ، ومعناه تمنّى زوالِ ظلام الليل بِضياء الصبُح ؛ ثم قال : وليس الصباح بأفضل منك عندى ، لاستوائهما فى مقاساة الهموم ، أو لأنّ نهاره يظلم فى عينه لتوارد الهموم . فليس الغرض طلبَ الانجلاء من الليل لأنه لا يقدر عليه ، لـكنّه يتمناه تخلّصاً مما يَعرض له

٥٦٠

فيه ، ولاستطالة تلك الليلة كأنّه لا يرتقِب انجلاءها ولا يتوقّعه . فلهذا حُمل على التمنى دون الترّجى[١] .

قال الإمام الباقلاّنىّ ، فى إعجاز القرآن[٢] : « ومما يعدُّونه من محاسن هذه القصيدة هذه الأبياتُ الثلاثة ، وكان بعضهم يعارضُها بقول النابغة :

كِليني لِهمٍّ يا أُميمةَ ناصب وليلٍ أُقاسيه بطىءِ الكواكبِ
وصدرٍ أراحَ الليلُ عازبَ همِّه تضاعَفَ فيه الحُزْنُ مِن كلِّ جانب
تقاعَسَ حتّي قلتُ ليسَ بمنقضٍ وليسَ الذى يتلو النجومَ بآيب

وقد جرى ذلك بين يدى بعضِ الخلفاء ، فقدِّمتْ أبياتُ امرىء القيس واستُحسِن استعارتُها ، وقد جعل لليل صدراً يثْقُل تنحِّيه ، ويُبطىء تقَضّيه ؛ وجعلَ له أردافاً كثيرة . وجعل له صُلباً يمتدّ ويتطاول . ورأوا هذا بخلاف ما يستعيره أبو تمّام من الاستعارات الوحشيّة البعيدة المستنكَرة . ورأوا أنّ الألفاظَ جيلةٌ . واعلم أنّ هذا صالحٌ جميلٌ ، وليس من الباب الذى يقال إنّه متناهٍ عجيب . وفيه إلمام بالتكلّف ، ودخول فى التعمّل » انتهى .

وقوله : كأنّ الثريّا عُلِّقت الخ ، المَصام بفتح الميم : موضع الوقوف . والأمراس : الحبال ، جمع مَرَس محرّكة . والجندل : الحجارة . يقول : كأنّ الثريّا مشدودةٌ بحبالٍ إلى حجارةٍ ، فليست تمضى .

قال العسكرىّ فى التصحيف[٣] : ومما خالف فيه ابنُ الأعرابى الأصمعىّ فى المعنى لا فى اللفظ ، قولُه :

كأنّ الثريّا علِّقت . . . . البيت

---

(١) هذا من كلام العباسى أيضاً فى معاهد التنصيص ١ : ٩٠ .
(٢) إعجاز القرآن ٢٧٥ — ٢٧٦ .
(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢٢٢ .

فالماء فى مَصامِها عند الأصمعىّ ترجع إلى الثريّا . ومعنى مَصامِها : مَوضُعها ومُقامها . وهو يصف الليلَ وأنّ نجومَهَ لا تَسير ، من طوله ، فكأنّ لها أواخىّ فى الأرض تحبسها . هذا مذهب الأصمعىّ . ورأيتُ هذا البيتَ فى نوادر ابن الأعرابىّ وفسّره بتفسيرٍ عجيب ، فقال ورواه :

(كأنّ نجوماً عُلِّقت فى مَصامِهِ)

ثم فسّر وقال : شبَّه ما بين الحوافر وجُثمانه ، بالأمراس ، وصُمّ جَندل ، يعنى جثمانه . فأخذ هذا البيتَ وصيَّره فى وصف الفرس ، وحمَلَه على أنّه بَعدَ :

(وقد أغتدى والطيرُ فى وكناتها بمنجَرد قيْدِ الأوابد هيكل) ا ه

وترجمة امرئ القيس قد تقدّمت فى الشاهد التاسع والأربعين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشرَ بعد المائتين[2] :

٢١١ (وَيلُمِّها رَوْحَـةً والرِّيحُ مُعْصِفَةٌ
والغَيثُ مُرْتجزٌ والليل مُقْتَرِبُ)

لما تقدّم قبله ، أعنى كونَ التميز يكون عن المفرد إذا كان الضمير مبهَماً لا يعرَف المقصودُ منه ؛ فإنّ الضمير فى (ويلُمِّها) لم يتقدَّم له مرجعٌ ، فهو مبهَم ، ففسّره بقوله : (رَوحةً) فهو تمييز عن المفرد ، أى وَيلُمٍّ هذه الروحةِ فى حال عصف الريح . فجملة والريح معصفة حال . و (مُعصِفة) : شديدة ، يقال : أعصَفَتِ الريحُ وعَصَفت ، لغتان ؛ والغَيث هنا : الغيم . ومُرتجز : مصوِّت ، يريد صوت الرَّعد والمطر . و (مقترب) : قد قرب .

---

(١) الخزانة ١ : ص ٣٢٩

(٢) ديوان ذى الرمة ٣٣ .

أبيات الشاهد ٥٦١

وهذا البيتُ من قصيدةٍ طويلةٍ جدًّا لذى الرُّمَّةِ . وهذا البيتُ من أواخرها . شبَّه بعيره بالنَّعام فى شدَّة العَدْو ، ثم وصفَ النعامَ بما يقتضى شدةَ إسراعه فقال :

(حتَّى إذا الهَيقُ أمسَى شامَ أفرُخَه وهُنَّ لا مُؤيسٌ نأياً ولا كَثَبُ

يَرْقَدُّ فى ظِلِّ عَرَّاصٍ ويَطْرُدُه حَفيفُ نافجةٍ عُنوانُها حَصِبُ

تَبرى له صَعلةٌ خَرْجاء خاضعةٌ فالخَرْقُ دونَ بناتِ البَيضِ مُنْتَهَبُ[1]

كأنَّها دلوُ بِئرٍ جَدَّ ماتِحُها حتَّى إذا ما رآها خانَها الكَرَبُ

ويلُمِّها روحة . . . . البيت

لا يَذْخَرانِ مِن الإيغالِ باقيةً حتَّى تكاد تفرَّى عنهما الأُهُبُ)

الهَيق ، بالفتح : ذَكَر النعام . وشام : نظَر إلى ناحيةِ فِراخِهِ . وأفرُخ : جمع فَرْخ . وهُنَّ : أى الأفرخ . والنَّأْى : البُعد . والكَثَب ، بفتح الكاف والمثلثة القُرْب . يقول : موضعُهنَّ ليس منه بالبعيد الذى يُؤيِسه من أنْ يطلبَهنَّ أى يحمله على اليأس ، ولا بالقريب فيفْتُرَ[2] . وقوله : يرقَدُّ ، أى يعدو الهَيق عَدْواً شديداً . والعَرَّاص ، بمهملات : غَيمٌ كثيرُ البرق . والحَفيف ، بإهمال الأول : صوت الريح . والنافجة : الريح الشديدة الباردة . وعُنوانها : أوائلها . وحَصِب ، بفتح فكسر : فيه ترابٌ وحَصْباء ، وهذا مما يوجب الإسراعَ إلى المأوى . وقوله : تَبرِى له صَعلةٌ الخ ، تَبرِى : تعرض لهذا الهَيق . صَعْلة : نعامة دقيقة العنق وصغيرة الرأس . خَرْجاء : مؤنث الأخرَج ، وهو ما فيه سَواد وبَياض . خاضعة : فيها طمأنينة . والخَرْق ، بالفتح : الأرض البعيدة ،

(١) ط : « متهب » صوابه فى ش والديوان ٣٢ .

(٢) ط : « فيغير » ، صوابه فى ش .

تنخرق فيها الرياح . وبَنَات البَيض : الفراخ ، لأنّها تخرُج من البَيضة . يقول : الهَيق والصعْلة يعدُوان عدْواً شديداً كأنّهما ينتهبانِ الأرضَ انتهاباً ، كأنهما يأكلانها ، من شدة العدْو ، فهما يركضان إلى فراخهما خائفَين البردَ والمطر وغيرَهما . وقوله : كأنّها دلو الخ ، أى كأنَّ هذه الصعْلةَ دَلوٌ انقطع حبلُها بعد أن وصلت إلى فَمِ البئر فمضَت تهوِى ، شبَّهها بهذه الدلوِ التى هَوَتْ إلى أسفل . وجَدَّ : اجتهد . والماتح ، بالمثنّاة الفوقيّة : المستقى من البئر بالدلو . والكَرَب : العقد[1] الذى على عَراقىّ الدَّلو ؛ والعَراقى : العُودان اللذان فى وسط الدلو . والمراد بخانها الكَرَب ، انقطع .

وقوله : (ويْلُمِّها رَوْحةً ، الخ) أى ويلَ أُمٍّ هذه الروحة . وإنما لم يجز أن يعود الضميرُ على صَعْلة ، كما عاد عليها ضمير كأنّها فى البيت المتقدّم ، لأنه قد فُسِّر بروحة ، والتفسير يجب أن يكون عينَ المفسَّر ، والرَّوحة غير الصعْلة ؛ فلا يفسِّرها . ولو قال : ويلمِّها رائحة ، لـكان مرجعُ الضمير معلوماً : مِنْ صَعْلة ، وكان من تمييز النسبة لا المفرد . و (الروحة) مصدر راح يرُوح رَواحا[2] ورَوحة : نقيض غدا يغدو غدُوًّا . والرواح أيضاً : اسمٌ للوقت مِن زوال الشمس إلى الليل .

وقوله : لا يَدَّخرانِ : أى لا يُبقِيان ، يعنى الهَيقَ والصعْـلة . والإيغال : الجِدُّ فى العَدْو . والباقية : البقِيَّة . وتفَرّى : تشقَّق . والأُهُب ، بضمّتين : جمع إهَاب ، أراد جلودَهما . وهذا غايةٌ فى شدّة العدْو .

واعلم أنّ قولهم : ويْلُمِّهِ وَوَيْلُمِّها ، قال ابن الشجَرىّ : يروى بكسر اللام

---

(١) كذا فى النسختين ، وقد فسر فى المعاجم بأنه الحبل . وانظر ما سيأتى فى الشاهد ٢١٤ .

(٢) ط : « رواحة » صوابه فى ش .

٥٦٢ وضمّها ، والأصل ويلٌ لأمِّه ، فحذف التنوين ، فالتقى مثلان : لامُ ويل ولام الخفض ، فأُسكنت الأولى وأدغمت فى الثانية فصار ويلٌ أمِّ مُشدداً واللام مكسورة ، فخفّف — بعد حذف الهمزة — بحذف إحدى اللامين . فأبو على ومَن أخذ أخْذَه نصُّوا على أن المحذوفَ اللامُ المدغمة ، فأقرُّوا لامَ الخفض على كسرتها ، وآخرون نصُّوا على أنّ المحذوفة لامُ الخفض ، وحرّكوا اللامَ الباقية بالضمّة التى كانت لها فى الأصل . انتهى .

قال أبو علىّ فى الإيضاح الشِعرىّ : حذف الهمزة من أُمّ فى هذا الموضع لازم ، على غير قياس ، كقوله :

* يابا المغِـيرة والدنيا مفجِّعةٌ [(١)] *

ثم سُئِل لِمَ لا يجوز أن يكون الأصل وىْ لامّه ، فتكون اللام جارّة ووَىْ للتعجُّب ؟ فأجاب بأنّ الذى يدلّ على أنّ الأصل ويلٌ لامّه ، والهمزةَ مِن أمٍّ محذوفةٌ قولُ الشاعر [(٢)] :

لأمِّ الأرضِ ويلٌ ما أجنَّتْ غداةَ أضرَّ بالحسَنِ السبيل

وقال ابن السِّيد ، فى شرح شواهد أدب الـكاتب : ويلمه بكسر اللام وضمّها : فالضمّ أجاز فيه ابن جنّي وجهين : أحدهما أنّه حذَف الهمزةَ واللام وألقى ضمّةَ الهمزة على لام الجرّ ، كما رُوى عنهم (الحمدُ لُلّه) بضمّ لام الجرّ . وثانيهما : أن يكون حذَف الهمزة ولامَ الجرّ ، وتـكون اللام المسموعة [(٣)]

---

(١) ويروى : « أبا المغيرة » كما فى العقد ٣ : ٥٩ ، ٢٤١ . والبيت لحارثة بن بدر الغدانى ، كما فى العقد . وعجزه :

* وإن من غرت الدنيا لمغرور *

(٢) هو عبد الله بن عنمة الضبى ، كما فى الحماسة ١٠٢١ بشرح المرزوقى واللسان (ضرر ، حسن) . وانظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ٥ .

(٣) وكذا فى الاقتضاب ٣٦٤ وجعلها الشنقيطى فى نسخته « اللام المضمومة » .

هى لامُ ويل . وأما كسْر اللام ففيها ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون أراد ويلَ أمِّه ، بنصب ويل وإضافته إلى الأمّ ، ثم حذَف الهمزةَ لـكثرة الاستعمال ، وكسرَ لام ويل إتباعاً لـكسرة الميم . والثانى : أنْ يكون أراد ويلٌ لأمِّه ، برفع ويل على الابتداء ولأمِّه خبرُه ، وحذَف لامَ ويلْ وهمزة أمّ ، كما قالوا أيْشٍ لك ، يريدون أىّ شىء . فاللام المسموعة على هذا لامُ الجرّ . والثالث : أنْ يكون الأصل وَىْ لأمِّه ، فيكون على هذا قد حذفَ همزة أمّ لا غير ؛ وهذا عندى أحسنُ هذه الأوجه ، لأنّه أقلّ للحذف والتغيير .

وأجاز ابنُ جنّي أن تـكون اللامُ المسموعة هى لام ويل ، على أن يكون حذفَ همزةَ أمّ ولامَ الجرّ وكسَر لام ويل إتباعاً لـكسرة الميم . وهذا بعيد جداً .

هذا إعلالها . وأما معناها فهو مدحٌ خرج بلفظ الذمّ : والعربُ تستعمل لفظَ الذمِّ فى المدح ، يقال : أخزاه اللهُ ما أشعرَه ! ولعنه اللهُ ما أجرأه ! وكذلك يستعملون لفظَ المدح فى الذمِّ ، يقال للأحمق : يا عاقل ؛ وللجاهل : يا عالم : ومعنى هذا يا أيُّها العاقلُ عندَ نفسِهِ أو عنـد مَن يظنّه عاقلاً : وأمّا قولهم : أخزاه الله ما أشعره ! ونحو ذلك من المدح الذى يُخرجونه بلفظ الذمّ فلهم فى ذلك غرضان : أحدهما : أنّ الإنسانَ إذا رأى الشىءَ فأثنى عليـه ونطَق باستحسانه ، فربّما أصابه بالعين وأضرّ به ، فيعدِلون عن مدحِهِ إلى ذمّه لئلاّ يؤذوه : والثانى : أنهم يريدون أنّه قد بلغ غايةَ الفضل وحصَّـل فى حدّ مَن يُذَمّ ويُسَبّ ، لأنّ الفاضل يَـكثُر حسّادُه والمعادون له ، والناقص لا يلتفت إليه : ولذلك كانوا يرفعون أنفسَهم عن مهاجاة الخسيس ومجاوبة السفيه[١] :

---

(١) إلى هنا ينتهى كلام ابن السيد ، وهو فى الاقتضاب ٣٦٤ — ٣٦٥ . وقد تصرف فيه البغدادى بالتقديم والتأخير .

وفى القاموس : رجل وَيلمَّةٌ ، بكسر اللام وضمها ، داهٍ : ويقال للمستَجاد : ويلُمّه ، أى ويلٌ لأمّه ، كقولهم : لا أبَ لك ، فركَّبوه وجعلوه كالشئ الواحد ثمّ لحقتْه الهاء مبالغةً كداهية : انتهى :

وهذا استعمال ثانٍ ، جعل المركّب فى حكم الكلمة الواحدة : وليست الهاء فى آخره ضميراً ، بل هى هاء تأنيث للمبالغة ، فلا تعريف : ولهذا يقع وصفاً للنكرة ، قال أبو زيد فى كتاب مسائيَة : يقال هو رجلٌ وَيلُمّة :

٥٦٣

وروى ابنُ جنّي فى سرّ الصناعة عن أبى علىّ عن الأصمعىّ أنّه يقال : رجل وَيْلُمّة . قال : وهو من قولهم :

ويلُمّ سعدٍ سعداً[1]

والاشتقاق من الأصوات بابٌ يطول استقصاؤه ؛ وعلى هذا يجوز دخول لام التعريف عليه ؛ قال الرياشىّ : الويلمّةِ[2] من الرجال : الداهية الشديد الذى لا يطاق . ولا يُلتفَت إلى قول أبى الحَسن الأخفش — فيما كتبه على كتاب مَسَائيَة — : « من كلام العرب السائر أنْ يقولوا للرجل الداهيَة : إنّه لَويلُمّهِ صَمَحْمَحاً ، والصمحمَح : الشديد ، هذا هو المعروف ؛ والذى حكاه أبو زيد غير ممتنع ، جَعلَه اسماً واحداً . [فأعربَه[3]] فأمّا حكاية الرياشىّ : فى إدخال الألف واللام على اسمٍ مُضاف ، فلا أعلم له وجها ، انتهى .

---

(١) لكبيشة بنت رافع فى السيرة ٦٩٩ تندب به سعد بن معاذ حين استشهد يوم الخندق . قال ابن اسحاق : « يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ » .

(٢) فى النسختين : « الويلة » بالتاء ، صوابه من كتاب مسائية لأبى زيد ٢٤٤ ومن النقد التالى لأبى الحسن الأخفش .

(٣) التكملة من كتاب مسائية الملحق بنوادر أبى زيد .

أقول : الذى رواه عن العرب مِن قولهم إنّه لَوَيلُمّةٌ صَمَحْمَحاً ، غير الذى قاله أبو زيد كما بيّنّاه : فإنّه جُعِل الكلمتان[1] فى حكم كلمةٍ واحدة ، فلا إضافة فيه ، والهاء للمبالَغة ، والكلمة حينئذ نكرة ، فيدخل عليها لام التعريف . فتأمّلْ .

وترجمة ذى الرُّمّة تقدَّمتْ فى الشاهد الثامن فى أوائل الكتاب[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد المائتين[3] :

٢١٢ (وَيْلُمِّ أيّامِ الشباب مَعيشةً مَعَ الكُثْرِ يُعْطاهُ الفَتَى المتلِفُ النَّدِى)

على أنّ قوله : (معيشةً) تمييزٌ عن النسبة الحاصلة بالإضافة ، كما بينه الشارح المحقّق .

وقوله : (ويلمِّ أيّام) الخ ، دعاء فى معنى التعجُّب ، أى ما ألذَّ الشبابَ مع الغنى . وقد بيّنّا قبل هذا البيت أصلَها ومعناها . قال الطَّبَرْسىّ فى شرح الحماسة : ويل ، إذا أُضيفت بغير لام ، فالوجْهُ فيه النصب ، تقول : ويل زيد ، أى ألزم الله زيداً ويلاً . فإذا أُضيفت باللام فقيل : ويلٌ لزيد ، فالوجه أن تُرفَع على الابتداء . وجاز ذلك مع أنّه نكرة ، لأنّ معنى الدعاء منه مفهوم ، والمعنى : الويلُ ثابت لزيد . فالأصل فى البيت : ويلٌ لأمٍّ لذّات الشباب . قصد الشاعر إلى مدْح الشباب وحَمْد لذّاتِه بين لذّات المعاش . وقد طاعَ

---

(١) ش : « جعل الكلمتين » .

(٢) الخزانة ١ : ص ١٠٦ .

(٣) انظر له ديوان علقمة ١٣٥ والبيان ٣ : ٣٤ والحماسة ١٢٠٢ بشرح المرزوقى والسمط ٤٢٩ واللسان (نجد ، قلل) .

لصاحبه الكُثْر — وهو كثرة المال — فاجتمع الغِنَى والشبابُ له وهو سخيّ . انتهى

صاحب الشاهد وهذا البيت أوّل أبياتٍ أربعةٍ لعلْقمة بن عَبَدة . وهى ثابتة فى ديوانه . وقد اقتصر أبو تمّام فى الحماسة على البيت الأوّل والثانى ، وهو :

(وقد يَعقل القُلُّ الفَتى دُونَ همِّهِ وقد كان ، لولا القُلُّ ، طَلَّاعَ أنْجُدِ)

ونَسَبَهما لبعض بَنى أسد . ونسبهما فى مختار أشعار القبائل ، لابنه وهو خالد بن علقمة بن عَبَدة . ونسبهما بعضهم لابن ابنه ، وهو عبد الرحمن ابن علىّ بن علقمة بن عَبَدة . ونسبهما الأعلم الشنتمرىّ فى حماسته ، لحميد ابن سجار الضبيّ . وكذا هو فى حاشية الصحاح منسوب لحميد .

و (الكُثْر) بضمّ الكاف ومثله القُلّ : المال الكثير والمال القليل ؛ يقال : ماله قُلٌّ ولا كُثر . قال أبو عبيد : سمعتُ أبا زيد يقول : الكُثْر ، والكثير واحد : قال فى الصحاح : هما بالضمّ والكسر . وقوله : مع الكُثر ، فى موضع النصب صفة لمعيشة . وجملة يُعطاه الخ ، بالبناء للمفعول : حال من الكُثْر ؛ والهاء ضمير الكُثر ، وهو المفعول الثانى للعطاء . والفتى نائبُ الفاعل ، وهو مفعوله الأوّل . والمتلِفُ ، بالرفع : صفة للفتى ؛ وكذلك الندى .

٥٦٤ ورُوى : (يُعطاها) بضمير المؤنّث على أنّه عائد على المعيشة مع قَيْدها . و (الفتى) قال فى الصحاح : هو السَّخيُّ الكريم ، يقال : هو فَتًى بَيِّنُ الفتوّة ، وقد تفتّي وتفاتَى ، والجمع فِتيانٌ ، وفِتْية ، وفُتُوّ على فعول ، وفِتِيّ مثل عصىّ . و (المتلِف) : المفرّق لماله ، يقال رجل متلِفٌ لماله ومتلاف بالمبالغة . و (الندِىّ) : السخىّ ، قال فى الصحاح : وندَوت من الجود ، يقال : سَنَّ للناس الندَى فنَدَوْا بفتح الدال ، ويقال : فلان نَدِىّ الكفّ : إذا كان سَخيًّا . وقد رُوى فى ديوانه البيتُ هكذا :

(وويلٌ بلذَّات الشباب مَعيشة . . . .)(١) الخ

ورُوى أيضاً :

(فويلمّ لذّاتِ الشبابِ معيشةً)

وقوله : وقد يَعقِل القُلُّ ، مِن عقَلَه ، من باب ضرب ، إذا منعه . والقُلّ ، بالضمّ فاعل ، والفتى مفعول . وروى : (وقد يَقصُر القُلّ) مِن قصَره : إذا حَبسه ، أو من قصَرت قَيدَ البعير : إذا ضيَّقته ، من باب دخل يدخل . ورُوى أيضاً : (وقد يُقعِد القلّ) مِن أقعده : إذا منعه من القيام لحاجته . والهَمّ ، بالفتح : أول العزيمة ، قال ابن فارس : الهمّ : ما هممت به ؛ وهممت بالشئ همّا ، من باب قتل : إذا أردتَه ولم تفعله ؛ ومثله الهِمّة بالكسر وبالتاء . وقد يُطلَق على العزم القويّ ، كذا فى المصباح . ودونَ بمعنى قَبْل . وأَنجُد : جمع نُجْد ، وهو ما ارتفعَ من الأرض . قال فى الصحاح : ومنه قولهم فلان طَلّاعُ أنجد وطَلّاع الثنايا : إذا كان سامياً لمعالى الأمور .

ومعنى هذا البيتِ قد تداوله الشعراء وتصرّفوا فيه ، منهم مُسْلم بن الوليد ، فقال :

عرَف الحقوقَ وقصَّرت أموالُه عنها وضاقَ بها الغنيُّ الباخل(٢)

ومنه قول آخر(٣) :

أرى نفسى تَتوق إلى أمورٍ يقصِّر دونَ مبلَغهنّ مالى(٤)

---

(١) ش : « لذات » مع أثر تغيير .

(٢) ملحقات ديوان مسلم ٣٣٤ عن الغيث المسجم ، وليس فى صلب ديوانه .

(٣) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، كما فى عيون الأخبار ١ : ٣٤٠ والحماسة ٤٤٠ بشرح المرزوقى .

(٤) فى عيون الأخبار : « خالى » .

فلا نَفْسى تطاوعنى ببُخْل ولا مالى يبلِّغنى فَعالى

ومنه قول الآخر :

رزُقت لبًّا ولم أُرزَقْ مُروءتَه وما المروءة إلاَّ كِثْرة المالِ[1]

إذا أردتُ مُساماةً تقاعَدَ بى عمّا أحاوِل منها رِقّةُ الحالِ

وقريبٌ منه قول الآخَر :

الناسُ اثنانِ فى زمانِك ذا لو تبتغى غَير ذينِ لم تجدِ :

هذا بخيلٌ وعنـده سَعَة ، وذا جوادٌ بغير ذاتِ يدِ

وأما البيتان الأخيران من الأبيات الأربعة فهما :

(وقد أقطعُ الخَرْقَ المخوفَ به الردَى بعَنْسٍ كجفن الفارسىّ المسَرَّدِ[2]

كأنّ ذِراعيها على الخلّ بعدَ ما وَنينَ ذراعا ماتحٍ متجرِّدِ)

والخَرق ، بالفتح : الأرض الواسعة التى تنخرق فيها الرياح . والردَى نائب فاعل المخوف . والعَنْس ، بفتح العين وسكون النون : الناقة القويّة الشديدة . والخَلّ مصدر خلَّ لحمه خَلاًّ وخُلولا : أى قَلّ ونحُف ، كذا فى العباب . وقوله : ونين ، فعل ماض من الونَى بالقصر وهو الضعف والفتور والـكلال والإعياء . والماتح : الذى ينزل البئر فيملأُ الدلو ، وذلك إذا قلّ ماؤها ، وفعله ماح يميح . وأما الماتح بالمثنّاة الفوقيّة ، فهو مستقى الدَّلو . والمتجرِّد : المشمِّر ثيابَه .

٥٦٥

علقمة بن عبدة

و (عَلْقَمَة) شاعرٌ جاهلىّ ، ونسبته — كما فى الجمهرة لابن الـكلبىّ والمؤتلف والمختلف للآمدىّ — عَلْقَمة بن عَبَدة بن ناشِرة بن قيس بن عَبيد ابن ربيعة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم انتهى . وعَبَدة بفتح العين والباء ؛

(١) البيتان فى البيان ٣ : ٢٠٦ وعيون الأخبار ١ : ٢٣٩ .

(٢) كذا فى الديوان . وفى النسختين : « المفرد » .

وأما عبْدة بن الطبيب فهو بسكون الباء . كذا فى الصحاح . والعَبَدة محرَّكة بمعنى القوّة ، والسِّمَن ، والبقاء ، وصَلاءة الطِّيب ، والأَنَفَة .

قال صاحب المؤتلف والمختلف(١): عَلْقَمة فى الشعراء جماعة ليسوا ممّن أعتمد ذِكرَه ؛ ولكنْ أذكرُ عَلْقَمَةَ الفحلَ ، وعَلقمة الخَصِىَّ — وهما من رَبيعةِ الُجوعِ — فأمّا عَلقمةُ الفحلُ فهو علقمة بن عَبَدة . . . إلى آخر نسبه المذكور . ثم قال : وقيل له عَلقَمة الفحلُ ، مِن أجل رجلٍ آخر يقال له علقمة الخصِىّ . وأما عَلقمة الخَصِىّ ، فهو علقمة بن سَهْل أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيدِ مَناةَ بن تميم ؛ ذكر أبو اليقظان أنّه كان يُكنى أبا الوضّاح . قال : وكان له إسلامٌ وقدْر . وكان سببَ خِصائه أنّه أُسِر باليمن ، فهرَب فظُفِرَ به ، فهرب ثانية ، فأخِذ وخُصى . وكان شاعراً ؛ وهو القائل :

يقولُ رجالٌ مِنْ صديقٍ وصاحبٍ :	أراكَ أبا الوضّاحِ أصبحتَ ثاويا
فلا يعدَمِ البانُونَ بيتاً يكُنُّهم	ولا يعدَم الميراثَ منى المواليا
وخَفّتْ عيونُ الباكياتِ وأقبلوا	إلى مالِهمْ قد بِنْتُ عنه بماليا
حراصاً على ما كنتُ أجمعُ قبلَهم ؛	هنيئاً لهم جَمْعى وما كنتُ آلِيا اهـ

وقال غيره : إنما لُقِّب بالفحل لأنّه خَلَف على امرأة امرئ القيس لما حَكَمت له بأنّه أشعر منه . وذلك ما حكاه الأصمعىّ : أنّ امرأ القيس لمّا هرب من المنذر بن ماء السماء ، وجاوَرَ فى طيِّئ ، تزوّج امرأة منهم يقال لها أمّ جُندب . ثم إنّ علْقمة بن عبدَة نزل عنده ضيفاً وتذاكرا الشعر ، فقال امرؤ القيس : أنا أشعَرُ منك ! وقال علقمة : أنا أشعر منك ! واحتكما

(١) المؤتلف والمختلف ١٥٢ .

إلى امرأته أمّ جُندبٍ لتحكم بينهما ، فقالت : قُولاَ شِعراً تصفان فيه الخيلَ على رَوِىّ واحد . فقال امرؤ القيس :

خليلىّ مُرّا بى على أمّ جُندبٍ لنَقضىَ حاجات الفؤادِ المعذّبِ

وقال علقمة :

ذهبت مِنَ الهِجرانِ فى كلّ مَذهَبِ ولم يكُ حقّاً كلُّ هذا التجنُّبِ

ثم أنشداها جميعاً . فقالت لامرئ القيس : علقمة أشعَرُ منك ! قال : وكيف ذلك ؟ قالت : لأنّك قلت :

فللسَّوط أُلهوبٌ وللسّاق دِرَّة وللزّجْرِ مِنه وقعُ أهوجَ مِنعَبِ(١)

فجَهَدتَ فرسَك بسوطك ومَرَيْتَه بساقك ، وقال علقمة :

فأدرَكهنّ ثانياً مِن عِنانه يمرُّ كَمرِّ الرائحِ المتحلّبِ

فأدرك طريدتَه وهو ثانٍ من عنان فرسه ، لم يَضْرِبه بسوط ، ولا مَرَاه بساق ، ولا زَجَره ! قال : ما هُو بأشعرَ منّى ، ولكنّكِ له وامق ! فطلّقَها ، فخلَفَ عليها علقمة ، فسمّى بذلك ، الفحل . وقد أورد ابن حَجَر فى الإصابة ابنَه ، فى المخضرمين ، فيمن أدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم ولم يره ، قال : علىّ بن علقمة بن عبَدَة التميمىّ ، ولد علقمةَ : الشاعرِ المشهور الذى يعرف بعلقمة الفحل ، وكان من شعراء الجاهليّة من أقران امرئ القيس . ولعلّ هذا ولدٌ اسمُه عبد الرحمن ، ذكَره المرزُبانىّ فى معجم الشعراء . فيلزم مِن ذلك أن يكون أبوه من أهل هذا القسم ، لأنّ عبد الرحمن لم يدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم . انتهى

٥٦٦

* * *

---

(١) وكذا فى الديوان ١٥ واللسان (نعب) . لكن فى ش ولم يمس بتغيير : « أخرج مهذب » وهى رواية اللسان (هذب) .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثالث عشر بعد المائتين:

٢١٣ (للهِ دَرُّ أنُوشِرْوانَ مِنْ رَجُلٍ ما كانَ أعرَفَه بالدُّونِ والسِّفَلِ[1])

على أنّ قوله (مِنْ رجلٍ) تمييزٌ عن النسبة الحاصلة بالإضافة. وقد بيّنه الشارح المحقّق رحمه الله تعالى.

و(أنُوشِرْوانَ) هو أشهر ملوك الفُرْس وأحسنُهم سيرةً وأخباراً. وهو أنوشِرْوان ابن قُباد[2] ابن فيروز. وفى أيامه وُلد النبيُّ صلى الله عليه وسلم. وكان ملكاً جليلاً محبَّباً للرعايا، فتح الأمصارَ العظيمة فى الشرق، وأطاعته الملوك. وقَتَلَ مَزْدَكَ الزِّنديقَ وأصحابَه — وكان يقول بإباحة الفُروج والأموال — فعظُمَ فى عيون الناس بقتله. وبنى المبانىَ المشهورة، منها السُّور العظيم على جبل الفَتح عند باب الأبواب، ومنها الإيوانُ العظيم الباقى الذِّكر؛ وليس هو المبتدئَ ببنائه، بل ابتدأ به سابورُ، وأنُوشِرْوانَ أتمّه وأتقنَه، حتّى صار من عجائب الدنيا؛ وانشقّ لولادة النبيّ صلى الله عليه وسلم. وأخبار أنوشِروانَ مشهورة فلا نُطيل بها.

وقوله: (ما كانَ أعرَفَه) كان زائدة بين ما وفعلِ التعجّب. و(الدُّون) بمعنى الرديء، وهو صفة، ومنه ثوبٌ دُون؛ وقيل: مقلوب من الدنُوّ؛ والأدنى: الرديء. وفى القاموس أنّ الدُّون للشريف والخسيس، ضدّ. و(السِّفَل) بكسر السين وفتح الفاء: جمع سِفْلة، بكسر الأوّل وسكون الثانى، والأصل فتح الأوّل وكسر الثانى نحو كَلِمة وكِلْمة. قال صاحب القاموس وسِفْلة الناس بالكسر، وكفَرِحة: أسافلهم وغوغاؤهم؛ وسَفِلة

(١) لم أجد له مرجعاً غير الخزانة.

(٢) ويقال «قباذ» بالذال المعجمة أيضا. معجم استينجاس ٩٥١.

البعير ، كفرحة : قوائمه انتهى . والأول مستعارٌ من الثانى ؛ وأصل الأوّل كفرحة ، وقد يخفّف بحذف حركة الأوّل ونقل الكسر إليه ، كما يقال فى لَبِنة لِبْنة ؛ أو أنّ سِفْلة جمع سَفِيل ، كعِلْية جمع علىّ ؛ كذا فى الأساس . والفعل سفُل ككرم سَفالة ، بالفتح : أى نذُل نذالة . وأما السَّفَلة بالتحريك فهو جمع سافل . وقول مُكانس :

واتركْ كلام السفله والنُّكتةَ المبتَذَله[1]

يجوز أن يقرأ بفتحتين وبفتحة فكسرة . قال فى المصباح : « سفَل سُفولا ، من باب قعد ، وسفُل من باب قرُب ، لغة : صار أسفل من غيره ، فهو سافل . وسفَل فى خلقه وعمله سَفْلا ، من باب قتل ، وسَفالا ؛ والاسم السُّفل بالضم . وتسفَّل . خلافُ جاد ؛ ومنه قيل للأراذل سَفِلة ، بفتح فكسر ، وفلان من السَّفِلة . ويقال أصله سَفِلة البهيمةِ ، وهى قوائمها . ويجوز التخفيف .. والسُّفْل خلاف العُلو ، بالضمّ ، والكسرُ لغة ؛ وابنُ قتيبة يمنع الضمّ . والأسفل خلاف الأعلىٰ » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد المائتين[2] :

٢١٤ (والأكرَمينَ ، إذا ما يُنسَبُون ، أبَاَ) ٥٦٧

هذا عجُز ؛ وصدره :

(سِيرى أُمامُ فإنّ الأكثَرِينَ حَصًى)

(١) ط : « والنكبة » ، صوابه فى ش .
(٢) ديوان الحطيئة ٦ والهمع ٢ : ٩٧ .

على أنه كان الظاهر أن يقول آباء بالجمع ؛ وإنّما وحّد الأبَ لأنّهم كانوا أبناء أبٍ واحد .

وقوله : (سيرى) فعل أمر للمؤنّثة . و (أُمام) بضمّ الهمزة : منادًى مرخّم ؛ أي يا أُمامة . و (حَصًى) تمييز للأكثرين ، وكذلك (أبا) تمييز للأكرمين . ومعنى الحصى العَدَد ، وإنّما أُطلق على العدد لأنّ العرب أُمّيّون لا يقرءون ولا يعرفون الحساب ، إنّما كانوا يعدون بالحصى فأطلق الحصَى على العدَد واشتقّ منه الفعل[1] فقيل أحصيت الشىء أى عددته . و (إذا) : ظرف للأكرمين . و (يُنسَبون) بالبناء للمفعول . و (الأكرمين) معطوفٌ على اسم إنّ ، وخبرُها (قومٌ) فى البيت الذى بعده ، وهو :

(قومٌ هُمُ الأنفُ ، والأذنابُ غيرُهُمُ ومَن يُسوِّى بأنف الناقةِ الذَّنَبا
قومٌ إذا عقَدُوا عَقْداً لجارِهِم شَدُّوا العِناجَ وشدُّوا فوقَه الكَرَبا)

صاحب الشاهد

وهذه الأبياتُ من قصيدةٍ للحُطيئة يمدح بها بَغيض بن عامر بن لأْى ابن شمّاس[2] بن لأى بن أنف الناقة ، واسمه جَعفر ، بن قُرَيع (بالتصغير) ابن عَوف بن كعب بن سعد بن زيدِ مَناةَ بن تميم . ويهجو الزِّبرقان واسمه ، حُصين (بالتصغير) ابن بدر بن امرئ القيس بن خلَف [بن بَهْدَلَة[3]] ابن عوف بن كعب المذكورِ نسبُه . وإنّما لُقّب جعفرٌ بهذا ، لأنّ أباه نحر جَزوراً ، فقسّمها بين نسائه ؛ فقالت له أمُّه — وهى الشَّمُوس ، من بنى وائل ابن سعدِ هُذيم — : انطلِقْ إلى أبيك فانظُرْ هل بقى شىء من الجَزور عنده ؟

---

(١) فى النسختين : « من الفعل » .

(٢) وكذا فى طبقات ابن سلام ٩٧ لكن فى مقدمة ديوانه ٣ والأغانى ٢ : ٥٠ وجمهرة ابن حزم ٢٢٠ : « بغيض بن عامر بن شماس بن لأى بن أنف الناقة » .

(٣) التكملة من الاشتقاق ٢٠٤ والجمهرة ٢١٨ — ٢١٩ والأغانى ٢ : ٥٠ .

فأتاه فلم يجد إلاّ رأسها ، فأخذ بأنفها يجرُّه ، فقالوا : ما هذا ؟ قال : أنْف الناقة . فسمِّي أنفَ الناقة . وكان آل شمّاس فى الجاهليّة يُعيَّرون به ويغضبون منه . ولمّا مدحهم الحطيئة بهذا — وإنّما مدح منهم بَغيض بنَ عامر — صار فخراً لهم . وأراد بأنف الناقة بَغيضاً وأهلَ بيته . وأراد بالذَّنَب الزِبرقان وأهلَ بيته .

قال ابن رشيق – فى بابِ مَن رفعه الشعر ومَن وضعه ، من العُمدة[١] – : كان بنو أنف الناقة يَفرَقون من هذا الاسم ، حتَّى إنّ الرجلَ منهم كان يُسأل : ممّن هو ؟ فيقول : من بنى قُريع . فيتجاوز جعفراً أنفَ الناقة ويُلغى ذِكرَه فِراراً من هذا اللّقب . إلى أن قال الحطيئة هذا الشعر ، فصاروا يتطاولون بهذا النسب ويمُدُّون به أصواتَهم فى جهارة .

وقوله : قوم إذا عقدوا عقداً الخ ، هذا البيت من شواهد أدب الكاتب[٢] عَقَد الحبلَ والعَهد يعقده عقداً . والعناج ، بكسر المهملة والنون والجيم : حبل يُشَدّ أسفلَ الدَّلو العظيمة إذا كانت ثقيلة ثم يُشدّ إلى العَرَاقيّ فيكون عوناً لها وللوَذَم فإذا انقطعت الأوذامُ فانقلبتْ أمسكها العِناج ولم يدَعْها تسقُط فى البئر ، يقال : عَنَجْتُ الدلوَ أعنُجها عنْجاً ، من باب نصر ، والعِناج اسم ذلك الحبل ، يقال قولٌ لا عِناج له : إذا أُرسِل على غير رَوِيَّة . وإذا كانت الدلو خفيفة فعناجها خيطٌ يُشدّ فى إحدى آذانها إلى العَرقُوة . والوَذَم : السُّيور التى بين آذان الدَّلو وأطراف العراقيّ . والكَرَب ، بفتحتين : الحبل الذى يُشدّ فى وسط العَراقىّ ثم يثنَّى ويُثلَّث ليكون هو الذى يلى الماء ،

---

(١) العمدة ١ : ص ٢٥ ط : الخانجى .

(٢) أدب الكاتب ص ١٤١ سلفية والاقتضاب ٣٥١ .

فلا يمغَن الحبل الكبير . يقال : أكْرَبْت الدلوَ فهي مُكرَبة . والعَراقيّ : العُودانِ المصلّبان تُشدّ إليهما الأوذام . وأراد الحطيئة أنّهم إذا عقدوا عقداً أحكموه ووثّقوه كإحكام الدلو إذا شُدّ عليها العِناج والكرب . وليس هناك عِناج ولا كَرَب فى الحقيقة ، وإنّما هو تمثيل ومطلع هذه القصيدة :

(طافَتْ أُمامةُ بالرُّكبانِ آونة   يا حُسْنَه مِنْ قوامٍ مّا ومُنْتَقبا)

واستشهد به المراديّ فى شرح الألفيّة على أنّ مِنْ فى التمييز زائدة ، ولهذا صحّ عطف المنصوب على مجرورها . أى يا حسنَه قواماً ومنتقباً . وآونة : جمع أوانٍ ، كأزمنة جمع زَمان ، وقوله : يا حُسْنَه ، لفْظه لفظُ النداء ، ومعناه التعجب ، فيا للتنبيه لا للنداء ، والضمير مبهَم قد فسّر بالتمييز . والقَوام ، بالفتح ووهِم مَن ضبطه بالكسر : القامة ، يقال : امرأة حَسَنة القَوام أى القامة. وما : زائدة : والمُنْتقَب ، بفتح القاف : موضع النِّقاب . وبعده بأبيات :

(إنّ آمراً رهطُه بالشام مَنزِلُه   برَمْلِ يَبْرِينَ جاراً شَدّ ما اغتربا)

وأورده ابنُ هشام فى أواخر الباب الخامس من المغنى على أنّ أصله : ومنزله برمل يبرين ، فحذف حرف العطف ، وهو الواو ، وبابُه الشعر . ثم قال : « كذا قالوا ، ولك أن تقول الجملة الثانية صفة ثانية لا معطوفة » . وقوله : امْرَأً عنى الحطيئة بالمرء نفسَه . وقوله : رهطُه بالشام ، جملةٌ اسميّة صفة لاسم إنّ ، وأراد : بناحية الشام ، فإنّ الحطيئة عَبْسيّ ومنزل بنى عَبْس شَرْج والقَصِيم والجِواء[1] وهى أسافل عَدَنة[2] ، وكان الحطيئة جاور بفيض

(١) فى النسختين . « الجوى » صوابه من ياقوت والقاموس ، وهو فى مطلع معلقة عنترة . والجواء يمد ولا يقصر ، كما فى كتاب المقصور والممدود لابن ولاد ٢٦ .

(٢) عدنة : موضع بنجد فى جهة الشمال من الشربة . وفى ش : « عذبة » تحريف .

ابن شمّاس المذكور ، برمل (يَبْرين) وهى قرية كثيرة النخل والعيون بالبحرَين بحِذاء الأحساء ، لبني عوف بن سعد بن زيد مناة ، ثمّ لبنى أنف الناقة . وإعرابها بالواو رفعاً ، وبالياء نصباً وجرًّا ، وربّما التزموا الياء وجعلوا الإعراب بالحركات على النون ، ويقال أيضاً رمل أبْرين ، ولابن جنّي فيه كلامٌ جيّد نقله ياقوت فى معجم البلدان . وقوله : منزله برمل يَبرين ، جملة اسميّة ثانية ، إمّا معطوفة بالواو المحذوفة ، وإمّا صفة ثانية لاسم إنّ . وجاراً : حالٌ من المضمر المستقرّ فى قوله : برمل يبرين ، العائد على المنزل . وقوله : شدّ ما اغتربا ، منصوبٌ على التعجّب ، وما مصدريّة ، أى ما أشدّ اغترابَه ، والجملة خبر اسم إنّ . ومثله قول جَرير :

فقلت للرَكْبِ إذْ جدّ المسيرُ بنا ما بُعْدُ يبرينَ مِن باب الفراديسِ[١]

وبابُ الفَراديس من أبواب الشام . وإنّما بسطتُ شرحَ هذا البيت ، لأنّه وقع فى مغْنى اللبيب ولم يشرحْه أحدٌ من شُرّاحه بشيء .

وسبب مَدْحِ الحطيئة بَغيضاً وهجوِ الزِبْرقان ، هو ما ذكره الأصبهانىّ فى الأغانى[٢] أنّ الزبرقان قدِم على عُمر ، رضى الله عنه ، فى سنةٍ مجدبةٍ ليؤدّى صدَقاتِ قومه ، فلقيه الحطيئة بقَرقَرى ، ومعه ابناه أوسٌ وسوادةُ ، وبناته وامرأته ، فقال له الزبرقان — وقد عرَفه ، ولم يعرِفه الحطيئة — : أين تريد ؟ فقال : العراقَ ، فقد حطمتنا هذه السنة ! قال : وتصنع ماذا ؟ قال : وددت أن أصادِف بها رجلاً يكفيني مؤنةَ عيالى وأُصفيه مدائحى ! فقال له الزبرقان : قد أصبْتَه ، فهل لك فيه يُوسعك تمراً ولبَناً ، ويجاورُك أحسنَ جِوار ، قال :

(١) فى النسختين : « للركب أوجد » ، وأصلحها الشنقيطى بما أثبت من الديوان ٣٢٢ .
(٢) الأغانى ٢ : ٥٠ .

هذا وَأبيك العيشُ ، وما كنت أرجو هذا كلَّه ! عِنْدَ مَنْ؟[1] قال: عندى . قال : ومَن أنت ؟ قال : الزبرقان . فسيّره إلى أمه — وهى عمّة الفرزدق — وكتب إليها : أنْ أحسِنى إليه وأكثرى له من التمر واللبن . وقال آخَرون : بل سيَّره إلى زوجته هُنَيدة[2] بنت صَعْصَعة المجاشِعيّة ، فأكرمَتْه وأحسنتْ إليه ؛ فبلغ ذلك بَغيض بن عامر ، من بنى أنف الناقة ، وكان يُنازِع الزبرقانَ الشرف ، وكان الحطيئةُ دَميماً سيء الخُلُق فهان أمرُه عليها وقصَّرتْ به ؛ فأرسل إليه بَغيضٌ وإخوته : أن ائتنا . فأبَى وقال : شأن النساءِ التقصيرُ والغفلة ، ولستُ بالذى أحمِل على صاحبها ذَنْبها ! وألحّوا عليه فقال : إنْ تُرِكتُ وجُفيت تحوَّلت إليكم . وأطمَعُوه ووعدوه وعداً عظيماً ، فدسُّوا إلى زوجة الزبرِقان أنّ الزبرقان يُريد أن يتزوَّج ابنته مُليكة — وكانت جميلةً — فظهر منها جَفوَة . وألحّوا عليه فى الطلب فارتحل إليهم ، فضربوا له قُبّة ، وربطوا بكلِّ طُنُب من أطنابها حُلّة هَجَرِيّة[3] وأراحوا عليه [إبِلَهُمْ[4]] وأكثروا عليه التمرَ واللبن . فلمّا قدِم الزبرقانُ سأل عنه ، فأُخبِر بقصّته ، فنادىٰ فى بنى بَهدلة بن عوف وركب فرسَه وأخذ رمحه ، وسار حتّى وقف على القُريعيِّين ، وقال : ردُّوا علىّ جارى ! قالوا ما هو لك بجارٍ ، وقد اطّرحتَه وضيّعته ! وكاد أن يقع بين الحيَّين حرب . فاجتمع أهل الحِجا ، وخيَّروا الحطيئة ، فاختار بَغيضاً ، وجعل يمدح القُريعيِّين من غير أن يهجوَ الزبرقان — وهم يحرِّضونه

٥٦٩

---

(١) فى الأغانى بعد كلمة « كله » : « قال : فقد أصبته . قال : عند من » .

(٢) كذا فى الأغانى فى غير ما موضع . وفى النسختين : « عبيدة » . وانظر العقد ٢ : ١٩٦ وثمار القلوب ٢٣٦ حيث ذكرا أن هنيدة هذه زوج الزبرقان بن بدر وعمة الفرزدق . وكانت تلقب « ذات الخمار » .

(٣) استظهر مصححو الأغانى ٢ : ١٨٢ أنها « حلة هجرية » بالجيم .

(٤) التكملة من الأغانى .

على ذلك وهو يأبى — حتى أرسل الزبرقان إلى رجلٍ من النمِر بن قاسط ، يقال له دِثار بن شيبان ، فهجا بغيضاً وفضّل الزبرقان ، فقال من جملة أبيات :

وَجدنا بيت بَهْدَلَةَ بنِ عوفٍ تعالَى سَمْكُه ودَجَا(١) الفِناء
وما أضحى لشَمَّاسِ بن لَايٍ قديمٌ فى الفَعال ولا رِباء
سِوى أنّ الحطيئةَ قال قولا فهذا مِنْ مقالته جَزاء

ولما سمع الحطيئةُ هذا ، ناضل عن بَغيضٍ وهجا الزبرقان ، فى عدة قصائد ، منها قوله :

والله ما معشرٌ لاموا امرأً جُنُباً من آلِ لَأْى بن شمّاس بأكياسِ
ما كان ذَنْبُ بغيضٍ ، لا أبا لكمُ ! فى بائسٍ جاء يحدُو آخِرَ النّاس
لَقد مَرَيْتُكمُ لو أنّ دِرَّتَكمْ يوماً يجيءُ بها مَسْحِى وإبْساسى
فما مَلكتُ .. بأنْ كانت نفوسُكمُ كَفَارِكٍ كَرِهتْ ثَوبى وإلْباسى
حتى إذا ما بَدَا لى غَيبُ أنفسِكمْ ولم يكنْ لِجرَاحِى فيكمُ آسى
أزمعتُ يأساً مُبيناً من نَوالِكمُ ولَن تَرى طارداً للحُرِّ كاليأس(٢)
ما كان ذَنبُ بغيضٍ أنْ رأى رجلاً ذا فَاقةٍ عاشَ فى مُستوعِرٍ شاسِ
جاراً لِقَومٍ أطالُوا هُونَ مَنْزِلِه وغادَروه مُقيماً بين أرْماس
مَلُّوا قِرَاهُ وهَرَّتْهُ كِلابُهمُ وجَرَّحُوهُ بأنيابٍ وأضْراسِ
دعِ المكارمَ لا تَرْحَلْ لِبُغيتِها واقعُدْ فإنّك أنتَ الطّاعمُ الكاسى
مَن يفعلِ الخيرَ لا يَعْدَم جَوازِيَه لا يَذهَبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والناسِ
ما كان ذنبيَ أنْ فَلّتْ مَعاوِلَكمْ مِن آل لَأْى صَفَاةٌ أصلُها راسى

٥٧٠

(١) دجا : اتسع وامتلأ بأهله ، ومنه دجا الإسلام أى انتشر . ط : «دحى الفناء» ش : « دحى الفناء » وفى الأغانى : «ودحا الفناء» .
(٢) ط : « كالياسى » صوابه فى ش والأغانى . والياس : اليأس .

قد ناضَلوكَ فسلُّوا مِن كِنانَتِهم مجداً تليداً ونَبلاً غيرَ أنْكاسِ

والجُنُب بضمّ الجيم والنون : الغريب . والبائس هنا الحطيئة ، وهو الذى لقى بؤساً وشدّةً من الفقر ، يقال(١) : أصابت الناسَ سنةٌ شديدة ، وكان الحطيئة فيمن انحدرَ مع الناس ، فلم يكن به مِن القوّة أن يكون فى أوّل الناس . وقوله : لقد مَرَيتُكم الخ ، أى طلبتُ ماعندكم ؛ وأصله من مَرَيت الناقة ، هو أن يمسَح ضرعَها لتدِرّ . والدِّرّة بالكسر : اللّبَن . والإبْساس : صوتٌ تُسكَّن به الناقةُ عند الحلب ، يقول : بَسْ بَسْ . وقوله : فما ملكتُ بأن كانت الخ ، يقول : لم أملك بُغضكم فأجعله حُبًّا . والفارك : المرأة المُبغضة لزوجها . وقوله : كرِهَتْ ثوبى ، أى كرِهتْ أنْ تدخل معى فى ثوبى وأن تُدخلَنى فى ثوبها(٢) . وقوله : حتّى إذا ما بدا لى الخ ، أى بدا لى ما كان غائباً فى أنفسكم من البِغْضة . ولم يكنْ فيكم مصلحٌ لما بى من الفَساد وسوء الحال . والآسى : المداوِى . وقوله : أزمعتُ يأسًا الخ ، هو من أبيات مغنى اللبيب ، أورده على أنّ بعضهم قال مِنْ متعلِّقة بيأسًا ، والصواب أنّ تعلُّقها بيَئِسْتُ محذوفة ، لأنّ المصدر لا يوصَف قبل أن يأتى معمولُه . والإزماع : تصميم العزم . والمستوعَرُ : المكان الوَعْر . والشأس : المكان المرتفع الغليظ . والهُون بالضمّ : المذلة . وغادروه : أى تركوه كالميّت بين أموات القبور . وقوله ما كان ذنبى الخ ، فَلّتْ بالفاء : ثَلمت ، والفُلول : الثَّلَم . والصَّفاة ، بالفتح : الصخرة الملساء . أى أردتموهم بسوء فلم تعمَل فيه معاولُكم . يقول : ما كان ذنبى ! فإنّى مدحت هؤلاء لأنّهم أشرفُ منكم ولهم مجدٌ راسٍ لا تُطيقون إزالَته . وقوله : قد ناضلوك الخ ، النِّكس ، بالكسر : السَّهم يُقلَب فيجعل أسفلُه أعلاه إذا

(١) فى النسختين : « يقول » .

(٢) ط : « وأن تدخلنى فى ثوبى » ، صوابه فى ش .

انكسر طَرفه . والمناضلة : المفاخرة . وأراد بالمجد القديم النَّواصىَ ؛ وكانت العرب إذا أنعمتْ على الرجل الشريف المأسور جَزُّوا ناصيتَه وأطلَقوه ، فتكون الناصية عند الرجل يفخَر بها . وقوله : دَعِ المكارم الخ ، أورده الفرَّاء فى معانى القرآن فى سورة هود ، على أنّ الكاسى بمعنى المكسوّ ، كما أنّ العاصم فى قوله تعالى : (لا عاصِمَ اليَوْمَ[1]) بمعنى المعصوم . قال : ولا تنكرنّ أن يخرج المفعول على فاعل ، ألا ترى أن قوله (مِنْ ماءٍ دَافِقٍ[2]) بمعنى مدفوق ، و (عيشة راضية[3]) بمعنى مرْضيّة ؛ يستدلّ على ذلك بأنّك تقول : رُضِيَتْ هذه المعيشة ، ودُفِقَ الماء ، وكُسِىَ العُريان ، بالبناء للمفعول ، ولا تقول ذلك بالبناء للفاعل .

٥٧١

ولما بلغ الزبْرقان هذا البيتُ استعدىْ عليه عمرَ بنَ الخطّاب ، رضى الله عنه ، فقال : ما أُراه هَجاك ، ولكنّه مَدَحَك . فقال : سلْ حسّانَ بن ثابت . فسأله ؛ فقال حسّان : هَجاه وسَلَح عليه ! فحبسه عمر ؛ فقال وهو فى الحَبْس :

ماذا تَقولُ لأفراخٍ بذى مَرَخٍ ... حُمْرِ الحواصلِ لا ماء ولا شَجَرُ
ألقيتَ كاسِبَهم فى قَعْرِ مُظلمةٍ ... فاغفرْ ، عليكَ سلامُ اللهِ يا عمرُ

(ذو مَرَخ : اسم مكان[4]؛ وأراد بالأفراخ أطفالَه الصغار . وحُمر الحواصل ، يعنى لا ريشَ لها) وتكلّم فيه عَمرو بن العاص ؛ فأخرجَه عمر ، فقال : إيّاكَ وهجاء الناس ! قال : إذاً يموت عيالى جوعاً ! هذا مكسبى ومنه مَعاشى !

---

(١) الآية ٤٣ من سورة هود .
(٢) الآية ٦ من سورة الطارق .
(٣) الآية ٢١ من سورة الحاقة و ٧ من القارعة .
(٤) هو واد بين فدك والوابشية ، كما فى معجم البلدان .

وعنْ زَيد بن أسلمَ(١) عنْ أبيه قال : أرسل عمرُ إلى الحطيئة — وأنا عنده ؛ وقد كلّمه عمرو بن العاص وغيرُه فأخرجه من السجن — فأنشده :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذى مَرَخ

فبكىٰ عمرُ ثمّ قال : علىَّ بالكرسىّ ؛ فجلس عليه ، وقال : أشيروا علىَّ فى الشاعرِ ، فإنّه يقول الهجْوَ ويشبِّب بالنساء وينسب بما ليس فيهم(٢) ويذمُّهم ، ما أُرانى إلاّ قاطعاً لسانه ! ثم قال : علىَّ بطَسْتٍ ؛ ثمَّ قال : علىَّ بالمِخصَف ، علىَّ بالسكِّين ، بل علىَّ بالموسىٰ ! فقالوا : لا يعودُ يا أميرَ المؤمنين ؛ وأشاروا عليه أنْ قُلْ : لا أعودُ . فقال : لا أعود يا أمير المؤمنين .

وروىٰ عبدُ الله بن المبارَك : أنّ عُمر رضى الله عنه لمّا أطلق الحطيئةَ أراد أن يؤكّد عليه الحُجّة ، فاشترى منه أعراضَ المسلِمينَ جميعاً بثلاثة آلافِ درهم . فقال الحطيئة فى ذلك :

وأخذتَ أطرافَ الكلامِ فلم تَدَعْ شتماً يضرُّ ولا مديحاً يَنفعُ
وحَميتنى عِرضَ اللئيم فلَم يَخفْ منِّي وأصبحَ آمناً لا يفزَعُ(٣)

وقد ترجمنا الحطيئة فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة(٤).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامسَ عشَرَ بعد المائتين(٥) :

٢١٥ (فَاصْدَعْ بأمرِكَ ماعَلَيْكَ غَضَاضةٌ وَأبشِرْ بذاكَ وقَرَّ مِنْهُ عُيُونَا)

---

(١) زَيد بن أسلَم العدوى مولى عمر ، روى عن أبيه وابن عمر وأبى هريرة وأنَس . توفى سنة ١٣٦ . تهذيب التهذيب . ط : يزيد بن أسلم وكذا فى الأغانى ٢ : ٥٣ . تحريف .

(٢) فى الأغانى : « وينسب بالحرم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم » .

(٣) فى الأغانى ٢ : ٥٤ : « فلم يخف ذمى » .

(٤) الخزانة ٢ : ص ٤٠٦

(٥) شرح شواهد المغنى ٢٣٥ عرضا . وليس فى ديوان أبى طالب .

على أنَّه يجوز جمعُ المثنّي في التمييز إذا لم يُلبس : إذا كان الظاهر أن يقال : وقَرَّ منه عَينين أو عيناً . لكنَّه جمع لعدَم اللَبْس ، ولأنَّ أقل الجمع اثنانِ على رأى .

٥٧٢ وهذا البيت أحد أبياتٍ خمسة لأبى طالب عمِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم . وهى :

(واللهِ لنْ يَصِلوا إليكَ بجَمْعِهِم حتَّي أُوَسَّدَ فى الترابِ دَفِينا
فاصْدَعْ بأمْرِكَ ، ما عليكَ غَضاضةٌ وأبشِرْ بذاكَ وقَرَّ مِنه عُيونا
ودَعَوتَنِي وزعمتَ أنَّكَ ناصحٌ ولقَدْ صدَقتَ وكنتَ ثَمّ أمِينا
وعَرَضتَ دِيناً لا مَحالة أنَّه مِن خيرِ أديانِ البَرِيَّة دِينا
لولا المَلامةُ أو حِذارُ مَسَبَّةٍ لوَجَدْتَنِي سَمحاً بذاكَ مُبينا)

قال السُّيُوطىّ فى شرح شواهد المغنى : أخرج ابنُ إسحاقَ ، والبَيْهَقىُّ فى الدلائل ، عن يعقوبَ بنِ عُتبة بن المُغيرة بن الأخنَس : أنّ قريشاً أتت أبا طالب فكلّمتْه فى النبى صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه ، فقال له : يا ابن أخى ، إنّ قومَك قد جاءونى فقالوا كذا وكذا ، فأبقِ علىَّ وعلىٰ نفسِك ولا تحمِّلنى مِن الأمْر ما لا أطيقُ أنا ولا أنت ، فاكفُفْ عن قومك ما يَكرهون من قولك . فظنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قد بَدَا لعمِّه فيه وأنه خاذِلُه ، فقال : ياعمِّ ، لو وُضعت الشمسُ فى يمينى والقمر فى يسارى ، ما تركتُ هذا الأمرَ حتّي يُظهِرَه الله أو أَهلِكَ فى طلَبه ؟ ثم استَعْبَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكىٰ ؛ فلما ولّى قال له — حينَ رأىٰ ما بلغَ من الأمر برسول الله صلى الله عليه وسلم — : يا ابن أخى امضِ على أمرِكَ وافعلْ ما أحببت ،

فوالله لا أُسلِمُك لشيءٍ أبدا . وقال أبو طالب في ذلك هذه الأبيات[1] انتهى.

وقد أنشد الزمخشريُّ هذه الأبيات عند قوله تعالى (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ[2]) من سورة الأنعام بناء على القول بأنّها نزلت في أبي طالب .

وقوله : والله لن يَصِلوا إليك الخ ، أنشدَ هذا البيتَ ابنُ هشامٍ في المغنى على أنّ القَسمَ قد يُلقَى بلن نادراً . ونازَعه الدمامينيّ في الحاشية الهندية ، بأنّه يحتمِل أن يكون ممّا حذِف فيه الجوابُ لدلالة ما بعده عليه ، تقديره : والله إنك لآمنٌ على نفسِك ، فيكون قوله : لن يَصِلوا إليك الخ ، جملةً مستأنفة لا جوابَ القسمِ . وأُوَسَّد ، بالبناء للمفعول : مِن وسَّدته الشيء : إذا جعلتَه تحتَ رأسِه وسادة . ودَفينا : حالٌ من ضمير أوسَّد بمعنى مدفون . وقوله : فاصْدَعْ بأمْرك الخ ، يقال : صدَعت بالحقّ إذا تكلّمت به جِهاراً . وقيل في قوله تعالىٰ (فاصْدَعْ بما تؤمَر[3]) أى شُقّ جماعاتِهمْ بالتوحيد ، وقيل : افرُق بذلك بين الحقّ والباطل ، وقيل : أظهِرْ ذلك . وهو مأخوذٌ من قولهم : صدَعت القومَ صدعاً فتصدّعوا : أى فرّقتهم فتفرّقوا . وأصل الصَّدْع الشقّ . وروى (فانفذ بأمرك) . والغَضَاضة ، قال في الصحاح : يقال ليسَ عليك في هذا الأمر غَضاضة أى ذِلّة ومنقَصة . وفي المصباح : غضّ الرجل صوتَه وطرفه ، ومِن طرْفه وصوته غضًّا ، من باب قتل : خَفَض ؛ ومنه يقال غضّ

---

(١) الخبر عند السيوطى ٢٣٥ . وقد عمل البغدادى هنا على أن يقارب في الألفاظ بين ما كتبه السيوطى ، وما هو عند ابن إسحاق في السيرة ١٦٨ . وأما الأبيات فقد أغفلها ابن اسحاق ، والثانى عند السيوطى هكذا :

فامض لأمرك ما عليك غضاضة ... أبشر وقر بذاك منه عيونا

وفي السيوطى في البيت الثالث « قبل » موضع « ثم » ، وفى الرابع : « قد عرفت » بدل « لا محالة » وفى الخامس « سبة » مكان « مسبة » .

(٢) الآية ٢٦ من سورة الأنعام .

(٣) الآية ٩٤ من سورة الحجر .

من فلان غَضاً وغَضاضة : إذا تنقّصه . وقوله : وأَبشر بذاك ، أى بعدم وُصولهم إليك ، أو بظهور أمرك ، أو بانتفاءِ الغضاضة عنك ، أو بالمجموع ؟ ويكون ذاك إشارةً إلى ما ذُكر . وابشَر ، بفتح الشين ، لأنّه يقال بَشِرَ بكذا يَبْشَر ، مثل فرح يفرح وزناً ومعنى ، وهو الاستبشار أيضاً ، والمصدر البُشور ، ويتعدّى بالحركة فيقال بشَرته أَبْشُره ، من باب قتل ، فى لغة تِهامةَ وما والاها ؛ والاسم منه البُشْر بضمّ الباء ، والتعديَة بالتثقيل لغةُ عامّةِ العرب ، كذا فى المصباح[1] . وقوله: وقَرّ منه عيوناً : أى مِن أجله . قال الطِّيبيّ : « وإنما جمع العين ، لأنّ المرادَ عيون المسلمين ، لأنّ قرّة عينِه عليه الصلاة والسلام قرّةٌ لأعيُنهم » . وهذا المعنى صحيح ، إلاّ أنّ اللفظ لا يساعد . وهو تمييز محوَّل عن الفاعل . قال ثعلبُ فى فصيحه : وقرِرْت به عيناً أقَرُّ بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المستقبل ؛ وقرَرْتُ فى المكان أقِرّ ، بفتحها فى الماضى وكسرها فى المستقبل ؛ ومصدر الأوّل القُرّ والقُرور بضمّ أولهما ؛ ومصدر الثانى القَرار والقَرّ بفتحهما . قال شارحه أبو سَهل الهَرَوىّ : قولهم : أقَرّ اللهُ عينَك ، معناه لا أبكاك اللهُ فتسخنَ بالدمع عينُك ؛ فكأنّه قال : سرّك الله ؛ ويجوز أن يكون صادفتَ ما يرضيك لتقِرّ عينُك من النظر إلى غيره . وأما قول بعضهم : معناه بَرّد اللهُ دَمعتَها ، لأنّ دمعة السُّرور باردة ودَمعة الحزن حارّة فإنّه خطأ ، لأنّ الدمع كلّه حارّ . . وقوله : ودعوتَني ، أى إلى الإيمان . وزعمتَ : أى قُلت ؛ فإنَّ الزعمَ أحد معانيه القول ؛ ورُوى بدلَه . (وعلمتُ) فهو بضمّ التاء . وثَمّ بفتح الثاء إشارة إلى مقام القول

---

(١) اعتمد البغدادى على ما فى المصباح ، والحق أن ذلك غير متعين ، فى القاموس « وبشرت به ، كعلم وضرب : سررت » . كما يصح أن تكون أمرا من أبشر إبشاراً ، مطاوع بشره بالتخفيف ، كما فى قوله تعالى : « وأبشروا بالجنة » ، وحذفت همزة القطع للضرورة ، لتوافق الرواية الثانية فى البيت التى أوردتها فى حواشى الصفحة السابقة .

والنصح أو الدّعوة ، وروى بدله : (قبْلُ) بضمّ اللام : أى قبلَ هذا . وقوله : وعَرّضت الخ ، مِن زائدة على رأى مَن يقول بزيادتها فى الإثبات ، أوتبعيضيّة : أى من بعض الأديان الفاضلة . وديناً الثانى ، إمّا تمييز وإمّا تأكيد للأوّل . وقوله : لولا المَلامة ، أى لولا ملامة الكُفّار لى والحِذار ، بالكسر : المحاذَرة . وسَمْحاً : منقاداً . ومُبيناً : مظهِراً ، من الإبانة وهى ضدّ الإخفاء .

وترجمة أبى طالب تقدّمت فى الشاهد الحادى والتسعين[1]

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد ، السادس عشر بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٢١٦ (ثلاثُونَ للهَجْرِ حَوْلاً كَميلاَ)

وهذا عجزٌ وصدره :

(على أنّني بعدَ ما قدْ مَضَى)

على أنّه فصل بالمجرور ضرورةً بين التمييز وهو (حَولاً) وبين المميَّز وهو (ثلاثون) .　　٥٧٤

وأنشده سيبويه فى باب كَمْ ، مع بيت بعده ، وهو :

(يذَكِّرُنيكِ حَنينُ العَجُولِ　　ونَوحُ الحَمامةِ تدعو هَديلا)

قال الأعلَم فى شرح أبياته : الشاهد فى فصله بينَ الثلاثين والحَول بالمجرور

---

(١) الخزانة ٢ : ص ٧٥

(٢) فى كتابه ١ : ٢٩٠ . وانظر مجالس ثعلب ٤٩٢ والإنصاف ٣٠٨ وابن يعيش ٤ : ١٣٠ والعينى ٤ : ٤٨٩ والهمع ١ : ٢٥٤ وشرح شواهد المغنى ٣٠٧ والأشمونى ٤ : ٧١ .

ضرورة . فجعلَ سِيبَوَيه هذا تقويةً لما يجوز فى كَمْ من الفصْلِ عوضاً لما مُنِعتْه من التصرُّف فى الكلام بالتقديم والتأخير ، لتضمُّنها معنى الاستفهام والتصدُّر بها لذلك . والثلاثون ونحوها من العدد لا تمتنع من التقديم والتأخير لأنها لم تتضمَّن معنًي يجبُ لها به التصدُّر ، فعملتْ فى المميَّز متّصلاً بها على ما يجب فى التمييز . انتهى

وقوله : على أنّني ، متعلّق بما قبله من الأبيات ، لا بقوله يذكّرنيك ، كما زعمه شارحُ شواهد المغنى ، فإنّ يذكرنيك خبر أنّني . و (الحوْل) : العام ، وقال صاحب المصباح : حال حَوْلاً ، من باب قال : إذا مضىٰ ؛ ومنه قيل للعام حَول وإنْ لم يَمض ، لأنّه سيكون حولاً ، تسميةً بالمصدر ؛ والجمع أحوال . و (الكَميل) : الكامل . و (ثلاثون) فاعل مضىٰ . والذِّكْر متعدٍّ لمفعول واحد ، يقال ذكَرته بلسانى وبقلبي ؛ والاسم ذُكْر بالضمّ والكسر ، نصّ عليه جماعةٌ منهم أبو عُبيدة وابن قُتيبة ؛ وأنكر الفرّاء الكسرَ فى القلب وقال : اجعلْنى على ذُكْرٍ منك بالضمّ لا غير . ويتعدَّى إلى مفعولين بالألف والتضعيف كما هنا ، فإنّ الياء مفعول أوّل والكاف مفعول ثان . وحنينُ فاعلُه . ونَوْحُ معطوف عليه . والحنين : ترجيع الناقة صوتَها إثرَ وَلَدِها ؛ هذا أصله ، ومنه معنى الاشتياق . والمَعجول من الإبل : الوالهُ التى فقدت ولدَها بذبحٍ أو مَوت أو هِبَة ؛ وقيل الناقة التى ألقت ولدَها قبل أن يتمّ بشهر أو بشهرين . ونَوح الحَمامة : صوتٌ تستقبل به صاحِبَها ؛ لأنّ أصلَ النَّوح المقابلة[1] ؛ وجملة تدعو حال مِن الحمامة . والهَديل ، قال ابن قُتيبة فى أدب الكاتب : العرب تجعله مرّةً فرخاً تزعم الأعراب أنّه كانَ على عهد نوحٍ

(١) ط : « التقابل » .

عليه السلام ، فصاده جارحٌ من جوارح الطير ، قالوا : فليس مِن حمامة إلاّ وهى تبكى عليه . ومرّةً يجعلونه الطائرَ نفسَه . ومرّةً يجعلونه الصوت انتهى فعلى الأوّل هو مفعول تدعو بمعنى تبكيه وتَرثيه ، وكذلك على الثانى ، بمعنى تطلبه ليسافِدها ، لأنّه بمعنى الذَّكَر . قال فى العباب : الهديل : الذَّكَر من الحمام ، وقيل الحمام الوحشىّ كالقَمارىّ والدَّباسىّ . وعلى الثالث مفعول مطلق ، وناصِبُه إمّا تدعو بمعنى تَهْدِل ، وإمّا فعلٌ مقدَّر من لفظه ، أى تَهدِل هديلاً . قال فى العباب : والهديل : صوت الحمام ، يقال هدَل الحمامُ يهدِل هَديلاً مثل هدَر يهدِر هديراً . وقال الجاحظ[1] : يقال فى الحمام الوحشىّ من القَمارىّ والفَواخِت والدَبَاسىّ وما أشبه ذلك : هدل يهدِل هديلاً ويقال هدر الحمام يهدر . وقال أبو زيد : الجمل يهدر ولا يقال باللام[2] . ولا يجوز على هذا أن ينتصب هديلاً على الحال من ضمير تدعو ، لأنّ مجىء المصدر حالاً سماعىٌ ، ولا ضرورة هنا تدعو إليه .

ومعنى البيتين : لم أنس عهدَكِ على بعده ، وكلّما حنّتْ عَجولٌ أو صاحتْ حَمامةٌ رَقّتْ نفسى فذكرتُكِ .

وهما من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يُعرف لها قائل . ونقل العَينىّ عن الموعب ، أنّهما للعبّاس بن مِرْداس الصحابىّ والله أعلم — وتقدّمت ترجمة العبّاس فى الشاهد السابع عشر[3] — وكذا رأيته أنا فى شرح ابن يسعون على شواهد الإيضاح لأبى علىّ الفارسىّ ، منسوباً إلى العبّاس بن مرداس .

* * *

(١) فى الحيوان ٣ : ٢٤٣ .

(٢) الذى فى الحيوان : « وأما أصحابنا فيقولون : إن الجمل يهدر ولا يكون باللام ، والحمام يهدل وربما سكن الراء » . وانظر شرح شواهد المغنى .

(٣) الخزانة ١ : ص ١٥٢

٥٧٥

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد المائتين ، وهو من شواهد س[1] :

٢١٧ (تقولُ ابنَتى حِين جَدَّ الرحيـــلُ أبرَحْتَ رَبًّا وأبرَحْتَ جارا)

على أن (ربًّا) و (جاراً) تمييزان . قال ابن السرّاج فى الأصول : وأمّا الذى ينتصب انتصابَ الاسم بعد المقادير ، فقوله : ويحَهُ رجلاً ، ولله دَرُّه رجلاً ، وحَسْبُك به رجلاً ؛ قال عبّاس بن مرداس :

ومُرَّةُ يحْمَهُمْ إذا ما تبدَّدوا ويَطعُنهمْ شَزْراً فأبرحْتَ فارسا[2]

قال سيبويه : كأنّه قال : فكَفَى بك فارساً ، وإنما يريد كَفَيْتَ فارساً ؛ ودخلت هذه الباء توكيداً . ومنه قول الأعشى :

فأبْرَحْتَ رَبًّا وأبرَحْتَ جاراً .... انتهى

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ، مدح بها قيسَ بن مَعْد يكربَ الكِنْدىّ وكان الأعشى مدَحه بقصيدةٍ داليّة ، فقال له قيس : إنّك تَسرق الشعر ؛ فقال له الأعشى : قيِّدنى فى بيتٍ حتّى أقول لك شعراً . فحبسه وقيّده . فقال عند ذلك هذه القصيدة . وزعم ابن قُتَيْبة أنّ القائل له إنّما هو النعمان بن المنذر وهذا غير صحيح ، بدليل قوله فيها :

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٩٩ . وانظر ديوان الأعشى ٣٧ ونوادر أبى زيد ٥٥ والتصريح ١ : ٣٩٩ .

(٢) كذا فى ط ، ش ، وحورها الشنقيطى إلى « يحميهم » مطابقا بذلك ما فى سيبويه والأصمعيات ٢٠٦ . على أن « يحمهم » فيه إسكان آخر المضارع المرفوع ، وورد مثله فى قول امرئ القيس :

فاليوم أشرب غير مستحقب إثما من الله ولا واغل

أبيات الشاهد

(إلى المرءِ قيس نُطيل السُرىٰ ونَطوى مِن الأرض تِيهاً قِفارا)

ومطلع هذه القصيدة :

(أأزْمَعْتَ مِن آل ليلىٰ ابتكارا وشطَّتْ على ذى هوًى أن تُزارا)

إلى أن قال بعد ثلاثة أبيات[1] :

(وشَوقٍ عَلوقٍ تناسيتُه بزَيّافةٍ تستخفُّ الضِّفارا[2]

بَقيّةُ خَمْسٍ مِن الراسما تِ بيضٍ تُشَبَّهُهن الصُوارا

دُفعن إلى اثنَين عند الخُصُوصِ وقد حَبَسا بينهنَّ الإصارا

فهذا يُعِدُّ لهنَّ الخَلا وينقُلُ ذا بينهنَّ الحِضَارا

فكانتْ بقيّتهنَّ التى تَروقُ العُيونَ وتَقضى السِفارا[3]

فأبقىٰ رواحى وسيرُ الغُدوّ منها ذُؤابَ جِداءٍ صِغارا[4]

أقول لها حينَ جدَّ الرحيـلُ أبرحْت جدًّا وأبرحتِ جَارا

إلى المرءِ قيس نُطيل السُرىٰ ونَطوى من الأرض تِيهاً قِفارا[5]

فلا تشتكِنَّ إلىَّ السِفارَ وطولَ العَنا واجعَليه اصطبارا

رَواح العشيِّ وسَير الغُدوِّ يدَ الدهرِ حتّى تلاقى الخِيارا

تُلاقِينَ قيساً وأشياعَه يُسَعِّرُ للحرب ناراً فَنارا)

٥٧٦

قوله : وشوقٍ عَلوق ، أى ربَّ شوق ، وهو مضاف إلى عَلوق . والعَلوق بفتح المهملة : الناقة التى تُعطَّف على غير ولدها فلا تَرْأمه وإنَّما تشمُّه بأنفها

---

(١) الحق أنه بعد ستة عشر بيتا من أول القصيدة . انظر الديوان ٣٤ — ٣٧ .

(٢) فى الديوان : « بجوالة » .

(٣) فى الديوان : « فكانت سريتهن » .

(٤) فى الديوان : « ذوات حذاء » .

(٥) لم يرد هذا البيت فى ديوانه .

وتمنع لبنَها . والعلوق أيضاً من النِّساء : التى لا تحبُّ غير زوجها ، ومن النوق : التى لا تألف الفحل ولا ترأم الولد . والزَّيَّافة : الناقة المسرعة ، وقيل المتبخترة ، من زاف يزِيف زَيفا : إذا تبختر فى مِشيته . والضُّفار : جمع ضَفْرة وضَفيره ، بالضاد المعجمة والفاء ، وهى البطان المعرَّض ؛ والبِطان بالكسر هو للقَتَب الحزامُ الذى يُجْعل تحتَ بطن البعير ، وهو بمنزلة التصدير للرحل : وقوله : بقيَّة خمس ، أى تلك الزيَّافة بقيَّة نوقٍ خمس . والراسمات ، من الرَّسيم وهو ضربٌ من سير الإبل السَّريع ، وقد رسَم يرسُم رسيًا . وبِيض : جمع بيضاء أى كريمة . والصِّوار ، بضمّ الصاد وكسرها : القطيع من بقر الوحش ؛ والجمع صِيران . وقوله : دفعن إلى اثنين الخ ، أى دفع قرينه[1] تلك النوقَ الخمس إلى رَجلين عند الخُصوص ، وهو موضع قُرْبَ الكُوفة . والإصار بكسر الهمزة ، قال الصَّغانىّ فى العباب : والإصار والأيصر : حبلٌ قصير يُشَدُّ به فى أسفل الخباء إلى وَتِد ؛ وكلُّ حَبْس يُحبس به شىء أو يُشَد به فهو إصار ، قال الأعشى يصف النوق . . وأنشَد هذا البيت . وقوله : فهذا يُعِدّ : أى يهيء . والخَلا ، بفتح الخاء المعجمة : الحشيش الرَّطْب . والحَضار ، بفتح المهملة وكسرها وبعدها ضاد معجمة : الكرائم من الإبل ، كالهِجان : واحده وجمعُه سواء . وقوله : فكانت أى تلك الزيَّافة . والسِّفار ، بالكسر : المسافَرة والسَّفَر ، وهما قطع المسافة . وقوله : فأبقى رَواحى الخ ، الرواح : مصدر راح يرُوح ، وهو نقيض غَدَا يغدو غُدوًّا . والذُّؤاب : جمع ذُؤابة ، بذال مضمومة بعدها همزة فموحَّدة ، وهى الجِلدة التى تعلَّق على آخِرة الرَّحل . والجِداء : جمع جَدْية ، بالجيم ، وهى شىء يحشَى تحتَ دفَّتَي السَّرج والرَّحْل .

٥٧٧

(١) ط : « قرينة »

أراد أنّها لم يَبقَ من ظهرها شيء من كثرة السَّير . ثمّ بعدَ وصفِ ضُمرها ببيتين آخَرين قال :

(أقول لها حين جدَّ الرحيلُ . . . . البيت)

أى أقول لتلك الزيّافة . وجَدَّ بمعنى اشتدّ . وأبرحتِ بكسر التاء خطاب للزيّافة . قال أبو عُبيد فى الغريب المصنَّف : ما أبرح هذا الأمر : ما أعجبه . وأنشَدَ هذا البيت . قال شارحُ أبياته ابنُ السِيرافىّ : المعنى اختَرتِ ربًّا وهو الملك ، وجاراً عظيم القدر . وقيل أبرحت [أعجبت[1]] قال صاحب الصحاح وتبعه صاحب العباب : وأبرحَه أى أعجَبه . وأنشد هذا البيت وقال : أى أعجبت وبالغت . وأبرحَه أيضاً بمعنى أكرمه وعظّمه . . وعلى هذا فربًّا مفعول به ، وهو بمعنى المالك والسيِّد ، والمراد به نفْس الشاعر أو ممدوحه . وهذا هو الظاهر المتبادر من سَوق الكلام . وقال صاحب العباب : ويُروىٰ :

(تقول له حِينَ حانَ الرحيلُ أبرحتَ . . . الخ)

أى تقول للأعشى الناقةُ : أبرحتَ بى فى طلب ربّك هذا الذى طلبتَه وعذّبتنى وحَسَرتنى انتهى . . وعلى هذا فأبرحتَ معناه أصبْتَنى بالبَرْح وهو الشدَّة والعذاب ، ويكون ربًّا أصله فى طلبِ ربّك . ولا يخفىٰ هذا التعسُّف ، مع أنّ هذه الروايةَ غير ثابتة ، وغير منْسجمة مع ضمير الغائب . وقال ابن حبيب : يريد : تقول له ناقته : أعظَمت وأكرمْت ، أى اخترت ربًّا كريماً وجاراً عظيم القَدْر يُبْرِح بمن طَلَب شأوَه . وروى أيضاً — كما فى الشرح :

(تقول ابنتى حين جدَّ الرحيلُ . . . البيت)

وإنّما رُوى ، فى كتاب س وفى نوادر أبى زيد ، العجزُ مقروناً بالفاء هكذا :

(١) التكملة مما يستفاد من الشرح التالى .

(فأبرحْت ربا وأبرَحْت جارا)

وتمّمه شُرّاح شواهده بما ذكره الشارح[١]. وهذه الرواية لا ارتباط لها بما بعدَها، كما هو الظاهر. قال أبو عُبيدة، كما فى النوادر: أبرحتَ فى معنى صادفت كريماً. وقال غيره: أبرحت بمن أراد اللَّحاق بك تُبْرِح به فيَلْقَى دون ذلك شِدَّة. والبَرْح: العذاب والشدَّة، ومن ذلك برَّحت بفلان[٢] انتهى. فالربّ على الأوَّل الممدوح، وعلى الثانى الصاحب. وقال النحّاس: قال الأصمعىّ: أبرحْت ربًّا أى أبلغت. وقال الأسعدى: أبرح فلانٌ رجلاً: إذا فضله. وهذا كلُّه على أنَّ ربًّا مفعول به لا تمييز. وقال الأعلَم: قوله: فأبرحْت ربا الخ، الشاهد فيه نصب ربٍّ وجارٍ على التمييز. والمعنى أبرَحْت مِن ربٍّ ومن جارٍ، أى بلغْت غايةَ الفضل فى هذا النوع. وصدر البيت:

(تقول ابنتى حين جد الرحيل أبرحتَ ربّا) الخ

والمعنى على هذا. أبرَحَ ربكَ وأبرَحَ جارُك. ثمّ جُعِل الفعل لغير الربِّ والجارِ، كما تقول: طبتَ نفساً: أى طابت نفسُك. وهذا أبْيَنُ من التفسير الأول، وعليه يدلُّ صدر البيت. وأراد بالربِّ الملكَ الممدوح. وكلُّ من ملَك شيئاً فهو ربُّه. انتهى.

٥٧٨

---

(١) هذا دليل على أن صدر البيت فى الكتاب ١ : ٢٩٩ لم يكتبه سيبويه وأنه زيادة طرأت بعد زمن تأليفه. والتاء فى (فابرحت) و (أبرحت) مضبوطة فى النوادر بالفتح، ولا ضير فى هذا فإنه المناسب لما سيق بعد من التفسير، وضبطت كذلك فى الكتاب بالفتح، وإنما هذا مجاراة لهذا الصدر الزائد بدليل ما سيأتى من شرح الأعلم وقوله: « وهذا أبين من التفسير الأول » وما سيجىء من قول البغدادى بعده: « والمقدار الذى أورده س عجز . . . الخ ».

(٢) انظر نوادر أبى زيد ص ٥٥. والنقل هنا يصحح خطأين هناك:
الأول « أبرحت ممن »، صوابه « بمن »، والثانى «فتلقى» بالتاء، وصحته « فيلقى » بالياء، كما هنا.

وقال الشارح المحقق : أبرحتَ أى جئت بالبَرْح وصرت ذا بَرْح؛ والبَرْح : الشدّة . فمعنى أبرحتَ صرتَ ذا شِدَّة وكمال ، أى بالغت وكملت ربّا . فهو نحو كفى زيدٌ رجلاً ، أى أبرَحَ جارٌ هو أنت . . فالربّ على قول الأعلم الممدوحُ ، وعلى قول الشارح نفسُ الشاعر ؛ ومعنى البيت على هذا إنّما هو بقطع النظر عمّا بعده وقبله ؛ وإلاّ فلا يناسب السِّياق . والمقدارُ الذى أورده س ، عجزٌ للصدر الذى هو :

(أقولُ لها حين جدَّ الرحيلُ)

والفاء من تصرُّف النُسّاخ ، فتكون التاء مكسورة ، والمعنى على ما ذكره الأعلم — والله أعلم — وأورد قبلَه قول العبّاس بن مِرداس السُلَمىّ :

ومُرَّةُ يَحميهم إذا ما تبدّدوا ويَطعُنُهم شَزْراً فأبْرَحْتَ فارسا[1]

قال الأعلم : « المعنى فأبرَحْتَ من فارسٍ ، أى بالغتَ وتناهيت فى الفُروسيّة — وأصل أبرحتَ مِن البَراح ، وهو المتّسِع من الأرض المنكشف — أى تبيَّنَ فضلك تبيُّنَ البَراحِ من الأرض[2] » .

وترجمة الأعشى ميمون تقدّمت فى الشاهدَ الثالث والعشرين وترجمة قيس أيضاً تقدّمت فى الشاهد الثانى بعد المائتين[3] .

* * *

(١) كذا ورد واضحاً فى ش بخط ناسخها ، ولا أثر لقلم الشنقيطى فيه أما المطبوعة الأولى فالذى فيها « يجمعهم » . انظر حواشى ٢ : ص ٣٠٢ من هذا الجزء

(٢) كلمة « من الأرض » ساقطة من ش . وفى ط : « أى تبين فضلك وتبين » باقحام واو قبل « تبين » .

(٣) انظر لترجمة الأعشى الخزانة ١ : ص ١٧٥ ولترجمة قيس الخزانة ٣ : ص ٢٣٩

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامنَ عشرَ بعد المائتين :

٢١٨ (يا جارَتا ما أَنْتِ جارَهْ[1])

على أن (جارة) تمييز ، لأنّ ما الاستفهاميّة تفيد التفخيم ، أى كَمُلتِ جارة .

وهذا المصراع عجز ، وصدره :

(بانَتْ لتحزنَنا عَفارَه)

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدةٍ للأعشى ميمون . . قال الشاطبيّ فى شرح الألفيّة : أجاز الفارسيُّ أن تكون جارة فى هذا البيت تمييزاً ، لجواز دخول مِن عليها ، لأنّ ما استفهامٌ على معنى التعجُّب ، فجارة يصحُّ أن يقال فيها : ما أنت مِن جارة ؛ كما قال الآخر :

يا سيِّداً ما أنتَ مِن سيِّد مُوطَّأ الأكنافِ رَحْب الذِراعْ[2] انتهى

وروىْ أوَّلَه أبو علىّ فى إيضاح الشعر :

بانت لِطِيَّتِها عَراره يا جارَةً ما أنْتِ جارَه

والطِّيَّة ، بالكسر وتشديد الياء التحتيّة : النِّيَّة والقصد . وعَرارة : امرأة وقال قبلَه فى قول الشاعر :

وأنت ما أنت فى غَبراء مُظْلِمةٍ :

٥٧٩ الظرف حال ، والعامل ما فى قوله ما أنت مِن معنى المدح والتعظيم ، كأنّه قال : عظمت حالاً فى غبراء . وليس فى الكلام ما يصحُّ أن يكون عاملاً فى الظرف غيرَ ما ذكرنا ، وإذا صحَّ معنى الفعل ــ وذلك من حيث ذكرنا ــ

---

(١) ديوان الأعشى ١١١ وابن يعيش ٣ : ٢٢ والأشمونى ٢ : ١٧ .

(٢) البيت للسفاح بن بكير فى المفضليات ٣٢٢ والهمع ١ : ١٧٣ ، ٢/٢٥١ : ٩٠ .

كان قولُ الأعشى : جارة ، في موضع نصب بما في ما أنت ؛ كما ذكرنا . انتهى .
ولا يصح أن تكون ما نافيةً كما زعمه العينيّ ؛ لأنّ نصب جارة على التمييز إنّما هو من الاستفهام التعجّبي . وهذه عبارته : « ما نافية وأنت مبتدأ وجارة خبره . ويُروى : (ما كُنتِ جارَه) فهذا يؤكّد معنى النفي . ويجوز أن تكون ما استفهاميّة في موضع الرفع على الابتداء ، وأنت خبره ، وجارة تكون تمييزا والمعنى عظمتِ مِن جارة . انتهى . ولا يخفى أنّ المعنى ليس على النفي ؛ وإنّما هو على التعجّب كما ذكره الجماعة .

و (بانت) : من البَيْن وهو الفِراق . وقوله : (لتحزننا) يجوز فتح التاء وضمّها ، فإنّه يقال حزَنه يحزُنه ، وهي لغة قريش ، وأحزنه يُحزِنه ، وهي لغة تميم ؛ وقد قرئ بهما . وحزِن يأتي لازماً أيضا[1] ، يقال حزِن الرجل فهو حزِنٌ وحزين ، من باب فرِح يفرح . و (عَفارة) بفتح العين المهملة : اسم امرأة ؛ وهي فاعلٌ لأحد الفعلين على سبيل التنازع . وقوله : (يا جارتا) الخ ، هو التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وجارة الرجل : امرأته التي تجاوره في المنزل . و (ما) : اسم استفهام مبتدأ عند س وأنت الخبر ؛ وعند الأخفش بالعكس . وقال العينيّ[2] : عَفارة : امرأة يحتمل أن تكون هي الجارَة أو غيرها ، فإنْ كانت عينَها فقد انتقل من الإخبار إلى الخطاب ، والجارَة هنا زوجته انتهى . . والظاهر أنّ الجارَة هي عَفارة وأنّها عشيقته فتأمّلْ .
ثمّ رأيت في شرح شواهد الإيضاح لأبي عليّ الفارسيّ لابن برّيّ قال ـ وأنشد :

(يا جارتا ما أنت جاره)

---

(١) كذا في النسختين ، وظني أن «أيضا» «مقحمة» .
(٢) لم أجده في شرح الشواهد فلعله مما سقط من شواهد العيني المطبوعة .

وقبله :

(بانت لتحزننا عَفاره)

ويروىٰ :

بانت لِطِيَّتِها عفاره

هو لأعشى بنى قيس ، والجارة هنا زوجه ، قال ابن دريد : والطِّيَّة : المنزل الذى تنويه . وعَفارة : اسم امرأة ويحتمل أن تكون هى الجارَة وغيرها ، فإن كانت الجارة فقد انتقل من الإخبار إلى الخطاب . وقوله ياجارتا : يريد يا جارتى ، فأبدل من الكسرة فتحة فانقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ويجوز أن تكون ألفَ النُدبة ، لمّا وَصَلها حذف الهاء ، كأنّه لمّا فقدها ندبَها . وقوله : ما أنت جاره ، ما نافية وأنت مبتدأ أو اسم ما ، وجارة إما فى موضع نصب خبر لما ، وإمّا فى موضع رفع خبر لأنت . ويُروى : (ما كُنت) فهذا يؤكّد معنى النفى ، كما قال تعالى (ما هذا بَشَراً[1]) ويجوز أن تكون ما استفهاماً فى موضع رفع بأنّها خبر أنت ، وجارة فى موضع نصبٍ على التمييز ، أى ما أنت منْ جاره . ويجوز أن تكون حالا ، والعامل فيها معنى الكلام ، أى كَرُمت جارةً ، أو نَبُلْتِ جارة . ويجوز أن تكون ما مبتدأ — وإن كانت نكرة — لما فيها من معنى التفخيم والتعجُّب ، ولأنّها تقع صدراً ، غير أنّه أوقعها على مَن يعقل ، فكان الوجه ما بدأنا به .

٥٨٠

هذا كلامه برُمّته ، وتعسُّفه ظاهر .

وقال شارحٌ آخرُ لأبيات الإيضاح : « جلَبَهَ أبو علىّ شاهداً على أنّ

---

(١) الآية ٣١ من سورة يوسف .

جارةً الموقوفَ عليها ، يحتمل أن تـكون تميزاً لإمكان [إدخال[١]] مِنْ عليها . ويحتمل أن تـكون حالا » . ثمَّ إنَّه أخذَ جميعَ الـكلام الذى نقلناه من ابن بَرِّى .

وترجَمةُ الأعشى تقدَّمت الحَوالة عليها فى البيت الذى قبل هذا . وبعد هذا البيت :

(أرْضَتْكَ مِنْ حُسْنٍ ومِنْ دَلٍّ تُخالِطه غَرارَهْ
وسَبَتْكَ حِينَ تبسَّمتْ بينَ الأرِيكة والسِتَارَهْ)

والغرَارة ، بفتح المعجمة : الغفلة كالغِرّة بالـكسر . والأريكة : السَّرير المزيَّن ؛ والجمع أرائك .

كَمَلَ الجزء الأول من المطبوعة الأولى ويليه الثانى وأوله باب المستثنى

* * *

باب المستثنى

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد المائتين[٢] :

٢١٩ (وَبَلْدةٍ ليسَ بها طُورِىٌّ ولا خَلا الجِنَّ بها إنسِىُّ)

على أنّ تقدُّم المستثنى على المنسوب والمنسوبِ إليه شاذ[٣] . والأصل : ولا بها إنسىٌّ خلا الجنّ .

---

(١) التـكملة من هامش ش وإلى جوارها كلمة « صح » .

(٢) نوادر أبى زيد ٢٢٦ والمنصف ٣ : ٦٢ والإنصاف ٢٧٤ والهمع ١ : ٢٢٦ ، ٢٣٢ وديوان العجاج ٦٨ واللسان (طور ، طأى) .

(٣) فى النسختين : « المستثنى غير للمنسوب والمنسوب إليه شاذ » تحريف . وفى الرضى ١ : ٢٠٩ : إذا تقدم المستثنى على المستثنى منه وجب أن يتأخر عما نسب إلى المستثنى منه ، نحو ماجاءنى إلا زيدا أحد . وإن تقدم على المنسوب — يعنى الحكم — وجب تأخيره عن المستثنى منه ، نحو القوم إلا زيدا ضربت . ولا يجوز عند البصريين تقدمه عليهما فى الاختيار » . عليهما أى المنسوب وهو الحـكم ، والمنسوب إليه وهو المستثنى منه ، فلا يقال إلا زيداً القوم ضربت .

قال ابن الأنباريّ فى الأنصاف : ذهب الكوفيّون إلى أنّه يجوز تقديمُ حرف الاستثناء فى أوّل الكلام نحو إلاّ طعامَك ما أكل زيدٌ ، نصَّ عليه الكِسائى ، وإليه ذهب الزَجّاجُ فى بعض المواضع ؛ واستدلّوا بهذا البيتِ ونحوه . ومنعه البصريُّون ، وأجابوا عن البيت بأنّ تقديره : وبلدةٍ ليس بها طوريّ ولا إنسىٌّ ما خلا الجنَّ . فحذف إنسيًّا وأضمر المستثنَي منه ، وما أظهَره تفسيرٌ لمَّا أضمَره[1] . وقيل : تقديره : ولا بها إنسىٌّ خلا الجنّ . فبِها مقدرة بعدَ لا ، وتقديم المستثنَي[2] فيه للضرورة ، فلا يكون فيه حجّة .

صاحب الشاهد — وهذان البيتان من أُرجوزة للعجّاج . وقوله : (وبلدة) الواو فيه واو ربَّ ؛ والبلدة : الأرض ، يقال هذه بلدتنا أى أرضنا . وروى أبو عُبيد البكرىُّ فى شرح نوادر القالىّ[3] والصاغانى فى العُباب :

(وخفقةٍ ليس بها طُورىُّ)

بفتح الخاء المعجمة والفاء والقاف[4] ؛ وقال : الخَفْقة : المَفازة المَلْساء ذات آل . قال أبو عُبيد : هذا صحّة إنشاده ، لأنّ قبلَه :

(وبلدةٍ نِياطُها نَطِىُّ)

أى بعيد . وبعدَه :

(للرّيح فى أقْرابها هُوِىُّ)

والأقراب : الجوانب . وجملة : (ليس بها طُورىّ) صفة بلدة . وطورىّ

(١) هذا الجواب ذكره الرضى أيضا فى شرحه ١ : ٢٠٩ .

(٢) ش : « الاستثناء » .

(٣) اللآلىء ٥٦٦ وفيه كما فى الأمالى ١ : ٢٥٥ : « طوئى » والطوئى كالطورى وزنا ومعنى .

بمعنى أحد ، لا يكون إلاّ مع النفى كما هنا ؛ وهو فى الأصل منسوب إلى طُور الدار ، قال شارح النوابغ الزمخشرية : طُورَ الدار بالضمّ هو ما يمتدّ معها من فِنائها وحُدودها ، تقول : أنا لا أطور بفلان ولا أطور طورَه : أى لا أدور حوله ولا أدنو منه انتهى . ولا وجه لقول أبى علىّ القالىّ فى أماليه : إن طُوريًّا منسوب إلى الطُّورة ، وهى فى بعض اللغات الطِّيَرة — على وزن العنبة — وهو ما يتشاءم به من الفأل الردئ . وقد رواه أبو زيد فى نوادره بهذا اللفظ[1] . وكذلك صاحبُ الصحاح والعباب وغيرهم . ورواه أبو علىّ القالىّ فى أماليه (طوئىّ) على وزن طوعِىّ قال : أنشدنى أبو بكر بنُ الأنبارى وأبو بكر بن دُريد ، للعجّاج :

(وبلدةٍ ليس بها طوئىّ)

وهو بمعنى طُورىّ . وزاد فيها لغتين أيضا ، قال : يقال ما بها طُؤوىٌّ[2] على مثال طُعْوىّ ، وما بها طاوىٌّ غير مهموز . وأورد فيها كلمات كثيرة فى هذا المعنى تلازم النفى ، كقولهم : ما فى الدار أحد ، وما بها عَرِيب ، وما بها دَيّار . وكأنه ، والله أعلم ، استقصى فيها جميعَ هذه الألفاظ . وقوله : ولا الخ ، الواو عطفتْ جملة بها إنسىٌّ على جملة بها طورىّ المنفية بليس ؛ ولا لتأكيد النفى ، إلاّ أنّه فصل بين العاطف والمعطوف بجملة خلا الجنّ ، لضرورة الشعر . قال ابن السرّاج فى الأصول : وحكى عن الأحمر أنّه كان يجيز : ما قام صغير ولا خلا أخاك كبير . وإنّما قاسه على قوله :

(١) الذى فى النوادر : « طؤوى » . وأنشده فى اللسان (طأى) : « طوئى » وقال : س« وما بالدار طوئى مثل طوعى ، وطؤوى ، أى ما بها أحد » .

(٢) ط : « طوئى » ش : « طؤى » والوجه ما أثبت ، كما فى الأمالى .

وبلدةٍ ليس بها طُورىٌّ ولا خَلَا الجنّ ولا إنسىٌّ

وليس كما ظنّ ، لأنّ إنسىّ مرتفعٌ بها على مذهبهم . انتهى .

و (خَلَا) : أداة استثناء ، ومثلها عَدَا يكونان فعلين وينصب ما بعدهما على المفعول به ، لأنّ معناها عند سيبويه جاوَز ؛ وفاعلهما ضميرُ مصدرِ الفعل المتقدّم على قولٍ ومنه — فى خلا — ما أنشده ابنُ خروف وغيرُه : (ولا خلا الجنّ) بالنصب . ويكونان حرفين وينجرُّ ما بعدهما على أنّهما حرفا جرّ ، ومنه — فى خلا — قول الأعشىٰ :

خَلَا اللهِ ما أرجُو سِواكَ ، وإنّما أعدُّ عِيالى شُعبةً مِن عِيالِكا[1]

وهذا كله ما لم تتصلْ بهما ما المصدريّة . فإن اتّصلت بهما فإنّ المختار النصب ، والجرُّ قليل ، وتكون ما معَ ما بعدها فى تأويل مصدرٍ منصوبٍ نصبَ غير وسوى ، عند ابن خروف ، ومصدرٍ فى موضع الحال عند السِيرافى .

و (إنسىّ) : واحد الإنس ، بالكسر ، وهو البشَر ، يفرق بينه وبين واحده بياء النسبة كرومٍ وروميّ . فقوله : خلا الجنّ استثناء منقطع ، لأنّه من غير جنس المستثنى منه .

وترجمة العجّاج تقدّمت فى الشاهد الحادى والعشرين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[3] :

---

(١) هكذا نسبه البغدادى إلى الأعشى ، وليس فى ديوانه . وانظر العينى ٣ : ١٣٧ والهمع ١ : ٢٢٦ ، ٢٣٢ واللسان (خلا ٢٦٦) .

(٢) الخزانة ١ : ص ١٧٠

(٣) فى كتابه ١ : ٣٦٤ . وانظر ديوان الهذليين ١ : ١١٦ ومعجم البلدان (رهوة).

٢٢٠ (فإنْ تُمسِ فى غارٍ برَهْوَةَ ثاوياً أنيسُكَ أصداءُ القُبورِ تَصيحُ)

على أنّه جعل الأصداء أنيساً ، مجازاً واتّساعاً . لأنّها تقوم — فى استقرارها بالمكان ، وعمارتها له — مقامَ الأناسىّ .

وقوّىٰ سيبويه بهذا مذهبَ بنى تميم فى إبدال ما لا يعقل ممّن يعقل ، إذ قالوا : ما فى الدار أحد إلا حمارٌ ، فجعلوه بمنزلة ما فى الدار أحد إلاّ فلان .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لأبى ذُؤيب الهُذَلىّ رثىٰ بها ابنَ عمٍّ له قُتِل . مطلعُها :

أبيات الشاهد

(لَعَمْرُكَ إنّى يومَ فارقتُ صاحبى على أنْ أرَاه قافلاً لَشحيحُ
وإنّ دُموعى إثرَهُ لَكثيرةٌ لوَ أنّ الدُموعَ والزَّفيرَ يُريحُ
فواللهِ لا أنسى ابنَ عمٍّ كأنّه نُشيبة ما دامَ الحَمامُ يَنوحُ)

٤

إلى أن قال بعد أبياتٍ ثلاثة :

(فإنْ تُمسِ فى رَمْسٍ برَهْوَةَ ثاوياً أنيسُكَ أصداءُ القُبورِ تَصيحُ
على الكُرْهِ منّى ما أُكفكف عَبْرَةً ولكنْ أُخَلّى سَرْبَها فتَسيحُ
فما لكَ جيرانٌ ، وما لكَ ناصرٌ ولا لَطَفٌ يَبكى عليكَ نَصيحُ[1])

قوله : (فإنْ تُمسِ) يقال أمسى : إذا دخل فى المَساء ، وهو خلاف أصبح : إذا دخل فى الصباح . قال ابن القوطيّة : المساء ما بين الظهر إلى المغرب . و (الرَّمْس) : القبر ، قال فى المصباح : « رمست الميت رمْساً ، من باب قتل : دفنته . والرمس : التراب ، تسمية بالمصدر ثم سمى القبر به ، والجمع رموس . وأرمسته بالألف لغة » . و (رهْوة) : مكان ، قال ياقوت

(١) نصيح : ذو نصح ، كما فى شرح ديوان أبى ذؤيب ص ١١٧ . ش « فصيح » صوابه فى ط والديوان .

فى معجم البلدان : قال أبو عبيد : الرَّهوة : الجَوْبة تكون في مَحَلّة القوم يسيل إليها ماء المطر . وقال أبو سعيد(١) : الرهو : ما اطمأنّ من الأرض وارتفع ما حوْله ؛ قال : والرهوة شِبه تلّ يكون فى متون الأرض على رءوس الجِبال ومَساقط الطيور والصقور والعِقبان . ورهوة طريق بالطائف ، وقيل هو جبل فى شِعر خُفاف بن نُدْبة ، وقيل عقَبة فى مكانٍ يُعرف . وقال الأصمعىّ : رهوة فى أرض بنى جُشَمَ ونصرٍ ابنىْ معاوية بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة .

و (ثاوياً) خبر قوله (تُمسِ) وهو متعلّق برهوة ، يقال ثوى بالمكان وفيه : إذا أقام . و (أنيسك) مبتدأ ، و (أصداء) خبره ، والجملة حال من ضمير ثاوياً . وجملة تصيح صفة لأصداء ؛ ولا يضرّ إضافته إلى المعرّف باللام ، لأنّ اللام للجنس ومدخلها قريبٌ من النكرة . والأنيس : المؤانس ؛ وفعله أنِسْت به إنساً من باب علم ، وفى لغةٍ من باب ضرب ؛ والأُنس بالضمّ اسم منه ؛ واستأنست به وتأنّست به : إذا سكن القلب ولم ينفر ، كذا فى المصباح : والأصداء : جمع صَدًى بالقصر ، وهو ذَكَر البوم ، وهو يسكن فى القبور ، وقال الأعلم : هو طائرٌ يقال له الهامة يزعمُ الأعرابُ أنّه يخرُج من رأس القتيل إذا لم يُدرَك بثأره فيقول : اسقونى ! اسقونى ! حتّى يُؤخذَ بثأره . وهذا مثل؛ وإنّما يُراد به تحريضُ ولىِّ المقتول على طلب دَمِه . فجعلَه جهلةُ العَرب حقيقة . انتهى .

وقوله : على الكُره منّي ، متعلّق بقوله : أكفكف ؛ يقال كفكفت الدمع والرجلَ : إذا كففته ومنعته . والعَبْرَة ، بالفتح : الدّمعة ؛ وفعله عَبِرتْ عينُه كفرِحَت ، والسَّرْب ، بفتح السين وسكون الراء المهملتين : الطريق ،

(١) فى معجم البلدان : « أبو عبيد » ، وبعده : « الرهوة » . وفى مقدمة معجم البلدان أن لأبى سعيد السيرافى كتاباً فى جزيرة العرب .

يقال خَلِّ له سَرْبه . وقوله : فما لك جيران الخ ، هذه الجملة جواب قوله فإن تُمس . وجِيران : جمع جار . ولَطَف بفتح اللام والطاء المهملة ، هو الرقيق والملاطِف . وهذا الكلام منه على طريق التحزُّن والتحسُّر .

وقد تقدمت ترجمةُ أبى ذؤيب فى الشاهد السابع والستين[1] والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٢٢١ والحربُ لا يَبقَى لجا حِمها التَخَيُّلُ والمِراحُ[3]
إلاَّ الفتَى الصبَّارُ فى النَّجَداتِ والفرَسُ الوَقاحُ

على أنّ الفتى وما بعده استثناء منقطع ، بدلٌ من قوله : التخيُّلُ والمراح . والجاحم ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة : المكان الشديد الحرّ ؛ من جَحَمتِ النارُ فهى جاحمة : إذا اضطرمَت[4] ، ومنه الجحيم . والتخيُّل : التكبُّر من الخيلاء . يقول : إنّ الحرب تزيل نَخوة المنخوّ . وذلك أنّ أصحاب الغَناء يتكرّمون عن الخُيلاء ، ويختال المتشبِّع ، فإذا جُرِّب فلم يُحمَد افتضَح وسقط والمِراح ، بالكسر : النشاط . أى أنّها تكفُّ حدّة البَطِر النشيط[5] ، والصبّار : مبالغة صابر . والنّجدة : الشدّة والبأس . والوَقاح ، بالفتح : الفرَس الذى حافرُه صُلبٌ شديد ؛ ومنه الوَقاحة .

---

(١) الخزانة ١ : ص ٤٢٢

(٢) فى كتابه ١ : ٣٦٦ . وانظر الحماسة ٥٠٢ بشرح المرزوق .

(٣) فى النسختين : « لجاحها إلا التخيل » ، وقد رجّ الشنقيطى على « إلا » .

(٤) ط : « اضطربت » .

(٥) ط : « النظر » ، صوابه فى ش .

وهذان البيتان قد تقدَّم شرحهما مفصَّلًا فى الشاهد الحادى والثمانين ، فى اسم ما ولا المشبهتين بليس[١]

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[٢] :

٢٢٢ (عَشِيَّةَ لا تُغنِى الرماحُ مكانَها ولا النَّبلُ ، إلّا المشْرَفِىُّ المصمِّمُ)

على أنّ ما بعد إلاّ ، وهو المشرفىّ ، بدلٌ من الرماح والنَّبل ، والاستثناء منقطع .

وأورده صاحب الكشّاف ، أيضاً ، شاهداً على رفع الاسم الكريم فى قوله تعالى (قُل لا يَعلَمُ مَنْ فى السَموات والأرضِ الغَيْبَ إلاّ اللهُ[٣]) وإنّما رفع على لغةِ تميم . والحجازيُّون ينصِبونه مطلقاً .

وقد جاء هذا البيت فى شعرَين ، قافية أحدِهما مرفوعة ، وقافية الآخر منصوبة . والأوّل هو الشائع المستشهَد به ، وقد ورد فى كتاب سيبويه مُغْفَلًا ، ولم ينسبُه أكثر شُرّاح شواهده .

والمنصوب جاء فى قصيدةٍ للحُصَين بن الحُمام المرّىّ . أمّا الأوّل فهو لِضرار بن الأزوَر الصَحابىّ من قصيدةٍ قالها فى يوم الرِدّة : قال أبو محمد الأعرابىُّ (فى فُرحة الأديب) : أكتبَنا أبو الندىّ : قال ضرار بن الأزوَر وهو فارس المحبَّر فى الرِّدّة ، لبنى خزيمة — وكان خالدُ بن الوليد بعثَه فى خيل

---

(١) الخزانة ١ : ص ٤٧٠
(٢) فى كتابه ١ : ٣٦٦ . وانظر العينى ٣ : ١٠٩ والأشمونى ٢ : ١٤٧ .
(٣) الآية ٦٥ من سورة النمل .

على البَعوضة : أرض لبنى تميم ، فقَتل عليها مالكَ بن نُويرة فارسَ بنى يربوع ، وبنو تميم تدَّعى أنّه آمنَه . فقاتل يومئذٍ ضرارُ بن الأزوَرِ قتالاً شديداً — فقال فى ذلك ، وبلغه ارتدادُ قومِهِ من بنى أسد :

(بنى أسدٍ قد ساءنى ما صنَعتم … وليس لقومٍ حاربوا الله محْرَمُ
وأعلَمُ حقا أنّـكم قد غوَيتم ، … بنى أسدٍ ، فاستأخِروا أو تقدَّموا
نهيتكُمُ أن تَنهَبوا صدَقاتِـكمْ … وقلتُ لـكم يا آلَ ثعلَبةَ اعلَموا
عَصيتمْ ذوِى أحلامِكمْ وأطعتمُ … ضُجَيماً ، وأمرُ ابنِ اللقَيطَةِ أشأمُ
وقد بعثوا وفداً إلى أهل دُومةٍ … فقُبِّحَ مِن وفدٍ ومَنْ يَتيمَّمُ[1]
ولو سَألَتْ عنا جَنوبُ لُخبِّرت … عشيَّة سالت عَقرَباء بها الدم[2]
عَشيةَ لا تُغنى الرِّماحُ مكانَها … ولا النَّبلُ إلاَّ المشرفىُّ المصمِّمُ
فإنْ تبتغى الـكفّار غيرَ مُنيبةٍ ، … جنوبُ ، فإنّى تابعُ الدينِ فاعلموا[3]
أقاتِلُ ، إذْ كانَ القتالُ غنيمةً … وَللهُ بالعَبْدِ المجـاهِدِ أعلَمُ)

ضُجَيم هو طُليحة[4] بن خُويلد ، وكانت أمه حِميَرِيّة أخيذة . وابن اللَّقيطة : عُيينة بن حِصْن . وقوله : يا آلَ ثعلبة ، أراد ثعلبة الحلاَّف بن دُودان بن أسد[5] .

---

(١) فى معجم البلدان (دومة الجندل) : « وما قد تيمموا » .

(٢) ط ومعجم البلدان : « ولو سئلت » : صوابه فى ش وفرحة الأديب بخط البغدادى ، وهى محفوظة بدار الكتب برقم (٧٨ مجاميع م) الورقتين ٢٧ ، ٢٨ . وقد تابعتُ فى ضبط كل هذا النقل ما كتبه هناك بقلمه . وفى معجم البلدان : « عقرباء وملهم » . وروى ابن السيرافى : « عقرباء من الدم » على الإقواء ، وردها عليه أبو محمد .

(٣) البلدان : « غير ملية . . . تابع الدين مسلم » .

(٤) فى النسختين وفرحة الأديب : «طلحة» ، وإنما هو بالتصغير ، كما فى الإصابة وجمهرة ابن حزم ١٩٦ ، ٤٤٣ والاشتقاق ٥٥١ .

(٥) الذى فى الجمهرة ١٩٢ أن الحلاف هو الحارث الحلاف بن سعد بن ثعلبة ابن دودان .

وقال لنا أبو الندى : عَقرباء بالبـاء : أرض باليمامة . قال : وعَقْرَما بالميم باليمن ، وأنشد لرجلٍ من جُعْفِيّ[١] فى قتل مالكِ بن مازن[٢] أحد بنى ربيعة ابن الحارث :

جَدعتمْ بأفعى بالذهابِ أنوفَنَا فَمِلنا بأنفيكم فأصبحَ أصْلَمَـا[٣]
فمن كانَ محزوناً بمقتلِ مالك فانّا تركناه صَريعاً بعَقْرَما اهـ

وقوله عشيَّة سالت هو بتقدير مضاف أى نُخَبِّرت خبرَ عشيّةَ سالت[٤] . وعشيّة الثانية بدل منها . وجنوب فيما بعد هذا منادى ، وهى امرأة .

و (العَشِيَّة) واحدة العَشِيّ ، قال فى المصباح : العَشيُّ قيل ما بين الزَّوال إلى الغُروب ، ومنه يقال للظُّهر والعصر صَلاتا العَشِيّ ؛ وقيل هو آخر النهار ، وقيل العَشيّ من الزَّوال إلى الصباح ، وقيل العشى والعشاء من صلاة المغرب إلى العتَمة . وجملة (لا تُغْني الرِّماحُ) الخ فى محل جرٌّ بإضافة عشيَّة إليها . و (مكانَها) ظرف لقوله لا تُغنى ، وهو العـامل فيه . قال العَينيّ : الضمير فى مكانها للحرب ، يدلّ عليه لفظ الجهاد ، لأنّه لا يكون إلاّ بمكان الحروب . وأغنيت عنك بالألِف ، مغنيَ فلان : إذا أجزأت عنه وقمت مقامه . وحكى الأزهريّ : ما أغنى فلانٌ شيئاً ، بالغين والعين ، أى لم ينفع فى مهمٌ ولم يَكفِ مؤُنة . وقوله : (ولا النَّبلُ) بالرفع عطفاً على الرماح . والنَّبْل بالفتح : السهام العربية ، وهى مؤنّثة ، ولا واحدَ لها من لفظها ، بل الواحد سَهْم . وقوله :

---

(١) معجم البلدان : « جعفر » تحريف .
(٢) معجم البلدان عن ابن الـكلبي فى الجمهرة : « أسلم بن مالك بن مازن » .
(٣) جعله كالأفعى فى شدته . والذهاب : غائط من أرض بنى الحارث بن كعب ، كما فى ياقوت . ط : « بأنى مالك بألوفنا » ، صوابه فى ش واضحاً وفى فرحة الأديب ، ومعجم البلدان (عقرما) ، وهو موضع باليمن .
(٤) ط : « خبر عن عشية سالت » ، وهو خطأ تنبه له ناشر المطبوعة الأولى .

(إلاَّ المشْرِفىُّ) بالرفع على لغة تميم بدل من الرِّماح والنَّبل ، وإن لم يكن من جنسهما ، مجازاً على ما تقدَّم قبله . ولا وجه لما نقله ابنُ الأنبارىُّ عن بعضهم : من أنَّ نصب المشرفىّ على المعنى ، قال : كأنَّه أراد بقوله : لا تُغنى الرماح ، أى لا تستعملها ولا تستعمل إلاَّ المشرفىّ . وهذا تعسُّف ظاهر . والمشرفىُّ بفتح الميم ، هو السيف المنسوب إلى مَشارف ، قال البَكرىّ فى معجم ما استعجم : قال الحرْبىّ : والمشارف قُرًى مِنْ قرى العرب تدْنو من الرِيف ، واحدها مَشْرَف . وقال[1] فى موضع آخر : وهى مثل خَيْبَر ودومة الجندل[2] وذى المرْوة والرَّحْبة . وقال البكرىّ ، فى مؤتة أيضا : وكان لقاؤهم — يعنى المسلمين — الرومَ فى قرية يقال لها مَشارفُ مِن تُخوم البَلقاء ، ثمّ انحاز المسلمون إلى مؤْتة وهو موضع من أرض الشام من عمَل البلْقاء . فالسيف المشْرَفىّ ، إن كان منسوباً إلى الأوّل فالنسبة على القياس ، لأنّ الجمع يُرَدّ إلى الواحد فينسَب إليه ، وإن كان منسوباً إلى الثانى فالنسبة على خلاف القياس . وبهذا التحقيق يُعرَف مافى قول الصاغانىّ وغيره : والسيوف المشْرَفيّة منسوبة إلى مشارف الشَّام ، قال أبو عُبيدة : هى قُرًى[3] من أرض العرب تدنو من الريف ، يقال سيف مشرفىٌّ ولا يقال مَشارفىّ ، لأنّ الجمع لا ينسَب إليه إذا كان على هذا الوزن . انتهى . وقال صاحب المصباح — بعد أن نقل هذا — وقيل هذا خطأ ، بل هى نسبة إلى موضع من اليمن . وقال ابن الأنبارىّ فى شرح

(١) الكلام للبكرى ، والضمير راجع إلى الحربى .

(٢) ط : « دومة والجندل » صوابه فى ش ومعجم البكرى . ودومة الجندل ، بضم أوله وفتحه ، وقد أنكر ابن دُريد الفتح وعده من أغلاط المحدثين ، كما ذكر ياقوت .

(٣) وفى العمدة ٢ : ١٨٠ قول ثالث إنها منسوبة إلى مشرف : قرية باليمن . وفى ياقوت قول رابع إنها منسوبة إلى مشرف ، وهو المشرف بن مالك بن ذعر بن حجر ابن جزيلة بن لخم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب .

المفضَّليات ، عند الـكلام على هذا البيت : والمشرفىُّ منسوبٌ إلى المشارف ، وهى قرًى للعرب تدنو من الريف ، ويقال بل هى منسوبة إلى مَشْرَفٍ ، رجل من ثَقيف[1] فالقول الأوّلُ [هو القول الأول[2]] من كلام البـكرىّ ويدل على الجمعيّة دخول اللام عليها فى كلامهما[3] و (المصمّم) : اسم فاعل من صمّم ، قال صاحب الصحاح : وصمَّم السيفُ : إذا مضىَ فى العَظْم وقطعه ، فإذا أصاب المَفْصل وقطَعه يقال : طَبّق . قال الشاعر يصف سيفاً :

٧

* يصمِّمُ أحياناً وحيناً يطبِّقُ[4] *

ومثله قول ابن الأنبارىّ : والمصمِّمُ الذى يَبرى العَظْمَ بَرياً ، حتّى كأنه وقع فى المَفصل من سرعة مَضائه . والمطبِّق الذى يقع على المَفْصل ، ومنه قول الـكميت يصف رُجلاً شبَّهه بالسيف :

فأراكَ حينَ تُهَزُّ عند ضريبةٍ فى النـائبات مصمِّماً كمطبِّقِ

أى هو يمضى فى نفس العَظْم ويَبريه ، وكأنّه إنّمـا طَبّق أى وقع على المَفصِل . فهذا الرجل حين يُهَزّ لما ينوب من الخطوب ، كهذا السيف فى مضائه ، أى يركب مَعـالىَ الأمور وشِدادها ، ولا يَثنيه شىء ، كهذا السيف . وإنّما كانت الرماح والنَبْل لا تُغنى ، لأنّ الحرب إذا كانت بالليل لا تغنى إلاّ السيوف ، لاختلاط القوم ومواجهةِ — بعضِهم بعضاً ، كذا قال العَينّى . وهذا مِن تفسير العشيَّة بالليل . وليس كذلك ، بل هو من شدَّة المحارَبة حيث استَقلّ عملَهما فنازَلَ بالسيف : وذلك أنّ أوّلَ الحرب المناضَلةُ بالسِّهام ، فإذا

(١) انظر الحاشية السابقة ، فهذا قول خامس .
(٢) التـكملة من ش .
(٣) أى ابن الأنبارى والبـكرى . ط : « كلامها » صوابه فى ش .
(٤) وكذا ورد الشطر فى اللسان (صمم ٢٤٠) بدون نسبة .

تقاربوا فالتراشُق بالرماح[١] فإذا التقَوا فالمجالَدة بالسيوف . فالشاعر يَصِف شدَّة المحارَبة ، بالتقاء الفريقين ، فلم يفِدْ حينئذ إلاّ التضارُب بالسيوف .

وأما الثانى ، وهو الشعر المنصوب ، فمطلع القصيدة :

(جزَى اللهُ أفْناء العشيرة كلّها بدَارةِ مَوْضوعٍ عُقوقاً ومأثَما
بنى عمِّنا الأدنَيْنَ منهمْ ورهطَنا فَزارة إذْ رامتْ بنا الحرب مُعْظَما
ولمّـا رأيتُ الودَّ ليس بنافعِي وإن كان يوماً ذا كوا كِبَ مُظلِما
صبَرْنا ، وكان الصبرُ منَّا سجيةً ، بأسيافنا يقَطّعن كفّاً ومِعصَما
يفلِّقنَ هاماً مِن رجالٍ أعِزّةٍ علينا ، وهمْ كانوا أعقَّ وأظلَما
فليتَ أبا شِبْلٍ رأى كَرّ خَيلِنا وخَيلِهمِ بين السِّتارِ فأظلَما
نطارِدُهم نَستنقذُ الجُرْدَ كالقَنا ويَستنقِذونَ السمهرىَّ المقوَّما
عَشيّةَ لا تغنى الرماح مكانَها ولا النَبْلُ ، إلا المشرفىَّ المصمِّما
لدنْ غُدوة حتّي إذا الليلُ ما تَرى من الخيل إلا خارجيا مسوَّما[٢]

وهذه القصيدة مسْطورة فى المفضليّات ، وعدتها واحد وأربعون بيتا[٣] .

وأفناء العشيرة : أوباشهم ، يقال هو من أفناء الناس : إذا لم يُعلم ممَّن هو . ودارة مَوضوع : اسم مكان ، وكذلك السِّتار وأظلَم ، موضعان . وقوله : نطاردهم الخ ، هذا هو العامل فى عشيّة . ورُوى :

(١) كتب الشنقيطى فى هامش نسخته : « قلت : قوله فبالتراشق بالرماح » خطأ محض ، والصواب : فالتطاعن بالرماح ، لأنها هى التى يطعن بها فقط ، ولأن الرشق بالسهام وحدها » .

(٢) فى المفضليات ٦٥ : « حتى أتى الميل » ، وفى الحماسة « من الصبح حتى تغرب الشمس » .

(٣) هى اثنان وأربعون بيتا .

« نُقاتِلهم نَستنقِذ الُجرْدَ كالقَنا ويستودعون السَّمهرِىَّ المقوَّما »

وروى ابن قتيبة :

« نحاربُهم نستودِع البيضَ هامَهُم ويستودعون السَّمهرىَّ المقوَّما[1] »

والُجرْد : الخيل القصيرة الشعور ، وذلك مدحٌ لها . والسمهرىّ : القنا . والمقوّم : المعدّل المثقَّف . يقول : نحن نستنقِذ الخيل الُجرْدَ منهم ، وهم يستنقذون الرماحَ منّا بأن نطعُنَهم بها ونتركها فيهم . وقوله : لدن غدوة الخ ، ظرف لنُطاردهم أيضا . والخارجىّ من الخيل : الجواد فى غير نسب تقدَّمَ له ، كأنّه نبَغ بالجودة ، وكذلك الخارجىّ من كلّ شىء . والمسوّم : المعْلَم للحرب. يقول : إنّ الناس انكشفوا فى هذه الحرب فلم يبقَ إلاّ أهلُ هذه الخيل الأشِدّاء ، الذين سوّموا أنفسَهم وخَيلهم ، شجاعةً وجَراءة ، لأنّه لا يثبت عند انهزام الناس إلاّ الأبطال .

وفى هذه القصيدة بيتٌ من شواهد سيبويه ، وأورده المرادىّ فى باب إعراب الفعل من شرح الألفيّة :

(ولولا رجالٌ من رِزامِ بن مازنٍ وآلِ سُبَيع أو أسوءَكَ عَلْقَما[2]

لأقسمتُ : لا تنفكُّ منِّي مُحاربٌ على آلة حَدباءَ حتّى تنَدّما)

أورده شاهداً على نصب أسوءك بإضمار أنْ بَعْدَ أو . ورِزامٌ هو رِزامُ ابن مازنِ بن ثَعلبةَ بن سعد بن ذُبيان.ووهِم العَيْنيّ فزعم أنّه أبو حَيٍّ من تميم ، قال : وهو رِزام بن مالك بن عمرو بن تميم . . وسُبَيع بالتصغير ، هو سُبيع بن عمرو بن فُتَيَّة (مصغَّر فتاة) ابن أمة بن بَجالة بن مازن بن ثعلبة

(١) فى الشعراء ٦٣٠ : ويستودعونا » .

(٢) فى سيبويه ١ : ٤٢٩ : « من رزام أعزة » .

ابن سعد بن ذُبيان(١) . وكان سُبَيع شريفاً ، وهو صاحب الرُّهن التى وُضعت على يديه فى حرب عَبْس وذُبيان ، ولمّا حضره الموتُ قال لابنه مالك بن سبيع : إنّ عندى مَكْرُمة لا تَبِيد أبداً إن احتفظْتَ بهذه الأُغَيلِمة . . وعَلْقَمِ منادى مرخمُ علقمة ، وهو علقمةُ بن عبيد بن عبد بن فُتَيَّة المذكور . . وآلِ سبيع بالجرِّ عطفاً على مجرورِ مِنْ(٢) . وأسوءك مؤوّل بمصدر معطوف على رجال . ورُوِى . (ولولا رِجالٌ من رِزام أعزّةٌ) بالرفع صفة رجال (٣) .

وقوله : لأقسمتُ لا تنفكّ الخ ، هو جواب لولا . وقوله : لا تنفكّ الخ ، جواب القسم . ومُحارِب : قبيلة ، وهو محارب بن قَيس بن عَيلان(٤) . والآلَة : الحالة ، والحدْباء ، بالحاء المهملة : الصعْبة . والمعنى : لولا أنّ هؤلاء الرجال أو مساءتك لحمِلتَ على أمرٍ عظيمٍ صعْب ، لا تطمئنّ عليه إذا ركبتَه . وتَندَّم أصله تتندّم بتاءين ، فحذف إحداهما .

ضرار ابن الأزور

وأمّا (ضِرار بن الأزور) فهو مالك بن أوس بن جَذيمة(٥) بن ربيعة ابن مالك بن ثعلبة بن دُودانَ بن أسدِ بن خُزَيمة الأسَدىّ . الفارس ، الشاعر ، الصحابىّ . أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأنشده :

خلعتُ القِداحَ وعِزْفَ القيا ... نَ والخمرَ تَصْليةً وابتهالا(٦)

---

(١) انظر مختلف القبائل ٣٣ وشرح ما يقع فيه التصحيف للعسكرى ٤٩٣ .

(٢) ضُبطت فى كتاب سيبويه بالرفع عطفاً على « رجال » .

(٣) وهى رواية سيبويه ، كما تقدم .

(٤) كذا ، وإنما هو محارب بنى خصفة بن قيس بن عيلان . جمهرة ابن حزم ٢٥٩ والاشتقاق ٢٩٢ والمعارف ٣٨ .

(٥) فى الإصابة ٤٢٦٧ « خزيمة » وفى الاستيعاب ١٢٠٤ « جذيمة » كما هنا .

(٦) فى الاستيعاب : « تصلية وابتهالا » وفى رواية أخرى فيها : « والخمر أشربها والثمالا » وفى هوامش ض عن غير مصدر معروف :

تركت القيانَ وعزفَ القيانِ ... وأدمنت تصلية وابتهالا

وفى الخيل لابن الأعرابى :

جنبت القداح وعزف القيا ... ن والخمر تصلية وابتهالا

وكرّى المحبَّرَ في غمرة ... وجَهْدى على المسلمين القتالا[1]

فيا ربِّ لا أُغبَنَنْ بَيعتى ... فقد بِعتُ أهلى ومالى بِدالا[2]

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « رَبِح البيع » .

قال البَغَوىّ : ولا أعلم لِضرار غيرَها ويقال : إنّه كان له ألف بعير برُعاتها ، فترك جميعَ ذلك وحضَر وقْعة اليَرْمُوك وفَتْحَ الشام . وكان خالدُ ابن الوليد بعَثَه فى سَرِيّةٍ فأغارَ على حيٍّ من أسَد ، فأخذوا امرأةً جميلة ؛ فسأل ضرارٌ أصحابَه أن يهَبُوها له ، ففعلوا ، فوطئها ثمّ ندم ؛ فذكر ذلك لخالدٍ فكتب إلى عُمر رضى الله عنه ، فكتب إليه : أن ارضَخْه بالحجارة ! فجاء الكتاب وقد مات ضرار .. وقيل : إنّه ممن شرب الْخمر مع أبى جَندل ، فكتب فيهم أبو عُبيدة إلى عمر ، فكتب إليه عمر : أن ادعُهُمْ فسائِلهمْ ، فإن قالوا إنّها حلالٌ فاقتلهم ، وإن زعموا أنّها حرام فاجلِدْهم ! ففعل ، فقالوا : إنها حرام ؛ فجلدهم .

وضِرارُ هو الذى قَتَلَ مالكَ بنَ نُويرة بأمرِ خالدِ بن الوليد — كما تقدَّم شرحُه مفصَّلاً فى الشاهد السادس والثمانين[3] واختُلف فى وفاة ضرار ، فقال الواقدىّ : استُشهِد باليمامة : وقال موسى بن عقبة : بأَجْنادِين . وقيل : نزل حرَّانَ فمات بها . والله أعلم .

الحصين ابن الحمام

وأما الُحصَين بن الُحمَام المُرِّىّ ، فهو جاهلىّ . وهو بضم الحاء وفتح الصاد

(١) فى النسختين : « وكرِ المجنب » ، وأثبت مافى الاستيعاب والخيل لابن الأعرابى ٥٦ ، إذ أن المحبر هو اسم فرس ضرار كما تقدم قريبا . وفى الإصابة وأصول الاستيعاب : « المجبر » بالجيم ، تحريف .

(٢) عند ابن الأعرابى ، وكذا فى الاستيعاب : « صفقتى » .

(٣) الخزانة ٢ : ص ٢٠ وما بعدها

المهملتين . والحُمَام بضمّ الحاء المهملة وتخفيف الميم . وهو فارسُ شاعر . قال ابن قُتيبة في كتاب الشعراء[١] : هو من بني مُرة ، جاهلي ، يُعَدّ من أوفياء العرب . قال أبو عبيدة : اتّفقوا على أنّ أشعَر المُقِلّين ثلاثة : المسيّب ابن علَس ، والحُصين بن الحُمام ، والمتلمِّس .

وهذه نسبته ، كما في الجمهرة وشرح المفضّليّات : الحُصَين بن الحُمام ابن رَبيعة بن مُسَاب (بضمّ الميم وتخفيف السين) ابن حرام بن وائلة[٢] ابن سَهْم بن مُرَّة بن عَوف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيث بن غطَفان ابن سعْد بن قيس بن عَيلان بن مُضَر بن نِزار .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[٣] :

٢٢٣ (ولا عَيبَ فيهمْ غيرَ أنّ سُيوفَهُمْ
بِهنّ فُلولٌ مِنْ قِراعِ الكَتائب)

على أنّه عند سيبويه استثناء منقطع جُعل كالمتّصل ، لصحة دخول البدَل في المبدَل منه . وبيّنه الشارح المحقّق أحسن بيان .

وقوله : (أنّ سيوفهم الخ) مؤول بمصدرٍ مجرور ، أي غير كونِ سيوفهم بها فلول الخ . و (الفُلول) : جمع فَلّ ، بفتح الفاء ، وهو كسْرٌ في حَدّ

(١) الشعراء ٦٣٠ .

(٢) ط والأغاني ١٢ : ١١٨ : « وائلة » ، صوابه في ش وابن سلام ١٣١ وشرح المفضليات ١٠١ وجمهرة ابن حزم ٢٥٤ ، وقد ضبطت مساب في شرح المفضليات بفتح الميم .

(٣) في كتابه ١ : ٣٦٧ . وانظر الهمع ١ : ٢٣٢ والكامل ٣٢ ، ١٩٦ وشرح شواهد المغني ١٢١ ومعاهد التنصيص ٢ : ٣١ وديوان النابغة ٦ .

السّيف ؛ وسيفٌ أفلُّ بيِّنَ الفَلَل ؛ يقال فلّه فانفلّ أى كسره فانكسر ؛ وفللت الجيش أى هزمتهم . و (القِراع) المضاربة ، مصدر قارعه ؛ يقال قرعته بالمقرعة(١) : إذا ضربته بها ؛ وقرعت الباب : إذا طرقته . و (الكتائب) : جمع كَتيبة ، وهى الطائفة المجتمعة من الجيش .

وهذا البيت مشهورٌ ، قد تداوله العلماء فى تصانيفهم ، وقد أورده علماء البديع شاهداً لتأكيد المدح بما يُشبه الذمّ ، فإنّه نفى العيب عن هؤلاء القوم على جهة الاستغراق ، ثمّ أثبتَ لهم عيباً وهو تثلُّم سيوفهم من مُضارَبة الجيوش . وهذا ليس بعيب ، بل هو غاية المدح ؛ فقد أكّد المدحَ بما يشبه الذمّ . وأورده صاحب الكشّاف أيضا ، عند قوله تعالى : (لئلاّ يكونَ للناس عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إلاّ الذين ظَلَموا مِنْهم(٢)) . على أنّ الآية أشبهُ بتأكيد الذمّ بما يشبه المدحَ : عكس البيت فإنّ إطلاق الحجّة على قول الذين ظلموا ، ذمٌّ فى صورة مدح ، لا أنّه مدحٌ فى صورة ذمّ . وأورده سيبويه فى باب ما لا يكون إلاّ على معنىً ولكن . قال النحّاس : فرّق سيبويه بين هذا الباب وبين الباب الذى قبله ، لأنّ الذى قبله يجوز فيه الرفع والنصب ، والنصبُ أجْوَد ؛ وهذا الباب لا يجوز فيه عنده إلاّ النصب ، لأنّه ليس من الأوّل فى شىء . وأجاز المبرد فى جميع ما فى هذا الباب الرفع ، وكذا فى : لاعيب فيهم غير أنّ سيوفَهم انتهى . وعلى قول المبرّد فتكون غيرُ بدلاً من الضمير المستقرّ فى الظرف .

---

(١) ط : « قارعته بالمقرعة » ش : « قرعته بالقرعة » ، وقد جمت الصواب منهما .

(٢) الآية ١٥٠ من سورة البقرة .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ للنّابغة الذُّبيانيّ، مدح بها عمرو بن الحارث الأصغر ابن الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر، ملوك الشام الغسّانيِّين، وذلك لمّا هرب من النُّعمان بن المنذر اللَّخْميّ، من ملوك الحيرة. وليس الممدوح بها النعمان بن الحارث — كما وهم شارحُ شواهد المغنى — لتصريح المدوح بها فى القصيدة، كما سيأتى. ومطلع القصيدة :

١٠

أبيات من قصيدة الشاهد

(كِلِينى لِهَمٍّ يا أُمَيمةُ ناصبِ ... وليلٍ أُقاسيهِ بطَىءِ الكَواكبِ)

وتقدّم شرح هذا البيت وسبب هروبه[1]، فى الشاهد السابع والثلاثين بعد المائة مفصلاً[2]. وقال بعد ثلاثة أبياتٍ شُرِحت هناك :

(حلَفْتُ يميناً غيرَ ذى مَثْنَوِيَّةٍ ... ولا عِلْمَ إلاّ حُسْنُ ظَنٍّ بصاحب :

لئن كان لِلقَبرين قبرٍ بجِلِّق ... وقبرٍ بصيداءَ التي عِندَ حارِبِ[3]

ولِلحارث الجَفْنيِّ سيِّدِ قومه ، ... ليَلتمِسَنْ بالجمع أرضَ المحارِبِ)

البيت الأوّل من شواهد سيبويه، أورده بنصب ما بعد إلاّ على الاستثناء المنقطع، لأنّ حُسن الظنّ ليس من العلم. ورفعهُ جائز على البدل من موضع العلم وإقامة الظنّ مُقام العلم اتساعاً ومجازاً. وقوله : غير ذى مَثْنَوِيّة، هو مصدر بمعنى الاستثناء فى اليمين، أى حلَفت غير مستثنٍ فى يمينى، ثقةً بفعل هذا الممدوح، وحُسْنَ ظَنٍّ به.

(١) أنكر بعضهم صحة « الهروب » وصححها بالهرب، ووجدتها فى شعر الطفيل بن عامر بن واثلة عند الطبرى ٨ : ١٣ .

متى نهبط المصرين يهرب محمد ... وليس بمنجى ابن اللعين هروب

(٢) الخزانة ٢ : ص ٣٢١ وما بعدها

(٣) كذا فى النسختين وكذلك فى معجم البلدان (حارب) وهى رواية صحيحة والذى فى الديوان : « الذى عند حارب » . وفى شرح الديوان ٣ : « قال أبوعمرو : صيداء : أرض بالشام . وقال الأثرم : حارب : اسم رجل ، وقيل هو موضع » . وقال ياقوت : « هو موضع من أعمال دمشق بحوران قرب مرج الصفر » .

وروى أبو عبيدة :

* وما ذاك إلاّ حسنُ ظنٍّ بصاحبِ *

وعليه فلا شاهد فيه ، والإشارة لليمين . . وجملة المصراع الثانى على الروايتين معترضة بين القَسَم وجوابه . وقوله : لئن كان للقبرين الخ ، اللام الداخلة على إنْ موطِّئة للقسم ، أى وطّأت أنّ الجوابَ الذى بعد الشرط للقسَم ، فجملة قولِه الآتى : ليلتمسن بالجمع الخ ، جواب القسم . وجوابُ الشّرط محذوفٌ دلّ عليه جوابُ القسم ، واسم كان ضمير عمرٍو الممدوح المتقدِّم فى قوله :

(علىَّ لعمرٍو نعمةٌ بعد نِعمةٍ لوالدِه ليستْ بذاتِ عَقاربِ)

وأراد بالقبرين المقبورَينِ : الحارث الأعرج ، ابن الحارث الأكبر ، وهو الجفنِيّ الآتى ذِكْره : يقول : لئن كان عَمْرُو ابنَ هذين الرجلين المقبورَين فى هذين المكانين ، ليُمضِينَّ أمرَه وليلتمِسَن أرضَ مَنْ حارَبَه . وجِلِّق بكسر الجيم واللام المشدّدة ، هى الشام . وصَيداء : مدينة بالشام بالساحل . وحارِب : موضع ، وقيل اسم رجل . وقوله : وللحارث الجَفْنِيّ الخ ، بفتح الجيم ، وهو جَفْنة بن عمرو مُزيقِياء بن عامر بن ماء السماء ، وهم الملوك الذين كانوا بالشام . وقوله : ليلتمسن ، هذا جواب القسم مؤكّد بالنون الخفيفة . وقوله : بالجمع ، أى بجموع العساكر والجيوش .

وقال بعد ما ذُكِر :

(لهُمْ شِيمةٌ لم يُعطِها اللهُ غَيرَهمْ من الناسِ ، والأحلامُ غيرُ عَوازبِ
مَجلّتُهُمْ ذاتُ الإلٰهِ ، ودِينُهمْ قَويمٌ ، فما يَرجُونَ غيرَ العواقبِ)

والشِّيمة : الطبيعة . وقوله : والأحلام الخ ، أى لا تعزُب عقولهم عنهم كما

تعزُب الماشية عن أهلها ، أى لا تغيب . وقوله : مجلتهم ذات الإله ، المجلّةُ بفتح الميم والجيم : الكتاب ، لأنّه يُجَلّ ويُعظَّم ؛ وأراد به الإنجيل ، لأنّهم كانوا نَصارىٰ . قال العسكرىّ (فى كتاب التصحيف[1]) : قرأته على ابن دُرَيد : (مَجلّتهم) بالجيم ، وقال لى : سمعتُ أبا حاتم يقول : رواية الأصمعىّ بالجيم ، قال : وهو كتاب النصارى[2] . وكذا كلّ كتابٍ جمَع حِكمةً وأمثالاً ، فهو عند العرب مَجلّة ، ومن هذا سمَّى أبو عُبَيدة[3] كتابه الذى جَمع فيه أمثالَ العرب المَجَلَّة[4] . وروى أيضاً : (مَحلّتهم) بالحاء المهملة أى منزلتهم بيت المقْدس وأرض الشام ومنازل الأنبياء وهى القُدس . وروى ابن السِكّيت : (مخافَتهم) يريد يخافون أمرَ الله . وذاتُ الإله : كتابه . وقَويم : مستقيم . وقوله : فما يَرجُون الخ ، قال الأصمعىّ : أى ما يطلبون إلاّ عواقبَ أمورِهم ، فليس يَرجون شيئاً من أمْر الدنيا ، وإنّما يرجون ما بعد الموت .

وبعد البيت المستشهَد به ، أعنى قوله :

ولا عيبَ فيهم غير أنّ سيوفهم . . . . البيت :

(تُخُيِّرْنَ من أزمانِ يومِ حَليمةٍ ... إلى اليومِ قد جُرِّبن كلَّ التَجارب)

وأورده ابنُ هشامٍ فى المغْني على أنّ (مِنْ) تأتى لابتداء الغاية فى الزمان

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢٥٧ .

(٢) فى كتاب العسكرى : « وهو الكتاب كتاب النصارى » .

(٣) فى النسختين : « أبى عبيد » ، صوابه من العسكرى . وقال الميمنى : المعروف أن أمثال أبى عبيد تسمى الأمثال السائرة كما فى الخزانة فى غير ما موضع ، فلعل الصواب « أبو عبيدة » لأن لأبى عبيدة أيضاً كتابا فى الأمثال .

(٤) إلى هنا ينتهى نص العسكرى . والذى فى الفهرست ٧٩ ، ٨٠ « كتاب الأمثال » .

أيضاً ، وهو مذهب الكوفيّين والأخفش والمبرّد وابن دُرُسْتَوَيْهِ ، بدليل : (مِنْ أوّلِ يَوْمٍ[١]) . وفى الحديث : « فمُطِرْنا من الجمعة إلى الجمعة » . وهذا البيتُ . وقيل : التقدير : منْ مُضيّ أزمان ، ومِن تأسيسِ أوّلِ يوم . وردَّه السُّهيلى بأنّه لو كان هكذا لاحتِيجَ إلى تقدير الزمان[٢] ؛ وتُخُيِّرن وجُرِّبن كلاهما بالبناء للمفعول ؛ والنون ضمير السيوف . والتجارِب جمع تجرِبَة . وكلّ منصوبٌ على المصدر . وإلى متعلّقة بقوله تُخُيِّرن .

يوم حليمة

ويوم حَليمة[٣] ، قال العسكرىُّ فى التصحيف[٤] : هو يومٌ كان بين ملوكِ الشام ، من الغسّانيين ، وملوكِ العراق ، قُتِل فيه المنذر — إمّا جَدّ النعمان أو أبوه — وقيل فى هذا اليوم « ما يوم حليمةَ بِسرّ » انتهى .

وفى (الدُّرّة الفاخرة) لحزة الأصبهانىّ ، وهى الأمثال التى جاءت على وزن أفعل التفضيل ، وكذلك فى مستقصى الأمثال للزمخشرىّ ، واللفظُ للأوّل : « أعزُّ من حَليمة[٥] » هى بنت الحارث بن أبى شِمْر الغسّانى الأعرج ملك عرب الشام ، وفيها سار المثل[٦] فقيل : « ما يومُ حَليمة بسِرّ » أى خفىّ . وهذا اليوم هو اليوم الذى قتل فيه المنذرُ بن المنذر ملكُ عرب العراق ، فسار بعَرَبها إلى الحارث الأعرج الغسّانىّ — وهو ابن الحارث الأكبر ، وكان فى عرب الشام — وهو أشهر أيّام العرب . وإنّما نُسب هذا اليومِ إلى حَليمة

(١) الآية ١٠٨ من سورة التوبة .

(٢) فى حاشية الأمير على المغنى : « الظاهر أنه لارد ، وأنه لامانع من جعل نفس المضى والتأسيس مبدأ ، كما نجعل الدار مبدأ للخروج ولا حاجة لتقدير زمن » . فانظره .

(٣) انظر أمثال الميدانى ٢ : ٢٠٢ ، ٣٦٢ وثمار القلوب ٢٤٨ .

(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف ٤٤٤ فى باب ما يشكل من أيام العرب ووقائعها .

(٥) أمثال العسكرى ١٨٤ وثمار القلوب ٢٤٨ والكامل ٤٠١ وكنايات الجرجانى ١٠٥ ونهاية الأرب ٣ : ٥١ .

(٦) ط : « سائر المثل » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

لأنّها حضرت المعركة مُحضِّضةً لعسكر أبيها ، فتزعم العربُ أنّ الغبار ارتفع فى يوم حَليمة حتّى سدَّ عينَ الشمس وظهَرت الكواكبُ المتباعدة عن مطلَع الشمس ، فسار المثلُ بهذا اليوم فقالوا : « لأُرِيَنَّكَ الكواكبَ ظُهرا » .

وأخذه طَرَفة فقال :

إنْ تُنَوِّلْه فقد تَمنَعُه   وتُرِيه النجمَ يَجرى بالظُّهُرْ . اهـ

وفى شرح ديوان النابغة : سبب ذلك أنّ المُلكَ كان فى الضَّجاعِم ، فأتَى رجلٌ منهم رجلاً من غسّانَ يقال له جِذْع ، فسأله الخراج ، فأعطاه ديناراً ؛ فقال : هاتِ آخرَ ، وشدّد عليه ، فاستأجله فلم يفعَل ، فلما ضيّق عليه دخل جِذعٌ منزلَه فالتحف على سيفه ثم خرج ، فضرب به الضَّجْعَمىّ فقتَلَه . فقال القائل[1] : « خُذْ من جِذعٍ ما أعطاك » . ووثبتْ غسّانُ ورأسوا عليهم رجلاً ، ثمّ أوقعوا بالضّجاعم فغلبتْهم غسّانُ وأخذَت الملكَ منهم . . وأما حَليمة فهى ابنة الغسّانى الذى رُئِّس عليهم ، وكانت من أجمل النساء ، فأعطاها طِيباً وأمرها أن تطيِّبَ مَن مرّ بها من جنده ؛ فجعلوا يمرُّون بها وتطيِّبهم ، فمرّ بها شابٌّ فلمّا طيّبته تناولها فقبّلها ؛ فصاحت وشكَت ذلك إلى أبيها ؛ فقال : اسكُتى فما فى القوم أجلدُ منه ، حينَ فَعل هذا بكِ واجترأ عليكِ ، فإنّه إمّا أن يبلىَ بَلاءً حَسَناً ، فأنتِ امرأتُه ، وإمّا أنْ يُقتَل ، فذاكِ أشدُّ عليه ممّا تريدين به من العقوبة ، فأبلىْ الفتَى ، ثم رجع فزوّجَه ابنته حَليمة . انتهى

وفى القاموس : وحَليمة بنت الحارث بن أبى شِمْر ، وجّه أبوها جيشاً إلى المنذرِ بن ماء السماء ، فأخرجت لهم مِرْكَنا مِن طيبٍ وطيّبتهم منه[2] —

---

(١) ط : « القائل » ، صوابه فى ش . وانظر القاموس (جذع ، حلم) .

(٢) النقل إلى هنا عن القاموس (حلم) ، وسائر القصة إلى كلمة « المخبل » . من مادة (جذع) ، وما بقى لم أعثر على مكانه من القاموس .

والمِرْكَن، بكسر الميم : الإجّانة التى تُغسل فيها الثياب — وسببه : أنّ غسان كانت تؤدِّى كلّ سنة إلى مَلكِ سَليحٍ دينارَين من كلّ رجل، وكان يلى ذلك سَبْطةُ بنُ المنذر السَّليحىّ، فجاء سَبْطةُ يسأل الدينارين من جِذْعِ بن عمرو الغسّانىّ، فدخل جِذعٌ منزلَه فخرج مشتملاً بسيفه، فضرب به سَبْطةَ حتى بَرَد، وقال : خُذْ من جِذعٍ ما أعطاك. يُضرَب فى اغتنام مايجودُ به البخيل. وسَليح، كجريح : قبيلة باليمن. وجِذع، بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة

ثم إنّ جيش الحارث توجّه إلى المنذر، فقالوا : أتينا مِن عندِ صاحبنا، وهو يَدِين لك ويُعطيك حاجتك، فتباشر هو وأصحابه وغَفَلوا بعض الغفلة، فحمل ذلك الجيشُ على المنذر فقتلوه. فقيل فى ذلك اليوم : « ما يوم حليمة بِسِرٍّ » أى بخفىّ. فصار يُضرَب لكلّ أمر مشهور.

وترجمة النابغة تقدّمت فى الشاهد الرابع بعد المائة(١)

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد المائتين، وهو من شواهد سيبويه(٢) :

٢٢٤ (فتى كَمَلَتْ أخلاقُه، غيرَ أنَّه جوادٌ فما يُبقِى مِن المال باقيا)

لما تقدّم قبلَه. قال ابن جِنّي فى إعراب الحماسة(٣) : أخبرنا أبو بكرٍ محمّدُ ابن الحسن، قراءة عليه، عن أحمدَ بنِ يحيي قال : لما أنشدته — يعنى ابنَ الأعرابيّ — قولَ الشاعر :

ولاعيبَ فيهمْ غير أنّ سُيوفهم . . . . البيت

(١) الخزانة ٢ : ص ١٣٥

(٢) فى كتابه ١ : ٣٦٧. وانظر ديوان النابغة الجعدى ١٧٣ وشرح شواهد المغنى ٢٠٩ والهمع ١ : ٢٣٤ والحماسة بشرح المرزوقى ٩٦٩.

(٣) كتاب التنبيه على شرح مشكل الحماسة الورقة ١٤٤ مخطوطة أحمد الثالث.

قال : هذا استثناء قَيْسٍ[١] ، يقولون : غيرَ أنّ هذا أشرفُ من هذا ، وهذا أظْرف من هذا . يكون مدحاً بعد مدح . وأنشدَ فيه أيضاً :

فتًى تمّ فيه ما يسُرُّ صديقَه على أنّ فيه ما يَسوء الأعاديا

انقضت الحكاية . وهذا الاستثناء على إغرابه[٢] جارٍ مَجرى الاستثناء المعهود ، ألا ترى أنّه إذا قال : فتىً تمّ فيه ما يسرُّ صديقه ، جاز أن يظن أنه مقصور على هذا وحده ، فإذا قال : على أنّ فيه ما يسوء الأعاديا ، أزال هذا الظنَّ ، وصار معناه أنّ فيه مسرةً لأوليائه ومساءةً لأعدائه ، وليس مقصوراً على أحد الأمرين . فهو إخراجُ شيء من شيء ، لخلاف الثانى الأول . وكذلك : فتى كملت أخلاقُه . . البيت ، لما كان إتلافه للمال عيباً عند كثيرٍ من الناس ، استثنى هذه الحالةَ فأخرَجَها من جُملة خِلال المدح ، لمخالفتها إيّاها عندَهم وعلى مذهبهم . وليس شيء يُعْقَد[٣] على أصله فيخرج عنه شيء منه[٤] فى الظاهر ، إلاّ وهو عائد إليه وداخل فيه فى الباطن ، مع التأمُّل[٥] . انتهى كلامه .

وأورده علماء البديع أيضاً فى باب[٦] تأكيدِ المدح بما يشبه الذمّ .

وهذا البيت من أبيات للنابغة الجعدىّ ، رثَى بهـا أخاه . وقد أوردها أبو تمّام فى باب المراثى من الحماسة ، وهى من قصيدةٍ . . وقبله :

(ألم تَعلَمِى أنّى رُزِئت مُحارِباً فما لكِ منه اليوم شىء ولا ليا[٧]

---

(١) كذا ضبط بالإضافة فى كتاب ابن جنى .

(٢) فى كتاب ابن جنى . « على إعرابه » بالعين المهملة .

(٣) ط : « يعقد » صوابه فى ش وكتاب ابن جنى ، وفيه : « يعقد عقد » .

(٤) ابن جنى : « فيخرج عقد شىء منه » .

(٥) ابن جنى : « ومع التأمل » .

(٦) فى النسختين : « كتاب » .

(٧) ط : « شيئا » صوابه فى ش والديوان ١٧٣ .

١٣ ومِنْ قبلِهِ ما قدْ رُزِئتُ بوَحْوَحٍ وكانَ ابنَ أُمّي والخليلَ المصافيا
فتًى كملتْ خَيراته غير أنّه جوادٌ فما يُبقِى مِن المال باقيا
فتًى تمّ فيه ما يسرُّ صديقَه على أنّ فيه ما يسوءُ الأعاديا
يقول لمن يَلحاه فى بَذْل مالِه : أأُنفِق أيّامى وأتركُ ماليا !
يُدِرُّ العُروقَ بالسِّنان ، ويشترى من الحمدِ ما يَبقَى ، وإنْ كان غاليا)

قوله : ألم تعلمى الخ ، يخاطب امرأتَه . ومحارب ، قال أبو عُبيد البكرىّ فى شرح نوادر القالىّ[(١)] : « هو مُحارب بن قيس بن عُدَس ، من أشراف قومه » . وهو تفجّعٌ وتوجّعٌ . يقول : قد فُجِعنا به فأصبحنا لا نستمتِع به ولا ننتفع بمكانه . ثم ذكَر أنّه قد فُجِع قبله بأخيه وَحْوح ؛ وهو مأخوذ من قولهم وحْوَح الرجلُ : إذا ردّد صوتاً فى صدره ، وهو نحو النحنحة .

وقوله : فتًى كملت الخ ، رُوى أيضاً : (فتى كملت فيه المُروءة) ؛ ويجوز أن يحمل الفتى على ابنه وعلى أخيه . . قال المرزُبانىّ فى الموشَّح[(٢)] : أخبرنى الصُولىُّ عن أبى العَيناء عن الأصمعىّ قال : أنشدت الرشيدَ أبياتَ النابغة الجَعْدىّ ، من قصيدته الطويلة :

فتى تم فيه ما يسر صديقه . . . . البيت
فتى كملت أعراقُه غير أنّه . . . . البيت
أشمُّ طويلُ الساعدَين سَمَيدَعٌ إذا لم يرُح للمجد أصبحَ غاديا[(٣)]

فقال الرشيد : ويله ، لِمَ لَمْ يروِّحْه فى المجد كما أغداه ! ألاّ قال :

(١) سمط اللآلى ٦٢٧ .
(٢) الموشح ٦٧ .
(٣) فى الموشح : « شمردل » .

* إذا راح للمعروف أصبح غاديا *

فقلت : أنت واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، فى هذا ، أعلم منه بالشعر .

ومن أبيات الغزل فى هذه القصيدة :

بَدَتْ فِعلَ وُدّ ، فلمّا تبعتُها تولّتْ وبقّتْ حاجتى فى فؤاديا

وحلّتْ سوادَ القلبِ لا أنا باغياً سِواها ، ولا فى حُبِّها متَراخِيا

قال شارح أبيات الموشّح: قوله فعل ذى وُدّ ، إمّا مصدرٌ لِبَدَت ، لأنّ المصادر وما يشتقّ منها يعبَّر عنها بلفظ الفعل ، قال تعالى : (والذِينَ هُمْ للزَّكاة فاعلُون[1])أو لفعلٍ محذوف ، أى بدت وفعلَتْ فعلَ ذى ودّ ، أى فاعلةً فِعلَه . وقال العَينيّ : هو بتقدير : كفعل ذى وُدّ ، والمعنى : فعلتْ معى فعلَ ذى محبة . . وقوله : وحلّتْ سوادَ القلب ، هذا البيت من شواهد النحاة أوردوه شاهداً على عملِ « لا » عملَ ليس فى المعرفة ، وهو شاذّ . وأجيب عنه بوجهين : أحدهما أنّ الأصل لا أرى باغياً ، فلما حذف الفعل برزَ الضمير ، فباغياً حال . والثانى : أنّ أنا مبتدأ ، والفعل المقدَّر المذكور خبره . ورُوِى (لا أنا مبتغ سِواها[2]) وعليه لا شاهدَ فيه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد المائتين[3] :

٢٢٥ (فما تركَ الصُّنْعُ الذى قدترَكْتهُ ولا الغيظُ منّي ليسَ جِلداً وأعظُما)

على أنّ ليس ، ولايكون ، وخَلَا ، وعَدَا ، لا يستعمَلن فى الاستثناء

(١) الآية ٤ من سورة المؤمنون .

(٢) فى النسختين : « أنا لامبتغ سواها » تحريف ، صوابه من أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٨٢ .

(٣) الأغانى ٤ : ٤٩ .

المفرّغ ، وقد جاء التفريغ فى ليس ، كما فى البيت ، فإن المستثنى منه محذوف ، أى ما ترك الصنّع شيئاً إلاّ حِلماً وأعْظُماً . فالمنصوب بعد ليس خبرها ، واسمُها قد بيّنه الشارح . والرواية إنّما هى .

(فما ترك الصنُعُ الذى قد صنعتَه)

١٤ بالخطاب مع عُمر بن عبد العزيز ، أراد بصنعه تقريب ضَدّه : زيدِ بن أسلم[1] ، وما عامل به الأحوَص من الجفاء . وقوله (ولا الغيظُ) عطف على الصنع .

ثم ذكر الشارحُ أنّ هذه الأفعال لم تستعمَل إلاّ فى الاستثناء المتصل . . أقول : قد وردت خَلَا فى الاستثناء المنقطع ، كقول العجّاج — وهو من أبياته — كما مرّ شرحه[2] :

وبلدةٍ ليس بها طُورِىُّ ولا خَلا الجنّ بها إنسىُّ

فإن قوله إنسىّ هو المستثنى منه ، والجن هو المستثنى ، وجنس كلّ منهما مغايرٌ لجنس الآخر .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للأحوص الأنصارى — وتقدّمت ترجمته فى الشاهد الخامس والثمانين[3] —

روَى صاحبُ الأغانى بسنده : أنّ عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة أدنى زيدَ بن أسلمَ [4] ، وجفا الأحوص ، فقال له الأحوص :

ألستَ أبا حفص ـ هُدِيتَ ـ مُخبِّرى أفى الحقّ أن أُقصَى وتُدنِي ابنَ أسلما

(١) الخزانة ٣ : ص ٢٩٥ من هذا الجزء .
(٢) الخزانة ٣ : ص ٣١١ من هذا الجزء .
(٣) الخزانة ٢ : ص ١٦ .
(٤) فى النسختين : « يزيد بن أسلم » ، صوابه فى الأغانى ٤ : ٤٩ وقد سبقت ترجمته فى ٢٩٥ من هذا الجزء .

فقال عمر : ذلك هو الحقّ . . . قال الزبير : وأنشدنيها عبدُ الملك ابن الماجُشُون[١] :

قصيدة الشاهد

ألا صِلَةُ الأرحامِ أقربُ للتُقى وأظهرُ فى أكْفائه لو تكرَّما

فما تركَ الصُّنعُ الذى قد صنعتَه ولا الغيظُ منّي ليس جلداً وأعْظُما

وكنّا ذَوِى قربىً إليكَ فأصبحتْ قرابتُنا ثدياً أجَدَّ مصرَّما[٢]

وكنت لما أرجوه منكَ كبارقٍ لوَى قَطرَه من بعد ما كان غيَّما[٣]

وقد كنتَ أرجى الناسِ عِندى مودّةً ليالىَ كان الظنُّ غَيباً مُرَجَّما

أعُدُّكَ حِرْزاً إن جَنيتُ ظُلامةً ومالاً ثَرِيًّا حينَ أحمِلُ مَغْرَما

تَدارَكْ بعُتْبَي عاتباً ذا قرابة طوَى الغَيظ لم يفتح بسُخْطٍ له فما[٤] اهـ

وهذه القصيدة أرسلها إلى عمرَ وهو منفيّ بدَهْلَكٍ ، كان سليمان بن عبد الملك قد نَفَاه — لِما تقدَّم فى ترجمته — فبقى هناك محبوساً مدَّة سليمان ؛ ثم ولى

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون . والماجشون لقب ليعقوب بن أبى سلمة عم والد عبد الملك ، ومعناه المورّد بالفارسية ، لقبته بذلك سُكينة بنت على بن الحسين ، لأنه كان أبيض تعلوه حمرة . وقد غلب هذا اللقب على هذه الأسرة . توفى سنة ٢١٣ . تهذيب التهذيب ووفيات الأعيان واللآلىء ٦٤٤ .

(٢) فى النسختين : « تدنى أجذ » ، وفى الأغانى : « ثديا أجذ » ، كلاهما تحريف ما أثبته . وفى اللسان عن الأصمعى : « يقال جُدّ ثدى أمه بالبناء للمجهول — وذلك إذا دعى عليه بالقطيعة » .
وأنشد :

رويد عليا جدّ ماثدى أمهم إلينا ولكن ودهم متماين

(٣) الأغانى : « وكنت وما أملت منك » .

(٤) هذا الصواب من الأغانى . وفى النسختين :

تدارك بعتبى عاتب ذا قرابة طوى العتب لم يفتح لسخط له فا

وفى ط : « طوى العتب » .

عمرُ بن عبد العزيز فكتب إليه يستأذنه فى القُدوم ويمدحه ، فأبىٰ أن يأذنَ له . وكان فيما كتب إليه :

أيا راكباً إمّا عرَضْتَ فبلِّغنْ هُديتَ ، أميرَ المؤمنين رسائلى

وقل لأبى حَفْص إذا ما لقيتَه : لقد كنتَ نفّاعاً قليلَ الغوائل

فكيفَ ترَى للعيش طِيباً ولَذّةً وخالُك أمسى مُوثقاً فى الحبائلِ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد المائتين(١) :

٢٢٦ (وكلٌّ أبِيٌّ باسلٌ غيرَ أنّني إذا عرَضتْ أُولى الطّرائدِ أبسَلُ)

على أنّ غيراً تستعمَل فى الاستثناء المتّصل . وقد مرّ ما فيه آنفاً .

صاحب الشاهد — وهذا البيت من قصيدةٍ مشهورة للشَّنْفَرىٰ تسمّى لاميّةَ العَرب ، مطلعها :

أبيات الشاهد

(أَقيموا بنى أمّى صدورَ مطيِّكمْ فإنّى إلى قومٍ سِواكُمْ لأمْيَلُ

فقد حُمّتِ الحاجاتُ والليلُ مُقْمِرٌ وشُدّت لطِيّاتٍ مَطايا وأرحلُ

وفى الأرضِ منأًى للكريمِ عن الأذىٰ وفيها لمن خافَ القِلَى متعزَّلُ

لَعَمْرُكَ ما بالأرض ضِيقٌ على امرىءٍ سَرىٰ راغباً أو راهباً وهو يَعْقلُ

ولى دونكم أهلونَ : سِيدٌ عَمَلّسٌ وأرْقَطُ زُهلُولٌ وعَرْفاءُ جيألُ

هم الأهلُ ، لا مستودَعُ السّرِّ ذائعٌ لديهمْ ، ولا الجانى بما جرَّ يُخذَلُ

وكلٌّ أبىٌّ باسلٌ غيرَ أنّنى . . . . البيت

وإنْ مُدّتِ الأيدى إلى الزادِ لم أكُنْ بأعجَلِهمْ إذْ أجشعُ القومِ أعجَلُ

وما ذاكَ إلاّ بَسْطة عن تفضُّلٍ عليهمْ وكان الأفضلَ المتفضِّلُ)

١٥

---

(١) انظر لامية العرب .

وهذه القصيدة قد شرحها جماعةٌ ، منهم الخطيب التّبريزىّ ، والزمخشرىّ ، وابن الشَّجَرىّ ، وابن أكرم[١] . ولم يحضُرنى الآن غيرُ الأوّل والثانى : قال القالىُّ فى أماليه[٢] : إنّ القصيدة المنسوبة إلى الشَّنفرى ، التى أوَّلها : « أقيمُوا بنى أُمّى صدورَ مطيّكم » هى من المقدَّمات فى الحُسن والفصاحة والطول . وكان أقدرَ الناس على قافية . انتهى . وعِدّتها ثمانية وستُّون بيتاً ، وقد استشهد الشارحُ منها بستّة أبيات أُخَرَ فى باب الجمع ، وفى الأفعال الناقصة ، وفى ربَّ من حروف الجر ، وفى حروف الشرط[٣] .

وقوله : أقيموا بنى أمّى الخ ، يقال أقام صدرَ مطيته . إذا جدَّ فى السير ، وكذلك إذا جدَّ فى أىّ أمرٍ كان . يؤذن قومَه بالرحيل ، وأنَّ غفلتهم عنه توجب مفارقَتهم . وبَنى أمّى : منادى ، وأضاف الأبناء إلى الأمّ لأنَّها أشدُّ شفقةً ، كما قيل فى قوله تعالى حكايةً عن هرون : (يا ابنَ أُمَّ[٤]) . وأميَل ، هنا بمعنى مائل ، ونظيره كثير نحو أكبر وأوحد .

وقوله : فقد حُمّت الحاجاتُ الخ ، يريد تنبَّهوا من رَقْدتكم ، فهذا وقت الحاجة ، ولا عُذر لكم ، فإنّ الليل كالنهار فى الضّوء والآلةُ حاضرة . وحُمّت بضمّ الحاء المهملة ، يقال حُمّ الشىء ، بالبناء للمفعول : أى قُدّر وهُيّئ . وأقمر الليلُ : أى أضاء . والطِّيَّة ، بكسر الطاء المهملة ، قال صاحب الصحاح : « الطِّيَّة النِّيَّة ، قال الخليل : الطِّيَّة تكون منزلاً وتكون منتأى ، تقول : مضى

(١) وكذا شرحها أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، وقد طبع الشرح فى مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٠ .

(٢) الأمالى ١ : ١٥٦ .

(٣) هذ الإحصاء من أدلة عناية البغدادى بمؤلفاته .

(٤) الآية ٩٤ من سورة طه .

لِطِيَّته : أى لنيته التى انتواها ، وبعدت عنَّا طِيَّته وهو المنزل الذى انتواه ؛ ومضىٰ لطيَّته ؛ وطِيَّة بعيدة : أى شاسعة » .

وقوله : وفى الأرض منأى الخ ، المنأى : اسم مكانٍ مِن نأىٰ أى بَعُد ؛ وهو متعلِّق قوله عن الأذى . والقِلَىٰ ، بكسر القاف : البُغض ، وإن فتحتَها مددت . ومُتعزَّل ، بفتح الزاء : اسم مكان مِن تعزَّله بمعنى اعتزله .

وقوله : ولى دونَكم الخ ، أورد الشارح هذا البيتَ فى باب الجمع . ودون هنا بمعنى غير . والسِّيد ، بكسر السين : الذئب ، والأنثى سِيدة ، وربّما سمِّى به الأسد . والعَمَلَّس ، بفتح العين والميم واللام المشدَّدة : القوىُّ على السير السريع . وأراد بالأرقَط النَّمِر ، وهو ما فيه سوادٌ يشوبه نُقَطٌ بيض . والزُّهلول بضمّ الزاى : الأملس ؛ وفى العباب : يقال للضبُع عَرْفاء لكثرة شعَر رقبتها . وأنشد هذا البيت . وجَيأل ، على وزن فيعل : اسم للضبع معرِفة ، وتكون بدلاً من عرفاء ؛ وهو غير منصرف للعلمية والتأنيث .

وقوله : هم الأهل الخ ، أى ما ذكرتُه من الوحوش هم الأهل لا غيرهم . وبيَّن وجه انحصارِ الأهليّة فيهم دونَ مَن عداهم من الإنس بقوله : لا مستودع السِرّ إلى آخره ، أى السرّ المستودَع عندهم غير ذائع . والجانى : اسم فاعل[1] مِن جنىٰ عليه جناية : أى أذنب . والباء سَبَبيّة . وجَرَّ بمعنى جَنى ، يقال جرَّ عليهم جَريرةً أى جنى عليهم جناية . ويُخذَل ، بالبناء للمفعول ، مِن خذلته وخذلت عنه ، من باب قتل ، والاسم الخِذْلان : إذا تركتَ نُصرته وإعانته وتأخرتَ عنه .

١٦

(١) ط : « اسم فعل » ، صوابه فى ش .

وقوله : (وكلٌّ أبىٌّ الخ) أى كلٌّ واحدٍ من هذه الوحوش . والأبىٌّ : الصعب الممتنع ؛ من أبَىْ يأبى فهو آبٍ وأبىّ . و (الباسِل) : الجرىء الشّجيع ؛ من بَسُل بَسالة ، مثل ضخم ضخامة ، بمعنى شجُع فهو باسل . وقوله : غير أنني الخ ، استثناء منقطع . و (عَرَضتْ) مِنْ عرض له كذا ، من باب ضرب : أى ظهر . و (أُولى) : مؤنث الأوّل . و (الطَّريدة) : ما طَرَدْتَ من صيد وغيره ، والمراد هنا الفُرسان ومطاردة الأقران فى الحرب إذا حمل بعضُهم على بعض ؛ يقال هم فُرسان الطِّراد . و (أبسَلِ) : أفعل تفضيل .

وقوله : وإنْ مُدَّت الأيدى الخ ، وصفَ عدمَ شَرَهه على الطعام وصبْرَه على الجوع . وهذا مدحٌ عند العرب . والزاد : ما يؤكل ؛ وأصله الطعام المتَّخذ للسفر . والباء فى قوله : بأعجلهم ، زائدة دخلت فى خبر الـكون المنفىّ . وقد استشهد له شُرّاحُ الألفيَّة بهذا البيت . وأجشَع : أفعل تفضيل من الجشع بفتحتين ، وهو أشدُّ الحرص ؛ وفعله من باب فرح . وأعجَل ، الأول ، بمعنى عَجِلٍ بفتح فـكسر ، لا أنّه أفعل تفضيل كالثانى ، لأنّ مراده أن ينفىَ العَجلة عن نفسه إذا مدَّ القومُ أيديَهم إلى الزاد ؛ وليس فى نفى زيادة العجلة كبيرُ مَدح . والشرط والجواب ، هنا ، كلاهما حكاية حالٍ ماضية ، ولذلك صحَّ وقوعُ لم فى جواب الشرط .

وقوله : وما ذاك إلاّ بسطةٌ الخ ، الإشارة راجعـةٌ إلى عدم مدِّ يده إلى الزاد مستعجِلاً ، وقيل راجعة إلى مجموع ما مدَح به نفسَه . والبَسْطة : السَّعة . والتفضُّل : الإنْعام ؛ يقال تفضَّلَ عليه وأفضَل إفضالاً بمعنًى . والأفضَل خبر كان تقدَّم على اسمها وهو المتفضِّل .

الشنفرى

و (الشَّنْفَرَىْ) شاعرٌ جاهليٌّ قَحْطانىٌّ من الأزْد . وهو كما فى الجمهرة وغيرها من بنى الحارث بن ربيعة بن الأَواس بن الحَجْر بن الهنْء بن الأزد .

وهو بفتح الشين وآخره ألف مقصورة وهو اسمه . والأواس بفتح الهمزة [١] .
والحجْر بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم . والهنْء بتثليث الهاء وسكون النون
وبعدها همزة . وزعم بعضهم أنّ الشنفرى لقبُه — ومعناه عظيم الشفة — وأنّ
اسمه ثابت بن جابر . وهذا غلطٌ كما غَلِط العَينيُّ فى زعمه أنّ اسمه عمرو بن
برّاق (بفتح الباء وتشديد الراء المهملة) بل هما صاحباه فى التلصّص ، وكان
الثلاثة أعدَى العدّائينَ فى العرب ، لم تلحقْهم الخيل ؛ ولكن جرى المثلُ
بالشنفرى فقيل : « أعدَى من الشنْفرى » .

ومن حديثه ما ذكره أبو عمرو الشيبانيُّ — كما نقله ابنُ الأنباريّ فى شرح
المفضليات ، وحمزةُ الأصبهانيُّ فى الدُّرَّة الفاخرة — ، قال : أغار تأبَّطَ شرًّا
— وهو ثابت بن جابر — والشّنْفَرى الأزْديُّ ، وعمرو بن برّاق علي بَجيلة
(بفتح الباء وكسر الجيم) . فوجدوا بَجيلةَ قد أقعَدُوا لهم على الماء رصَداً ؛
فلمّا مالُوا له فى جوف الليل قال لهم تأبَّطَ شرًّا : إنّ بالماء رصداً . وإنّى لأسمعُ
وَجيبَ قلوبِ القومِ — أى اضطرابَ قلوبهم — قالوا : والله ما نسمع شيئاً ،
ولا هو إلاّ قلبك يَجِب ! فوضع يدَه على قلبه فقال : والله ما يَجِب وما كان
وجّاباً ! قالوا : فلا والله ما لنا بُدٌّ من وُرود الماء ! فخرج الشّنفرى ، فلمّا رآه
الرصَد عرَفوه ، فتركوه فشرِب ثمّ رجَع إلى أصحابه فقال : والله ما بالماءِ أحدٌ ،
ولقد شربتُ من الحوض ! فقال : تأبَّط شرًّا : بَلَىَ ، لا يريدونَكَ ولكنْ
يريدُونَنى . ثمّ ذهب ابنُ برّاقٍ فشرِب ثم رجع ، فلم يَعْرِضوا له ، فقال :
ليس بالماء أحد ! فقال تأبَّط شرًّا : بَلَىَ ، لا يريدونك ولكنْ يريدونَني !
ثم قال للشّنفرى : إذا أنا كرَعت فى الحوض فإنّ القوم سيَشُدُّونَ علَىّ

١٧

(١) ضبط فى شرح المفضليات للأنبارى ١٩٥ هكذا : « الإواس بن حِجْر » .

فيأسِرونني ، فاذهبْ كأنّك تَهرُب ثم ارجعْ فكنْ فى أصل ذلك القرْن ، فإذا سمعتَني أقول : خذُوا ، خذوا فتعالَ فاطلِقْني . وقال لابن برّاق : إنّى سآمُرك إن تستأسِرَ للقوم ، فلا تُبعِدْ منهم ولا تمكّنْهم من نفسك . ثم أقبلَ تأبّط شرّا حتّي ورد الماء ، فلما كرعَ فى الحوض شدُّوا عليه فأخذوه وكتفوه بوَتَر ، وطار الشنفرىٰ فأتىٰ حيثُ أمرَه ، وانحاز ابن برّاق حيثُ يرونه ؛ فقال تأبّط شرّا : يا بَجيلة ، هل لكم في خير ! هل لكم أن تُياسرونا[1] فى الفِداء ويَستأسِرَ لكم ابنُ براق ! فقالوا : نعم ، ويلَك يا ابنَ برّاق ! إنّ الشنفَرىٰ قد طار ، فهو يصطلى نارَ بنى فلان ، وقد علمتَ الذى بيننا وبين أهلك ، فهل لكَ أن تَستأسِر ويُياسرونا[2] فى الفِداء ! فقال : أما والله حتّي أرُوز نفْسى شوطاً أو شوطين . فجعَل يَعدُو فى قِبَلِ الجبل ثمّ يرجع ، حتّي إذا رأوا أنّه قدْ أعيا وطَمِعوا فيه اتّبعوه ، ونادىٰ تأبّط شرّا : خذُوا ! خذوا ! فذهبوا يسعَون فى أثَره ؛ فجعل يُطمِعهم ويُبعِد عنهم ؛ ورجَع الشّنفَرىٰ إلى تأبّط شرّا فقطع وَثاقه ، فلمّا رآه ابنُ برّاقٍ قد قُطِع عنه انطلَق ، وكرَّ إلى تأبّط شرّا فإذا هو قائم ؛ فقال : أعجبَكم يا معشر بَجيلة عدْو ابن برّاق ، أمَا والله لأعدُوَنّ لكم عدْواً أُنسِيكُمُوه ! ثم انطلقَ هو والشنفرىٰ . انتهى .

السليك وخبره

ومن المشهورين فى العَدْو (السُّلَيك بن السُّلَكَة) وهو تميميٌّ من بنى سعد . والسُّلَيْك بالتصغير : فرْخ الحَجَلة[3] ، والأنثى سُلَكة بضم السين وفتح اللام ؛ وهى اسمُ أُمّه ، وكانت سوداء ، وإليها نُسِب . وذكر أبو عبيدة

---

(١) فى النسختين : « أن تياسرونا » .

(٢) فى النسختين : « وكروا » ، صوابه فى شرح المفضليات للأنبارى ٦ .

(٣) كونه بالتصغير ليس قيداً ، بل هو تقرير للصيغة ، فانه يقال للذكر من فراخ القطا أو الحجل سلك ، كصرد ، ويجمع هذا على سلكان بالكسر كصردان ، فالتصغير ليس أصلاً .

السُّلَيكَ في العَدَّائين ، مع المنتَشِر بن وَهْب الباهلي ، وأوفىٰ بن مَطَر المازنيّ .
والمَثَلُ للسُّليك من بينهم ، فقيل : أَعدىٰ من السُّليك » .

ومن حديثه فيما ذكره أبو عبيدة ، كما نقله حمزة الأصبهانيُّ في الدرَّة الفاخرة:
أن السُّليك رأته طلائعُ لجيشٍ بكرِ بن وائل ، جاءوا متجردين[1] ليُغيروا
على بني تميم ، ولا يُعلَم بهم ، فقالوا : إنْ عَلِم بنا السليكُ أنذرَ قومَه فبعثوا
إليه فارسَين على جَوادين ، فلمّا هايجاه خرج يعدُو كأنَّه ظَبْي ، فطارداه يوماً
أجمَع ، ثم قالا : إذا كان الليلُ أعيا فيسقطُ فنأخذه . فلمّا أصبحا وجدا أثَره
قد عثَر بأصل شجَرة ، وقد وثَب وانحطمت قوسُه ، فوجدا قطعةً منها قد
ارتزَّت بالأرض ، فقالا : لعلَّ هذا كان من أوَّل الليل ثم فتَر ، فتبعاه فإذا
أثَره متفاجًّا[2] قد بَالَ في الأرض وخَدَّها ، فقالا : مالَه ! قاتَلَه الله ! ماأشدَّ
مَتْنَه[3] ! والله لا نتبعُه ! فانصرفا . ووصل السُّليك إلى قومه فأنذرهم ، فكذَّبوه
لبُعْد الغاية ، وجاء الجيش فأغاروا عليهم .

رجعنا إلى حديث الشَّنفَرىٰ . روىٰ الأصبهانيّ في الأغاني ، وابنُ الأنباريّ
في شرح المفضّليات[4] : أنَّ الشنفَرىٰ أسرته بنو شَبابة (وهم حيٌّ من فَهم بن
عمرو بن قَيس عَيلان) وهو غلامٌ صغير ، فلم يزلْ فيهم حتّى أسرتْ بنو
سَلامانَ بن مُفرِج (بسكون الفاء وآخره جيم) رجلاً من فَهْم ثم أحدَ بني
شَبابة (بفتح الشين المعجمة) ، ففدته بنو شَبابة بالشَّنفرى ، فكان الشَّنفرى
في بني سَلامان (بفتح المهملة) يَظُنُّ أنّه أحدُهم ، حتى نازعته ابنةُ الرجُل

١٨

(١) في الأغاني ١٨ : ١٣٦ : « جازوا منحدرين » .

(٢) متفاج ، من الفجج ، وهو تباعد ما بين الرِّجلين .

(٣) وكذا في الأغاني . والمتن : الصلابة والقوة . ويقال أيضاً متن في الأرض ، إذا ذهب .

(٤) انظر شرح الأنباري ١٩٦ .

الذى كان فى حِجْره — وكان قد اتَّخذه ابناً — فقال لها : اغسِلى رأسى ياأُخَيَّة فأنكرت أن يكون أخاها فلَطَمته ، فذهب مغاضباً إلى الذى هو فى حِجْره فقال له : أخبرنى مَنْ أنا ؟ فقال له : أنت من الأواس بن الحجر[1] ؛ فقال : أمَا إنّى سأقتُل منكم مائةَ رجل بما اعتَبدْتمونى ! ثم إن الشّنفرى لزم دارَ فَهْم وكان يغير على بنى سَلامانَ على رجليه فيمن تبعه من فَهم ، وكان يغير عليهم وحدَه أكثر ، ومازال يقتل منهم حتّى قتل تسعة وتسعين رجلا ، حتّى قعد له فى مكانٍ أُسيدُ بنُ جابر السَّلاَمانىّ (بفتح الهمزة وكسر السين) ومع أُسيدِ ابنُ أخيه وخَازمُ البقْمى[2] — وكان الشّنفرى قَتَلَ أخا أُسيد بن جابر — فمر عليهم الشّنفرى ، فأبصر السَّوادَ بالليل فرماه — وكان لايرى سواداً إلّا رماه — فشَكَّ ذراعَ ابن أخى أُسيدٍ إلى عضُده ، فلم يتكلّم ، وكان خازمٌ منبطحاً يرصُده ، فقطع الشنفرى بضربة أُصبعَين من أصابع خازم ، وضبطه خازم حتّى لحقه أسيدُ وابن أخيه ، فأخذوا سِلاحَ الشّنفرى وأسَرُوه وأدّوه إلى أهلهم ، وقالوا له : أَنشِدْنا فقال « إنّماَ النَّشيد على المَسرّة » فذهبتْ مثلا . ثم ضربوا يدَه فقطعوها ؛ ثم قالوا له — حين أرادوا قتله — : أين نَقبُرك ؟ فقال :

لاتقبُرونى ! إنّ قَبرى مُحرّمٌ عَليكمْ ؛ ولكنْ أبشِرى أمّ عامرِ[3]
إذا احتُملتْ رأسى وفى الرأس أكثرى وغُودِر عند الملتَقَى ، ثَمّ سائرى[4]

(١) انظر حواشى ص ٣٤٤ من هذا الجزء .

(٢) فى ش وشرح المفضليات ١٩ : « حازم » ، وفى الأغانى ٢١ : ٨٨ : « الفهمى » صوابه ما هنا وهو ما فى شرح المفضليات ١٩٦ فإن الفهميين كانوا أصحاب الشنفرى . وفى الشرح : « البقوم من حوالة بن الهنء بن الأزد » . ولا تكاد تجد « حازم » بالحاء المهملة فى أعلام الجاهلية .

(٣) وكذا فى الحماسة ٤٨٧ بشرح المرزوقى وفى ذيل الأمالى ٣٦ : « لا تقتلونى إن قتلى محرم » .

(٤) فى الحماسة وشرح المفضليات : « إذا احتملوا » .

هنا لكَ لا أرجو حياةً تسُرُّنى سَجِيسَ الليالى مُبسَلًا بالجرائرِ

وكانت حَلْفَةُ الشنفَرىٰ على مائةِ قتيل من بنى سَلامان ، فبقى عليه منهم رجلٌ إلى أن قُتل . فمرّ رجلٌ من بنى سَلامانَ بجمجمته ، فضربها برجله فعقَرته فتمّ به عددُ المائة ! .. وذرِع خَطوُ الشنفرى يومَ قُتل ، فوُجد أوّلُ نزوةٍ نزاها إحدى وعشرين خُطْوة ، والثانية سبعَ عشرةَ خُطْوة ، والثالثة خمسَ عشْرةَ خُطْوة ... وكان حَرام بن جابر — أخو أُسيد بن جابر المذكور — قَتَل أبا الشنفرى ؛ ولمّا قدِم مِنًى ، وبها حَرام بن جابر ، فقيل للشنفرى : هذا قاتل أبيك ، فشدّ عليه فقتله ، ثم سبقَ الناسَ على رِجْليه وقال :

قَتَلْتُ حَرامًا مُهْدِيًا بمُلبِّدٍ ببطْنِ مِنًى وسْطَ الحَجيجِ المصوِّتِ

فرصَد له أُسيد بن جابر ، فأمسكه مع ابن أخيه[1] .

وقيل فى سبب قتل الشنفرى غير هذا ، وهو مسطورٌ فى شرح المفضّليّات والأغانى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[2] :

٢٢٧ (فى ليلةٍ لا نَرىٰ بِها أحَداً يَحكى علينا ، إلاّ كَواكِبُها)

على أن قوله (كواكبُها) بالرفع بدلٌ من الضمير فى (يحكى) الراجع إلى

---

(١) عند الأنبارى : « ابنى أخيه » .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٦١ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٧٣ . وشرح شواهد المغنى ١٤٢ والهمع ١ : ٢٢٥ والأغانى ١٣ : ١١٥ وملحقات ديوان عدى بن زيد ١٩٤ .

(أحد) ، مع أن مرجع الضمير ليس معمولاً للابتداء أو أحدِ نواسخه . وأما (نرى) فهى بَصَرِيّة ، والمبْصَرُ هو أحد وكواكبها ، لا أنّها قلبيّة فتكون من النواسخ ؛ خلافاً لسيبويه فيهما : أى فى اشتراط مرجع الضمير أن يكون معمولاً للابتداء أو ناسخِه ، وفى جعله نرى قلبيَّة .

١٩

هذا محصَّل ما نقله الشارح المحقّق عن سِيبَوَيه ؛ وليس فى كلام سيبويه فى هذا المقام واحدٌ منهما ، ولعلّ ما نقله الشارح ثابتٌ فى موضع آخر من كتابه . وأما عبارته هنا فهى هذه : « وتقول ما مررت بأحد يقول ذاك إلاّ عَبْدِالله ، وما رأيت أحداً يفعل ذلك إلاّ زيداً . هذا وجه الكلام . وإن حملته على الإضمار الذى فى الفعل ، فقلت : إلاّ زيدٌ — فرفعْتَ — فعرَبِىٌّ ، قال الشاعر :

فى ليلةٍ لا نَرَى بها أحداً يحكى علينا إلاّ كواكبها

وكذلك ما أظنُّ أحداً يقول ذلك إلا زيداً . وإن رفعتَ فجائزٌ حسَن . وإنّما اختِير النصب ههنا ، لأنّهم أرادوا أن يجعلوا المستثنَى بمنزلة المبدَل منه ، ولا يكونُ بدلاً إلاّ من منْفىّ ، لأنّ المبدل منه منصوبٌ منفىّ ، ومُضمَره مرفوع ، فأرادوا أن يجعلوا المستثنى بدلاً من أحد ، لأنّه هو المنفىّ ، وجعلوا يقولُ ذلك وصفاً للمنفىّ . وقد تكلّموا بالآخَر لأنّ معناه معنى المنفىّ إذْ كان وصفاً لمنفى . انتهى كلام سيبويه[1] .

وهو صريح فى عدم اشتراط واحدٍ منهما ، يدلُّك عليه عطفُ قوله : وكذلك ما أظنّ أحداً يقول ذلك إلاّ زيداً ، على قوله : ما رأيتُ أحداً يفعل ذلك إلا زيدًا ؛ فإنّه سوَّى بين الفعل القلْبيّ والفعل البَصَرىّ وغيرهما .

(١) نقلا عن أمالى ابن الشجرى . وانظر سيبويه ١ : ٣٦١ .

ومعنى قوله : تكلَّموا بالآخر ، أى تكلَّموا بالرفع فى المستثنى .

وكذلك فى شرح أبيات سيبويه للنحّاس والأعلم : قال النحّاس : قال محمّد بن يزيد : أبدل الكواكب من المضمَر فى يحكى ؛ ولو أبدله من أحد لكان أجوَد ، لأنّ أحداً منفىٌّ فى اللفظ والمعنى ؛ والذى فى الفعل بعدَه منفىٌّ فى المعنى . قال : ومثل ذلك ما علمت أحداً دخل الدار إلاّ زيداً ، وإلاّ زيدٌ ، النصب على البدل مِن أحد وعلى أصل الاستثناء ، والرفع على البدل من المضمر . انتهى

قال ابنُ هشام فى المغنى فى القاعدة التى يُعطَى الشىء فيها حكمَ ما أشبهه فى معناه ، من الباب الثامن : قولهم إنّ أحداً لا يقول ذلك ، فأُوقعَ أحد فى الإثبات لأنّهُ نفسُ الضمير المستتر فى يقول ، والضميرُ فى سياق النفى ، فكأنّ أحداً كذلك وقال :

فى ليلةٍ لا نَرَى بها أحداً . . . . البيت

فرفع كواكبُها بدلاً من ضمير يحكى ، لأنّه راجع إلى أحد ، وهو واقع فى سياقِ غير الإيجاب ، فكان الضمير كذلك .

وقال أيضاً ، فى باب الاستثناء ، من الجهة الخامسة فى الباب الخامس : « إن قلت ما رأيت أحداً يقول ذلك إلاّ زيدٌ ، إنْ رُفع زيدٌ فرفعهُ من وجهٍ وهو كونه بدلاً من ضمير يقول ، ومنه هذا البيت . وإنْ نُصب فنصبُه من وجهَين على البدلية من أحد ، وعلى الاستثناء . فإن قلت : ما أحد يقول ذلك إلاّ زيد ، فرفعه من وجهين : كون زيد بدلاً من أحد ، وهو المختار ، وكونه بدلاً من ضميره ؛ ونصبُه من جهة وهو على الاستثناء » وسيأتى بيان هذا فى الشرح قريبا .

وقد نقل الدّماميني هنا ما اعترض به الشارحُ المحقّق على سيبويه ولم يزدْ عليه بشيء . وقال ابنُ الشجَريّ في أماليه : رفع كوا كبُها على البدل من المضمَر في يحكى ، ولولا احتياجه إلى تصحيح القافية كانَ النصبُ فيها أولى من ثلاثة أوجه : إبدالها من الظاهر الذى تناوله النفى على الحقيقة ، والثانى نصبها على أصل باب الاستثناء كقراءة ابن عامر : (ما فَعَلوه إلاّ قليلاً منهم [1]) والثالث أنّه استثناء من غير الجنس كقولك : ما فى الدار أحدٌ إلاّ الخيامَ . وأهلُ الحجاز مجمِعون فيه على النّصب ، وعلى ذلك أجمع القُرّاء فى قوله تعالى : (ما لَهُمْ بهِ مِنْ عِلْمٍ إلاّ اتّباعَ الظّنّ [2]) انتهى

وقوله : (يحكى عَلَينا) الحكاية بمعنى الرواية . وعلى بمعنى عَنْ ؛ وقد يقال ضمِّن يحكى معنى يَنُمّ . قالها ابن هشام فى الباب الأوّل من المُغنى .

وهذا البيت نسبَهَ الشارح المحقّق إلى عدىّ بن زيد ، موافقةً لشُرّاحِ شواهد سيبويه ولم ينْسُبْه سيبويه فى كتابه إلى أحد ، وإنّما أورده غُفلا . وقد تصفّحتُ ديوان عدىّ بن زيدٍ مرّتين فلم أجده فيه ؛ وإنما هذا البيت من أبياتٍ لأُحَيْحَة بنِ الجُلاَح الأنصارىّ ، أثبتها له الأصبهانىّ في الأغانى ، وهى :

(يَشتاقُ قلبى إلى مُليكَةَ لو أمسىْ قريباً لمن يُطَالبُها [3]

---

(١) الآية ٦٦ من سورة النساء . وهى قراءة أبى ، وابن أبى إسحاق ، وابن عامر ، وعيسى بن عمر . تفسير أبى حيان ٣ : ٢٨٥ .

(٢) الآية ١٥٧ من سورة النساء . وفى النسختين : « وما لهم به من علم » بإقحام الواو ، وهو تحريف رددته إلى نصابه . وفى الكتاب العزيز فى الآية ٢٨ من سورة النجم : « وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن » فهذه بالواو فى أولها .

(٣) الأغانى ١٣ : ١١٤ ، ١١٥ : « أمست قريبا ممن » .

ما أحسنَ الجيدَ مِن مُلَيكةَ واللَّبَّاتِ إذ زانَهـا ترائبُها
ياليتنى ليلةً ، إذا هجعَ النَّاسُ ونامَ الكلابُ ، صاحبُها
فى ليلةٍ لا نَرىٰ بها أحداً يحكى علينا ، إلاَّ كواكبُها
لِتبكِنى قَينةٌ ومِزْهَرُها ولْتبكِنى قهوةٌ وشاربُها
ولْتَبكِنى ناقةٌ إذا رُحِلتْ وغابَ فى سَرْبَخٍ مناكبُها
ولْتبكِنى عُصبةٌ إذا اجتمعَتْ لم يَعلَمِ الناسُ ما عواقبُها !)

وبهذه الأبيات عُرف أنّ القافية مرفوعة .

وقوله : لو أمسى الخ ، لو للتمنى ، واسم أمسى ضمير القلب ، ومَن موصولة بمعنى : التى . ومُليكة ، بالتصغير : اسم امرأة . وقوله : ما أحسنَ الجيدَ ، ما تعجُّبيّة . واللَّبَّة بفتح اللام : موضع القِلادة من الصَّدر . والتَّرائب : جمع تَريبة وهى عظام الصَّدر مابين التَّرقُوتين إلى الثَّدْى . وقال ابن الشجَرىّ : « اللبّة : الموضع الذى عليه طَرَف القِلادة . والترائب واحدتها تَريبة ، وقيل تريب ، وهو الصدر ، وإنَّما جمَعهُما بما حولها ، كأنّه سمَّى مايجاور اللبّة لَبَّة ، وما يجاور التريبةَ تريبة ، كما قالوا : شابتْ مفارِقُه » . وقوله : ياليتنى ليلةً الخ ، صاحبها خبر لَيت ، وليلةً ظرفٌ لصاحبُها ، وإذا بدلٌ منها بدل اشتمال ، والضمير مقدّر أى هجع الناس فيها .

وقوله : (فى ليلةٍ لا نرى بها . الخ) فى ليلةٍ بدل من قوله إذا ، وجملة لانرى بها الخ صفة ليلة ، ونرى بالنون ، ويروى بالتاء ، وهو قريب . وجملة يحكى علينا : صفة أحداً . ورُوى بدله : (يسعَى عَلينا) مِن سعى به إلى الوالى : إذا وشَى به ونمَّ عليه .

وقوله لتبكنى ، هو أمر الغائب . والقَينة ، بالفتح : الأمَة ، مغنِّيَةً كانت كما هنا أو غير مغنِّية . والمِزْهر ، بكسر الميم : العُود الذى يُضرَب به ، من آلات الملاهى . والقَهوة : الخمر . وقوله : إذا رُحِلت ، بالبناء للمفعول ، من

رحلت البعيرَ رَحلاً ، من باب نفع : إذا شددتَ عليه رحلَه ؛ وهو أصغر من القتَب . وقوله : وغابَ فى سَرْبَخٍ الخ ، السَّرْبَخ ، بفتح السين وسكون الراء المهملتين وفتح الموحَّدة وآخره خاء معجمة : الأرض الواسعة . وقوله : ما عواقبها ، ما استفهامية مبتدأ وعواقبها الخبر ، والجملة فى موضع مفعولَى عَلِمَ المعلَّق عن العمل بالاستفهام . وقال ابنُ الشجَرىّ فى أماليه ، مشيراً إلى أنّ هذا البيتَ لأُحَيْحَةَ بن الجُلاحِ بقوله : « والبيت الذى أنشده سيبوَيه شاهداً على جواز الرفع ، مِنْ مقطوعةٍ لرجلٍ من الأنصار . ورُوى أنّه لمّا أُدخِلت حبَّابةُ على يزيدَ بنِ عبد الملك ، دخلتْ وعليها ثيابٌ مُعَصْفَرَةٌ ، وبيدها دُفٌّ ، وهى تَصفِقُه بيدها وتغنّي بهذه الأبيات :

ما أحسَنَ الجِيدَ من مُلَيكةَ والـلَّبَّاتِ إذْ زانهـا ترائبُها !
يا ليتَني ليلةً ، إذا هجَعَ الـناسُ ونامَ الكِلابُ ، صاحبُها
فى ليلةٍ لا نرى بهـا أحداً يَحكى علينا ، إلاّ كواكبُها

ثم قال ابنُ الشجرىّ : « ووقَع فى أكثرِ نسَخ كتاب سيبويه غيرَ منسوب إلى شاعرٍ مسمّىً ، ووجدتُه فى كتاب لُغوىّ منسوباً إلى عَدىّ بن زيد ، وتصفّحتُ نسختين من ديوان شعر عدىٍّ فلم أجد فيهما هذه المقطوعة ، بل وجدتُ له قصيدةً على هذا الوزن وهذه القافية ، أولها :

لم أرَ مِثلَ الأقوامِ فى غَبَنِ الأيـّـام ينسَوْنَ ما عواقبُهـا
يَرون إخوانَهم ومَصْرعَهمْ وكيفَ تعتاقُهم مَخالبُهـا
فما تُرجِّى النفوسُ مِنْ طلَبِ الخيْر وحُبُّ الحياةِ كاذبُها[1] »

(١) كذا هنا وفى أمالى ابن الشجرى ، وحماسة البحترى ١٢٥ وأوله عنده : « ماذا ترجى » ، وهى صحيحة يؤيدها الشرح التالى لابن الشجرى إذ يقول : « إن حب النفوس للحياة قد يستجيل بغضا ، لكنها فى الأغانى ٢ : ٣٧ : «كاربها» قال أبو الفرج : «كاربها هنا : غامها . . . يقال كربة الأمر وكرثه . . . إذا غمه» وانظر ديوان عدى ٤٥ .

ثم قال : « قوله : فى غبَن الأيّام ، يدلُّ على أنّهم قد استعملوا الغبَن المتحرّك الأوسط فى البيع ، والأشهر غبَنه فى البيع غبْناً ، بسكون وسطه ؛ والأغلب على الغبَن المفتوح أنْ يستعمَلَ فى الرأى ، وفعلُه غَبِن يَغبَن ، مثل فرح يفرح ، يقال غبِنَ رأيُهُ ؛ والمعنى : فى رَأيه . ومفعول الغَبَن فى البيت محذوف ، أى فى غبَن الأيّام إيّاهم . ومما استعمِل فيه الغبَن المفتوح الأوسط فى البيع ، قول الأعشىٰ :

لا يقبَــلُ الرِشوةَ فى حُكمِهِ ولا يُبــالى غَبَنَ الخاسرِ

وقوله : ما عواقبها ، ما استفهاميّة وينسَون معلّقٌ كما عُلِّق نقيضُه ، وهو يعلمون ؛ والتقدير : ينسَون أىَّ شىء عواقبُها . ومعنى قوله : وحبُّ الحياة كاذِبُها ، أنّ حبَّ النفوس للحياة قد يستحيل بغضاً ، لِما يتكرّر عليها من الشدائد والآفات التى يتمنى صاحبُها الموتَ ، كما قال المتنبّى :

كفَىٰ بكَ داءً أنْ ترىٰ الموتَ شافياً وحَسْبُ المنَايا أن يَكنَّ أمانيا » اهـ

وبعد أن نسبَ هذه الأبياتَ صاحبُ الأغانى لأُحَيحة بن الجُلاح ، بيَّن منشأها فقال : إنّ تُبَّعاً الأخيرَ ، وهو أبو كَرِب بن حسَّان بنِ تُبَّع بن أسعَد الحِميَرىّ[1] ، أقبلَ من اليمن يريد الشرقَ كما كانت التبابعة تفعَل — فمرَّ بالمدينة فخلَّف بها ابنَه ومضى ، حتّى قَدِم العراقَ ، فنزل بالمشقَّر ؛ فقُتِل ابنُه بالمدينة غِيلةً فبلغه الخبر ، فكرَّ راجعاً حتّى دخل المدينة ، وهو مُجمِعٌ على

(١) الأغانى : « وهو أبو كرب بن حسان بن أسعد الحميرى » .

إخرابها ، وقطع نخلها ، واستئصالِ أهلها وسبْي الذريّة ، فنزل بسفحِ أُحدٍ فاحتفر بها بئراً — فهى التى يقال لها إلى اليوم : بئر المِلك — ثم أرسل إلى أشراف أهل المدينة ليأتوه ، فكان ممَّن أرسل إليه زيدُ بن ضبيعة ، وابن عمّه زَيد بن أمية ، وابن عمه زيد بن عبيد وكانوا يسمّون الأزياد[1] ، وأُحيحة بن الجلاح ؛ فلما جاء رسوله قال الأزياد : إنّما أرسَل إلينا ليُملّكنا على أهل يثرب ! فقال أُحيحة : واللهِ ما دَعاكُم لخير ! — وكان يقال إنّ مع أُحيحة تابعاً من الجِنّ يُعْلِمه الخبر ، لكثرة صوابه ، لأنّه كان لا يظنّ شيئاً إلاّ كان كما يقول — فخرجوا إليه ، وخرج أُحيحة ومعه قَينةٌ له ، وخباء ، وخَمر ، فضَرب الخباء وجعَل فيه القَينة والخمر ، ثم استأذن على تبّعٍ ، فأذن له وأجلسه على زِرْبِيّةٍ تحتَه ، وتحدّث معه وسأله عن أمواله بالمدينة ؛ فجعل يُخبره عنها ؛ فخرج مِن عنده فدخل خباءه فشرب الخمر ، وقرَض أبياتاً وأمر القينة أن تغنّيَه بها ؛ وجعل تُبّعٌ عليه حرساً وكانت قينته تُدعى مُليكة ، فقال :

يَشتاق قلبي إلى مُليكةَ لو   أمسى قريباً لمن يُطالبُها !

الأبيات المتقدّمة . فلم تزل القينة تغنّيه بذلك يومَه وعامّةَ ليلته ؛ فلمّا نام الحرسُ قال لها : إنّي ذاهب إلى أهلي فشُدّي[2] عليك الخِباء ، فإذا جاء رسولُ الملك فقولى : هو نائم ؛ فإذا أبَوا إلاّ أن يُوقظونى فقولى: قد رجَع إلى أهله وأرسلَني إلى الملك برسالة ، فإن ذهبوا بكِ إليه فقولى له : يقول لكَ أُحيحة « اغدِر بقَينةٍ أوْ دَعْ » ثمّ انطلقَ فتحصّن فى أُطُمِه الضّحْيان ، فأرسل تُبّعٌ من جوف الليل إلى الأزْياد فقتلهم ، وأرسل إلى أُحيحةَ ليقتله فخرجت إليهم القَينة ، فقالت : هو راقد فانصرفوا وتردّدوا عليها مِراراً ؛ كلّ ذلك تقول : هو

(١) عددهم فى الأغانى ١٣ : ١١٥ أربعة ، بتكرير الأوسط فيما أرى .
(٢) فى الأغانى : « فسدى » بالسين .

راقد! ثم عادوا فقالوا: لتُوقِظِنّه أو لندخُلَنّ عليكِ؟ قالت: فإنّه قد رجَع إلى أهله وأرسلَني إلى الملك برسالة! فذهبوا بها إلى الملك وأبلغته الرسالة، فجرّد له كتيبةً من خيله ثم أرسلهم في طلبه، فوجدوه قد تحصّن في أُطُمه؛ فحاصَروه ثلاثاً، فكان يقاتِلهم بالنّهار ويَرميهم بالنَّبْل والحجارة، ويرمي إليهم في الّليل بالتَّمر؛ فلما مضت الثلاثُ رجَعوا إلى تُبّعٍ فقالوا: بعثْتَنا إلى رجل يقاتلنا بالنهار ويُضيفنا في الليل! فتركَه وأمرهم أن يحرقوا نخلَه، وشبَّت(١) الحربُ بين أهل المدينة: أَوسِها وخَزْرجِها ويهودِها، وبين تُبّع، وتحصّنوا في الآطام؛ فخرج رجلٌ من أصحاب تُبعٍ حتّي جاء بني عَديٌّ بن النّجار وهم متحصّنون في أُطمهم، فدخل حَديقةً من حدائقهم فرقي(٢) بها عَذْقاً منها يجُدّها(٣)، فاطّلعَ إليه رجلٌ مِن بني عَديٌّ من الأُطم، فنزل إليه فضربه بمِنْجل حتّي قتله، ثمّ ألقاه في بئر؛ فلما انتهى ذلك إلى تُبَّعٍ زاده غيظاً وحَنَقا، وجَرَّد إلى بني النّجار جَريدةً من خيلِه، فقاتلهم بنو النّجّار ... فبينا يُريد تُبّعُ إخرابَ المدينة أتاه حَبْرانِ من اليهودِ فقالا: أيُّها الملك، انصرفْ عن هذه البلدة، فإنّها محفوظة، وإنّها مُهاجَرُ نبيٌّ من بني إسماعيلَ، اسمُه أحمد، يخرُج من هذا الحرم. فأعجبه ماسمِع منهما وكفّ عن أهلها. انتهى ماتقلته من الأغاني مختصراً.

والأُطُمُ، قال في الصحاح: هو مثل الأُجُمِ، يخفّف ويثقّل، والجمع آطام وهي حُصون لأهل المدينة، والواحدة أطَمة بفتحات. والضَّحْيان، بفتح الضاد المعجمة وسكون الحاء المهملة وبعدها ياء مثنّاة تحتيّة: اسم حصنٍ لأُحَيحة،

(١) ط: « وشدت »، صوابه في ش والأغاني.

(٢) في النسختين: « فرمى »، وصححها الشنقيطي في نسخته بما يطابق الأغاني. وفي الأغاني ١٣ : ١١٦ : « فرقي عذقا منها يجبره ».

(٣) العذق بالفتح: النخلة بحملها. وبالكسر: كباسة التمر.

وقد بينه صاحبُ الأغانى بعد هذا فقال : وكان لأُحيحة أُطمان ، أُطُم فى قومه يقال له المستظَلّ ، وهو الذى تحصّن فيه حين قاتل تُبعاً أبا كَرِب الحِيرىّ ، وأطمه الضَّحْيان بالعُصْبة فى أرضه التى يقال لها الغابة ، بناه بحجارة . وكانت الآطام عزَّهم ومنعَتَهم وحصونَهم التى يتحرزون فيها من عدوِّهم . انتهى كلامه .

٢٣ وقد خالفَ بينَ كلامَيْه فقال هناك : تحصَّن بأطمه الضَّحيان . وقال فى موضع آخر : تحصَّن فى أُطمه المستظلّ .

أحيحة بن الجلاح

و (أُحيحة) هو أُحيحة بن الجُلاح بن الحَريش بن جَحْجَبي بن كُلْفة بن عَوف بن عمرو بن عَوف بن مالك بن الأوس . ويكنى أُحيحة أبا عَمْرو .

و (أُحيحة) بضمّ الهمزة وبالحاءين المهملتين : مصغر الأَحِيحة ، وهو الغَيظ وحزازة الغمّ[1] . و(الجُلَاح) بضمّ الجيم وتخفيف اللام وآخره حاء مهملة وهو فى اللغة السيل الجُرَاف . و(الحَريش) بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين وآخره شين معجمة ، وهو نوعٌ من الحيّات أرقط . و (جحجَبي) بحاء مهملة ساكنة بين جيمين مفتوحتين وبعد الموحدة ألف مقصورة ، وهذه المادة غير مذكورة فى الصحاح ، قال صاحب القاموس : « جحجب العدوَّ : أهلكه ؛ وفى الشىء : تردّد وجاء وذهب . وجَحْجَب : اسم . وجحجَبىٰ : حىٌّ من الأنصار » انتهى :[2] و (كُلْفة) بضمّ الكاف وسكون اللام .

وكان أُحيحةُ سيِّدَ الأوس فى الجاهليَّة ، وكانت أمُّ عبدِ المطلب بن هاشم تحتَه . والمنذر بن محمد بن عقُبة بن أُحيحة ، صحابىٌّ شَهِد بدراً وقُتل يومَ بئرِ

(١) وفى الاشتقاق ٤٤١ : « واشتقاق جحجبي من الجحجبة ، وهو التردد فى الشىء والمجىء والذهاب » .

(٢) جاءت « حزازة » بزاءين معجمتين فى النسختين .

مَعُونة ، كذا فى الجمهرة . وعدَّ عبدانُ فى الصحابة محمَّدَ بنَ عقبة هذا ، لكنَّه نسبَه إلى جدِّه فقال : محمد بن أحيحة . وقال : بلغنى أنّه أوّلُ من سمِّى محمداً ، وأظنُّه أحدَ الأربعةِ الذين سُمُّوا محمَّداً قبل مولِد النبيّ ﷺ . وأبوه كان زوجَ سَلمى أمِّ عبدِ المطَّلِب . قال ابن الأثير : مَنْ يكونُ أبوه تزوج أمَّ عبد المطلب ، مع طُولِ عُمرِ عبدِ المطلب ، كيف تكون له صُحبة مع النبيّ ﷺ ؟! هذا بعيد ، ولعلّه محمّد بن المنذر بن عُقبة بن أحيحة الذى ذكروا أباه فيمن شَهِد بدراً . قال ابن حَجَر فى الإصابة : وفيه نظر ، لأنّهم لم يذكروا للمنذر ولداً اسمُهُ محمّد . انتهى . والصواب ما فى الجمهرة[1] ، وبه يزول الإشكال .

قال صاحبُ الأغانى[2] : وكانت عند أُحيحة سَلمىٰ بنتُ عمرو بن زَيدِ ابن لَبيدِ بن خِداش ، إحدى نساء بنى عدىّ بن النجار ، له منها عمرو ابن أحيحة ، ثمّ أخذها هاشمٌ بعد أُحيحةَ فولدت له عبدَ المطَّلِب بن هاشم ؛ وكانت امرأةً شريفة لا تنكح الرجالَ إلاّ وأمرُها بيدها ، وإذا كرهتْ من من رجل شيئاً تركَتْه . وكان أحيحةُ كثيرَ المال شحيحاً عليه ، يبيع بيعَ الربا بالمدينة ، حتّى كاد يُحيط بأموالهم ، وكان له تسعٌ وتسعون بئراً[3] كلُّها يُنضَح عليها ، وكان له أُطمان : أُطُم فى قومه يقال له المستظَلّ — وهو الذى تحصَّن فيه حين قاتلَ تُبَّعاً الحِميرىّ — وأُطمه الضَّحيان بالعُصْبة فى أرضه التى يقال لها الغابة ، بناه بحجارةٍ سود ويزعمون أنّه لمّا بناه أشرَفَ هو وغلامٌ له[4] ثم قال : لقد بنيتُ حِصْناً حَصيناً ما بنىٰ مثله رجلٌ من العربِ أمنعَ منه[5] ،

(١) انظر أيضاً السيرة ٣٢٢ ، ٤٩٤ ، ٦٤٩ .
(٢) الأغانى ١٣ : ١١٩ والأغانى ١٣ : ١١٨ .
(٣) ط : « بعيرا » ، صوابه فى ش والأغانى ١٣ : ١١٨ ، ويؤيده تذكير « تسع » .
(٤) فى النسختين : « لما بناه هو وغلام له أشرف » صوابه من الأغانى .
(٥) فى الأغانى : « ما بنى مثله رجل من العرب أمنع ولا أكرم » .

ولقد عرَفتُ موضِعَ حَجرٍ منه لو نُزِع وقعَ جميعاً . فقال غلامُه : أنا أعرفه ! قال : فأرِنيه يا بُنيّ ! قال : هو هذا ! وصرف إليه رأسه ؛ فلما رأى أحيحةُ أنّه قد عرَفه دفعَه مِن رأس الأُطم فوقع على رأسه فمات . وإنّما قتلَه لئلاّ يعرِفَ ذلك الحجرَ أحدٌ . فلما بناه قال :

بنيتُ بعدَ مُسْتظَلٍّ ضاحياً بنيته ، بعُصْبةٍ ، مِن ماليا
للستر مما يتبع القواضِيا أخشى رُكَيبا أو رُجَيلا غاديا[1]

٢٤ وسيأتى — إن شاء الله تعالى — تتمّة الكلامِ عليه فى شرح شواهد الشافيَة[2] ، عندشرحِ قوله : أخشى رُكَيبا أو رُجيلا غاديا . فإنّه من شواهده وشواهد الكشّاف أيضاً . ولم يعرف أحد تَتِمتَّه ولا أصله ، ممّن كتب على الكشّاف وغيره .

المحمدون فى الجاهلية

واعلم أنّ جملةَ مَنْ سُمّى بمحمّد فى الجاهليَّة ، ذكَرهم ابنُ حَجَر فى شرح البخاريّ . وهذا كلامه[3] :

قال عِياضٌ : حمَى اللهُ عزَّ وجلَّ هذا الاسمَ أن يسمَّى به أحدٌ قبلَه ؛ وإنّما سمّى بعضُ العرب محمَّداً قُربَ مِيلاد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، لمَاّ سمعوا من الكُهّان والأحْبار ، أنّ نبياً سيُبعَث فى ذلك الزمان يسمَّى محمَّداً ، فرجَوا أنْ يكونوا هم ، فسمَّوا أبناءهم بذلك ، وهم ستّةٌ لا سابعَ لهم . كذا قال . وقال السُّهيلىُّ فى الروض الأُنف : لا يُعرف فى العرب مَن تَسمَّى محمَّداً قبلَ النبيّ صلى الله عليه وسلم إلاّ ثلاثة : محمّدُ بنُ سفيانَ بن مجاشع ، ومحمّد بن أُحيحة

(١) فى ط : « والسر مما » ، وفى الأغانى : « عاديا » بالعين المهملة .
(٢) شرح شواهد الشافية ١٥٠ .
(٣) فتح البارى ٦ : ٣٥٨ — ٣٥٩ .

ابن الجلاح ، ومحمد بن حُمْران بن ربيعة . وسبق السُّهيليَّ إلى هذا القولِ أبو عبدِ الله بن خالَوَيه (فى كتاب ليسَ(١)) . وهو حصرٌ مردود . وقد جمعتُ أسماء مَنْ تَسمّى بذلك فى جزء مفرَدٍ فبلغوا نحوَ العشرين ، لكنْ مع تكرير فى بعضهم و وَهِم فى بعض ، فتَلخَّص منه خمسةَ عشرَ نفسا .

وأشهرهم محمّد بن عَدىّ بن ربيعة التميمىّ السعدىّ . وقد سئل محمّدُ ابنُ ربيعةَ — والسائلُ ابنُه — قال له : كيفَ سمّاك أبوكَ فى الجاهليَّة محمّداً ؟ قال : سألتُ أبى عمّا سألتَنى فقال : خرجتُ رابعَ أربعةٍ من بنى تميم أنا أحدُهم ، وسُفيان بن مُجاشِع ، ويزيد بن عَمرو بن ربيعة ، وأُسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر ، نريد ابنَ جفْنةَ الغسّانىّ بالشام ، فنزلنا على غَدير دَير ، فأشرفَ علينا الديْرانىُّ فقال لنا : إنّه سَيبعث منكمْ وشيكاً نبيٌّ ، فسارِعوا إليه . فقلنا : ما اسمه ؟ قال : محمد . فلمّا انصرفنا وُلِد لكلٍّ مِنّا ولدٌ فسماه محمّداً . وقال ابن سعد ، عن علىّ بن محمّدٍ عن مَسلمَةَ بن محارب عن قَتادة بن السَّكن قال : كان فى بنى تميمٍ محمّدُ بن سفيانَ بنِ مجاشع ، قيل لأبيه : إنّه سيكون نبيٌّ فى العرب اسمُه محمد ، فسمى ابنه محمّداً . فهؤلاء الأربعة ليس فى السِّياق ما يُشعِر بأنّ فيهم مَن له صُحبة ، إلاّ محمّدَ بنَ عَدىّ . قال ابن سعدٍ لمّا ذكَره فى الصحابة : عداده فى أهل الكوفة . وذكر عَبْدان المرْوَزِىّ أنّ محمد بن أُحيحة ابن الجُلاَح أوّلُ من تسمَّى محمّداً فى الجاهليّة ، وكأنّه تلقّى ذلك مِن قصّة تُبَّعٍ لماحاصرَ المدينةَ وخرج إليه أُحيحةُ المذكور هو والحَبْر الذى كان عندَهم بيثرِب ، فأخبره الحَبْر أنّ هذا بلدُ نبىٍّ يبعَث يسمّى محمداً ، فسمَّى ابنَه محمّداً . وذكر البلاذُرِىُّ منهم محمّدَ بن عُقبَة بن أُحيحة ، فلا أدرى : أهما واحدٌ نُسب مرّةً إلى أبيه ومرةً

---

(١) لم أجد هذا النص فى كتاب ليس .

إلى جَدِّه، أم هما اثنان . . (أقول : الصواب أنهما واحدٌ نُسِبَ مرّةً إلى أبيه ، ومرّةً إلى جَدِّه ، كما تقدّمَ بيانه [١])

ثمّ قال ابن حَجَر : ومنهم محمد بن براء البكريّ ، ذكره [ابن [٢]] حبيب . وضبط البلاذرى أباه فقال : محمد بن برّ (بتشديد الراء ليس بعدها ألف) بن طريف بن عُتْوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مَناة بن كنانة ؛ ولهذا نسبوه أيضاً العُتْواريّ . وغفَل ابنُ دِحية فعدّ فيهم محمَّدَ بن عُتوارة ، وهُو هو ، نُسِبَ إلى جدِّه الأعلى . ومنهم محمد بن اليحمديّ الأزديّ ، ذكره المفجع البصريّ في كتاب المنقذ [٣] . ومحمد بن خَولى الهمْدانيّ . ذكره ابن دُريد [٤] . ومنهم محمد بن حِرماز بن مالك ، ذكره أبو موسىٰ فى الذيل . ومنهم محمد بن حُمْران بن أبى حُمران ، واسمه ربيعة بن مالك الجُعفيّ ، المعروف بالشويعر ، ذكره المرزُبانيّ فقال : هو أحد من سُمّى فى الجاهلية محمداً ، وله قصّة مع امرئ القيس [٥] . ومنهم محمَّدُ بن خُزَاعيٍّ بن عَلقمة بن حرابة [٦] السُّلَميّ ، من بنى ذَكْوان ، ذكره ابن سعد عن عليِّ بن محمَّد عن سلمة بن الفضل [٧] عن محمد بن إسحاق قال : سُمّى محمد بن خزاعيّ طمعاً فى النبوّة . وذكر الطبرانيّ أنّ أبرَهَة الحبشيَّ توجّهَ وأمره أن يغزُوَ بنى كنانة فقتلوه ، وكان ذلك من أسباب قصة الفيل . وذكر محمد بن سعد لأخيه قيسِ بن خزاعيّ يَذْكُره [٨] من أبيات يقول فيها :

٢٥

(١) انظر ما مضى فى ص ٣٢٦ سلفيه .
(٢) التكملة من فتح البارى . وانظر حواشى الاشتقاق ٩ .
(٣) فتح البارى : « المعقد » ، تحريف .
(٤) فى الاشتقاق ص ٩ .
(٥) وكذا فى الاشتقاق ٨ — ٩ ، ٤٠٨ .
(٦) ـــه : « حرامة » .
(٧) فى النسختين : « سلمه بن الفضل » صوابه من الإصابة فى ترجمة محمد . وانظر تهذيب التهذيب ٤ : ١٥٤ فقد ذكر أنه ليس أثبت فى ابن إسحاق من سلمة هذا .
(٨) فى النسختين . « فذكره » . وأثبت ما فى فتح البارى ٦ : ٣٠٩

فَذلِكُمْ ذو التاجِ مِنّا مُحَمَّدٌ   ورَايَتُه فى حَومة الموتِ تَخفُقُ

ومنهم محمّد بن عمر بن مُغْفِل (بضمّ أوله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام) وهو والدُ هُبَيبٌ (بموحَّدتين ، مصغر) وهو على شرط المذكورين ، فإنّ لولده صحبةً . ومات هو فى الجاهليّة . ومنهم محمّد بن الحارث بن حديج[1] ابن حويص ، ذكره أبو حاتم السجستانىُّ فى كتاب المعمّرين ، وذكر له قصّةً مع عُمر ، وقال : إنّه أحدُ مَن تسمَّى محمّداً فى الجاهليّة . ومنهم محمّد الفقيمىّ ، ومحمّد الأسيدىّ ذكرهما ابن سعد ولم ينسُبهما بأكثر من ذلك . . فعُرِف بهذا وجهُ الردِّ على الحصر الذى ذكره القاضى عِياض . وعجبٌ من السُهيلى ، كيفَ لم يقف على ما قاله القاضى مع كونه قال قبله[2] ؟! . وقد تحرّر لنا من أسمائهم قدرُ الذى ذكره القاضى عِياض مرّتين بل ثلاثَ مرّات ، فإنّه ذكر فى الستّة الذين جزَم بهم: محمّدَ بنَ مسلمة وهو غلط[3] فإنّه وُلد بعد ميلاد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ففضل له خمسةٌ . وقد خَلَص لنا خمسةَ عشَر[4] ، والله أعلم . انتهى ما قاله ابن حَجر .

وقال زين الدين العراقىّ : قلت : عدَّه — أعنى عياضاً — محمّدَ بنَ

(١) سه وفتح البارى : « خديج » كتب مصحح المطبوعة الأولى : « ضبطه الزرقانى على المواهب بمهملتين فتحتية فجيم مصغر » .

(٢) فتح البارى : « كان قبله » .

(٣) الميمنى : « تسرعه إلى تغليط عياض لا وجه له ، فإن ولادته بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، لا تنفى تسميته بمحمد قبل المبعث ، وهو مرادهم بذلك . ولعله نظر إلى قول ابن دُريد فى الاشتقاق : ومحمد بن مَسلمة الأنصارى ، سمى فى الجاهلية محمدا » .

(٤) الميمنى : « ليس هذا التخلص من عنائه بل هو للحافظ مغلطاى . وهذا لفظه فى حاشية الاشتقاق ٦ : بلغ أسماء من سمى محمدا خمسةَ عشرَ رجلاً ذكرتهم فى كتابى المسمى بالإشارة . اهـ . فرجع الحق إلى نصابه والحمد لله . وقد أقر الحافظ نفسه بذلك فى الإصابة رقم ٨٤٩٨ . والإشارة لعله يريد ما كتبه على كتاب ليس » .

مسلمة ، فيه نظر من حيثُ أنّه وُلد بعدَه بعشْر سنين ، ولكنّه صحيح من حيث أنّه لم يكن ظهرت النُّبُوَّة والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد المائتين :

٢٢٨ ‌* (قَلَّمَا عَرَّسَ حتَّى هِجتُه بالتَّباشيرِ منَ الصُّبحِ الأُوَلْ[1]) *

على أنّ أبا عليّ قال : إنّ (قلّما) قد تجيء بمعنى إثبات الشيء القليل ، كما في هذا البيت ، والكثير أن تكون للنفي الصرْف . وهذا كلام أبي عليّ في الإيضاح الشعريّ[2] قال : وأما قولُ لبيد :

* قلّما عرّس حتّى هجتُه *

فإنّ قولهم قلما ، يستعملَ على ضربين : أحدهما أن يكون بمعنى النفي لايثبَت به شيء ، والآخر أن يكون خلافَ كثُر يُثبَت به شيء قليل . فمن الأوّل قولهم : قلّما سرت حتّي أدخلَها ، فتنصِب الفعلَ معه بعد حتّي ، كما تنصِب في قولك : ماسرت حتّي أدخلَها ، ومنه : قلّما سرتُ فأدخلَها فتنصِب معه الفعلَ بعد الفاء كما تفعلُ ذلك بالنفي ، ومنه قلَّ رجلٌ جاءني إلاّ زيدٌ ، كما تقول : ماجاءني إلاّ زيدٌ ، فهذا في هذه المواضع بمنزلة النفي . ولو أردتَ نفيَ كثُر لجاز الرفعُ في الفعل بعد حتَّي ، كما تقول : سرت قليلاً حتّي أدخلُها . ولو أُجريَ هذا الضربُ مُجرىٰ الأوّل — على معنى أنّ القليل لم يُعتدّ به لقلّته — لكان ذلك قياساً على كلامهم ، ألا تَراهم قالوا : ما أدرِي أأذّن أو أقام، فجُعِل

(١) ديوان لبيد ١٨٢ والمعاني الكبير ٧٣ .

(٢) الكلام التالي لم أجده في نسختيْ دار الكتب من الايضاح ، والأولى منهما برقم ١١٢٠ نحو وعليها هذه العبارة : من نعم الله على عبده الفقير الله ... عبد القادر ابن عمر البغدادي . والثاني برقم ١٠٠٦ نحو ، وهي تزيد على الأولى زيادة كبيرة .

الفعلُ غيرَ مُعتَدٍّ به ؛ والبيت ممّا قد ثبت فيه التعريس ولم ينفِه ألبتّة ، يدلُّكَ على ذلك قولُ ذى الرُّمّة :

٢٦ زارَ الخيالُ لمىٍّ هاجعاً لَعِبَتْ به التَّنائفُ والمَهْرِيَّةُ النُّجُبُ (١)
مُعَرِّساً فى بياضِ الصُّبحِ وَقعتهُ وسائرُ السيرِ إلاّ ذاكَ منْجذِبُ

انتهى . بيانه : أنّ ذا الرمة أراد بالهاجع المعرِّسَ نفسَه . والهاجع : النائم . ولعبت به : ترامَتْ به بلْدة إلى بلدة . والمَهْرِيّة ، بالفتح : الإبل المنسوبة إلى مَهْرة ، وهى حى باليَمَن . والنُّجُب : جمع نجيب : كرام الإبل . والتعريس : الإقامة فى آخر الليل . ومعرساً : صفة هاجعاً . أى زارنى خيالُ مىٍّ وأنا معرّس نائم . وجملة فى بياض الصبح وقعته ، صفةٌ لقوله : معرساً . يريد الوقعة التى ينامها عند الصُّبح ، لأنّ كلَّ مَن سار ليلتَه فذلك وقتُ إراحته ونومه . ويُروَى : (وسائرُ الليـل) . ومنجذب : خبر سائر أى ماض . وقوله : إلاّ ذاك ، استثناء للتعريس من السير ، وهذا وجه الدليل . ويروى أيضاً : (فى سَوادِ اللَّيل) . والتفسير فى السَّير واللَّيل والسَّواد سواء . وهذا الشعر من قصيدةٍ طويلة لذى الرمّة مطلعُها :

ما بالُ عينك منها الماء ينسكب

وهذه القصيدة أوّل ديوانه .

واعلم أنّ أبا علىٍّ قد تكلّم هنا على أقلّ وقلّ وقلّما ، بكلامٍ جيِّدٍ قد اختصره الشارح المحقّق ، أحببتُ أن أنقله هنا برمّته تتميماً للفائدة : قال(٢) :

---

(١) ديوان ذى الرمة ص ٧ .

(٢) وهذا النقل أيضا لم أجده فى نسختَىْ الإيضاح السالفتى الذكر . والظاهر أن لأبى على إيضاحين : الإيضاح النحوى ، والإيضاح الشعرى .

اعلم أنّهم قالوا : أقلُّ رجلٍ يقول ذلك ، وأقلُّ امرأةٍ تقول ذلك ، وأقلُّ امرأتين تقولان ذلك ؛ فحملوا الصفةَ فيها على المضاف إليه أقلّ لا على أقلّ .
فإن قال قائل : ما موضعُ تقول ذلك وتقولان ذلك ؟ فالقول فيه : أنّ موضعَه جرٌّ على ما عليه استعمالهم ؛ ولا يجوز أن يكون موضعُه رفعاً ، لأنّه لو كان رفعاً لـكان ينبغى أن يكون محمولاً على أقل ، إمّا أن يكون وصفاً له أو خبراً .
فإن قلتَ : إذا كان أقلُّ مبتدأً فما خبره ؟ فالقول فيه : أنّه لا يخلو من أن يكون مضمراً متروكَ الإظهار والاستعمال ، كما كان خبرُ الاسمِ بعدَ لولا كذلك[1] . أو يكون قد استُغنى عن الخبر بالصفة الجارية على المضافِ أقلُّ إليه ، وصار أقلُّ لا خبر له لما فيه مِن معنى النفى ، كما أنّ قلّما فى قولهم :

. . . . قلّما وصالٌ على طول الصدود يدومُ[2]

غير مسند إلى فاعلٍ ؛ لما فيه من معنى النفى ، فـكما صار قلَّ غيرَ مسندٍ إلى فاعلٍ ، كذلك أقلُّ غير مسنَد إليه خبَر ، لأنّ كلاًّ واحدٍ منهما قد جرى مَجرى صاحبه ؛ ألا ترى أنّهم قالوا قلَّ رجلٌ يقولُ ذلك إلا زيدٌ ، كما قالوا : ما رجلٌ يقول ذلك إلا زيدٌ ، وقالوا : أقلُّ رجلٍ يقول ذلك إلاّ زيدٌ ، فأبدلوا زيداً من أقلُّ وأجرَوه مُجرى قلَّ رجلٌ يقولُ ذلك إلا زيدٌ ! ألا ترى أنّه لم يُبْدَل من رجلٍ المجرورِ بل أُجرى مُجرى قلَّ رجلٌ فأمّا صفة الاسم الذى يضاف إليه أقلّ ، فإنّه يكون فعلاً أو ظرفاً ، لأن الظرف كالفعل والفاعل ، ألا ترى أنّه فى صلة الموصول كالفعلِ : فى استقلال الموصول به[3] ! وقال

(١) الرضى : « وفيه نظر ، لأنه لامعنى لقولك أقل رجل يقول ذلك إلا زيد موجود كما لا معنى لقولك أقائم الزيدان موجود » .

(٢) للمرار الفقعسى فى سيبويه ١ : ١٢ ، ٤٥٩ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٣٩ ، ١٤٤ والإنصاف ١٤٤ والمنصف ١ : ١٩١/٢ : ٦٩ . وصدره :

* صددت فأطولت الصدود وقلما *

(٣) ـــ : « كالفعل فى الاستمال الموصوف به » .

أبو الحسن : لو قلتَ أقلُّ رجُلٍ ذى جُمّة ، أو نحو ذلك ، لم يحسن . قال أبو علىّ : وإنّما امتنع هذا ، لأنّ أقلّ قد أُجرى مُجرى حرفِ النفى فلم يظهر له خبر ، كما أنّ قلَّ جرى مجراه فلم يُسنَد إلى فاعل . فإذا علمتَ أنّه قد أُجرى مجرى حرفِ النفى — بما ذكرتُ ، وبأنّهم قالوا : قلَّ رجلٌ يقول ذلك إلاّ زيدٌ — كان قولهم : أقلُّ رجل يقول ذلك ، أقلّ فيه بمنزلة حرف النفى ؛ وحرف النفى ينبغى أن يدخل على كلامٍ تامّ ، والكلام التامُّ الفعلُ والفاعلُ وما فى حكمهما من الظروف ، وليس المبتدأ وخبرُه ممـا يجرى مجرى الفعل والفاعل هنا .

٢٧

ألا ترى أنّ أبا الحسَن يقول : لو قلتَ أقلُّ رجل وجهُهُ حسَن ، لم يحسُن . فدلّ ذلك على أنّهم جعلوا أقلّ بمنزلة ما ، وما حقُّها أن تنفىَ فعلَ الحـال ، فى الأصل ؛ ويؤكّد ذلك أنّه صِفة ؛ والصفة ينبغى أن تكون مصاحبـةً للموصوف ، فكما لا تدخل ما فى نفى الفعل إلاّ على فعل وفاعل ، كذلك ينبغى أن يكون الوصفُ الواقعُ بعد الاسم المضاف إليه أقلُّ فعلاً وفاعلاً ، أو ظرفاً ، لأنّ الظَّرف كالفعل . وإذا كانت كذلك ، فلو أوقعت جملة من ابتداء وخبر بَعْدَه لم يحسُن ، لأنّ ما فى الأصل لا تنفيها ، إنّما تنفى الفعلَ ؛ ولو أوقعت صفةً لا معنى للفعل فيها ، نحو ذى جُمَّة ، وما أشبهها ممّا لا يشابه الفعل ، لم يجز . ولو أوقعت الصفة المشابهة للفعل ، نحو ضارب وصالح لم يحسُن فى القياس أيضاً ، ألا ترى أنّ هذا موضعُ جملة ، واسم الفاعل لا يسدُّ مسَدَّ الجملة ؛ ولذلك لم تستقلَّ الصلة به ، واسم الفاعل فى صفة الاسم المجرور برُبَّ أحسنُ منه فى صفة الاسم المضاف إليه أقلُّ . لأنّ ربَّ وما انجرَّ به من جملة كلام ، ألا ترى أنّ الفعل الذى يتعلّق به مرادٌ ، وإن كان قد يترك من اللفظ ، كما أنّ ما يتعلّق به الكاف ، من قولك : الذى كزيد ، كذلك : فإذا كانت كذلك كانت فَضلة ، والفضلة لا تمتنع أن تُوصَف بالصفات التى لا تناسب الفعل والتى تناسبهُ ،

وليس صفة المضاف إليه أقلّ كذلك ، ألا ترى أن أقلّ بمنزلة حرف النفى كما كان قلّ كذلك ، وحكم حرف النفى أن يدخل على جملة . ووجه جواز وصف الاسم المضاف إليه أقلُّ بصالح ونحوه هُوَ أنّ [1] هذا الضربَ قد أجرى مجرى الجُمَل فى غير هذا الموضع ، ألا ترى أنّ سيبويه قد أجاز حكاية عاقلة لبيبة ونحوها إذا سمِّى بها ، فجَعَله فى ذلك بمنزلة الجمل ، حيث كان فى حكمها ، من حيث كان حديثاً ومحدَّثا عنه ؛ وقد جرى هذا النحو مجرى الفعل والفاعل أيضاً فى الأسماء المسمّى بها الفعل ، فكذلك فيما ذكرنا . والأقيس فيما يُجرُّ بربَّ أن يُوصَف بفعلٍ وفاعل ، لأنّ أصلَ ربّ وإن كان كما ذكرنا ، فقد صار عندهم بمنزلة النفى ، ألا ترىٰ أنّها لا تقع إلاّ صدرًا كما أنّ النفى كذلك ؛ وأنّ المفرد بعد قلّ دلّ [2] على أكثرٍ من واحد ، وهذا مما يختصّ به النفى ونحوه ؛ فإذا كان كذلك ، صار ذلك الأمر كالمرفوض ، وصار الحكم لهذا الذى عليه الاستعمال الآن . وقد صار كالنفى بما لزمه بما ذكرنا ، كما صار أقلُّ رجلٍ بمنزلة ذلك ، فكما أنّ حكم صِفة المضافِ إليه أقلُّ أن يكون على ما ذكرنا ، كذلك حكم ما انجرّ برُبَّ . ومما يدلُّ على أنّ أقلّ منزّلٌ منزلةَ النفى ، امتناعُ العوامل الداخلة على المبتدإ من الدخول عليه ، امتناعَها من الدخول على ما لزِمَه حرفُ النفى . وممّا جرى مَجرى أقلُّ رجل ، فيما ذكرنا ، قولُهم : خَطيئة يوم لا أصيدُ فيه ؛ ألا ترىٰ أنّ الكلام محمولٌ على ما أضيف خطيئة إليه ، كما كان محمولاً على ما أضيف أقلُّ إليه ، ولم يعدْ على خطيئة ممّا بعده ذِكر ، كما لم يعدْ على أقلّ شىء ممّا بعده . وقياس خطيئة أن تمتنع العواملُ الداخلة على المبتدإ والخبر من الدخول عليها ، كما امتنعت من الدخول على أقلّ ، لاتّفاقهما فيما ذكرتُ

---

(١) فى النسختين : « وان » . وبدله فى الرضى : « فلإعطائه معنى الفعل » .

(٢) كذا فى النسختين ، وغيره الشنقيطى بقلمه هكذا « بعده قد دل » .

وفى المعنى ، ألا ترى أنّه يريد ما يومٌ لا أصيد فيه إلاَّ الخطيئة[١] ، فصار كقولهم أقلّ من جهة المعنى ومن جهة حمْل ما بعدها على ما أضيف إليه من دونها . والقياس فيها وفى أقلّ أن يكون ما جرى بعدهُما من الكلام قد سدّ مسدّ الخبر ، وصار معنى أقلُّ امرأتين تقولان ذلك ، ما امرأتان تقولان ذلك ؛ وكذلك خطيئة ، فحُمل الكلام على المعنى ، فلم يُحتَج إلى إضمار خبرٍ كما لم تحتج إليه فى قولك : أذاهبٌ أخَواك ، وما أشبهه . انتهى كلام أبى عليّ ، وسُقناه برمّته لنفَاسَته . ٢٨

صاحب الشاهد

وبيت الشاهد من قصيدةٍ طويلةٍ للَبيد بن رَبيعة الصحابىّ ، عدّة أبياتها خمسة وثمانون بيتاً ، ولا بدّ من ذكرِ أبياتٍ متّصلة به ليتّضح معناه ، وهى :

أبيات الشاهد

(ومَجُودٍ مِن صُباباتِ الكَرَى ... عاطفِ النُّمْرُقِ صَدْقِ المبتَذَلْ

قال هجِّدْنا فقد طالَ السُرى ... وقدَرنا إنْ خَنَى الدهرِ غَفَلْ

يتّقى الأرضَ بدَفٍّ شاسِفٍ ... وضُلوعٍ تحتَ صُلْبٍ قد نَحَلْ

فلمّا عرّسَ حتّى هجتُـه ... بالتَباشير مِنَ الصُبح الأُوَلْ

يلمِسُ الأحْلاسَ فى منزِله ... بيدَيه ، كاليَهودىِّ المُصَلّ

يَتمارَى فى الذى قلتُ له ... ولقدْ يَسمَعُ قولى حَيَّهَلْ

فورَدْنا قبلَ فُرّاطِ القَطـا ... إنّ مِنْ وِرْدِى تَغْليسَ النَهَلْ)

قوله : ومَجُودٍ من صُبابات الخ ، الواو واو رُبَّ ؛ والمجود : الذى جاده النُعاس[٢] وألحَّ عليه حتّى أخذه فنام ؛ من الجَود بالفتح وهو المطر الغزير ،

(١) سـ : « الخطأ » . وانظر لقولهم خطيئة يوم لا أصيد فيه سيبويه ١ : ونهاية مادة (خطأ) من اللسان .

(٢) ط : « الناس » صوابه فى سـ .

يقال أرض مَجُودة أى مَغِيثَة ، وجِيدَت الأرضُ : إذا مُطِرت جَوْدا . وقال أعرابىّ : المجود : الذى قد جاده العطَش أى غلبه ، كذا فى شرح أبى الحسَن الطُّوسى . وهذا لا يناسب قوله : صُبابات الكرىٰ ، فإنّ الكَرَى النومُ وصُبابته بقيّته . والجيِّد ما ذكره صاحب القاموس : من أنّ الجُوَاد ، كغراب : النُّعاس ، وجادَه الهوىٰ : شاقَه وغلَبَه ؛ وبهذا يلتئم بما بعده . يريد : أنّه هبَّ من نومه قبل أن يستكمِلَه ، فهو نَعْسَانٌ من بقيّة النوم . وقوله : عاطف النُّمْرُق ، صفة مَجُود ، والإضافة لفظية ، يريد عطَف نُمرُقَتَه وثَناها فنام . والنمرقة ، مثلّثة النون : الوِسادة والطِّنفسة فوق الرحْل ، وهى المرادة هنا ؛ والطُّنفسة مثلّثة الطاء والفاء ، وبكسر الطاء وفتح الفاء ، وبالعكس : البِساط . وقوله : صَدْق المبتذَل ، بفتح الصاد أى جَلْد قوىّ لا يغيَّر عند ابتذاله نفسَه ولا يسقُط ؛ ولا يجوز أن يقال صَدْق المبتذل ، إلاّ إذا امتُهِن ووُجِد صادق المَهْنة يُوجَد عنده ما يُحَبُّ ويُراد . وفى القاموس : الصَّدْق : الصُّلْب المستوى من الرماح والرجالِ ، والكاملُ من كلِّ شىء ؛ وهى صَدْقَة . والمبتذَل : مصدرٌ بمعنى الابتذال ، وهو ضد الصِّيانة ، يقال سيف صَدْق المبتذَل أى ماضى الضريبة . وقوله : قال هجَّدنا الخ ، قال هو متعلّق رُب . والتهجيد من الأضداد : يقال هجّده إذا نوّمه ، أى دعنا ننام ، وهو المرادُ هنا ، وهجّده : إذا أيقظه . والفاء للتعليل . والسُّرىٰ بالضمّ : سير عامّة الليل . وقوله : وقدرنا ، أى وقدَرنا على ورود المـاء ، وذلك إذا قرُبوا منه . وفى القاموس : وبينَنا ليلة قادرةٌ : هيِّنة السَّير لا تعبَ فيها . والخَنىٰ ، بفتح المعجمة والقصْر : الآفة والفساد ؛ أى إنْ غفل عنّا فسادُ الدهر فلم يعُقْنا . وقيلَ : قدَرنا ، أى على التهجيد ؛ وقيل : على السَّير . وقوله : يتقى الأرض الخ ، أخبرَ عن صاحبه النَعسانِ بأنّه يتّقى الأرض أى يتجافىٰ عنها . والدَفّ ، بفتح الدال : الجنْب . ورُوِى :

٢٩

(يتقى الرَّيعَ) . والشاسف ، بتقديم المعجمة على المهملة : اليابس ضُمْراً وهُزالاً ، وقد شَسَف كنصر وضرب وكرم ، شُسُوفاً وشَسافة ، ويكسَر : إذا يبِس ونحل جسمُه ، كمنع وعلم ونصر وكرم ، نُحولاً : ذهب من مرضٍ أو سفَر .

وقوله : (قلّما عرَّس الخ) ما المتّصلة بِقَلّ كافّةٌ لها عن طلب الفاعل ، وجاعلةٌ إيّاها بمنزلة ما النافية فى الأغلب ، وهنا لإثبات القِلّة كما تقدّم ؛ وما تتّصل بأفعالٍ ثلاثة فتكفّها عن طلب الفاعل ، وهى قَلّما وطالما وكثُر ما ، وينبغى أن تتّصل بالأوّلَين كتابةً . و (التعريس) : النزول فى آخر الليل للاستراحة والنَّوم ، ومثله الإعراس . و (هِجْتُه) : أيقظته من النوم ؛ وهاج يَهيج يجىء لازماً ومتعدّياً ، يقال هاج : إذا ثار ، وهجته : إذا أثرته . وحتّى هنا حرف جرّ بمعنى إلاّ الاستثنائية ، أى ما عرّس إلاّ أيقظته ، أى نامَ قليلا ثم أيقظته ؛ وأكثر دُخولها على المضارع ، كقوله :

ليسَ العطاء من الفُضولِ سَماحةً حتّى تَجودَ وما لديكَ قَليلُ[1]

وقوله : (بالتّباشير) أى بظهورها ؛ والتباشير : أوائل الصبح ، وهو جمع تَبشير ، ولا يُستعمَل إلاّ جمعاً ؛ قال فى القاموس : التباشير البُشرىٰ ، وأوائل الصبح وكلّ شىء ، وطرائقُ على الأرض من آثار الرياح ، وآثارٌ بجنْب الدابّة من الدَّبَر ، والبواكر من النَّخل ، وألوان النخْل أوّلَ ما تُرطِب . انتهى

ولـكونه مشترَكاً بين هذه المعانى ، بيّن المرادَ بقوله : (من الصبح) و (الأُوَل) صفة التباشير ، وهو بضمّ الهمزة وفتح الواو جمع أُولىٰ مؤنث

---

(١) البيت للمقنع الكِندى . انظر العينى ٤ : ٤١٢ وشرح شواهد المغنى ١٢٨ .

الأوّل ، كالكُبَر جمع كُبرى . وقد جاء هذا المصراعُ الثانى فى شعر النابغة الجعدىّ ، وهو :

وشمولٍ قَهْوةٍ باكرتُها فى التَّباشير من الصُبح الأُوَلْ

والنابغة وإن كان عصرِىَّ لَبيد ، إلاّ أنّه أسنُّ منه — كما بيّنّاه فى ترجمتهما[١] — وقد عيب هذا البيتُ على النابغة ، قال صاحب تهذيب الطبع : وأما الأبيات المستكرهة الألفاظ ، المتفاوتة النسج ، القبيحة العبارة ، التى يجب الاحتراز منها كقول[٢] النابغة الجعدىّ :

وشمولٍ قهوةٍ باكرتُها فى التَّباشيرِ من الصُّبح الأُولْ

يريد بالتباشير الأُوَل من الصُبح . وعابه المرزُبانىّ أيضاً فى كتابه الموشّح[٣] .

وقوله : يلمس الأحلاسَ ، فاعل يلمس ضمير المجُود . واللَّمْس : الطَّلَب ، وفعله من بابى قتل وضرب . والأحلاس . جمع حِلْس ، بالكسر ، وهو كِساء رقيق يكونُ على ظهر البَعير تحتَ رَحْله . أى يطلبها بيديه وهو لا يعقِل من غلَبَةِ النعاس . وقوله : كاليهودى المُصَلْ ، قال الطوسىّ فى شرحه : كأنه يهودىٌّ يصلّى فى جانب يسجُد على جبينه هذا . كلامه . واليهودىُّ يسجد على شِقِّ وجهه ، وأصلُ ذلك أنّهم لما نُتق الجبلُ فوقَهم ، قيل لهم : إمّا أن تسجدوا وإمّا أن يُلقى عليكم ، فسجدوا على شِقّ واحدٍ مخافةَ أن يسقط عليهم الجبل ، فصار عندهم سُنّةً إلى اليوم . وقوله : يمارىْ فى الذى قلتُ له الخ ،

---

(١) هذا سهو من البغدادى ، فإنه إنما تعرض للمقارنة بين سن النابغتين فى هذا الجزء من الخزانة ص ١٦٧ . وترجمة لَبيد تقدمت فى ٢ : ص ٢٤٦

(٢) الوجه : « فكقول » .

(٣) الموشح ص ٦٧ .

هذا البيت أورده الشارح فى اسم الفعل[١]، وهناك يشرح إن شاء الله تعالى .

٣٠ التمارى فى الشىء والامتراء فيه : المجادلة والشكُّ فيه ؛ يقال ما ريت الرجل أُماريه مِراءً ومُماراة : إذا جادلته ، والمِرية : الشكّ . قال الطوسىّ : يقول : قال له الصبحَ ، والنجاء ، قدْ أصبحتَ ، ونحو هذا من الكلام . وحَيَّهَلْ : أى أسرِع وأعْجِل : قال السيِّد المرتضىٰ فى أماليه[٢] : (غُرَر الفوائد ، ودُرَر القلائد) : قد قال الناسُ فى وصف قلّة النوم . ومواصلة السُّرىٰ والإدلاج ، وشعَث السارِينَ ، فأكثروا ؛ فمن أحسن ما قيل فى ذلك قولُ لَبيد . وأنشدَ هذه الأبياتَ الخمسةَ ، وأورد لها نظائرَ جيِّدة . وقوله : فوردنا قبل فُرَّاط القطا الخ ، القَطا مشهورٌ بالتبكير والسَّبْق إلى الماء : وفُرَّاط القَطا : أوائلها ؛ وهو جمع فارطٍ ، يقال فرطت القومَ أفرُطهم فرطاً ، من باب نصر : أى سبقتهم إلى الماء . وقوله : إنّ من وِردىَ الخ ، أى من عادتى . والتغليس : السير بغَلَس ، وهو ظُلمة آخر الليل ؛ يقال غلَّسنا الماء أى وردناه بغَلَس . والنَّهَل : الشَّرْبة الأولىٰ ، والعلَل الشَّربة الثانية : قال الطُّوسىّ : قال أبو الوليد : أراد المنهَل ، ولكنّه لم يستقم له البيت .

وترجمة لَبيد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[٣] ومطلع هذه القصيدة :

(إنّ تقوىٰ ربِّنا خيرُ نَفَلْ وبإذْن الله رَيْثى والعَجَلْ[٤]

أحمَدُ اللهَ ، فلا نِدَّ له بيدَيه الخيرُ ، ما شاءَ فعلْ)

---

(١) وهو الشاهد الحادى والستون بعد الأربعمائة .

(٢) أمالى المرتضى ١ : ٥٤٧ .

(٣) الخزانة ٢ : ص ٢٤٦

(٤) سـ : « وعجل » .

من هَدَاه سُبُلَ الخير اهتدى   ناعمَ البال ، ومَن شاء أضَلّ)

قوله : خير نَفل ، هذه رِواية الأصمعيّ ، وروى أبو عبيدة : (خير النَّفَل) والنفل : الفضل والعطيّة ؛ كذا قال الطوسيّ : واستشهد صاحب الكشّاف بهذا البيت فى سورة الأنفال على أنّ النفَل بالتحريك الغنيمة . وأصله الزيادة ، ولهذا يقال هذا نفَل أى فَضْل وزيادة ؛ ومنه النافلة فى الصلاة . والرَّيث مصدر رِثْت أريث : إذا أبطأت .

قال السيِّد المرتضىٰ فى أماليه[1] : وممّن قيل إنّه على مذهب الجَبْر من المشهورين ، لَبيدُ بن ربيعةَ العامريّ واستدلَّ بقوله :

إنَّ تَقوىٰ ربِّنا خيرُ نَفَلْ   وبإذنِ اللهِ رَيْثى والعَجَلْ
مَنْ هَداه سُبُلَ الخير اهتدَى   ناعمَ البالِ ، ومَنْ شاء أضَلّ

وإن كان لاطريق إلى نَسَب الجَبْر إلى مذهب لبيدٍ إلاّ هذان البيتان ، فليس فيهما دلالةٌ على ذلك . وأمّا قوله : وبإذن الله رَيثى والعَجَل ، فيحتمل أن يريد بعلمه ، كما يُتأوّل عليه قوله تعالى : ﴿ وَما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ بِإِذْنِ اللهِ[2] ﴾ : أى بعلمه . وإن قيل فى هذه الآية انّه أراد : بتخليته وتمكينه — وإن كان لاشاهد لذلك فى اللغة — أمكن مثلُه فى قول لبيد . وأمّا قوله : مَنْ هداه سُبُلَ الخير الخ ، فيحتمل أن يكون مصروفاً إلى بعض الوُجوه التى يُتأوَّل عليها الضلال والهدى المذكوران فى القرآن ، ممّا يليق بالعدل ولايقتضى الإجبار ، اللهمَّ إلاّ أن يكون مذهب لبيد فى الإجبار معروفاً بغير هذه الأبيات ، فلا يُتأوَّل له هذا التأويل ، بل يحمَل على مراده ، على موافقة المعروف من مذهبه . انتهى كلامه .

* * *

(١) أمالى المرتضى ١ : ٢١ .   (٢) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد المائتين :

٢٢٩ ﴿ وما اغترَّه الشَّيبُ إلاّ اغتِرارَا[١] ﴾

٣١ على أنّ ما بعدَ إلاَّ مفعول مطلق مؤكِّد للفعل قبلَه .

ووجّه الشارحُ المحقِّق صحّةَ التفريغ فى المفعول المطلق المؤكَّد . وقوله : إنّ ابنَ يَعيشَ قال: أصلُه وما اغترّه اغتراراً إلاَّ الشيبُ ، فقدّم وأخر . فهذا القول إنّما هو لأبى علىٍّ الفارسىّ ، وابنُ يَعيشَ مسبوقٌ به . قال ابنُ هشامٍ فى المُغْنِي : قال الفارسىُّ : إنّ إلاّ قد توضَع فى غير موضعها مثل : ﴿إنْ نَظُنُّ إلاّ ظنًّا ﴾[٢] . وقوله :

وما اغترَّه الشَّيبُ إلاَّ اغتراراً

لأنّ الاستثناء المفرَّغ لايكون فى المفعول المطلق التوكيدىّ ، لعدم الفائدة فيه . وأجيب : بأنّ المصدر فى الآية والبيت نَوْعىٌّ على حذف الصفة ، أى إلاَّ ظنًّا ضعيفاً ، وإلّا اغتراراً ضعيفاً . انتهى . وكذا قال الخَفّاف الإشبيلىّ فى شرح الجمل : قال : وهذا عندى أن تكون إلاّ فى موضعها ، ويكونَ ممّا حُذِف فيه الصفة لفهم المعنى ، كأنّه قال : إنْ نظنُّ إلاّ ظنًّا ضعيفاً ، وما اغترّه الشَّيب إلّا اغتراراً بيِّناً[٣] . وهذا أَولى لأنّه قد ثبت حذفُ الصفة ولم يثبتْ وضعُ إلاّ فى غير موضعها . وهذا جوابٌ ثانٍ ، لكنْ جواب الشارح المحقّق أدقّ .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

---

(١) ديوان الأعشى ٣٥ وابن يعيش ٧ : ١٠٧ وشرح شواهد المغنى ٢٤٠ .

(٢) الآية ٣٢ من سورة الجاثية .

(٣) كذا فى النسختين ، ولعلها « هينا » .

(أَحلَّ له الشَّيبُ أَثقالَه)

وأحلّ : أنزل ؛ والإحْلال : الإنزال . والأَثقال : جمع ثَقَل بفتحتين ، وهو متاع المسافر وحَشَمُه .

والبيت من قصيدةٍ للأعشى مَيمون ، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب[1] . وهذا مطلع القصيدة :

(أأزمعتَ مِنْ آلِ لَيلى ابتكارا وشَطَّتْ على ذى هوًى أَنْ تُزارا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد المائتين :

٢٣٠ (يُطالبُنى عمِّى ثمانين ناقةً ومالىَ يا عَفراء إلاَّ ثمانيا[2])

على أنّ الفرّاء يُجيز النصب على الاستثناء المفرَّغ ، نظراً إلى المقدَّر ؛ استدلالاً بهذا البيت : فإن المستثنى منه محذوفٌ تقديره : ومالى نوقٌ إلاّ ثمانيا . وردَّه الشارح المحقّق بما ذكره[3] .

أقول : هذا البيت من قصيدةٍ نونيَّة طويلةٍ ، عدَّتها ثلاثة وسبعون بيتاً ، لعُرْوة بن حِزامٍ العُذْرىّ . والبيت قد تحرَّف على مَن استشهَد به ، وروايته هكذا :

(يُكلِّفنى عمِّى ثمانين بَكْرَةً وَما لىَ يا عَفراء غيرُ ثمانِ)

ورُوى أيضاً :

(يُكلِّفنى عمِّى ثمانينَ ناقةً وما لىَ والرحمنِ غيرُ ثَمانِ

---

(١) الخزانة ١ : ص ١٧٥

(٢) ديوان عروة ٤ وأمالى القالى ٣ : ١٦٠ برواية : « غير ثمان » .

(٣) شرح الرضى على الكافية ١ : ٢١٧ .

وعلى هذا فالاستثناء على الطريقة المألوفة .

وهذه القصيدة ثابتةٌ فى ديوانه أقلَّ ممّا ذكرنا ، وعدَّتها على مافيه ثلاثة وثلاثون بيتاً ، وأوردها بالعدد الأوّلِ[١] القالىُّ فى آخر ذيل أماليه وفى أوّل نوادره[٢] . وقد ترجمْنا عُروةَ بنَ حِزامٍ مع عَفراء العذريَّيْن ، وذكرنا حكايتَهما مفصَّلة فى الشاهد السادس والتسعين بعد المائة[٣] .

والقصيدة غراميَّةٌ فلا بأس بإيرادها ؛ لانسجامها ورقَّتها ، وأخْذها بمجامعِ القلوب . قال القالىُّ فى الذيل وفى النوادر : قال أبو بكر : وقصيدة عُروةَ النونيَّةُ يختلف الناسُ فى أبيات منها ، ويتفقون على بعضها ؛ فأوَّل الأبياتِ المجمَع عليها وما يتلوها ، ممّا لا يُختَلف فيه ، أنشدنى جميعَه أبى رحمه الله ، عن أحمد بن عُبيد وغيره ، وعبدُ الله بن خلفٍ الدلّال عن أبى عبد الله السَّدوسىّ ، وأبو الحسن بن برّاء عن الزُّبَير بن بكّار ؛ وألفاظهم مختلطةٌ بعضُها ببعض : ٣٢

(خليلَيَّ مِنْ عُليا هِلالِ بنِ عامرٍ ... بصنعاء عُوجا اليومَ وانتظِرانى

ولا تَزْهَدا فى الأجر عندى وأجْمِلا ... فإنَّكما بى اليومَ مُبتَليانِ

ألم تعلما أنْ ليسَ بالمَرْخِ كلّه ... أخٌ وصَديقٌ صالحٌ ، فَذَرانى

---

(١) عدد أبياتها فى الأمالى اثنان وثمانون ، لا ثلاثة وسبعون . وسيسرد البغدادى هذه القصيدة ثلاثة وسبعين بيتاً ، فلعلها كذلك فى نسخة من الأمالى . وعدد أبياتها فى الديوان ١٢٨ بيتاً .

(٢) الميمنى : لا قرار له ، فتارة يسمى الجزء اللاحق بذيل الأمالى : صلة الذيل ، وأخرى : النوادر ، وأخرى غير ذلك على أن هذه القصيدة ليست فى آخر ذيل الأمالى بل هى مطلع صلة الذيل التى سماها هنا (النوادر) غلطاً . وانظر ٣ : ١٥٧ من الطبعة الثانية . والقصيدة أو بعضها فى الأغانى ٢٠ : ١٥٤ والعينى ٢ : ٥٥٣ والسيوطى ص ١٤٠ وتزيين الأسواق ص ٧٣ .

(٣) فى هذا الجزء من الخزانة ص ٢١٥ .

أفى كلِّ يومٍ أنت رامٍ بلادَها بعينَين إنساناهُما غَرِقانِ
ألا فاحملانى ، باركَ اللهُ فيكما ! إلى حاضرِ الرَّوحاء ثُمَّ دَعانى
على جَسْرة الأصلاب ناجيةِ السُّرى تُقطِّع عَرْضَ البيدِ بالوخدَانِ
ألِما على عَفراء ، إنّكما غداً لشحطِ النوى والبَيْنِ مُعترِفان[(١)]
فياواشِيَيْ عفرا ، دَعانى ونظرةً تَقَرُّ بها عيناىَ ، ثُمَّ كِلانى
أغرَّكما منى قميصٌ لبِستُه جديدٌ وبُردا يَمْنةٍ زَهَيانِى[(٢)]
متى ترفعَا عنِّي القميصَ تَبيَّنا بِى الضُّرَّ من عفراء يا فتَيانِ[(٣)]
وتعترفا لحماً قليلًا وأعظُما دِقاقاً وقلباً دائمَ الخفقان
على كبدى من حُبِّ عفراء قَرْحةٌ وعيناىَ ، مِنْ وجْدٍ بها ، تَكِفان
فعفراء أرجى الناس عندى مَوَدَّةً وعفراء عنِّي المعرَضُ المتدانى

قال أبو بكر : قال بعض البصريِّين : ذكَّر المعْرِض ، لأنّه أراد : وعفراء عنِّي الشخْص المعْرِض . وقال الكوفيّون : ذكَّره بناءً على التشبيه ، أى وعفراء عنِّي مثل المعْرِض ، كما تقول العرب : عبد الله الشمسُ مُنيرةً ، يريدون مثلُ الشمس فى حال إنارتها .

فياليت كلَّ اثنين بينهما هوًى من الناسِ والأنعام يلتقيان[(٤)]
فيقضى حَبيبٌ مِن حَبيب لُبانةً ويَرْعاهُما ربِّى فلا يُرَيانِ

ويُروى : (فيستُرْهما ربِّى) على أنَّ الأصلَ يستُرُهما ، فسكَّن الراء لكثرة الحركات .

(١) فى الديوان والأغانى والأمالى : « بشحط » .
(٢) فى الديوان : « زهوان » ، وفى الأمالى : « زهيان » .
(٣) ط : « الضد » تحريف ، وفى سه : « الداء » وأثبت مافى الديوان والأمالى وفى الديوان أيضا : « حتى تكشفا عنى القميص » .
(٤) فى شرح شواهد المغنى للسيوطى : « يأتلفان » .

هوىً ناقتى خلفى وقُدَّامىَ الهوىٰ، وإنّى وإيّاها لمختلفان
هواىَ أمامى ليس خلفى مُعرَّجٌ وشوقُ قلوصى فى الغُدوِّ يمانِ
هواىَ عِراقىٌّ، وتثنى زمامها لبرقٍ، إذا لاح النُّجومُ، يمانِ
متى تجمعى شوقى وشوقكِ تظلعى ومالكِ بالعبءِ الثقيلِ يدانِ
يقول لىَ الأصحاب، إذْ يعذلوننى: أشوقٌ عِراقىٌّ وأنتَ يمانِ!
وليس يمانٍ للعراق بصاحب عسىٰ فى صروف الدهرِ يلتقيانِ
تحمّلتُ من عفراء ما ليس لى به ولا للجبالِ الراسياتِ يدانِ
كأنّ قطاةً عُلِّقتْ بجناحها على كبدى من شِدّة الخفقان!
جعلتُ لعرّاف اليمامةِ حُكمه وعرّافِ حَجْرٍ إنْ هما شفيانى[1]
فقالا: نعم، نُشفى من الداء كلّه وقاما مع العُوَّادِ يبتدرانِ[2]
فما تركا مِنْ رُقيةٍ يعلمانها ولا سلوةٍ إلاّ وقد سقيانى
ولا شفيا الداء الذى بىَ كلّه وما ذخرا نُصحاً وما ألوانى
فقالا: شفاك اللهُ، واللهِ ما لنا بما ضُمِّنت منكَ الضلوعُ يدانِ!
فَرُحتُ من العرّاف تسقط عِمّتى عن الرأس ما ألتاثها ببنانى
معى صاحبا صِدْقٍ، إذا ملت ميلةً وكانا بدفّىْ نضوتى عدلانى[3]
فيا عمُّ يا ذا الغدْرِ لا زلتَ مُبتلًى حليفاً لهمٍّ لازمٍ وهوانِ
غدرتَ، وكان الغدرُ منكَ سجيّةً فألزمتَ قلبى دائمَ الخفقانِ

(١) الأمالى: «وعراف نجد». وحَجر، بالفتح، هى اليمامة.
(٢) ط: «يبتدرانى» وأثبت مافى سـ والديوان والأمالى.
(٣) فى النسختين: «وكان»، صوابه فى الديوان والأمالى.

وأورَثْتَنِي غمًّا وكَرْباً وحَسْرةً ... وأورثتَ عَيني دائمَ الهمَلانِ[1]

فلا زلتَ ذا شوقٍ إلى مَن هويته ... وقلبُك مقسومٌ بكلّ مكانِ

وإنّي لأهوى الحَشرَ، إذ قيل إنّني ... وعفراء يومَ الحشرِ مُلتقيانِ

ألا يا غُرابَىْ دِمنةِ الدار ، بيِّنا : ... أبا لهَجْرِ مِن عفراء تَنتحبانِ

فإن كان حقًّا ما تقولانِ فاذهبا ... بلحمى إلى وَكريكما فَكُلانى

كِلانىَ أكلاً لم يرَ الناسُ مثلَه ... ولا تهضِما جَنبيَّ وازدرِدانى

ولا يعلمنَّ الناسُ ما كان ميتتى ... ولا يأكلنَّ الطيرُ ما تَذَران[2]

ألا لعنَ اللهُ الوُشاةَ وقولَهم : ... فلانةُ أمستْ خُلّةً لفُلانِ

إذا ما جَلسْنا مجلِساً نستلِذُّه ... تَواشَوا بنا ، حتّى أملَّ مكانى

تَكنّفنى الواشُون مِن كلِّ جانبٍ ... ولو كان واشٍ واحدٌ لكَفانى

ولو كان واشٍ باليَمامة دارُه ... أحاذره مِن شؤمه ، لأتانى[3]

يكلِّفنى عمّى ثمانينَ بكرة ... ومالىَ والرحمنِ غيرُ ثمانِ[4]

فيا ليتَ مَحْيانا جميعاً ، وليتنا ... إذا نحن مُتنا ضَمَّنا كَفنانِ

ويا ليتَ أنّا الدهرَ فى غير رِيبةٍ ... خَليّان نرعى القَفْرَ مؤتلفانِ

فواللهِ ما حدَّثتُ سِرَّكِ صاحباً ... أخاً لى ولا فاهتْ به الشَّفَتانِ

سِوى أنّني قد قلتُ يوماً لصاحبي ... ضُحًى وقَلوصانا بِنا تَخدانِ

ضُحَيًّا ومسَّتْنا جَنوبٌ ضعيفةٌ ... نسيمٌ لريّاها بنا خفقانِ[5]

(١) ط : « وألبستنى غما » ، وأثبت ما فى ﺳ والديوان والأمالى .

(٢) الديوان والأمالى : « ما كان قصتى » .

(٣) فى رواية بالديوان : « ودارى بأعلى حضرموت أتانى » .

(٤) الأمالى : « ثمانين ناقة » .

(٥) ط : « ضحينا » صوابه فى ﺳ والديوان والأمالى .

تحمّلتُ زفْراتِ الضحىٰ فأطقتُها ... ومالى بزَفْرات العَشِىِّ يَدانِ

فيا عمُّ لا أُسقِيتَ مِنْ ذى قرابة ... بلالاً ، فقد زَلّت بكَ القدَمانِ

ومنَّيتَني عَفراء حتّي رجوتُها ... وشاعَ الذى مُنِّيتُ كلَّ مكانِ

فوالله لولا حُبُّ عفراء ما التقىٰ ... علىَّ رواقا بيتِك الخَلَقانِ

خَلِيقان هَلْهالانِ لا خيرَ فيهما ... قبيحانِ يَجرى فيهما اليرَقانَ[1]

رواقان خفّاقانِ لا خيرَ فيهما ... إذا هبّت الأرواحُ يَصْطَفِقَانِ[2]

ولم أتبَعِ الأظعانَ فى رَونق الضُّحىٰ ... ورَحْلى على نَهّاضة الحَديانِ

لِعفراء إذْ فى الدهر والناس غِرّةٌ ... وإذْ خُلُقانا بالصِّبا يَسَرانِ

لأدنُوَ من بيضاء خفّاقةِ الحشا ... بُنَيّةِ ذى قاذورة شَنَآنِ

كأنّ وشاحَيها إذا ما ارتدَتْهما ... وقامتْ ، عِنانا مُهْرةٍ سَلِسانِ

يَعَضُّ بأبدانٍ لها ملتقاهما ... ومَتْناها رِخْوان يضطربان[3]

وتحتهما حِقْفان قد ضربَتْهما ... قِطارٌ من الجوزاءِ ملتبدانِ[4]

أعفراء كم مِن زَفرةٍ قد أذقتِني ... وحُزنٍ ألجَّ العينَ فى الهَملانِ[5]

(١) عجزه فى الديوان : « إذا هبت الأرواح يصطفقان » ، وما هنا يطابق مافى الأمالى . وفى البيت إقواء .

(٢) ط : « رواقك » ، صوابه فى س والأمالى . وفى الأمالى : « رواقان هفهافان » ، وفى الديوان :

رواقان تهوى الريح فوق ذراهما ... وبالليــل يسرى فيهما الثَّقَلان

(٣) كذا فى النسختين ، والذى فى الديوان والأمالى : «ومتناهما» وهما صحيحان

(٤) ط : « خفقان » ، صوابه فى س والديوان والأمالى .

(٥) فى النسختين : « الخ » صوابه فى الديوان والأمالى ، وقال اللحيانى فى تفسير قوله تعالى : « ويمدهم فى طغيانهم يعمهون » ، أى يُلجهم ، قال ابن سيده : فلا أدرى أمن العرب سمع يلجهم ، أم هو ، إدلال من اللحيانى وتجاسر .

قلتُ : البيت شاهد على تعدية ألج ، فنبس إدلالا من اللحيانى .

وعينانِ ما أوفيتُ نشزاً فتنظرا ... بمأقيهما إلاّ هما تكِفانِ !
فهل حاديا عفراء ـ إن خِفتُ فوتَها ... عليَّ ، إذا ناديتُ ـ مُرعَويان
ضرُوبان للتالى القَطُوفِ إذا وَنى ... مُشيحانِ من بَغضائنا حذِرانِ[1]
فما لكما من حاديَين ! رُميتُما ... بحمىً وطاعونٍ ، ألا تقفان
وما لكما مِن حاديينِ ! كُسيتما ... سَرابيلَ مُغلاةً من القَطِرانِ
فويلى على عَفراء ويلاً كأنّه ... على الكبدِ والأحشاءِ حَرُّ سنان[2]
ألا حبّذا من حبِّ عَفراء « مُلتقَى ... نَعَمْ وألالا » حيثُ يلتقيانِ

قال أبو بكر : أخبرنى أبى عن الطوسىّ قال : أراد بقوله : مُلتقى نعَمْ وألالاَ ، شفتيها ، لأنّ الكلمتين فى الشفَتين تلتقيان . ورُوى :

ألا حبّذا من حبِّ عَفراء ملتقَى ... نعامٍ وبَرْكٍ حيثُ يلتقيانِ[3] »

وقيل[4] : هما موضعان .

لوَ آنّ أشدَّ الناس وجداً ومثلَه ... من الجنِّ بعدَ الإنسِ يلتقيانِ ،
فيشتكيانِ الوجدَ ثُمّتَ أشتكى ، ... لأضعفَ وَجدى فوقَ ما يجدانِ
فقد ترَكتْنى ما أعِى لمحدِّث ... حديثاً وإنْ ناجيته ونجانى
وقد تركتْ عفراء قلبى كأنّه ... جَناحُ غُرابٍ دائمُ الخفَقانِ)

* * *

(١) ط : « إذا دنا » صوابه فى ش والديوان والأمالى .
(٢) فى الديوان والأمالى : « حد سنان » .
(٣) ط : « عذراء » صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، ومن الديوان والأمالى ومعجم البلدان برسم (البرك) .
(٤) فى الديوان والأمالى : « وقال » ، يعنى الطوسى .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد المائتين :

٢٣١ (مَهامِهاً وخُروقاً لا أنيسَ بها إلاَّ الضوابحَ والأصْداء والبُومَا[١])

على أنّ النصب فيه قليل ، كقوله : لا أحدَ فيها إلاّ زيداً .

وفيه أنّ البيت من الاستثناء المنقطع ، فإنَّ الضوابح وما بعده ليستْ من جنس الأنيس ، بخلاف المثال فإنّه استثناء متّصل .

والبيت قد أنشده الفرّاء للنّصب على الانقطاع ، كما نقله السيد المرتضى في أماليه عند الكلام على قول النبيِّ صلى الله عليه وسلم : « لا يموتُ لمؤمنٍ ثلاثةٌ من الأولاد[٢] فتمسُّهُ النارُ إلاَّ تَحِلّةَ القَسَم » قال : الاستثناء منقطع ، كأنّه قال : [فتمسُّهُ النار[٣]] ، لكنّ تَحِلّةَ اليمين ، أى لكنّ ورودَ النار لا بدَّ منه ؛ فجرى مجرى قول العرب : سار الناس إلاّ الأثقال[٤] ، وأنشد الفراء :

مَهامِهاً وخُروقاً لا أنيسَ بها . . . . البيت[٥]

وهذا البيت آخر أبياتٍ عدّتُها أحدَ عشرَ بيتاً للأسود بن يَعْفُر ؛ [وهى] فى [آخر] المفضَّلِيَّات[٦] :

(قد أصبحَ الحَبْلُ مِنْ أسماء مَصروما بعد ائتلافٍ وحُبٍّ كان مكتوما

واستَبدَلتْ خُلّةً منّى ، وقد علمتْ أنْ لن أبيتَ بوادى الخَسْفِ مذموما

٣٥

(١) المفضليات ٤١٩ وأمالى المرتضى ٢ : ٥٢ .

(٢) كذا فى ط والأمالى . وفى ـه : « الولد » وفى هامشها : « خ:الأولاد» أى فى نسخة .

(٣) التكملة من ـه والأمالى .

(٤) بعده فى أمالى المرتضى : « وارتحل العسكر إلا أهل الخيام » .

(٥) الذى فى الأمالى : « مهامها وحذوفا » ، وفى الأمالى وشرح الكافية للرضى ١ : ٢٢٠ : « إلا الصوائح » ، وصحلت فى الرضى فجاءت « إلا الصوابح » .

(٦) ص ٨٤٦ — ٨٤٩ .

عفٌّ صَليبٌ إذا ما جُلْبَةٌ أزَمَتْ ... مِن خيرِ قومِكَ موجوداً ومعدوما
لما رأتْ أنَّ شَيبَ الرأسِ شامِلُه ... بعد الشباب ، وكان الشيبُ مسئوما
صدَّتْ وقالتْ : أرى شيباً تفَرَّعَه ... إنَّ الشبابَ الذى يَعلو الجراثيما
كأنَّ ريقتَها بعد الكَرَى اغتبَقَتْ ... صِرْفاً تخَيَّرَها الحانُونَ خُرْطُوما
سُلَافَةَ الدَّنِّ مرفوعاً نصائبُه ... مُقلَّدَ الفَغْوِ والريحانِ مَلثُوما
وقد ثوىٰ نِصفَ حولٍ أشهُراً جدداً ... بباب أَفّانَ يبتارُ السَّلاليما
حتَّى تناولها صَهباء صافيةً ... يَرشُو التجَّارَ عليها والتَّراجِيما
ومَمحةِ المشى شِملالٍ قطعتُ بها ... أرضاً يَحارُ بها الهادُونَ دَيموما
مَهامِها وخروقاً لا أنيسَ بها ... . البيت)

قوله : قد أصبح الحبْلُ ، هو الوصْل . والمصروم : المقطوع . وقوله : واستبدلَت خلّةً الخ الخُلة : الخليل ؛ وهو فى الأصل مصدرٌ ولهذا يكون للواحد والجمع والمؤنَّث . قال الأصمعىّ : الخسْف : الذُّلّ ؛ وأصله أن تبيت الدابّةُ على غير علَف ، ثمّ أُطلِق على من أقام على ذُلّ . وقوله : عفٌّ صَليبٌ . إلى آخره ، الصَّليب : الجَلْد على المصائب ، الصبورُ على النوائب . والجُلْبة ، بضمّ الجيم وبالموحدة . القَحط . ورُوى : (إذا ما أزْمةٌ أزَمَت) والأزْمة : الشِدَّة ؛ وأزَمَت : اشتدَّت ، من باب ضرب ؛ وأصل الأزْم العَضّ بالأسنان يقول : أنا صبورٌ على النوائب فى الجدْب ، حيث لا يقوم أحدٌ بحقٍّ يَنوبه ، لشِدَّة الزمان . والموجود : الحىّ ؛ والمعدوم : الميّت . وقوله : وكان الشيبُ مسئوماً ، قال الضَّبّيّ : مسئوم : مملول ، مفعول من سئِمته سآمة ، إذا مللته . وقوله : أرىٰ شَيباً تفرَّعه ، قال الضَّبّيّ : تفرَّعه أى صار فى فُروعه ، وفرْع كلّ شىء : أعلاه . والجُرثُومة ، بالضمّ : أصل الشجَرة تجمع إليها الرياحُ

التراب . يريد : أنّ الشباب يعلو ويرتفع مالا يقدر عليه الشيوخ ؛ وإنّما هذا مثَل . وقوله : كأنّ رِيقتها الخ ، اغتبَقَتْ مِنَ الغَبوق وهو شُرب العَشىّ . والصِّرْف : ما لم يُمزَج . والحانونَ : جمع حانٍ بالمهملة ، وهو الخمّار . والخُرطوم : أول ما ينزل من الدَّنّ [1] شبَّه رائحة فِيها وطَعْم رِيقها بعد السكرى بريح الخمْر الصِّرْف . قال الأصمعىّ : إنّما خصَّ الغَبوق لأنّه أقربُ من نومها ؛ قال : وإنما خصَّ الحانينَ لأنّهم أبصَرُ بالخمر مِن غيرهم . وقوله : سُلافةَ الدَّنِّ الخ قال الضبِّىّ : أراد بالمرفوعِ نَصائبُهُ الإبريقَ يُقلَّد الرَّيحانَ . ونصائبه : قوائمه . والفَغْوُ ، بفتح الفاء وسكون الغين المعجمة : ضَرْبٌ من النَّبت يكون طَيِّباً ، وقد قيل إنّه الحِنّاء ، وهو الفاغِيَة . وقال أحمد : نصائبه ما انتصب عليه الدَّنّ من أسفله ، وهو شيء محدَّد دقيق ؛ يجعَل لهُ ذلك ليُرْفَع الدَّنُّ للرِّيح والشَّمس . يقول : قُلِّد هذا الدَّنُّ الريحانَ . وهذا مثَلٌ ؛ يقول : مِنْ طِيب رائحته كأنّه قُلِّد الرَّيحانَ والمِسكَ . ولذلك ذكر الفَغْو يريد ريح الرَّيْحان . ويُرْوَى (الريحان) نصباً وخفضاً . وقوله : وقد نوىْ نِصفَ حَوْلٍ الخ ، باب أفَّانَ بفتح الهمزة وتشديد الفاء : موضع . ويَبتار : يختبر ويمتحِن . والسَّلاليم : ما يتَّصل به إلى حاجته . ورُوى (يَبْتاع [2]) . والمعنى : يصونها فى مكانٍ مرتفع . وأنكر أحمدُ ما قال الضبِّىّ فى الإبريق وقال : لم يذكر الإبريقَ بَعد ، وإنما نوىْ نِصف حولٍ ليشتريَ الخمر ، أى فهو يطلبها ، لم يشترها بعد ؛ وكيف يجعلها فى الأباريق ؟ وإنّما هو يَبتار : يصعد سُلَّماً بعد سُلم ، لأنّها وُضعت على السُّطوح لبروز الشمس والريح . وقوله : حتى تناولها الخ ، قال الضبِّىّ : الصَّهباء من عِنَبٍ أبيض ، والصافية : الخالصة . والتِّجار : جمع تاجر ، وهم تُجَّار الخمر . والتَّراجيم : خدَم

٣٦

(١) ط : « الدم » صوابه فى سه وشرح الأنبارى للمفضليات ٨٤٨ .

(٢) ط : « ينتاع » بالنون ، صوابه فى سه وشرح المفضليات ٨٤٩ .

من خَدَم الخمّارين ؛ ويقال : يريد التراجمة ، لأنّ باعةَ الخمر عُجْمٌ يحتاجون إلى من يُفهِم الناسَ كلامَهم . وقوله : وسَمْحةِ المشْى ، الواو واو ربّ . والسَّمْحة : السَّهلة . والدَّيموم : القَفْر التى لا ماء فيها ولا عَلَم . والشِّمْلال : السريعة .

وقوله : (مهاماً . . الخ) هو بدلٌ من قوله : أرضا ، فى البيت السابق . والمهمه : القفر . (والأنيس) : مَن يؤنَس به وإليه . و (الضَوابح) : جمع ضابِح ، بالضاد المعجمة وبالموحّدة والحاء المهملة ، وهو الثّعلَب ؛ والضُّبَاح بالضم : صوته . و (الأصداء) : جمع صدًى ، وهو ذَكر البُوم . و (الخُروق) : جمع خَرْق ، بفتح الخاء المعجمة وآخره قاف ، وهى الفلاة التى تنخرِق فيها الرياح .

وترجمة الأسود بن يعفر تقدّمت فى الشاهد الرابع والستين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٢٣٢ (ولا أمرَ للمَعْصىِّ إلاّ مُضَيَّعا)

هذا عجزٌ . وصدره :

(أمرتُـكُم أمرى بمُنعرَج اللِوى)

لما تقدّم قبله . وقوله : وقال الخليل : مضيّعا حالٌ الخ ، بهذا يسقُط قولُ

(١) فى الخزانة ١ : ص ٤٠٥

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٢ ، وانظر نوادر أبى زيد ١٥٣ والمفضليات ٣٢ ونقائض جرير والأخطل ٩٤ .

الأعلم حيث قال فى شرح شواهد سيبويه : « الشاهد فيه نصب مضيَّع على الحال من الأمْر ، وهو حالٌ من النكرة ، وفيه ضَعفٌ لأنّ أصلَ الحال أن يكون للمعرفة » انتهى .

وأقول : إنْ جُعِلَ حالاً من الضمير المستقرّ فى قوله : للمعصىّ ، فإنّه خبرُ لا النافية ، فلا يَرِد عليه ما ذكر .

وقال النحّاس : « ويجوز أن يكون حالاً للمضمَر ، التقدير : إلاّ أمراً فى حال تضييعه ، فهو حالٌ من نكرة » .

أقول : هذا التقدير يقتضى أن يكون مضيّعا صفةً لا حالاً .

وقال الأعلم : « ويجوز نصبه على الاستثناء ، والتقدير : إلاّ أمراً مضيَّعا . وفيه قبح ، لوضع الصفة موضعَ الموصوف » .

أقول : لا قُبح ، فإنّ الموصوف كثيراً ما يُحذَف لقرينة .

وقال ابن الأنبارىّ فى شرح المفضّليّات : « الاستثناء منقطع ، ولو رفع فى غير هذا الموضع لجاز بجعله خبراً لِلا » .

أقول : يجب حينئذٍ أن يقال ولا أمراً للمعصىّ بالتنوين إلاّ ، هذا مذهب البَغداديّين .

وهذا البيت من أبيات للكَلْحَبَة العُرَنىّ ، وقد شرحناها وذكرنا موردِها مفصَّلا وترجمناه فى الشاهد الحادى والستين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد المائتين :

(١) الخزانة ١ : ص ٣٨٨ وما بعدها وقد وقع البغدادى فيما نبه عليه هناك من أن العرنى تحريف وأن الصواب (عربى) وقد صححه الشنقيطى فى نسخته .

٢٣٣ (رأيتُ الناسَ ما حاشَا قُرَيشاً فإنّا نحنُ أفضلُهُمْ فَعالا[١])

على أن الأخفش رَوىٰ حاشا موصولةً بما المصْدريَّة .

قال ابن عَقيل فى شرح التسهيل : وسيبويه منعَ من دخول ما على حاشا ، قال : لو قلت أتونى ما حاشا زيداً ، لم يكن كلاما . وأجازه بعضهم على قلّة .. وأخطأ العَينيُّ حيث زعم أنّ ما هنـا نافية ، فإنّ مرادَ الشاعر تفضيلُ قومِهِ على ما عدا قريشاً ، لا تفضيلُ قومه على قريش أيضاً . وقياسه[٢] على قول النبيّ ﷺ : أُسامةُ أحبُّ الناس إلىَّ ما حاشا فاطمة . فى أنّ ما نافية ، كما قال صاحبُ المغْني ، يردُّه أنّه صرَّح أنّ ما فى البيت مصدريةً ، فإنّه قال : « وتوهَّم ابنُ مالك أنّ ما فى الحديث ما المصدريَّة وحاشا الاستثنائية ، فاستدلَّ به على أنّه قد يقال قام القوم ما حاشا زيداً ، كما [قال[٣]] رأيت الناسَ ما حاشا قريشاً . . البيت انتهى كلام المغنى .

و (رأيتُ) : من الرؤية القلْبية ، تطلُب مفعولَين ، والثانى هنا محذوف تقديره : دونَنا ، أو الجملةُ الاسميّة هى المفعول الثانى والفـاء زائدة كما قال الدمامينىّ . وزعم العَينىّ ، وتبعه السُّيوطىّ فى شواهد المغنى : أنّ رأيت من الرأى ، ولهذا اكتفى بمفعولٍ واحد . وهذا لا معنًى له هنا . فتأمّل . ورُوى أيضاً : (فأمّا الناسُ ما حاشا قُرِيشا) فالفاء فى المصراع الثانى فاء الجواب . و (الفَعال) بفتح الفاء قال ابن الشَّجَرىّ فى أماليه : هو كلُّ فعلٍ حسن : من حلم ، أو سخاء ، أو إصلاحٍ بين الناس ، أو نحو ذلك . فإن كُسِرَت فاؤه صلَح لما حسُن من الأفعال وما لم يحسُن .

(١) العينى ٣ : ١٣٦ والهمع ١ : ٢٣٣ وشرح شواهد المغنى ١٢٧ والأشمونى ٢ : ١٢٥ والتصريح ١ : ٣٦٥ .

(٢) الضمير عائد إلى العينى . وانظر العينى ٣ : ١٣٦ والمغنى (مبحث حاشا) .

(٣) التكملة من المغنى .

٣٧

وهذا البيت قال العينىّ ، وتبعه السيوطى : إنّه للأخطل من قصيدة . وقد راجعتُ ديوانَه مرّتينِ ولم أجدْه فيه ، ورأيتُ فيه أبياتاً على هذا الوزن يهجو بها جريراً ويفتخر بقومه فيهـا ، وليس فيها هذا البيت ، وأوّل تلك الأبيات :

لقــد جاريتَ يا ابن أبى جَرِيرٍ عَذُوماً ليس يُنظِرُكَ المِطالا [1]

والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعــد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه [2] :

٢٣٤ (سُبحانَه ثمَّ سُبحاناً نَعوذُ بِهِ وقَبْلَنا سبَّحَ الجُودِيُّ والجُمُد)

على أنّ سبحان الله فيه بمعنى سبحاناً . يريد : أنّ سبحانَ غير عَلَمٍ ، لمجيئه نــكرةً كما هنا ، ومعرفاً بالإضافة وباللام كما بيَّنه فى باب العَلَمِ . ويأتى الــكلام عليه إن شاء الله .

وأنشده سيبويه على أنّ تنــكيره وتنوينَه ضرورة ، والمعروف فيــه أن يضافَ أو يجعل مفرداً معرفة ، كقوله :

سُبحان مِن عَلْقَمَةَ الفاخِرِ [3]

(١) عذوما ، من العذم ، وهو العض بالأسنان ، والعذوم : اللوام ، وأصله من العض. ط : « عزوما » من العزم ، والوجه ما أثبت من ش والديوان ١٦٣ .

(٢) فى كتابه ١ : ١٦٤ . وانظر ديوان أمية بن أبى الصلت ٣٠ ومعجم البـكرى ٣٩١ وابن يعيش ١ : ٣٧ ، ١٢٠/٤ : ٣٦ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٤٨/٢ : ٢٥٠ والهمع ١ : ١٩٠ .

(٣) للأعشى . انظر الشاهد التالى . وصدره :

* أقول لمــا جاءنى فخره *

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ من أبياتٍ لورقةَ بنِ نوفل ، قالها لكُفّار مكّةَ حين رآهمْ يعذّبون بلالاً على إسلامه ؛ وهي[١] :

(لقد نصحْتُ لأقوامٍ وقلتُ لهمْ : أنا النّذيرُ فلا يغرُرْكُمُ أحدُ

لا تعبُدُنَّ إلَهاً غيرَ خالقِكُمْ فإنْ دُعِيتُمْ فقولوا : دونه حَدَدُ[٢]

سبحانَ ذى العرشِ لا شىءٌ يعادِلُه ربُّ البريّةِ فردٌ واحدٌ صَمَدُ

سبحانَه ثم سُبحاناً نعوذُ به وقَبلَنا سبَّحَ الجودىُّ والجُمُدُ[٣]

مُسخّرٌ كلّ مَنْ تحت السماءِ له لا ينبغى أن يناوى مُلْكَه أحدُ

لم تُغنِ عن هُرمُزٍ يوماً خزائنُه والخُلدَ قد حاولتْ عادٌ فما خلَدوا

ولا سليمانَ إذْ دانَ الشُّعوبُ له الجنُّ والإنسُ تجرى بينها البُرُدُ

لا شىءَ مما ترى تَبقَى بَشَاشَتُه يَبقَى الإلَهُ ويُودى المالُ والولدُ)

٣٨

قوله : دونه حَدَد ، هو بفتح الحاء والدال المهملتين ، قال صاحب الصحاح : دونَه حَدَد أى منع . وأنشد هذا البيت . وهو من الحَدّ بمعنى المنع ؛ أى قولوا : نحن نمنع أنفسَنا من عبادةِ إلَه غيرِ الله . . وقوله : (نعوذ به) أى كلما رأينا أحداً يعبُد غيرَ الله عذْنا برحمته وسبّحناه حتّى يعصمنا من الضلال . وروى الرياشىّ : (نعودُ له) بالدال المهملة واللام ، أى نعاوده مرّةً بعد أخرى . و (الجودِىّ) : جبل بالمَوصِل ، وقيل بالجزيرة ، كذا ورد فى التفسير ؛ قال أبو عُبيد فى المعجم : رُوى أنّ السفينة استقلّت بهم فى اليوم العاشر من

---

(١) انظر الروض الأنف ١ : ١٢٠ والبداية والنهاية ٢ : ٢٩٨ والأغانى ٣ : ١٥ حيث نسَبَ الشعر إلى ورَقة بن نوفل . قال السُّهيلى : نسبه أبو الفرج إلى ورقة . وفيها أبيات تنسب إلى أمية بن أبى الصلت .

(٢) فى الروض والأغانى : « حدد » .

(٣) الروض : « سبحانا يدوم له » ، وفى الأغانى .

رجب ، واستقرَّت على الُجوديِّ يوم عاشوراء من المحرَّم . وروىْ سعيدٌ عن قَتادة أنّ البيت بُني من خمسة أجبُل : من طُورِ سَيناء ، وطُور زَيتا[١] ، ولُبنانَ ، والُجوديِّ ، وحِراء . والُجمُد (بضمّ الجيم والميم ، وتخفَّف الميم أيضاً بالسكون) . قال أبو عبيد : هو جبلٌ تِلقاء أُسنُمة ، قال نُصَيب[٢] :

وعَن شمائلهم أنقاء أُسنُمةٍ وعن يَمينِهم الأنقاء والُجمُد

وقال فى أسنمة : بفتح الألف وسكون السين وضمّ النون [وكسرها معاً[٣]] وقال عُمارة بن عَقيل : هى أُسنُمة بضمّ الهمزة والنون ، وقال : هى رملة أسفلَ الدَّهناء على طريق فلْج وأنتَ مُصعِدٌ إلى مكّة ، وهو نَقاً محدَّد طويل ، كأنّه سَنام انتهى . ورُوى أيضاً : (وقبلُ سبَّحه الجوديُّ . . الخ) بضمّ لام قبل .. وقوله : لا ينبغى أن يناوى الخ ، أى يعادى ؛ وناواه :عاداه ؛ وأصله الهمز لأنّه من النوء وهو النُّهوض . ورُوى : (أنْ يُساوى) أى لا يعادِله . وقوله : ولا سليمان إذ دانَ الخ ، دان بمعنى ذلّ وأطاع . والشُّعوب : جمع شَعْب ، بفتح فسكون ، وهو ما تشعَّب أى تفرَّق من قبائل العرب والعجم ؛ وبينه هنا بقوله : الجنُّ والإنس ؛ وضمير بينها للشعوب . والبُرُد بضمّتين . جمع بَريد ، وهو الرسول . وقوله : ويُودِى المال الخ ، يقال أودى الشىء : أىْ هلك ، فهو مُودٍ .

---

(١) وطور زَيتا ، ساقط من ط . وفى ش : « وطور تيناء » صوابه من معجم ما استعجم ٤٠٣ ، وتاريخ مكة للأزرق ٣٠ . والأزرق يروى الخبر عن زَيد بن نافع عن سعيد عن قَتادة . وفى النسختين ، وكذا فى معجم البكرى : « وروى أبو سعيد عن قتادة » ، وكلة « أبو » مقحمة . وهو سعيد بن أبى عَروبة . قال فى التهذيب : « وقال ابن أبى خيثمة : أثبت الناس فى قتادة سعيد بن أبى عروبة ، وهشام الدستوائى » .

(٢) فى معجم ما استعجم ٣٩١ حيث نقل البغدادى : « النصيب » .

(٣) التكملة من معجم ما استعجم ١٥١ .

ورقة بن نوفل

وورقة بن نوفل يعدّ من الصحابة : وقد ألّف أبو الحسن برهان الدين إبراهيمُ البِقاعىّ الشافعىّ ، تأليفاً فى إيمان ورقةَ بالنبيّ ﷺ وصحبتِه له ، ولقد أجادَ فى جمعه ، وشدَّد الإنكار على مَن أنكر صحبته ، وجمعَ فيه الأخبارَ التى نُقلت عن ورقة ، رضى الله عنه ، بالتصريح بإيمانه بالنبي ﷺ ، وسروره بنبوّته ؛ والأخبارَ الشاهدةَ له بأنّه فى الجنة ، وما نقله العلماء من الأحاديث فى حقّه ، وما ذكروه فى كتبهم المصنفّة فى أسماء الصحابة ؛ وسمَّى تأليفَه : (بذل النُّصْح والشفَقَة ، للتعريف بصُحبة السيِّدِ وَرَقة ، وقال فى ترجمته : هو وَرَقة بن نَوفَل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصىّ ؛ يجتمع مع النبيّ ﷺ فى جدِّ جدِّه . قال الزُّبَير بن بَكّار : كان ورقة قد كَرِه عبادةَ الأَوثان ، وطلَبَ الدينَ فى الآفاق ، وقرأ الكتب ؛ وكانت خديجةُ رضى الله عنها تسأله عن أمر النبى ﷺ ، فيقول لها : ما أُراه إلاّ نبيَّ هذه الأمّة الذى بشّر به موسىٰ وعيسىٰ . وقال ابن كَثير[1] : قال ابن إسحاق : وكانت خديجةُ بنت خُوَيلدِ بن أسد بن عبد العُزّى ذَكرتْ لورَقة — وكان ابنَ عمِّها ، وكان نَصرانيًّا قد تتبّع الكتب وعَلِم من عِلْم الناس — ما ذكر لها غلامُها ، يعنى مَيْسَرة ، من أمر الراهب [يعنى الذى قال له لمّا نزل محمد ﷺ تحت شجرة قريبة من الراهب[2]] فى السفْرةِ التى سافرها لخديجة إلى الشام : ما نَزَل تحتَ هذه الشجرة إلاّ نبيٌّ وما كان مَيسرة يرى منه إذ كان الملَكان يُظلاّنه ؛ فقال ورقة : إنْ كان [هذا[2]] حقا يا خديجة ، إنّ محمّداً لَنبيٌّ هذه الأمّة ، وقد عرفتُ أنّه كائنٌ لهذه الأمة نبيٌّ يُنتَظَر ، هذا زمانه . قال : فجعل ورقة يستبطىء الأمرَ ويقول : حتّى متى ! وقال فى ذلك :

٣٩

(١) البداية والنهاية ٢ : ٢٩٦ .

(٢) التكملة من ش .

لَجِجْتُ وكنتُ فى الذِّكرى لَجُوجا … لِهَمٍّ طالما بَعَثَ النَّشيجا

ووصفٍ من خَديجةَ بعدَ وصفٍ … فقد طال انتظارى يا خديجا

ببطن المكّتَيْن على رجائى … حديثَكِ أن أرى منه خروجا(١)

بما خبَّرتِنا من قول قَسٍّ … من الرُّهبان أكره أن يعوجا

بأنّ محمّداً سيَسُود يوماً … ويَخصِمُ من يكون له حَجيجا

ويُظهِر فى البلاد ضياء نُورٍ … يُقيم به البَريّةَ أن تَموجا(٢)

فيلقى من يُحاربه خَساراً … ويلقى من يُسالمه فُلوجا(٣)

فياليتى إذا ما كان ذاكُمْ … شَهِدتُ وكنتُ أوّلَهم وُلوجا

أرجِّى بالذى كرهوا جميعاً … إلى ذى العرش إن سَفلوا عُروجا

وهل أمرُ السفاهة غيرُ كُفرٍ … بمن يَختارُ مَنْ سَمكَ البُروجا(٤)

فإن يَبقَوا وأبقَ تكنْ أمورٌ … يضِجُّ الكافرونَ لها ضَجيجا

وإن أهلِكْ فكلُّ فتًى سيَلقى … من الأقدار مُتْلفة خروجا(٥)

ومات ورقة فى فترة الوحى، رضى الله عنه، قبل نزول الفرائض والأحكام.

---

(١) فى النسختين «المكتبين» صوابه فى ش مع أثر إصلاح والبداية والنهاية والسيرة ١٢١ والروض الأنف ١ : ١٢٥ قال السُّهيلى : « ثنى مكة وهى واحدة لأن لها بطاحا وظواهر » . وكانت قريش قبيل الإسلام فريقين : أحدهما قريش الظواهر ، وهم الذين يتحرجون أن يبنوا إلى جنب بيت الله بيوتاً فنزلوا فى ظواهر مكة ، والآخرون المقيمون ببطحاء مكة مجاورين البيت ، كان يقال لهم قريش البطاح .

(٢) هذا يوضح معنى النور والضياء ، فالضياء هو المنتشر عن النور ، والنور هو الأصل . عن السهيلى .

(٣) الفلوج : النصر والغلبة . ط : « من يجاريه » ، صوابه فى ش والسيرة والبداية والنهاية .

(٤) ط : « الشفاعة » صوابه فى ش . وفى السيرة والبداية « السفالة » .

(٥) ط : « متلفه » صوابه فى ش والسيرة والبداية .

وقال الزُّبير فى كتاب نسَب قريش : ورقة بن نوفلٍ لم يعقِب وقال رسول الله ﷺ : « لا تَسُبُّوا ورَقة ، فإنِّى رأيته فى ثيابٍ بيض » . وهو الذى يقول[1] :

ارفعْ ضعيفَك لا يَحُرْ بك ضعفُه يوماً فتدرِكَه العواقبَ قد نَما[2]

يَجزِيك أو يُثنى عليك ، وإنَّ مَنْ أثنيْ عليكَ بما فعلتَ كمن جزىٰ

ومَرَّ ببلال بن رَبَاح رضى الله عنه ، وهو يُعذَّب برمْضاء مكّة فيقول : أَحَدٌ ! أَحَدٌ ! فوقف عليه فقال : أَحدٌ أَحد والله يا بلال ! ونهاهم عنه فلم ينتهوا ، فقال : والله لئن قتلتموه لأتخذَنَّ قبرَه حَنانا ! وقال :

* لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم *

. . . الأبيات التى شرحناها وفيها بيت الشاهد .

وقد نسَب هذه الأبيات إلى ورقة السُّهيلىُّ أيضاً ، وكذا الحافظ أبو الربيع الكلاعىّ فى سيرته . وقال السهيلىّ : قوله : حنانا ، أى لأتخذنَّ قبره مَنسِكا ومُترَحَّما ، والحنان : الرحمة .

وقد وقع بيت الشاهد فى كتاب س غيرَ معزوٍّ إلى واحد ، واختلف شُرّاحُ شواهده ، فأكثرهم قال : إنَّها لأميَّة بن أبى الصلت ، وقال بعضهم : إنّها لزَيد بن عَمرو بن نُفَيل . والصواب ما قدَّمناه .

(١) البيتان التاليان نُسبا أيضا إلى القَريض اليهودى وهو السموءل بن عاديا . أو ابنه سعية بن غريض ، ولزيد بن عمرو بن نفيل ، ولزهير بن جناب ، ولعامر المجنون الجرمى الذى يقال له مدرج الريح ، قال أبو الفرج ٣ : ١٣ « والصحيح أنه لغريض أو لابنه » ونُسبا فى السمط ٢٠٦ إلى ورقة كما هنا ، وكذلك فى حماسة البحترى ٣٩٨ وجعله يهوديا وفى الشعراء ٣٤١ والعقد ١ : ٢٧٩/٥ : ٢٧٥ إلى زهير ابن جناب . وفى اللآلىء ٢٠٦ .

(٢) فى الشعراء والعقد « عواقب ماجنى » .

وحاصل ما ذكره البقاعيُّ فى شأن ورقة بن نوفل : أنّه ممن وحّد الله فى الجاهليّة ، فخالفَ قريشاً وسائرَ العرب فى عبادة الأوثان وسائرِ أنواع الإشراك ، وعرَف بعقله الصحيح أنّهم أخطئوا دينَ أبيهم إبراهيم الخليلِ عليه السلام ، ووحّد الله تعالى واجتهد فى تطلب الحَنيفيّة دينِ إبراهيم ليعرف أحبَّ الوجوه إلى الله تعالى فى العبادة ؛ فلم يكتفِ بما هَدَاه إليه عقله ، بل ضرب فى الأرض ليأخُذَ علمَه عن أهل العلم بكتُبِ الله المنْزَلة من عنده ، الضابطةِ للأديان ، فأدّاه سؤاله أهلَ الذكرِ الذين أمر اللهُ بسؤالهم إلى أن اتّبَعَ [الدين[1]] الذى أوجبه الله فى ذلك الزمان ، وهو الناسخ لشريعة موسىٰ عليه السلام : دين النّصرانيّة ، ولم يتّبعهم فى التبديل ، بل فى التوحيد ؛ وصار يبحث عن النبيّ ﷺ الذى بَشّر به موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام ، فلما أخبرته ابنةُ عمّه الصدّيقة الكبرىٰ خديجةُ رضوان الله عليها بما رأت وأُخبِرتْ به فى شأن النبيّ ﷺ من المَخَايل : بإظلال الغمام ، ونحوها ، تَرَجّى أن يكون هو المبشّر به ، وقال فى ذلك أشعاراً يتشوّق فيها غايةَ التشوُّق إلى إنجاز الأمر الموعود ، لينخلع من النّصرانية إلى دينه ، لأنّه كان قال لزَيد بن عمرو بن نُفيل — لمّا قال لهم العلماء : إنّ أحبَّ الدين إلى الله دينُ هذا المبشّر به — : أنا أستمرُّ على نَصْرانيّتى إلى أن يأتى هذا النبيّ ! فلما حقّق الله الأمرَ وأَوقعَ الأرهاصاتِ : بالسّلام من الأشْجار والأحجار على النبي ﷺ ، وبمناداة إسرافيلَ عليه السلامُ للنبيِّ ﷺ مع الاستتار منه ، وخافَ النبيُّ ﷺ من ذلك فاشتدَّ خوفه ، فنقل ذلك إلى ورقة رضى الله عنه ، اشتدَّ سرورُه بذلك وثبّته ، وشدَّ قلبَه وشجّعه . فلمّا بَدَا له الأمر بفراغ نَوبة إسرافيلَ وأتاه جبريلُ عليه السلام وفعلَ ما أمره اللهُ به : من شقِّ صدرِه

٤٠

(١) التكملة من ش .

الشَّريف ، وغَسْل قلبِه وإيداعِهِ الحِكمةَ والرحمةَ وما شاء الله ، وتبدَّىٰ له جبريلُ وأُنزل عليه بعضُ القرآن وأخبره به ، قَفَّ شعَرُ ورقة وسبَّح اللهَ وقدَّسه ، وعظُم سروره بذلك ، وشهد أنّه أتاه الناموسُ الأكبرُ الذى كان يأتى الأنبياء قبلَه عليهم السلام ، وشهد أنّه الذى أُنزِل عليه كلامُ الله ، وشهِد أنّه نبيُّ هذه الأمّة ، وتمنّي أن يعيش إلى أن يجاهد معه . هذا ، مع ما لَه بالنبيِّ عليه الصلاة والسلامُ وزوجِهِ الصِدِّيقـة خَديجةَ ، من عظَمِ القُرْب ، والانتساب الموجب للحبِّ ، رضى الله عنه وأرضاه !

ومن شعره :

أتُبكِر أم أنتَ العشيَّةَ رائحُ ... وفى الصدْرِ من إضمارِك الحزنَ قادحُ[1]

لفرقةِ قومٍ لا أحبُّ فِراقَهم ... كأنَّكَ عنهم بَعْدَ يومينِ نازحُ

وأخبارِ صِدْقٍ خبِّرتْ عن محمّدٍ ... يخبِّرها عنه إذا غابَ ناصحُ

فتَاكِ الذى وَجَّهْتِ ، يا خيرَ حُرَّةٍ ... بغَورٍ وبالنَّجْدينِ حيثُ الصَّحاصحُ[2]

إلى سوق بُصرىٰ فى الرِّكابِ التى غدتْ ... وهُنَّ من الأحمال قُعْصٌ دَوالحُ[3]

يخبِّرنا عن كلِّ حبرٍ بعلمِهِ ... ولِلحقِّ أبوابٌ لهنَّ مَفاتحُ[4]

بأنّ ابنَ عبدِ الله أحمدَ مُرْسلٌ ... إلى كلِّ من ضُمَّتْ عليه الأباطحُ

وظَنِّي به أن سوفَ يُبعَث صادقاً ... كما أُرسِل العبْدانُ : هودٌ وصالحُ

(١) ط : « وفي الصبر » صوابه في ش والروض ١ : ١٢٧ والبداية ٢ : ٢٩٧ وفي ش : « قارح » .

(٢) ط : « وفي النجدين » ، وأثبت ما في ش والروض والبداية . وفي الروض : « فتاك التى وجهت » ، وفي البداية : « أتاك الذى وجهت » .

(٣) في ط : « ذوايح » صوابه فى ش مع أثر تصحيح والروض الأنف والبداية . وهو من قولهم دلح بحمله ، إذا مشى به وقد أثقله .

(٤) الروض : « تخبرنا عن كل خير » والبداية « فيخبرنا عن كل خير » .

وموسيْ وإبراهيمُ ، حتّي يُرَى له ... بَهاءٌ ومنشورٌ من الذِكْرِ واضحُ
ويَتبعَهُ حيًّا لُؤَيُّ بن غالب ... شبابُهُمُ والأشيبون الجحاجحُ
فإن أبقَ حتّى يدركَ الناسُ أمره ... فإنّي به مُستبشرُ الودِّ فارحُ[1] ٤١
وإلاّ فإنّي يا خَديجةُ ، فاعلمى ، ... عَنْ أرضِكِ في الأرضِ العَريضةِ سائحُ[2]

ومن شعره أيضاً :

وإن يكُ حقًّا يا خديجةُ ، فاعلمى ... حديثُكِ إيّاها فأحمدُ مُرسَلُ
وجبريلُ يأتيه وميكالُ فاعلَمى ، ... من اللهِ وحيٌ يشرحُ الصَّدرَ مُنْزَلُ
يفوزُ به مَن فازَ فيها بتوبةٍ ... ويشقىْ به العاتى الغَرِيرُ المضَلَّلُ
فريقانِ : منهم فِرقةٌ فى جِنانِهِ ... وأُخرىْ بأجوازِ الجحيمِ تُغلَّلُ
فسبحانَ مَن تهوى الرياحُ بأمره ... ومَن هو فى الأيّام ما شاء يَفعَلُ
ومَنْ عرشُهُ فوقَ السماواتِ كلِّها ... وأَقضاؤه فى خَلقه لا تبدَّلُ

ومن شعره أيضاً :

يا لَلرجالِ وصَرْفِ الدهرِ والقَدَرِ ... وما لشىءٍ قضاهُ اللهُ من غِيَرِ[3]
جاءتْ خديجةُ تَدْعونى لأُخْبِرَها ... وما لَنا بِخَفِيِّ الغَيبِ مِن خَبَرِ
جاءتْ لتسألَني عنه لأُخبِرَها ... أمراً أُراه سيأتى الناسَ من أُخَرِ
فخبَّرَتْنى بأمرٍ قد سمعت به ... فيما مضىْ من قديمِ الدَّهْرِ والعُصُرِ
بأنَّ أحمدَ يأتيه فيُخبِرهُ ... جِبريلُ أنّكَ مبعوثٌ إلى البَشَرِ
فقلتُ علَّ الذى تَرْجينَ يُنْجِزُهُ ... لكِ الإلهُ فَرَجِّى الخيرَ وانتظرى

---

(١) في الروض والبداية : « حتى يدرك الناس دهره » .

(٢) أورد بعده في البداية أبياتاً أربعة زادها الأموى .

(٣) في الروض ١ : ١٢٥ : « لصرف الدهر » .

وأرسليه إلينا كي نسائلَه عن أمره ، ما يرى في النَّوم والسَّهرِ
فقال حين أتانا منطقاً عَجباً يَقِفُّ منهُ أعالى الجلد والشَّعرِ :
إنِّى رأيتُ أمينَ الله واجَهَنى فى صورةٍ أُكمِلتْ مِن أعظمِ الصُّوَرِ
ثم استمرَّ فكاد الخوفُ يَذعَرُنى ممَّا يسلِّم ما حَولى من الشجرِ
فقلت : ظَنِّي ، وماأدرى أيصدُقُني ، أنْ سوف يُبعثُ يتلو مُنزَلَ السُّورِ(١)
وسوف أُبْليكَ إن أعلنتَ دعوتَهم من الجهاد بِلا مَنٍّ ولا كَدَرِ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه(٢) :

٢٣٥ (سُبحانَ مِن علقمةَ الفاخرِ)

هذا عجز ، وصدره : (أقولُ لمَّا جاءنى فخرُه)

على أنَّ ترك تنوين (سُبحان) ليس لأنَّه غير منصرفٍ للعلميَّة وزيادة الألف والنون ، بل لأجل بقائه على صورة المضاف لما غلب استعماله مضافاً والأصل سبحان الله ، فحذف المضاف إليه للضرورة . وهذا ردٌّ على سيبويه ومَن تبعه ، فى زعمه أنَّ سبحان علَمٌ غير منصرف . ويأتى إن شاء الله تعالى بقيَّةُ الكلام عليه فى باب العلَم .

قال الراغب : « قوله : سبحان مِن عَلقمةَ الفاخر » تقديره : سبحان علقمة ، على التهكُّم ، فزاد فيه مِن ، ردًّا الى أصله ، وقيل : أراد سبحان الله مِنْ أجلِ علقمة ، فحذف المضاف اليه » اﻫ .

---

(١) الروض : « تبعث تتلو » .

(٢) فى كتابه ١ : ١٦٣ . وانظر ديوان الأعشى ١٠٦ وابن يعيش ١ : ٣٧ ، ١٢٠ وابن الشجرى ١ : ٢/٣٤٧ : ٢٥٠ ومجالس ثعلب ٢٦١ والخصائص ٢ : ١٩٧ ، ٣/٤٣٥ : ٤٢ والهمع ١ : ١٩٠ .

أقول : الوجه الأول ضعيفٌ لغةً وصناعة : أمّا الأوّل فلأن العرب لا يستعملونه إلاّ مضافاً إلى الله ، ولم يسمع إضافته إلى غيره ؛ وأمّا صناعةً فلأنّ مِن لا تزاد فى الواجب عند البصريّين ـ وسبحانَ فى البيت للتعجُّب ، ومِن داخلة على المتعجب منه ؛ والأصل فيه أن يسبِّح اللهُ تعالى عند رؤية العجيب من صنائعه ، ثم كثُر حتى استعمل فى كلّ متعجَّبٍ منه . قال بعضهم : يستلزم التنزيهُ التعجُّبَ مِن بُعد ما نُزِّه عنه من المنزَّه فكأنّه قيل ماأبعده منه ، فقد يُقصَد به التنزيه أصلاً والتعجُّب تبعاً ، كما فى (سُبحانَ الذى أَسْرَى بِعَبْدِهِ[١]) وقد يقصد به التعجُّب ويجعل تنزيهه تعالى ذَريعة له ، فيسبِّح اللهُ عند رؤية العجيب من صنائعه . ثم كثر حتّى استُعمِل عند كلّ تعجب من شيء[٢] كما فى : (سُبْحَانَكَ هذا بُهْتَانٌ عَظِيم[٣]) اهـ .. والمعنى أعجب من علقمة إذ فاخر عامرَ بن الطُّفيل .

٤٢

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون ، قبَّحه الله تعالى ! هجا بها علقمةَ ابن عُلاثة الصَّحابىّ رضى الله عنه ، ومدح ابنَ عمِّه عامراً المذكور ، لعنه الله تعالى ! وغلَّبه عليه فى الفخر .

سبب القصيدة

وسبب هذه القصيدة أنّ علقمة بن عُلاثة الصحابىّ نافر ابن عمِّه عامرَ بنَ الطُّفيل عدوَّ الله ـ والمنافرة : المحاكمة فى الحَسب والشرف ـ فهاب حُكّامُ العَرَب أن يحكُموا بينهما بشيء ـ كما تقدّم فى الشاهد السادس والعشرين[٤] ، ثم أنّ الأعشى مدح الأسودَ العنْسىّ فأعطاه خمسمائة مثقال ذَهبًا[٥] ، وخمسمائةِ

---

(١) الآية ١ من سورة الإسراء .

(٢) ط : « عند كل من يعجب من شيء » ، صوابه فى ش .

(٣) الآية ١٦ من سورة النور .

(٤) انظر الخزانة ١ : ص ١٨٣ وما بعدها

(٥) الذى فى الأغانى ٨ : ٨٠ : « فقال الأسود : ليس عندنا عين ولكن نعطيك عرضا . فأعطاه خمسمائة مثقال دهنا » ، وهو الوجه .

حُلَلاً وعَنبرًا ، فخرج فلمّا مرَّ ببلاد بنى عامر ــ وهم قوم علقمة وعامر ــ خافهم على مامعه ، فأتى علقمةَ بنَ عُلاثة فقال له : أجِرْنى ! قال : قد أجرتُك من الجنّ والإنس ، قال الأعشى : ومِن الموت ؟ قال : لا . فأتى عامرَ بنَ الطفيل فقال له : أجرنى ! قال : قد أجرتك من الجنّ والإنْس ؛ قال الأعشى : ومن الموت ؟ قال عامر : ومن الموت أيضاً ! قال : وكيف تُجيرنى من الموت ؟ قال : إنْ مُتَّ فى جوارى بعثتُ إلى أهلك الدية ! قال : الآن علمتُ أنّك قد أجرتنى! فحرَّضه عامرٌ على تنفيره على عَلقمة ، فغلَّبه عليه بقصائد ، فلمّا سمع علقمةُ نذَر ليقتُلنّه إن ظَفِر به ، فقال الأعشى هذه القصيدة . ومطلعها :

(شاقَكَ مِنْ قَتْلَةَ أطلالُها بالشَّطّ فالجزع إلى حاجرِ [1]

لو أسنَدَتْ ميتاً إلى نحرِها عاشَ ولم يُنقَل إلى قابرِ

حتى يقولُ الناسُ ممّا رأوا يا عجبـاً للميّت النـاشرِ

دَعْها ، فقد أعذَرْتَ فى ذكرها ، واذكُر خنيْ عَلقمةَ الخائرِ

أسفَهًا تُوعِدُنى جاهـلاً لستَ على الأعداء بالقادرِ [2]

يَحلفُ بالله : لَئِن جاءه عنّى نَبأً من سامعٍ خابرٍ ،

لَيَجعلَنّي ضُحْكةً بعدَها ، خُدِعْتَ يا علقمُ مِن ناذرِ)

إلى أن قال :

---

(١) فى القاموس (قتل) : « وسموا قتلة كعمزة » . وفى النسختين : « قيلة » صوابه من الديوان ١٠٤ وشرح شواهد المغنى ٣٠٥ وصبح الأعشى ١ : ٣٨٨ حيث القصيدة . وقتلة : فتنة لآل عمرو بن مرثد ، كان الأعشى قد تزوجها ، وأكثر من ذكرها فى شعره . . انظر ديوانه ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢١٤ ، ٢٢٦ وهى التى يسميها حينا « قتيلة » .

(٢) ط : « فسفها » وأثبت ما فى ش . وفى الديوان : « أجذعا توعدنى سادرا » .

٤٣

(إنّ الذى فيه تماريتما ... بُيِّن للسامع والناظرِ
ماجُعِلَ الجُدُّ الظَّنونُ الذى ... جُنِّبَ صَوبَ اللَّجِبِ الماطرِ
مِثلَ الفُراتىِّ إذا ماجرىٰ ... يَقذِف بالبُوصىِّ والماهرِ
أقول ، لمّا جاءنى فخرُه : ... سُبحانَ مِن علقمةَ الفاخرِ
علقمُ لاتَسفَهْ ولا تَجعلَنْ ... عِرضَك للوارد والصادرِ
وأوّلُ الحُكْمِ على وجهه ، ... ليس قضائى بالهوى الجائرِ [(١)]
حكّمتموه فقضىٰ بينكم ... أبلجَ مثلَ القمرِ الباهرِ
لايأخُذ الرّشوة فى حُكمهِ ... ولا يُبالى غَبنَ الخاسرِ
سُدتَ بنى الأحوص لاتعدُهم ... وعامرٌ سادَ بنى عامرِ [(٢)]
قد قلتُ شعرى فمضىٰ فيكما ... فاعترف المنفورُ للنافرِ)

وهى قصيدة طويلة ، ومنها :

ولستَ بالأكثر منه حصًى ... وإنّما العزّة للكاثرِ) [(٣)]

وسيأتى شرحه مع أبياتٍ فى باب أفعل التفضيل .

وقد نهى النبيُّ ﷺ عن رواية هذه القصيدة ، ولهذا لم أذكرها كلها .

قال السيوطىُّ فى شرح شواهد المُغنى : وعلقمة بن عُلاثة صحابىٌّ ، قَدِم على رسول الله ﷺ وهو شيخٌ فأسلم وبايَع ، وروَىٰ حديثاً واحداً . أخرج

(١) فى الديوان : « أوّل » .

(٢) فى الديوان : « لم تعدم » . وفى الأغانى ١٥ : ٥٥ والسيوطى : « إن تسد الحوص فلم تعدم » .

(٣) المشهور فى الرواية « منهم » . وقال البغدادى فى الشاهد ٦١٧ : « والرواية الصحيحة فى هذا البيت — كما رواه أبو زيد فى نوادره ، وهى ثابتة فى ديوانه ويدل عليها سياق الأبيات — إنما هى : « منه، أى من عامر » . وأقول : الثابت فى نوادر أبى زيد ٢٥ : « منهم » مؤيدا بالتفسير . ففى تفسير النوادر : « أراد بأكثر منهم حصى » . كما أن رواية الديوان هى « منهم » .

ابن منده وابنُ عساكر من طريق الأعمش عن أبي صالح قال حدثني علقمة ابن عُلاثة قال : أكلتُ مع رسول الله ﷺ رءوساً . واستعمله عمر بن الخطاب على حوران ، فماتَ بها . وأخرج أبو نعيم والخطيب وابن عساكر عن محمّد ابن مَسلمة قال : كنتُ عند النبيِّ ﷺ وعنده حسّان ، فقال : ياحسّانأ نشِدْنا مِن شعْر الجاهليَّة ماعفا الله لنا فيه ، فأنشده حسّان قصيدةَ الأعشىٰ فى علقمة ابن عُلاثة :

علقمُ ما أنتَ إلى عامرٍ   الناقضِ الأوتارِ والواترِ

فقال النبى ﷺ : ياحسّانُ لاتُنْشِدْنى مثلَ هذا بعد اليوم ! » فقال حسّان : يارسولَ الله ، مايمنعُني من رجلٍ مُشركٍ هو عند قَيصرَ [أنْ[1]] أذكُرَ هجاء له ؟ فقال : «ياحسّان إنِّى ذُكِرتُ عند قَيصرَ وعنده أبو سُفيانَ ابنُ حَرب وعَلقَمة بن عُلاثة ، فأمّا أبوسفيانَ فلم يترُك فىَّ ، وأمّا علقمةُ فحسن القَول ، وإنّه لايشكرُ اللهَ من لايشكر الناس » فقال حسّان : يارسولَ الله ، مَن نالتك يدُه وجبَ علينا شكرُه ! وقال وَكيع ، فى الغُرر ، عن الزُّهرىّ : قال : رَخَّص رسول الله ﷺ فى الأشعار كلِّها ، إلاّ هاتين الكلمتين[2] : التى قال أُميّةُ بن أبى الصَّلْت فى أهل بدر[3] .

وماذا ببدرٍ فالعقَنْ   قَلِ من مَرازبةٍ جَحاجِحْ[4]

والتى قال الأعشى فى علقمة بن عُلاثة :

(١) التكملة من ش وشرح شواهد المغنى ٣٠٧

(٢) الميمنى : وثالثة نَهَى عنها . وهى للأفوه الأزدى . ومنها :

ريشت جُرم نبلا فرمى   جرمها منهن فوق وغرار

(٣) السيرة ٥٢١ والروض ٢ : ٦٤

(٤) فى النسختين : « فى العقنقل » صوابه فى السيرة وابن سلام ٢٢١ والإصابة

* شاقك من قَتْلَةَ أطلالها[١] *

انتهى مارواه السيوطىّ

قال شارح ديوان الأعشى محمَّدُ بن حَبيب وكذلك ابن قُتيبة فى كتاب الشعراء[٢] : إنّ علقمة بن عُلاثة لما نَذر بدم الأعشى جعلَ له على كلّ طريق رَصَداً ، فاتّفق أنّ الأعشى خرج يريد وَجهاً ومعه دَليل ، فأخطأ به الطريق فألقاه على ديار بنى عامر بن صعصعة ، فأخذه رهطُ عَلقمة بن عُلاثة فأتوه به ، فقال له علقمة : الحمدُ لله الذى أمكننى منك ! فقال الأعشى :

٤٤

أعلقمُ قد صيّرَتنى الأمورُ إليكَ وما أنتَ لى منقصُ[٣]

فهبْ لى ذُنوبى فدتكَ النُّفوسُ ولا زلتَ تنمو ولا تنقُص

فقال قومُ عَلقمة : ياعلقمة اقتُله وأرحْنا منه والعَرَبَ من شرِّ لسانه ! فقال علقمة : إذاً تُطْلبوا بدمه ، ولا يُغْسَلَ عنّى ماقاله ، ولا يُعرفَ فضْلى عند القدرة ! فأمر به فحُلّ وَثاقُه وأَلقى عليه حُلّة ، وحمَلَه على ناقة وأحسَن عطاءه وقال : انجُ حيث شئتَ[٤] ، وأخرَج معه من بنى كلابٍ مَن يُبْلغه مأمَنَه ، فقال الأعشى بعد ذلك :

علقمُ ياخيرَ بنى عامرٍ للضيفِ والصاحبِ والزائرِ

والضاحك السنّ على هِمّةٍ والغافر العثرة للعاثرِ[٥]

(١) فى النسختين : « قيلة » . وانظر ما سبق من تحقيق

(٢) الشعراء ٢١٦

(٣) فى الديوان ٣٣ : « وما كان لى منكص »

(٤) فى ط : « حيث منيت » ، صوابه فى ش والسيوطى ٣٠٦

(٥) فى الشعراء : « على همه »

وترجمة عَلْقَمة بن عُلاثَة تقدّمت فى الشاهد السادس والعشرين[١] ، وترجمة عامر بن الطَفيل فى الشاهد الثامن والستّين بعد المائة[٢] .

وقتلة[٣] : اسم امرأة . والشَّطّ : جانب النهر ، وموضع. والخَنيْ : الفُحش . والخاتِر : الغادر . وقوله ماجُعِل الجدُّ الخ مانافية ، والجُدُّ بضمّ الجيم : البئر القديمة التى لايُدرىْ أفيها ماء أم لا . والصَّوْب : المطَر . واللَّجِب ، بفتح اللام وكسر الجيم : السَّحاب والفُرَاتىّ ، يعنى الفراتَ المعروف ، أو الماء المعروف . والبُوصِىّ ، بضمّ الموحّدة : ضربٌ من السُّفن . والماهر : السابح[٤] . يريد أنّ البئر التى بها ماء ليست كالبحر الذى تجرى فيه السفن وغيرُها . وجملة (سبحانَ مِن علقمةَ الفاخرِ) مقُول القَول . والفاخر ، بالخاء المعجمة . والمنفور : المفْضول : والنافر : الفاضل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد المائتين :

٢٣٦ (وما أُحاشِى مِنْ الأَقْوامِ مِنْ أحدِ[٥])

هذا عجزٌ ، وصدرُه : (ولا أرىْ فاعلاً فى الناسِ يُشْبِهُهُ)

على أنّ المبرّد استدلّ به على فعليّة حاشىْ ، بتصرفه .

قال ابنُ الأَنبَارىّ ، فى مسائل الخلاف : ذهب الكوفيّون إلى أنّ حاشا

---

(١) الخزانة ١ : ص ١٨٣ وما بعدها

(٢) الخزانة ٣ : ص ٨٠ وما بعدها

(٣) انظر حواشى ص ٣٩٩ من هذا الجزء

(٤) ط : « السائح » ، صوابه فى ش وشرح ثعلب بأسفل ديوان الأعشى ١٠٥

(٥) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٨٥/٨ : ٤٨ ، ٤٩ ومجالس ثعلب ٥٠٤ والإنصاف ٢٧٨ والهمع ١ : ٢٣٣ والأشمونى ٢ : ١٦٧ وشرح شواهد المغنى ١٢٧

فى الاستثناء فعل ماض ، وذهب بعضهم إلى أنّه استُعمِل استعمالَ الأدوات ؛ وذهب البصريُّون إلى أنّه حرفُ جرّ ، وذهب أبو العبّاس المبرّد إلى أنّه يكون فعلاً ويكون حرفاً . أمّا الكوفيُّون فاحتجُّوا على فعليته بالتصرُّف كقول النابغة :

* وما أُحاشى مِنَ الأقوامِ مِن أحدٍ *

وبأنّ لامَ الخفضِ تتعلّق به ، قال تعالىٰ : (حاشَ لِلّهِ[1]) وحرف الجرّ إنّما يتعلّق بالفعل لا بالحرف ، وبأنَّ الحذف يلحقه ، فإنّهم قالوا فى حاشا لله : حاشَ لله . واستدلّ البصريُّون على حرفيَّته بأنّه لا يقال ما حاشا زيداً ، كما يقال ما خَلا زيداً وما عدَا عمرا ، وبأنّ نون الوقاية لا تلحقه فلا يقال حاشانى ، ولو كان فَعلاً لَقِيل . وأجابوا عن قول الكوفيِّين بالتصرُّف ، بأنّ أُحاشى مأخوذٌ من لفظ حاشىٰ وليس متصرِّفاً منه ، كما يقال بَسمَل ، وهلَّل ، وحَمدَل ، وسَبْحَل ، وحَوْقَل : إذا قال بسم الله ، ولا إله إلا الله ، والحمدُ لله ، وسُبحانَ الله ، ولا حَولَ ولا قوّة إلاّ بالله ؛ وكذلك يقال لبَّى ، إذا قال لبَّيك . فكما بُنِيت هذه الأفعالُ من هذه الألفاظ وإن كانت لا تتصرَّف ، فكذلك ههنا . وقولهم : إنّ لامَ الجرِّ تتعلَّق به ، قلنا : لا نسلِّم ، فإنَّها زائدة لا تتعلَّق بشىء . وأما قوله تعالى : (حاشَ لِلّهِ) فليس لهم فيه حُجَّة ، فإن حاشَ فيه ليست للاستثناء وإنّما هى للتنزيه . وقولهم : لحقه الحذف ، قلنا : جوابه من وجهين : أحدهما أنَّ الأصل حاش لله والألف فى حاشا حدثت زيادتُها ، والثانى أنّ الحرف يدخله الحذف كثيراً ، كرُبَّ وإنَّ ، يلحقهما التخفيف ، وكقولك : سَوْ أفعَلُ فى سوف أفعل ؛ ويقال فيه سَفَ أفعَلُ أيضاً اهـ كلامه مختصَرا .

٤٥

(١) الآيتين ٣١ ، ٥١ من سورة يوسف

وبهذا وبكلام الشارح المحقق يُرَدُّ على ابن هشام ، فى المغني ، قوله انّ أحدَ أوجه حاشا أنْ تكونَ فعلاً متعدّياً متصرّفاً ، تقول : حاشيته بمعنى استثنيته ؛ ودليل تصرُّفِهِ قوله :

ولا أُحاشى من الأقوامِ مِن أحَدِ

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ طويلة للنابغة الذُّبيانى مدَح بها النُّعمانَ بن المنذر ملكَ الحيرة ؛ وقد تقدَّم شرحُ أبياتٍ منها فى الشاهد التاسع والثمانين بعد المائة [1] . وقبله :

فتِلك تُبْلِغني النُعمانَ إنّ لَه ... فضلاً على الناسِ فى الأدنىٰ وفى البعدِ
ولا أرىٰ فاعلاً فى الناس يُشبهه ... ولا أُحاشِى منَ الأقوام من أحَدِ
إلاّ سليمانَ إذْ قال الإلٰه له : ... قُمْ فى البَرِيَّة فاحدُدْها عن الفنَدِ

وقوله : فتلك تبلغنى ، الإشارة إلى الناقة التى وصفها فى أبياتٍ شُرِحت هناك . وقوله : ولا أُحاشى ، أى لا أستثنى أحداً ممَّن يفعل الخير فأقول حاشا فلان . ومن زائدة ، وأحد مفعول . . وقوله : إلاّ سليمان ، هذا استثناء من قوله : من أحد ، أو بدل من موضع أحد ؛ والمراد به سُليمان بن داود عليهما السلام ؛ وإذ تعليليّة . وقوله : إذ قال الإلٰه له الخ ، يريد لكونه نبياً ، إذ الخطاب إنّما يكون مع الأنبياء ؛ وإنّما خصّ بالذكر من الأنبياء سليمانَ لأنّه كان له الملكُ مع النُبوَّة . يريد : لا يشبهه أحدٌ ممّن أوتىَ الملكَ ، إلاّ سليمان النبيّ . وقوله : فاحدُدْها ، أى امنَع البريَّة ؛ والحدّ : المنع ؛ ورجُلٌ محدود : ممنوع ؛ والحدَّاد : السجان ، لأنّه يمنع . والفنَد ، بفتح الفاء والنون : خطأُ الرأى والضَّنيع ، وقال ابن الأعرابىّ : الفند : الظلم .

---

(١) الخزانة ٣ : ص ١٨٧ وما بعدها

وترجمة النابغة تقدّمتْ فى الشاهد الرابع بعد المائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد المائتين ، وهو من شواهد س [٢] :

٢٣٧ (لم يَمنعِ الشُّربَ منها غَيْرَ أن نطقَتْ)

هذا صدرُ البيت ، وأنشده بتمامه فى باب الظروف ، وتمامه :

(حَمامةٌ فى غُصونٍ ذاتِ أَوْقالِ [٣])

على أنّ (غير) إذا أُضيفت إلى أنْ أو أنّ المشدّدة ، فلا خلاف فى جواز بنائها على الفتح . . فإن قلتَ : أَن حرفٌ ، والحرف لا يضاف إليه ! قلتُ : قال ابن هشامٍ فى حواشى الألفيّة : إنّهم جعلوا ما يُلاقى المضافَ من المضاف إليه كأنّه المضافُ إليه ؛ ونظيره تعليلُ الزمخشرىِّ البناء فى يوم فى (يومَ لا تَمْلِكُ [٤]) بإضافة يوم إلى لا ؛ والحروف مبنيّة ، مع علمنا بأنّ أحداً لا يتخيّل الإضافة إلى الحرف . وجعل بعضهم المضافَ إليه مجموعَ (أنْ نَطَقَتْ حَمامة) أى جملتها . قال الدّمامينى فى شرح المغْنى المزج : سأل بعضُ الناس كيف أُضيفت غير [٥] لِمَبْنِيّ ، مع أنّ هذا المضافَ إليه فى تقدير مُعْرب ، ٤٦

(١) الخزانة ٢ : ص ١٣٥

(٢) فى كتابه ١:٣٦٩ ، وانظر أمالى ابن الشجرى ١: ٤٦/٢ : ٢٦٤ وابن يعيش ٣ : ٨٠/٨ : ١٣٥ والإنصاف ٢٨٧ والهمع ١ : ٢٩١ وشرح شواهد المغنى ١٥٦ والتصريح ١ : ١٥ واللسان (وقل)

(٣) ويروى : « فى سحوق ذات أو قال » ، كما فى اللسان (وقل) وقال : « السحوق : ما طال من الدوم . وأوقاله : ثماره »

(٤) الآية ١٩ من سورة الانفطار

(٥) ط : « غير المبنى » ، صوابه فى ش

وهو النطق ، فلم تُضَف فى الحقيقة إلاّ لمعرب ، فقلت : المعْرب إنّما هو الاسم الذى يؤوَّل به ، وأمّا الحرف المصدرىُّ وصِلَته فمبنيٌّ ، ألا تراهم يقولون : المجموع فى موضع كذا . . إلى آخر ما بيّنه . وظاهره جواز بناء (غير) عند إضافتها إلى أحد هٰذين اللفظين من المبنيّات لا غير . وقد عمّم سيبوَيه وغيرُه فى إضافتها إلى كل مبنيّ ؛ قال ابن هشام فى المغنى ، فى (غير) أنّه يجوز بناؤها على الفتح إذا أُضيفت لمبنيّ كقوله :

لم يمنعِ الشربَ منها غيرَ أنْ نطقَتْ . . . . البيت

وقوله :

لَذْ بقيسٍ حينَ يأبىٰ غيرَهُ تُلْفِهِ بحراً مُفيضاً خيْرَهُ [١]

وذلك فى البيت الأوّل أقوىٰ ، لأنّه انضمّ إلى الإبهام والإضافة لمبنيّ تضمُّنُ غير معنى إلاّ ، وقال (فى الأمور التى يكتسبها الاسم بالإضافة ، من الباب الرابع) : إنّ البناء يكون فى ثلاثة أبواب : أحدها أن يكون المضاف مبهَما كغير ، ومثْل ، ودُون . الثانى : أن يكون المضاف زماناً مبهَما والمضاف إليه إذْ ، نحو (ومِنْ خِزْىِ يومَئِذٍ [٢]) . الثالث : أن يكون المضاف زماناً مبهَما والمضاف إليه فعلٌ مبنيٌّ ، سواء كان البناء أصليّاً كقوله : على حين عاتبت المشيب [٣] .

أو عارضاً كقوله : على حينَ يستَصبين [٤] .

---

(١) انظر شرح شواهد المغنى ١٥٦ والعينى ٣ : ١٣٨

(٢) الآية ٦٦ من سورة هود

(٣) من صدر بيت للنابغة ، هو بتمامه .

على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت ألما أصح والشيب وازع

(٤) قطعة من بيت ، هو بتمامه كما فى العينى ٣ : ٤١٠ وشرح شواهد المغنى ٢٩٨ :

لأجتذبن منهن قلبي تحلما على حين يستصبين كل حليم

وكذلك يجوز البناء إذا كان المضاف إليه فعلاً معرَباً أو جملة اسمية على الصحيح اهـ .

وقد بيّن الشارحُ المحقِّق علّة البناء ، فى الظروف ، وفى الإضافة .

وقد ذهب الكوفيّون إلى جواز بناء (غير) فى كل موضع يحسن فيه (إلاّ) سواء أضيفت إلى متمكّن أو غير متمكّن . وقد بسطَ الكلام ابنُ الأنباريّ ، فى مسائل الخلاف ، على مذهبِهم ، وذكر ماردَّ به البصريون عليهم مفصَّلاً ، ومن أحبَّ الاطلاعَ عليه فلينظرْه هناك .

وهذا البيت من قصيدةٍ لأبى قَيس بن الأسلت . وقبله :

(ثمَّ ارعوَيت وقد طال الوقوفُ بنا فيها ، فصرتُ إلى وَجناء شِملالِ
تعطِيك مشياً وإرْقَالاً ودأْدأَةً إذا تَسَرْبلَتِ الآكامُ بالآلِ
تَردى الإكامَ إذا صرّتْ جنادبُها منها بصُلبٍ وَقاحِ البطْن عَمّالِ
لم يَمنع الشُّربَ منها غيرَ أنْ نطقَت . . . . البيت)

قوله : ارعويت ، أى رجعت . والوّجناء : الناقة الشديدة ، وقيل العظيمة الوّجنتين . والشِّملال ، بالكسر : الخفيفة السريعة . وضمير فيها للدار . يريد : أنه طال وقوفُه على دار حبيبته وليس فيها أحد . والإرقال : مصدر أرقلتِ الناقةُ : إذا أسرعتْ ، وكذلك الدأْدأَة مصدر دأْدأتْ بمعناه ، وهما نوعٌ من العَدْو . وقوله : إذا تسربلت الخ ، الظرف متعلّق بقوله تعطيك ، يريد : وقت اشتداد الحرّ فى الظهيرة ، لأنّ الآكام ـ وهى الجبال ـ إنّما تتسربل بالآل ـ وهو السَّراب ـ عند الظهيرة . والسِّربال : القميص ، وتسربل أى لبِس سِربالاً ، والآكام فاعلُه ، وهو جمع أُكُم بضمّتين ، كأعناق جمع عُنُق ، وهو جمع إكام بالكسر ، مثل كُتُب جمع كِتاب ، والإكام أيضاً جمع أَكَم بفتحتين ، مثل جبال جمع جبل ، وأَكَم أيضاً جمع أَكَمة بفتحات . يقول:

إنّها نشيطة فى العدْو وقتَ الهاجرة . وقوله تَردى الإكامَ الخ ، مِن ردى الفرسُ بالفتح يَردى رَدْيا ورَدَيَانا : إذا رجم الأرض رَجْماً ، بينَ العدْو والمشْى الشديد . والإكام ، بالكسر : جمع أَكَم بفتحتين كما تقدَّم ، والأَكمة : الجبَل الصغير . وإذا متعلّق بقوله تَردى . وصَرَّت : صوَّتت . والجنادب : جمع جُنْدب ، وهو نوعٌ من الجراد يصوِّت عند اشتداد الهاجرة . وقوله : بصُلُب ، أى بخفٍّ صلبٍ شديد . والوَقاح ، بالفتح ، هو الصُّلْب ، ومنه الوقاحة لصلابة الوجه . يريد : انّ خُفَّها ظَهْرُه وبَطنه صلبٌ . وعَمّال ، بالفتح مبالغة عامل ، وهو المطبوع على العمل .

وقوله : (لم يَمنعِ الشربَ منها . . الخ) ضميرُ منها راجعٌ للوجناء ، والشُّرب مفعول يمنع ، وغيرَ فاعلُه لـكنَّهُ بنى على الفتح جوازاً لإضافته إلى مبنيّ . ورُوِى الرفع أيضاً . و (نَطَقَتْ) : صوَّتت وصدَحت ، عبَّر عنه بالنُّطق مجازاً . و (فى) بمعنى على . و (ذاتٍ) بالجرّ صفة لغصونٍ ، لا بالرفع صفة لحمامةٌ كما وهم ابن المستوفى فى شرح شواهد المفصَّل . و (الأوقال) : جمع وَقْل ، بفتح الواو وسكون القاف ، قال الدِّينَوَرِىُّ (فى كتاب النبات) : قال أبو عبد الله الزُّبير بن بَكّار : المُقْل إذا كان رطْباً لم يُدرِك فهو البَهْش ، فاذا يبِس فهو الوَقْل ، والدَّوم : شجر المُقل . وأنشد هذا البيت اهـ : وبهذا التفسير قد أصابَ المحزَّ وطبّق المَفْصِل ، وبه يضمحلُّ التعسُّف الذى ارتـكبه شُرّاح الشواهد . قال ابن السِّيرافىّ (فى شرح شواهد إصلاح المَنْطق) : يريد لم يمنعْها أن تشرب إلاّ أنّها صوّتت حمامة فنفرت . يريد : أنّها حديدةُ النفْس ، يخامِرها فزَعٌ وذُعر ، لحدّة نفسها . وذلك محمودٌ فيها اهـ .

و (أبو قيس بنُ الأسْلَت) قال صاحبُ الأغانى : لم يقعْ إلىَّ اسمُه .

أبو قيس ابن الأسلت

والأسلت لقبُ [أبيه[١]] واسمه عامر بن جُشَم بن وائل بن زيد[٢] بن قَيس ابن عُمارة[٣] بن مُرة بن مالك بن الأوس .. وهو شاعرٌ من شعراء الجاهليّة. وكانتْ الأوس قد أسندَتْ إليه حربَها يومَ بُعاث ، وجعلته رئيساً عليها فكفى وساد . وأسلم عُقْبةُ بن أبي قيس[٤] ، واستشهد يومَ القادسية . وكان يزيدُ بن مِرْداس السُّلمى قَتل قيسَ بنَ أبي قيس[٥] فى بعض حروبهم ، فطلبه بثأره هارونُ بن النُّعمان بن الأسْلت ، حتى تمكن من يزيدَ بن مِرداس فقتله بقيس — وهو ابن عمّه — ولقيسٍ يقول أبوه ، أبو قيس بن الأسلَت :

أقَيْسُ إنْ هَلَكتُ وأنتَ حَيٌّ فلا تعدمْ مواصلةَ الفَقيرِ[٦]

وقال هشام بن الكلبي : كانت الأوس قد أسندوا أمرَهم فى يوم بُعاثٍ إلى أبى قيس بن الأسلت ، فقامَ فى حربهم وآثرَها على كلِّ أمر ، حتّى شحِبَ وتغيَّر ، ولبث أشهراً لايقرُب امرأته[٧] ، ثمَّ إنّه جاء ليلةً فدَقَّ على امرأته ففتحتْ له ، فأهوى إليها بيده فدفعتْه وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ! فقالت : والله ماعرفتُك حتّي تكلّمتَ ! فقال فى ذلك أبو قيسٍ القصيدةَ التى أوّلها:[٨]

قالتْ ولم تَقصِدْ لِقيل الخنى : مهلًا فقد أبلغتَ أسماعى

استنكَرَتْ لوناً له شاحباً والحربُ غولٌ ذاتُ أوجاعِ[٩]

(١) التكملة من الأغانى ١٥ : ١٥٤
(٢) فى النسختين : « يزيد » ، صوابه من الإصابة والأغانى وجمهرة ابن حزم ٣٤٥
(٣) وكذا فى الأغانى ، لكن فى الإصابة ٩٣٥ من باب الكنى ، والجمهرة : « عامر »
(٤) الجمهرة ٣٤٥
(٥) الجمهرة ٣٤٦
(٦) وكذا فى الأغانى ، لكن فى الإصابة عن الأغانى: « فلا يعدم فواضلك الفقير »
(٧) فى الأغانى : امرأة
(٨) انظر المفضليات ٢٨٤ وجمهرة القرشى ١٢٦
(٩) ويروى : « أنكرته حين توسمته » فى المفضليات والجمهرة .

٤٨

مَنْ يذُقِ الحربَ يجدْ طعمَها مُرًّا ، وتترُكْه بجَعجاعِ
قدْ حصَّت البَيضةُ رأسى ، فما أطعَم نوماً ، غيرَ تَهجاعِ
أسعى على جُلِّ بنى مالكٍ كلُّ امرئٍ فى شأنه ساعى[1]
لا نألمُ القتلَ ، ونجزى به الـ أعداءَ كَيلَ الصَّاعِ بالصَّاعِ

اهـ كلام الأغانى .

وقال ابن حَجَر (فى الإصابة): أبو قيس بن الأسلت اسمه صَيفىٌّ، وقيل: الحارث، وقيل: عبدالله ، وقيل: صِرمة[2] وقيل غير ذلك .. واختُلف فى إسلامه : فقال أبو عُبيدٍ القاسمُ بن سلّام فى ترجمة ولده عقبة بن أبى قيس: له ولأبيه صحبة. وذكر عبدُ الله بن محمّد بن عمارة بن القدّاح بأسانيد عديدة : كان أبو قيس يحضُّ قومَه على الإسلام ، وذلك بعد أن اجتمع بالنبي ﷺ وسمع كلامه. وكان يتألَّه فى الجاهليّة ويدعى الحنيفيّة ، وكان يقول : ليس أحدٌ على دين إبراهيمَ إلا أنا وزيدَ بن عمرو بن نُفيل . وكان يذكر صفَة النبيِّ ﷺ وأنّه يهاجر إلى يثرب . وشَهِد وقعة بُعاث ، وهو يوم للأوس على الخزرج ، وكانت قبلَ الهجرة بخمس سنين. وزعموا أنّه لمّا حضره الموتُ أرسل إليه النبيُّ ﷺ يقول له : «قل لا إله إلاّ اللهُ أشفَع لك بها» فسُمِعَ يقول ذلك ، وقيل : قال : والله لا أسلمُ إلى سنَةٍ فمات قبل الحول ، على رأس عشرة أشهرٍ من الهجرة ، بشهرين . وقد جاء عن ابن إسحق : أنّه هرَب إلى مكّة فأقام بها مع قريش إلى عام الفتح اهـ باختصار . وعلى هذا فكان ينبغى لابن حجرَ ألاّ يذكره فى القسم الأوّل ، وهم الذين جزم بصُحْبَتهم .

---

(١) ط : «حبل بنى مالك» صوابه فى ش والمفضليات والجمهرة والأغانى والشاهد ٤٣٣
(٢) ط : «صرمة» ، صوابه من ش مع أثر تصحيح ومن الإصابة .

روى صاحبُ الأغانى بسنده إلى المبرّد قال : قال لى صالحُ بن حسَّان : أنشدْنى بيتاً خَفِراً فى امرأةٍ خَفِرةٍ شَريفة ، فقلنا : قول حاتم :

يُضيءُ لها البيتُ الظَّليل خَصَاصُهُ إذا هىَ يوماً حاوَلَتْ أن تَبَسّما[1]

فقال : هذه من الأصنام ، أريد أحسنَ من هذا ! قلنا : قول الأعشى :

كأنَّ مِشْيَتَها مِن بيت جارتها مَرُّ السَّحابةِ : لا رَيثٌ ولا عَجَلُ

فقال : هذه خَرَّاجة وَلَّاجة ! قلنا : بيت ذى الرُّمَّة :

تنوء بأُخراها فلأْياً قِيامُها وتمشى الهُوَيني من قَريب فتبهر[2]

فقال : ليس هذا ممّا أردتُ ، إنّما وصَفَ هذه بالسِمَن وثِقَل البَدَن ! فقلنا : ما عندنا شىء . فقال : قول أبى قيس بن الأسلت :

ويكرمُها جاراتُها فيزُرْنَها وتَعتلُّ عن إتيانهنَّ فتُعذَرُ

وليس لها أن تَستَهِينَ بجارةٍ ، ولكنَّها منهن تحيا وتخفَرُ[3]

ثم قال : أنشدونى أحسن بَيتٍ وُصفتْ به الثريا : قلنا : بيت ابن الزَّبيرِ الأسَدىّ :

وقد لاحَ فى الغَور الثُريّا كأنَّما به رايةٌ بيضاء تَخفُق للطعْنِ

قال : أريد أحسنَ من هذا ، قلنا : بيت امرئ القيس :

إذا ما الثريّا فى السماء تعرَّضتْ تعرُّضَ أثناء الوِشاح المفصَّلِ

قال : أريد أحسنَ من هذا ، قلنا : بيت ابن الطَّثرية :

---

(١) الخَصَاص ، كسَحَاب : الفرج بين الأصابع ونحوها . ط : « خصاصة » صوابه فى سه مع أثر تصحيح ومع الضبط ، ومن الأغانى .

(٢) ط : « فتنبهر » ، صوابه من سه وديوان ذى الرمة ٢٢٧ والأغانى ١٥ : ١٥٩

(٣) فى النسختين : « تستعين » ، صوابه من الأغانى ومعاهد التنصيص ١ : ١٤٢

إذا ما الثريّا فى السماء كأنّها جُمانٌ وهَى مِن سِلْكِهِ فتسرَّعا[1]

قال : أريد أحسنَ من هذا ، قلنا : ما عندنا شىء ، قال : قول أبى قيس ابن الأسلَت :

٤٩

وقد لاحَ فى الصبح الثُّريّا لمن رأى كعُنقُودِ مُلاَّحيَّةٍ حينَ نوَّرا[2]

قال : فحكم له عليهم فى هذين المعنيين بالتقدُّم . انتهى .

وهذا البيت الأخير من أبيات علم المعانى ، ولأجله أوردتُ هذه الحكاية .

(تتمة)

البيت الشاهد ، كونُه لابن الأسلت هو ما ذكره أبو حنيفة الدِّينَورىُّ (فى كتاب النَّبات) ، وهو فى معرفة الأشعار أديبٌ غير مُنازَع فيها . وقد نسبَه الزمخشرىُّ فى الأحاجىِّ إلى الشَّماخ ، وقد راجعتُ ديوانَه فلم أجدْه فيه . ونَسبَه بعضُ شُرَّاح [شواهد كتاب[3]] سيبوَيه لرجلٍ من كِنانة . ونسبَه بعضُ فضلاء العجم فى شرح أبيات المفصّل تبعاً للزمخشرىِّ فى شرح أبيات الكتاب لأبى قيس بن رِفاعةَ الأنصارىّ .

أقول : لم يُوجَد فى كتب الصحابة مَن يقال له أبو قيس بن رِفاعة ، وإنّما الموجود قيس بن رِفاعة[4] وهو واحد أو اثنان . قال ابن حَجَر (فى الإصابة) فى القسم الأوّل : قيس بن رفاعة الواقفىّ ، من بنى واقِف

(١) وكذا فى الأغانى ومعاهد التنصيص . لكن فى إعجاز القرآن ٢٦٥ : وديوان المعانى ١ : ٣٣٤ وحماسة ابن الشجرى ٢١٤ : « فتبددا » .

(٢) معاهد التنصيص ١ : ١٣٨ .

(٣) التكملة من هامش بخط ناسخها وبجانبه « صح » .

(٤) انظر تحقيق هذا فى هوامش الخزانة ٣ : ٣٧٨ سلفية .

ابن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ، الأنصاريّ . ذكره المرزُبانيُّ في معجم الشعراء وقال : أسْلَمَ ، وكان أعوَر ، وأنشد له :

أنا النذيرُ لكمْ مِنّي مجاهرةً كى لا نلام على نَهى وإنذار[1]
مَن يَصْلَ نارى بلا ذَنبٍ ولا تِرةٍ يَصْلَ بنارِ كريمٍ غيرِ غدّارِ
وصاحبُ الوِترِ ليس الدّهرَ يُدرِكُه عندى ، وإنّى لَدَرّاكٌ لأوتارى

ثم قال ابن حجر : قيس بن رِفاعة بن المميس[2] بن عامر بن عانس بن عير الأنصاريّ ذكره المدوىُّ وقال : كان شاعراً ، وأدرك الإسلام فأسلم . وذكره ابنُ الأثير فقال : كان من شعراء العرب . قلت : يحتمل أن يكون الذى قبلَه . انتهى .

قلتُ : كيف يكون هو الذى قبلَه مع اختلاف النَّسبين ؟ ! والظاهر أنّهما اثنان . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد المائتين [3] :

٢٣٨ (غيرَ أنّى قدْ أستعِين على الهـ مِّ إذا خَفَّ بالثوىُّ النجاء)

على أن (غيراً) يجوز أن تكون مبنيَّة على الفتح لإضافتها إلى أنّ المشدّدة ، ويجوز أن تكون منصوبةً لكونها استثناء منقطِعا .

---

(١) فى النسختين : «وإقدار» ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته وعن الاصابة ٧١٦٣

(٢) ــه : «المميس» . والذى فى الإصابة ٧١٦٤ : « قيس بن رفاعة بن المعمر ابن عامر بن عائش الأنصارى »

(٣) من معلقة الحارث بن حلزة . وانظر الصفحة التالية

وهذا البيت من قصيدةِ الحارث بن حِلِّزة اليَشكُرِىّ ، وهى سابعة المعلّقات السبعة(١) وأوّلها :

(آذنَتْنا ببَينِها أسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ
آذنتنا ببينها ثمَّ ولَّتْ ليتَ شِعرى ! متى يكونُ اللقاءُ
بَعدَ عَهدٍ لها بِبُرْقة شَمّاً ءَ فأدنى ديارها الخَلْصاءُ
لا أرى مَن عهدتُ فيها ، فأبكى اليـومَ دَلْهاً ، وما يرُدُّ البكاءُ !
وبعينيكَ أوقدتْ هندٌ النا رَ أصيلاً تُلوِى بها العَلياءُ
أو قدتْها بين العَقيق وشَخْصَيـ نِ بعُودٍ ، كما يلوحُ الضِّياءُ
فتنوَّرْتُ نارَها مِن بعيدٍ بخَزازٍ هيهاتَ مِنْكَ الصلاءُ(٢)
« غيرَ أنّى قدَ آستَعِينُ على الهـ مِّ إذا خفَّ بالثَّوِىِّ النجاءُ »
بزَفوفٍ كأنَّهـا هِقْـلةٌ أُ مُّ رِئالٍ دَوِّيَّةٌ سَقْفاءُ)

قوله : آذنَتْنا ، أى أعلمَتْنا . والبَين : الفِراق . وأسماء : حبيبته . والثاوى : المقيم ، يقال ثوى يثوِى ثَواءً وثَواية : إذا أقام ؛ وروى جماعةٌ من اللُّغويِّين أثوى بمعناه(٣) وأنكرها الأصمعىّ . ويُمَلُّ بالبناء للمفعول ، من المَلَل وهو الضَجَر والسأم . وهذا المصراع الثانى من قبيل إرسال المثل .

وقوله بعد عهدٍ لها الخ ، البُرْقة ، بالضمِّ : رابيَةٌ فيها حجارةٌ يخلِطها

---

(١) كذا فى النسختين ، وهو وجه جائز فى العربية . وفى حاشية الصبان على الأشمونى ٤ : ٦١ : « فلو قدم وجعل اسم العدد صفة جاز إجراء القاعدة وتركها ، كما لو حذف تقول مسائل تسع ورجال تسعة ، وبالعكس . كما نقله الامام النووى على النحاة . فاحفظها فإنها عزيزة » .

(٢) لم يذكر البغدادى فى الشرح إلا هذه اللغة فى خزاز ، وهى التى وردت فى ط . لكن فى ش « خزازى » ، وهى لغة أخرى روى بها البيت .

(٣) وشاهده قول الأعشى :

أثوى وقصر ليلة ليزودا ومضى وأخلف من قتيلة موعدا

٥٠

رمل وطين ، وشَماء : اسم أكَمَة . وأدنى : أقرب . والخَلْصاء : موضع أيضاً .
يقول : عزمتْ على فراقِنا بعد أن لقيتُها ببُرْقَةِ شمَّاء ، والخَلْصاء هى أقرب ديارها إلينا .

ثم أورَد بيتين آخرين فيهما أسامى أماكنَ معطوفة على الخلْصاء ، لافائدة فى إيرادها .

وقوله : لا أرى مَنْ عهدت الخ ، دلْهاً أى باطلاً ، وهو مفعولٌ مطلق ، وقيل : هو من قولهم دَلَّهنى أى حيَّرنى ، فهو تمييز . يقول : لا أرى فى هذه المواضع مَن عهدتُ ، وهى أسماء ، فأنا أبكى اليومَ بكاء باطلاً ، أو ذاهبَ العقل . وما استفهاميَّةٌ للإنكار ، أى لا يردّ البكاء شيئاً على صاحبه . يعنى : لمّا خلتْ هذه المواضعُ منها بكيتُ جزعاً لفراقها ، مع علمى أنّه لافائدةَ فى البكاء . ورُوى أيضا :

لا أرى مَن عَهدتُ فيها فأبكى أهلَ وُدِّى وما يُرِدُّ البكاء

أى فأنا أبكى أهلَ مودَّتى ، شوقاً إليهم ، حين نظرتُ إلى منازلهم الخالية ؛ ورُوى أيضاً : (وما يحير البكاء) مِن أحاره بالمهملة أى رَجعَه .

وقوله : وبعينيك أوقدتْ الخ ، أى وترى بعينيك أو بمرأى عينيك ؛ يقال : هو منّي بمرأى ومسمَعٍ : أى حيثُ أراه وأسمعه . والمعنى : أوقدتْ النارَ تَراها لقُربها منك . وهند ممَّن كانت تواصله بتلك المنازل . وأصيلا : ظرف بمعنى العشيّ ؛ ورُوى بدله (أخيراً) أى فى آخر عهدِكَ بها . يقول : قد رأيتَ نارَها بتلك المنازل ، ثم رأيتَها قد نزلت بالعلياء ، فرأيتَ نارها من بعيد . والعَلْياء ، بالفتح : ما ارتفع من الأرض ؛ وإنّما يريد العَالية وهى أرض الحجاز وما والاها من بلادِ قيس . ويقال : قد ألْوَت الأرضُ بالنار تلوى بها إلواء : أى رَفعَتْها ؛ وكذلك الناقة : ألوت : إذا رفعتْ ذَنبَها فلوّحتْ به .

وقوله : أوقدتَها بين العَقِيق الخ ، العَقيق وشَخصان ، قال الأخفش : شخصان : أكمَة لها قرنان ناتئان ، وهما الشعبتان . والعُود هو عُود البَخور . وأراد بالضياء ضياء الفَجْر[١] ، وقيل ضياء السِّراج .

وقوله : فتنوَّرتُ نارها الخ ، يقال : تنوَّرتُ النار : إذا نظرتَها بالليل لتعلم: أقريبة هى أم بعيدة ؟ أكثيرة أم قليلة ؟ وخَزَازُ ، بفتح الخاء المعجمة والزاءين المعجمتين : موضع . وقوله : هيهات الخ ، يقول رأيتُ نارها فطمِعْتُ أن تكون قريبة ، وتأمَّلتُها فإذا هى بعيدة بخَزَاز ، فلمّا يئستُ منها قلت : هيهات ! أخبر أنّه رآها بالعلياء ، ثمّ أخبر أنّه رآها بين العَقيق وشخصين ، ثمّ بخَزَاز ، وهو جبل . والصِّلاء : مصدر صلا النارَ وصلِيَ بالنار يَصلىٰ صِلاء . إذا ناله حرُّها .

وقوله : (غيرَ أنِّى قد استعين . . الخ) بنقل حركة الهمزة إلى دال قد[٢] و (خَفَّ) فلان للمضىِّ ، إذا تحرَّك لذلك ؛ يقال خفّ يَخِف خِفّة . و(الثَّوِىّ) مبالغة ثاوٍ : أى مقيم . و (النَّجاء) بفتح النون والجيم : المضىُّ ؛ يقال منه نجا ينجو نَجاء ونَجْواً . والباء للتعدية . أى اذا اضطُرَّ المقيمُ للسفرِ وأقلقه السير والمضى ، لِعظَمِ الخطْب وشدَّة الخوف . وبهـذا البيت خَرَج من صفة النساء وصار إلى صفة ناقته على طريقة الاستثناء المنقطع من قوله فتنوَّرت ، أو من قوله وما يردُّ البكاء ، أى وما يردُّ علىّ بكائى بعد أن تباعدَتْ عنِّى فاهتممت بذلك ، لـكنِّي أستعين على همِّى بهذه الناقة الآتى وصفها فيا بعـد . فغير للاستثناء المنقطع ، وفتحتها إمّا حركة اعراب ، وإمّا فتحة بنـاء ، بنيت لإضافتها إلى مبنيّ ، فتـكون حينئذ فى محل نصب .

٥١

---

(١) ط : « الفىء » ، ولا يكون للفىء ضياء ، وإنّما الفىء ظل يفىء من جانب المغرب إلى جانب المشرق بعد الزوال ، صوابه فى سه والتبريزى فى شرح المعلقة

(٢) كتب مصحح المطبوعة الأولى : « قوله بنقل الحركة إلخ لا حاجة إلى ذلك ، لاستقامة الوزن بدونه » .

وقوله : بزَفوفٍ كأنّها الخ ، الباء متعلّقة بأستعين . والزَّفوف ، بفتح الزاى المعجمة وبفاءين ، أراد به الناقة السريعة ؛ من الزَّفيف وهو السُّرعة ، وأكثر ما يستعمل فى النَّعام . شبَّه ناقته فى وَطاءتها وسُرعتها بنعامة تزِفُّ — والزَّفيف مثل الدفيف — وذلك أنّ النعامة إذا عدَتْ نَشرت جَناحَيها ورَفعتْ ذنَبها ومرّت على الأرض أخفَّ من الريح ، وربّما ارتفعَتْ من الأرض لخفّتها . والزفيف للنَّعام ، والدَّفيف للطير ؛ يقال زفَّ النعام يزِفُّ زَفًّا وزَفيفاً ، ودَفَّ الطَّير يدِف دَفًّا ودَفيفاً . والهِقْلة ، بكسر الهاء وسكون القاف : أُنثى النعام ، والهقل ذَكَره . والرِّئال ، بكسر الراء المهملة بعدها همزة مفتوحة : جمع رَأْل ، بفتح الراء وسكون الهمزة ، وهو ولد النَّعام . والدَّوِّيَّة ، بتشديد الواو ، منسوبة إلى الدَّوِّ وهى الأرض البعيدة الواسعة ؛ وهو صفة أمّ ؛ وكذلك سَقْفاء ، من السَّقَف ، بفاء بعد قاف ، وهو طولٌ فى انحناء ، والذكر أسْقَف . يقول : أستعين على إزالة همِّى بناقةٍ مسرعة كأنّها فى إسراعها نعامةٌ لها أولاد ، طويلةٌ منحنيةٌ لا تفارق المَفاوِز .

وقد تقدّمتْ ترجمةُ الحارث بن حِلِّزة ، مع شرح أبياتٍ من هذه المعلّقة ، فى الشاهد الثامن والأربعين[1] ، فى باب التنازُع .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[2] :

٢٣٩ (أُنيختْ فألقتْ بَلْدةً فوقَ بَلْدةٍ
قَليل بها الأصواتُ إلاّ بُغامُها)

(١) الخزانة ١ : ص ٣٢٥ وما بعدها .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٠ ، وانظر الهمع ١ : ٢٢٩ وشرح شواهد المغنى ٧٨ ، ٢٤٨ والأشمونى ٢ : ١٥٦ واللسان (بغم) وديوان ذى الرمة ٦٣٨ .

على أنّ (إلاّ) صفة للأصوات ، وهى وإن كانت مُعرَّفةً بلام الجنس فهى شبيهة بالمنكر . ولمّا كانت إلاّ الوصفيّة فى صورة الحرف الاستثنائيّ نُقل إعرابُها الذى تستحقّه إلى ما بعدها ، فرَفْعُ (بُغامُها) إنّما هو بطريق النقل من إلاّ إليه . والمعنى : أنّ صوتاً غيرَ بُغام الناقة قليلٌ فى تلك البلدة ، وأمّا بُغامها فهو كثير .

قال الشارح المحقّق : « ويجوز فى البيت أن تكون إلاّ للاستثناء وما بعدها بدلاً من الأصوات ، لأنّ فى قليلٍ معنى النفى » . والمعنى على هذا : ما فى تلك البلدة من جنس الأصوات إلاّ بُغامها ، بخلاف المعنى الأوّل ، فإنّه يقتضى أن يكون فيها صوتٌ غير البُغام لكنّه قليلٌ بالنسبة إلى البُغام . قال : « ومذهب سيبويه جوازُ وقوع إلاّ صفةً ، مع صحّة الاستثناء » . نسبَ ابنُ هشامٍ فى المغنى هذا الجوازَ إلى جماعات من النحويّين ، ثمّ قال : وقد يقال إنّه مخالفٌ لمثال سيبويه : لو كان معنا رجلٌ إلاّ زيدٌ لغُلِبْنا ، ولقوله تعالى : (لو كانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاّ اللهُ لفَسَدَتا[1]) قال : فلا يجوز فى إلاّ هذه أن تكون للاستثناء من جهة المعنى ، إذ التقدير حينئذ : لو كان فيهما آلهةٌ ليس فيهم الله لفسدتا ، وذلك يقتضى بمفهومه أنّه لو كان فيهما آلهةٌ فيهم الله لم يفسُدا ، وليس ذلك المراد . ولا من جهة اللفظ ، لأنّ آلهة جمعٌ منكّرٌ فى الإثبات فلا عُمومَ له ، فلا يصحُّ الاستثناء منه ، لو قلتَ قام رجل إلاّ زيد ، لم يصحّ اتفاقا . انتهى .

٥٢

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لذى الرُّمّة وقبله :

أبيات الشاهد

(ألا خَيَّلَتْ مىٌّ وقد نامَ صحبَتى فما نَفَّرَ التهويمَ إلاّ سَلامُها
طُروقاً وجُلْبُ الرَّحل مشدودةٌ به سَفِينَةُ بَرٍّ تحتَ خدِّى زِمامُها

(١) الآية ٢٢ من الأنبياء .

«أُنيخَتْ فألقَتْ بلدةً فوقَ بلدةٍ قَليلٍ بها الأصواتُ إلاّ بُغامُها»
يَمانيَةٌ في وَثْبهـا عَجْرَفيَّةٌ إذا انضمَّ إطْلاها وأودى سَنامُها)

قوله : ألا خيَّلت مَيٌّ الخ ، خيَّلت أى رأينا منها خيالًا[1] جاء في المنام . ومىّ : اسم محبوبته . وجملة قد نام الخ حاليّة . والتهويم : مصدر هوَّم الرجل : إذا هزَّ رأسَه من النُعاس . يقول : نَفَر نومُنا حينَ سلَّم الخيالُ علينا . وقوله : طُروقا الخ ، الطُّروق مصدر طرَق : أى أتى ليلاً ، وهو من باب قعد . يريد : خيَّلَتْ طُروقاً . وجُلْب الرحْل ، بكسر الجيم وضمِّها : عيدانه وخَشَبه ؛ وهو مبتدأ ، ومشدودةٌ خبره ، وسفينة نائب فاعل الخبر ؛ وبه أى بالجلب . وأراد بسَفينة البَرِّ الناقة . وزمامُها مبتدأ ، وتحتَ خدِّى خبره ، والجملة صفة سفينة يريد : أنّه كان نزَل عن ناقته آخرَ الليلِ وجَعَل زمامَها تحتَ خدِّه ونام .

وقوله : (أُنيخَتْ فألقَت . الخ) هو مجهولُ أَنخْتُها : أى أبْرَكْتُها . والبَلدة الأولى : الصدْر ، والثانية : الأرض . أى أُبْرِكَتْ فألقتْ صدرَها على الأرض . والضمير فى أُنيخت ، وألقت ، وبغامُها ، راجعٌ إلى سفينةُ برٍّ المرادِ بها الناقة . و (قَليلٍ) بالجرّ صفةٌ سببيّةٌ للبلدة الثانية . و (الأصوات) : فاعل قليل ؛ والرابط ضمير بها . ويجوز رفع قليل على أنّه خبر الأصوات والجملة صفة . و (البُغام) بموحَّدة مضمومة بعدها غين معجمة ، قال صاحب الصحاحِ : بُغام الظَّبْية : صوتُها ، وكذلك بُغام الناقة : صَوتٌ لا تُفصح به ؛ وقد بغمت تبغِم بالكسر .

وقوله يَمانية فى وثبها الخ ، بالتخفيف ، أى هذه الناقة منسوبةٌ إلى اليمن .

---

(١) وفى شرح الديوان ٦٣٨ : « خيلت : أرتنا خيالها فى النوم » وفى ط : « رأينا منها خيالا » :

والوثب ، بالمثلّثة : مصدر وثَب وَثْباً ووُثوباً : إذا طَفَر . والعَجْرَفِيَّة : الجفاء ورُكوب الرأس[1] ، وهو أن يسير سيراً مختلطاً . وإطْلاها : خاصرتاها ، مُثَنَّى إطْل بكسر الهمزة . وأودَىٰ : ذهب وهلَك . يقول : هي في ضُمْرها هكذا شديدة ، فكيف تكون قَبل الضُّمْر ؟!

وترجمة ذي الرُّمَّة تقدّمت في الشاهد الثامن من أوائل الكتاب[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[3] :

٢٤٠ (وكُلُّ أخٍ مُفارِقُهُ أخُوهُ لَعَمْرُ أبيكَ إلاَّ الفرقَدانِ)

على أنَّ (إلاَّ) صفةٌ لكلّ ، مع صحّة جَعْلِها أداةَ استثناء ، ونصبِ الفرقدين على الاستثناء ، كما هو الشرط في وصْفيَّة إلاَّ .

قال ابن هشامٍ في المغني : والوصف هنا مخصِّص ، فإنّ ما بعْد إلاَّ مطابقٌ لما قبلها ، لأنّ المعنى : كلُّ أخوين غير هذين الكوكبين متفارقان . وليست إلا استثنائيّة ، وإلاّ لقال : إلاّ الفرقدَين ، بالنصب ، لأنه بعد كلامٍ تامٍّ موجَب كما هو الظاهر مع كونه لِمُسْتَغرِق وهو كلُّ أخٍ ؛ كما نصب الشاعر في هذا البيت — وهو من أبياتٍ مذكورةٍ في مختار أشعار القبائل ، لأبي تمّام صاحب الحماسة ، لأسعَد الذُّهْليّ — وهو :

وكلُّ أخٍ مُفارِقُهُ أخُوه لشَحط الدار إلاَّ ابنَي شَمامِ

(١) في النسختين : « وركوب للرأس » ، وقد صححها الشنقيطي بما أثبت .

(٢) في الخزانة ١ : ص ١٠٦ وما بعدها

(٣) في كتابه ١ : ٣٧١ وانظر الكامل ٧٦٠ والإنصاف ٢٦٨ وابن يعيش ٢ : ٨٩ والهمع ١ : ٢٢٩ وشرح شواهد المغنى ٧٨ والأشمونى ٢ : ١٥٧ وحماسة البحترى ٢٣٤ .

قال أبو عُبيد القاسم فى أمثاله : ابنَى شَمام هنا : جبلان . وهو بفتح الشين المعجمة وكسر الميم كَحَذامِ(١) . وفى المرصّع لابن الأثير : ابنا شمام جَبَلان فى دار بنى تميم ممّا يلى دارَ عمرو بن كلاب ، وقيل : شمام هو جبلٌ . وابناه : رأساه ، وأنشد الخليل :

وإنـكما على غِيَرَ الليـالى ... لأبقَى مِنْ فُروعِ ابنَي شمامِ ا هـ

وقال حمزة الأصبهانىّ فى أمثاله التى جاءت على أفعل : ابنا شمام : هضبتان فى أصل جبلٍ يقال له شَمام .

وعند ابن الحاجب فى البيت الشاهد شذوذٌ من ثلاثة أوجه : أحدها : أنّه اشترط فى وقوع إلا صفةً تُعذّرُ الاستثناء ، وهنا يصحُّ لو نصبَه : وثانيها : وصفُ المضاف ، والمشهور وصفُ المضاف إليه . وثالثها : الفصل بين الصفة والموصوف بالخبر ، وهو قليل . قال صاحب المقتبس : وفى البيت تخريجٌ يتراءى لى غيرَ بعيد عن الصواب ، وهو أن يُجعَل قولُه : مفارقه أخوه ، صفةً لـكلّ — وساغ ذلك لـكونه نـكرة ، إذْ إضافتُه لفظيّة — ثم يُجعل إلاّ الفرقدان خبراً للمبتدإ الموصوف ، ولا يَخرُج جعلُها خبراً عن الوصفيّة ، لأنّ الخبر أيضاً صفة حقيقيّة . فتكون إلاّ فى قوله تعالى : (إلاّ اللهُ لَفَسَدَتا(٢))صفة نحويّة وفى البيت صفة معنوية . وبهذا الوجه يَخرُج الـكلام عن تخلُّلِ الخبر بين الصفة والموصوف . وتقديرُ البيت على ماذكرتُ : وكلُّ أخٍ مفارق أخاه مُغايرٌ للفرقَدين : أى ليس على صفتهما ، لأنهما لايفترقان منذ كانا . انتهى . وردَّه السيِّد عبدُ الله (فى شرح اللُّبّ) بقوله : ولا يجوز أن يجعل مُفارقُه صفةً

(١) ط : « كجذام » ، صوابه فى س .

(٢) الآية ٢٢ من الأنبياء

وإلاّ الفرقدان خبراً حتى يتخلّص من هذه الفسادات كما قيل ، لفساد المعنى .
ووجهُه أنّ المراد الحكم على كلّ أخٍ بأنه مفارقٌ أخاه فى الدنيا سوى
الفرقدَين فإنّهما لا يفترقان إلاّ عند فناء الدنيا ، وليس المعنى على ماذكره ،
فإنّه يقتضى مفهومُه أنّ كلّ أخٍ لا يفارق أخاه مثلُ الفرقدين فى اجتماع الشَّمْل .
وليس فى الدنيا أخوانِ لا يفترقان . فتأمَّلْ .

وفى البيت تخاريجُ أخر : إحداها للكوفيّين ، نقله عنهم ابنُ الأنبارى
فى مسائل الخلاف : أنّ إلاّ هنا بمعنى الواو ، وهى تأتى بمعناه كثيراً كقوله
تعالى : (لئلا يكونَ للناسِ عَلَيْكُم حُجَّةٌ إلاّ الذين ظَلَموا[1]) أى ولا الذين[2]
ظلموا لا تكون لهم أيضاً حجّة ، وقوله تعالى : (لا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ مِن
القَول إلاّ من ظُلِم[3]) أى ومن ظُلِم لا يُحِبُّ أيضاً الجَهرَ بالسُّوءِ منه — وكذا
قال السيّد المرتضى فى أماليه فى أحدِ أوجهِ إلاّ فى قوله تعالى : (خالدِينَ فيها
مادامتِ السمواتُ والأرضُ إلاّ ماشاء ربُّك[4]) : إنّ إلا بمعنى الواوِ — وأوْرَدَ
هذا البيت وغيرَه شاهداً لمجىء إلاّ بمعنى الواو[5] — وأجابَ البصريُّون أنّ
إلاّ فى البيت بمعنى غير ، وفى الآيات للاستثناء المنقطع . (ثانيها) ماذهب إليه
الكسائى . أنّ أصله إلاّ أن يكون الفرقدان ، وقد ردّ سيبويه هذا القولَ كما
بيّنه الشارح المحقّق .

قال أبو علىّ — فى الإيضاح الشعْرِىّ — : أنشد سيبويه هذا البيت[6]

---

(١) الآية ١٥٠ من البقرة .
(٢) كذا فى ط والإنصاف ، لكن جعلها الشنقيطى فى نسخته : « أى والذين »
(٣) الآية ١٤٨ من النساء
(٤) الآية ١٠٧ من سورة هود
(٥) أمالى المرتضى ٢ : ٨٧ — ٩١ .
(٦) فى النسختين : « على البيت » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

وقال : لا يجوز أن يكون قوله : إلاّ الفَرقدان ، على تقدير إلاّ أن يكون الفرقدان . وإنّما لم يجزْ هذا لأنّك لاتحذف الموصولَ ، وتدعَ الصلة ، لأنّ الصلّة تُذكر للتخصيص والإيضاحِ للموصول ، فإذا حذفتَ الموصولَ لم يَجُزْ حذفه وذكرُك ما يكون إيضاحاً له . ونَظير ذلك أجمعون فى التوكيد ، لا يجوز أن تَذكُره وتحذِف المؤكَّد . فإنْ قلتَ : لم لايكونُ كالصفة والموصوف فى جواز حذف الموصوف وذكر الصفة ، وكذلك تحذف الموصولَ وتذكُر الصلة ؟ قلتُ : لم يكن فى هذا كالوصف إذا كان مفرداً ؛ ألا ترى أنّ الوصف إذا كان مفرداً كان كالموصوف فى الإفراد ، وإذا كان مثله جازوقوعهُ مواقع الموصوفِ ، من حيثُ كان مفرداً مثلَه ، مع استقباحٍ لذلك . فأمّا الصلة فلا تقع مواقعَ المفرد ، من حيث كانت جُملاً ، كما لم يجز أن تبدل الجمل من المفرد ، من حيث كان البدلُ فى تقدير تكرير العامل ، والعامل فى المفرَد لايعمَل فى لفظ الجملة ، فكذلك لايجوز أن تَحذف الموصولَ وتقيم الصلة مقامه . فإن قلتَ : هلّا جاز حذفها كما جاز حذف الصلّات وإبقاء الموصولة ، كقوله : بعد اللتيا والتى[1] ؟ قلت : إبقاء الموصول وحذفُ الصلة أشبَهُ من عكس ذلك ، لأنّ الموصول مفرد وليس كالصلة التى هى جملة ؛ فكذلك جاء فى الشعر ولم يمتنع ، كما لايمتنع أن يذكَر المؤكَّدُ ولا يذكر التأكيد . ولو ذكرتَ أجمعون ونحوَه ، ولم تَذكُر المؤكَّد لم يجز . انتهى كلام أبى علىّ ؛ ولكثرة فوائده نقلناه برُمّته .

(ثالثها) : مانقله بعض شُرّاح أبيات المفصَّل مِن فضلاء العجم ، وهو أنّ إلاّ هنا بمعنى حتّى ، والمعنى : كلُّ أخٍ مفارقه أخوه حتّى إنّ الفرقدين ، مع

(١) إشارة إلى قول العجاج فى ديوانه ٦ وسيبويه ١ : ٣٧٦/٢ : ١٤٠ :

* بعد اللتيا واللتيا والتى *

شدّة اجتماعهما وكثرة مصاحبتهما ، يُفرَّق كلٌّ واحدٍ منهما عن صاحبه ؛ فما ظنُّك بغيرهما ! قال : وعلى هذا تكون إلاَّ مستعملةً استعمالَ حتّي ، للمناسبة بين الاستثناء والغاية ؛ ويكون ذلك كقولهم : مات الناسُ حتّي الأنبياء . هذا كلامه ، وليس المعنى على ما زعمه ، وفيه تعسُّفٌ أيضاً .

(رابعها) : ما ذكره ابنُ الأنباريُّ فى مسائل الخلاف : أنَّ إلاَّ هنا للاستثناء المنقطع ، قال : أراد لكن الفرقدان فإنَّهما لا يفترقان ، على زعمهم فى بقاء هذه الأشياء[1] . هو غير متبادَر منه ، وهو كقول الأعلم فى شرح أبيات الكتاب : « وهذا على مذهب الجاهليَّة » ، مع أنَّ قائل هذا البيتِ صحابيٌّ كما سيأتى . وسبقَهُما المبرّد فى الكامل ، فإنَّه بعد أن نَسَب البيتَ لعمرو بن معد يكرب ، اعتذر عنه فقال : وهذا البيت قاله قبل أن يُسلِم . ثم أورد عقبَه بيتَ أبى العَتاهِيَة ، دليلاً على ما فهمه ، بقوله : وقال إسماعيلُ ابن القاسم :

ولم أرَ ما يدومُ له اجتماعٌ سيفترِقُ اجتماعُ الفَرقدينِ

ونحن نقول : محمل هذا البيت أنَّهما يفترقان عند قيام الساعة . ولكل وجهة . و (الفرقدان) : نجمان قريبان من القُطْب لا يفارق أحدُهما الآخر .

وبقى فى البيت احتمالُ وجهٍ آخر ، لم أرَ مَن ذكره ، وهو أن تكون إلاّ للاستثناء ، والفرقدان منصوبٌ بعد تمام الكلام الموجَب ، لكنَّه بفتحةٍ مقدرة على الألف ، على لغة من يُلزِم المثنّي الألفَ فى الأحوال الثلاثة ، وهى لغة بنى الحارث بن كعب . والله أعلم .

(١) فى الإنصاف : « على زعمهم فى بقاء هذه الأشياء المتأخرة إلى وقت الفناء »

وقوله : (وكلُّ أخٍ مفارقه أخوه) قال الفالىّ[١] فى شرح اللبـاب : يحتمل وجوهاً من الإعراب : أحدها أن يكون كلُّ مبتدأ ومفارقه خبره وأخوه فاعل مفارقه . الثانى : أن يكون كلُّ مبتدأ ومفارقه مبتدأ ثانياً وأخوه خبره والجملة خبر الأول . الثالث : أن يكون كلُّ مبتدأ وأخوه مبتدأ ثانياً ومفارقه خبر المقدَّم والجملة خبر الأوّل . الرابع : أن يكون كلُّ مبتدأ ومُفارِقُه بدلاً منه وأخوه خبر كلّ : أى مفارقُ كلِّ أخٍ أخوه . الخامس : أن يكون مفارقه بدلاً من كلّ وأخوه مبتدأ وكلُّ أخٍ مفارقُه خبرٌ مقدَّم انتهى .

٥٥

وقوله : (لَعَمْرُ أبيـك) مبتدأ خبره محذوف تقـديره : قسَمى . والجملة معترضة .

صاحب الشاهد

وهذا البيت جاء فى شعرَين لصحابيَّين : أحدهما عَمرو بن مَعْدِ يكرب ، أنشده الجاحظ فى البيان والتبيين له ، وكذا نَسبه إليه المبرّد في الـكامل ، وصاحب جمهرة الأشعار ، وغيرهم — وتقدَّمت ترجمتـه فى الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة[٢] — .

حضرمى ابن عامر

الثانى حَضْرَمىُّ بن عامر الأسَدىّ : قال الآمدىّ (فى المؤتلف والمختلف) : هو حَضْرَمىُّ بن عامر بن مُجَمّع بن مَوْعَلَة بن هِشامِ بن ضب[٣] بن كعب ابن القين بن مالك بن ثَعلَبة بن دُودان بن أسد . وهو شاعرٌ فارس سيِّد ، وله فى كتابِ بنى أسدٍ أشعارٌ وأخبارٌ حِسَان ، وهو القائل :

ألا عجِبَت عُميرةُ أمْسِ لمّـا   رأتْ شيبَ الذُّؤابة قد علَانى
تقول : أرى أبى قد شابَ بعدى   وأقْصَرَ عنْ مطالبَةِ الغَوانى[٤]

(١) فى النسختين : « القالى » بالقاف ، وإنما هو الفالى بالفاء ، صاحب شرح اللباب
(٢) الخزانة ٢ : ص٤٤٤
(٣) وكذا فى المؤتلف ٨٤ ، لـكن فى الإصابة : « ضبة » .
(٤) فى النسختين : « قد أرى أبى » ، صوابه من المؤتلف وشرح شواهد المغنى .

إلى أن قال :

وذى فَخْمٍ عزَفْتُ النفسَ عنهُ حِذارَ الشامتِينَ ، وقد شَجانى

قطَعتُ قَرِينتى عنه فأغنى غِناه فلم أراه ولم يرانى[1]

وكلُّ قرينةٍ قُرِنَتْ بأخرى ولو ضَنَّت بها ، ستفرّقانِ

وكلُّ أخٍ مفارِقُه أخوه لعمرُ أبيك إلا الفرقدانِ

وكلٌّ إجابتى إيّاه أنّى عَطفتُ عليه خوّارَ العِنانِ[2] اه

والذؤابة : الخصلة من الشعر . والفَخْم ، بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة : التعظُّم والاستعلاء ، ومثله الفُخَيمة بالتصغير . وعزَفْت ، بالعين المهملة والزاى والفاء ، أى صرفت . وحِذارَ مفعولٌ لأجله لقوله عزفت . وجملة وقد شَجانى ، أى أحزننى ، حاليّة . وقوله : قطعتُ قرينتى ، هو جواب رُبَّ المقدّرة فى قوله : وذى فَخْم . ومعناه كلُّ نفسٍ مقرونةٍ بأخرىٰ ستفارقها . وضنّت : بخلت . وقوله : وكلٌّ إجابتى ، كلٌّ فعلٌ ماض من الكَلال . ويُروىٰ : (وكان إجابتى إيّاه[3]) .

وحَضْرَمِىّ بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وبعد الراء ميم مكسورة بعدها ياء مشدّدة . ومُجَمِّع بوزن اسم الفاعل من جمّع تجميعاً . ومَوْءلة ، بفتح الميم وسكون الواو وبعدها همزة مفتوحة ، قال فى القاموس : وبنو مَوْءلة

(١) شرح شواهد المغنى : « فلن أراه ولن يرانى » ، والرواية هنا على لغة مَن يرفع المضارع بعد « لم » كما جاء فى قوله :

لولا فوارس من ذهل وإخوتهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار

(٢) السيوطى : « فكان إجابتى »

(٣) كتب مصحح المطبوعة الأولى ، أى طبعة بولاق : « بياض بالأصل ، وبهامشه لعل موضع البياض : وخوار العنان : سهل المعطف كثير الجرى ، اهـ » . وليس فى ... أثر البياض .

كمَسْعَدة : بطن ، وهو مَفعلة اسم مكان من وأل إليه يئل بمعنى لجأ وخلَص ؛ والموئل : الملجأ . وضبطه ابن حَجَر فى الإصابة مَوَلَة بفتحات ، وأورد حمام بدل هشام[١] وأورد باقىَ النسب كما ذكرنا ، وقال : ذكره ابن شاهين وغيره فى الصحابة . وروى أبو يعلى وابن قانع[٢] ، من طريق محفوظ بن علقمة ، عن حَضرمىّ بن عامر الأسدىّ ـ وكانت له صحبة أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « إذا بالَ أحدُكُمْ فلا يَستَقبِلُ الريحَ ولا يستَنْجى بيمينه » ـ قال السيوطىُّ فى شرح شواهد المغنى : ولم أقف لحضرمىّ على رواية غير هذا الحديث .

٥٦

قال ابن حَجَر : وروى ابن شاهين من طريق المدائنى عن جماعة أنّهم قالوا : وفد بنو أسد بن خزيمة ، وفيهم حضرمىّ بن عامر وضِرار بن الأزوَر ، وسَلمة وقَتادة وأبو مُكعِت . فذكر الحديثَ فى قصّة إسلامهم وكتب لهم رسولُ الله ﷺ كتاباً . قال : فتعلَّم حضرمىّ بن عامر سورة (عَبسَ وَتوَلّى) فزاد فيها : « وهو الذى أنعَمَ على الحُبلَى ، فأخرجَ منها نَسَمةً تسعى » ، فقال له النبيُّ ﷺ : « لا تزِدْ فيها » .

وأخرجه من طريق منجاب بن الحارث من طُرُقٍ ذكر فيها[٣] أنّ السورة (سَبِّح اسمَ ربِّك الأعلى) وروى عمر بن شَبّة بإسنادٍ صحيح إلى أبى وائل قال : « وفد بنو أسدٍ فقال لهم النبىُّ ﷺ : مَن أنتم ؟ قالوا : نحن بنو الزِنْية أحلاس الخيـل ! قال : بل أنتم بنو الرِشْدة ! فقالوا : لا ندَعُ اسمَ أبينا » وذكر قصّة طويلة .

وقال المرزُبانىُّ فى معجمه : كان حضرمىّ يكنى أبا كِدام[٤] ؛ ولمّا سأله

(١) السيوطى : « بدل همام » .
(٢) فى النسختين : « ابن نافع » ، وأثبت مافى الإصابة وشرح شواهد المغنى .
(٣) فى النسختين : « ذكرها فيها » ، وصوابه من الإصابة
(٤) كِدام ككتاب

عمر بن الخطاب عن شعره فى حرب الأعاجم ، أنشده أبياتاً حسنة فى ذلك .

وروى أبو علىٍّ القالىُّ (١) من طريق ابن الكلبيِّ قال : كان حضرمىُّ ابن عامر عاشِرَ عَشرةٍ من إخوَتِه ، فماتوا فورِثهم ، فقال فيه ابنُ عمٍّ له يقال له جَزْء بن مالك : يا حضرمىُّ ورثتَ تسعة إخوةٍ فأصبحتَ ناعماً ! فقال حضرمىٌّ ، من أبيات :

إن كنتَ قاوَلتَنى بها كذِباً   جزء ، فلاقيتَ مثلَها عَجِلا (٢)

فجلس جَزْء على شَفيرِ بئر هو وإخوته ـ وهم أيضاً تسعة ـ فانخسفت بهم فلم ينج غيرُ جَزْء ، فبلَغ ذلك حضرمىَّ بنَ عامر فقال : كلمةُ وافقَتْ قدَرا ، وأبقَتْ حِقْدا ! انتهى ما أورده ابن حجر فى الإصابة .

وهذا البيت الذى نقله عن أبى علىٍّ القالىّ ، هو أحد أبياتٍ ثلاثةٍ أوردها ابنُ السِّيد البَطَلْيوسىُّ فى شرح شواهد أدب الكاتب (٣) وهى :

يزعمُ جَزْء ولم يَقُل جَلَلاَ   أنّى تَرَوَّحتُ ناعماً جَذِلا

إنْ كنتَ أَزْنَنْتَنِي بها كذباً   جَزْء ، فلاقيتَ مثلَها عَجِلا

أفرَحُ أنْ أُرْزَأ الكِرامَ وأنْ   أُورَثَ ذَوداً شصائصا نَبَلا

وجَزْء ، بفتح الجيم وسكون الزاى وثالثه همزة ؛ وهو منادى فى البيت الثانى . والجلل هنا بمعنى الحقير (٤) ويأتى بمعنى العظيم أيضاً ، وهو من الأضداد .

---

(١) فى الأمالى ١ : ٩٧ .

(٢) الأمالى : « إن كنت أزننتنى » .

(٣) فى النسختين : « آداب الكاتب » تحريف

(٤) تبع البغدادى فى هذا ابن السيد فى الاقتضاب ٣٦١ . ولا تعارض بين هذا التفسير وبين رواية القالى : « ولم يقل سدداً » إذا المعنى أنه لم يوفق إلى السداد ، فأتى بزعمه أمراً معطلا .

وتَرَوَّحَ بالحاء المهملة : صار ذا راحة . وناعم : وصفٌ من النعيم ، وهو الخَفْض والدَّعَة والمال . وجَذْلان بمعنى فرحان ، من الجَذل ، بفتحتين ، وهو الفرَح . وأزْنَنْتَني : اتّهمتني ؛ يقال زَنَنْته وأزننته بكذا : إذا اتهمته به ونسبتَه إليه . وقوله : أفرح ، أراد أأفرح ، على معنى التقرير[1] والإنكار ، فترك ذكر الهمزة وهو يريدها حين فُهِم ما أراد ، وهذا قبيح ، وإنّما يحسُن حذفها مع أمْ .

وقد أورده صاحب الكشاف فى تفسيره دليلاً على حذف همزة الاستفهام.

والرُّزء ، براء مضمومة وزاى ساكنة بعدها همزة ، قال صاحب القاموس: رزأه ماله ، كجعَلَه وعمِلَه ، رُزءًا بالضمّ : أصاب منه شيئاً . فالمفعول الثانى فى البيت محذوف ، أى أرْزَأَ الكرامَ مالَهم . وأورث بالبناء للمفعول . والذَّود من الإبل : دون العشرة ، وأكثرُ ما يُستعمل فى الإناث . والشَّصائص التى لا ألبان لها ، الواحد شَصُوص ، بفتح المعجمة وإهمال الصادين ؛ يقال شَصَّت الناقة وأشَصّت . والنَّبَل ، بفتح النون والموحَّدة : الصِّغار ؛ قال فى القاموس : والنَّبَل محرَّكة : عِظام الحجارة والمدَرِ وصغارُها .

٥٧

(تتمة)

أوردَ الآمدىُّ (فى المؤتلف والمختلف) اثنَين من الشعراء ممّن اسمه حَضْرَمىّ ، أحدهما هذا الصحابىّ .

حضرمى بن الفلندح

والثانى حَضْرَمىُّ بنُ الفَلَنْدَح (بفتح الفاء واللام وسكون النون وفتح الدال وآخره حاء مهملة) قال : هو أخو بنى حَرام بن عُوف المَشْجَعىّ . وبنو مَشْجَعة بن تيم بن النّمر بن وَبَرة ، أبو كلب بن وَبَرة ؛ شاعرٌ ، وهو القائل :

---

(١) فى النسختين : « التقدير » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته

إذا نفحتْ من نحوِ أرضكِ نفحةٌ　　رياحُ الصَّبا(١) يا قَيْلُ طابَ نسيمُها
كأنّكِ فى الجِلباب شمسٌ نقيَّة　　تجوّبُ(٢) عنها يومَ دَجْنٍ غُيومُها: انتهى

وقيل مرخّم قيلة(٣) بالقاف اسم امرأة ، ولا أعرف هل هو إسلاميٌّ أو لا . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد المائتين :

٢٤١ (ولم يَبْقَ سوى العُدْوا　　نِ دِنّاهُم كما دَانوا)(٤)

على أن (سِوى) قد خرجت من الظرفيّة إلى الاستثناء عند الكوفيِّين ، وهى هنا مرفوعة بضمّة مقدّرة على الألف على أنّها بدلٌ من فاعل لم يبقَ المحذوفِ ، أى لم يبق شىء سوى العُدْوان . وهذا عند البصريِّين شاذ لا يجىء إلا فى ضرورة الشعر .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ للفِنْد الزِمّانىّ ، قالها فى حرب البَسوس(٥) ؛ أورد قطعةً منها أبو تمّامٍ فى أول الحماسة ، وهى :

أبيات الشاهد

(صَفَحْنا عن بنى ذُهلٍ　　وقُلنا : القومُ إخوانُ
عَسى الأيامُ أن يَرْجِعــنَ قوماً كالذى كانوا
فلمّا صَرّح الشَّرُّ　　فأمسى وهو عُريانُ
ولم يَبقَ سِوى العُدوا　　نِ ، دِنّاهُمْ كما دانوا

(١) فى المؤتلف ٨٥ : « الصبايا قبل » ، وما هنا صوابه .
(٢) المؤتلف : « تجرب » بالراء ، وما هنا صوابه
(٣) انظر الحاشية ١ : ص ٣٩٩ من هذا الجزء
(٤) العينى ٣ : ١٣٢ والهمع ١ : ٢٠٢ والأشمونى ٢ : ١٥٩ والتصريح ١ : ٣٦٢ والحماسة ٣٥ بشرح المرزوقى وأمالى القالى ١ : ٢٦٠ وشرح شواهد المغنى ٣١٩
(٥) كتاب البسوس ٩٣

مَشَيْنا مِشْيَةَ اللَّيثِ، غَدَا، والليثُ غضبانُ
بضربٍ فيه توهينٌ وتخضيعٌ وإقرانُ
وطَعنٍ كفَم الزقِّ غَذَا والزِّقُّ ملآنُ
وبعضُ الحلمِ عندَ الجهل للذلَّة إذعانُ !
وفى الشرِّ نجاةٌ حيـ نَ لا ينجيك إحسانُ)

الصفح : العفو ، وحقيقته أعرضْنا عنهم وأوليناهم صَفْحَة عُنُقنا . ورُوى : (عن بنى هِنْدٍ) ، وهى هند بنت مُرّ بن أُدّ أُختُ تميم . وقوله : عسى الأيّام الخ ، قال المرزوقىّ : لا يجوز أن يكون الذى بمعنى الذين ، لأنّ الموصول والصلة يصير صفةً لقوم آخَرِين كالقوم المذكورين ، بل التقدير : أن يردُدْن دأبَ القومِ كائناً كالدأْب الذى كانوا عليه . وفى هذا الوجه يجوز أن يكون الذى للجنس ، كما قال تعالىٰ (والذى جاء بالصِّدْق وصَدّق به (١)) ثم قال : (أولئك) . والفصل بين هذا الوجه والوجهِ الأوّل أنه أمّل فى الوجه الأول أنّهم إذا عفَوا عنهم أدّبتهم الأيّامُ وردّت أحوالَهم كأحوالهم فيما مضىٰ : فى الاتفاق والتوادّ ؛ وفى الوجه الثانى أمَّل أن يرجع الأيام أنفسَهم ، إذا صفَحوا عنهم ، كما عهِدت : سلامةَ صُدور وكَرَمَ عُهود(٢) انتهى .

ومعنى يَرْجعن يردُدن من باب فَعل وفعَلته ، يقال رجَع فلان رُجوعاً ومَرْجِعاً(٣) ورُجعاناً ورجَعْته رجْعاً ؛ والعائد محذوف : أى كالذى كانوه ، وهو خبر كان .

---

(١) الآية ٣٣ من الزمر

(٢) النقل هنا مقتضب فارجع إلى شرح المرزوقى ٣٤ .

(٣) بكسر الجيم كما فى القاموس ، وكذلك مرجعة بكسرها . ونبه على شذوذهما .

وهذا البيت أورده ابن هشام فى المغْنى على أنّ بعضهم استدلّ به على أنّ المعرفة إذا أُعيدَت نكرةً كانت عَيْنا(١) ، على القاعدة المشهورة .

و (صرّح) بمعنى انكشف ، ويأتى أيضاً متعدّياً بمعنى كشفه . وجملة (وهو عريان) خبر أمسىٰ ؛ وذِكرُ العُريانِ مثَلٌ لظهور الشرّ . ورُوى (فأضحىٰ وهو عُريان) وهذه أحسن ، لأنّ الشىء فى الضُّحى أشْهَر . وقوله : (ولم يَبقَ سوى العُدْوان) معطوفٌ على قوله صرَّح . وقوله : (دنّاهم .. الخ) جوابُ لمّا . والعُدوان : الظُّلم الصريح . والدِّين : الجزاء . وأورد البيضاوىُّ هذا البيتَ فى قوله تعالى : (مَالِكِ يَومِ الدِّينِ) على أن الدِّين الجزاء . والمعنى : لمّا أصَرُّوا على البغى وأبَوا أن يَدَعوا الظلمَ ، ولم يَبق إلاّ أن نقاتلهم ونعتدىَ عليهم كما اعتدَوا علينا ، جازَيناهم بفِعْلهم القبيحِ كما ابتدءونا به . وإطلاق المُجازَاة على فعلهم مشاكَلةٌ ، على حدّ قوله تعالى : (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيكُمْ فاعتَدُوا عَلَيه(٢)) .

وقوله : مَشَينا مِشيَة الخ ، هذا تفصيلٌ لما أجمله فى قوله دِنّاهم ، وتَفسيرٌ لكيفيّة المجازاة . وكرَّر الليثَ ولم يأت به مضمَراً ، تفخيماً وتعظيماً . والمعنى: مَشينا إليهم مِشيةَ الأسد ابتكر وهو جائع . وكنىٰ عن الجوع بالغضَب ، لأنّه يصحبَه . وغدَا بمعجمة فمهملة ، ولا يجوز بمهملتين لأنّ الليث لايكون ماشياً عادياً فى حال . فإن قيل : اجعلْه من العدْوان ، قلتُ : الليث لايمشى فى حال عُدوانه وإنّما يشُدُّ شدّا ؛ ويجوز على رواية (شَددْنا شَدَّة الليث) على أنّه من العُدوان .

(١) الوجه عينها ، أى عين المعرفة .

(٢) الآية ١٩٤ من سورة البقرة

وقوله : بضربٍ فيه توهينٌ الخ ، الباء تتعلّق بمشينا . والتوهين : التضعيف والإقران : مواصَلةَ لافُتور فيها : ورُوى :

بضربٍ فيه تفجيعٌ وتأييمٌ وإرنان

والتأييم : جعل المرأة أيِّما ، والأيّم هى التى قُتِل زوجُها أو مات . والإرنان ، من الرنين والبكاء ، يقال رنّ وأرنّ .

وقوله : وطعنٍ كفم الزِّقّ الخ ، غذا بمعجمتين بمعنى سال ، يقال غذا يغذو غَذْواً والاسم الغذاء ، أى وطعنٍ فى اتّساعه وخروجِ الدم منه كفَم الزِّقّ إذا سال بما فيه وهو مملوء . وجملة غذا مع ضميره بتقدير قد ، حاليّة .

وقوله : وبعض الحلم الخ ، الإذعان : الانقياد ، يقال أذعَنَ لـكذا : إذا انقادَ له ، وأذعن بكذا : إذا أقرَّ به . اعتذَرَ فى هذا البيت عَن تركهم التحلُّم مَع الأقرباء ، بأنّه كان يُفضى إلى الذُّلّ .

وقوله : وفى الشرِّ نجاةٌ الخ أراد فى دفع الشرّ ؛ ويجوز أن يريد وفى عمل الشر نجاةٌ ، كأنّه يريد : وفى الإساءة تَخلصٌ إذا لم يخلِّصك الإحسان .

الفند الزمانى

و (الفِنْد الزِمّانىّ) اسمه شَهْلُ بنُ شَيبانَ بن ربيعةَ بن زِمَّان الحَنَفىّ . فهو منسوبٌ إلى جدِّ أبيه . (وشَهْل) بالشين ، وليس فى العرب شَهْل بالمعجمة إلاّ هو وشَهْل بن أنمار من قبيلة بَجيلة . و (زِمّان) بكسر الزاى وتشديد الميم ، هو إمّا فِعْلان مِن زممت ، أو فِعّال من الزمن . و (الفِنْد) بكسر الفاء وسكون النون : القطعة من الجبل ، وإنّمالقّب به ، لأنّ بكر بن وائل بعثوا إلى بنى حَنيفة(١) ـ فى حرب البَسوس ـ لينصروهم ، فأمدّوهم به وكتبوا إليهم : قد بعثنا إليكم بثلثمائة فارس ! فلمّا أتى بَكراً وهو مُسِنٌّ قالوا : وما

٥٩

(١) ط : « إلى بكر بن حنيفة » ، صوابه فى سه والأغانى ٢٠ : ١٤٤

يغنى هذا العَشَبة ! قال : أو ماترضَون أن أكون لكم فِنْداً تأوُون إليه ؟ فلُقِّب به .. والعَشَبة ، بفتحات العين المهملة والشين المعجمة والتاء الموحّدة : الشيخ الكبير ؛ ويقال العَشَمة بالميم بدل الموحّدة ، كذا فى إعراب الحماسة لابن جنّي .

وفى الأغانى[1] : كان الفِنْد أحدَ فرسان ربيعةَ المشهورين المعدُودين ، شَهِد حَربَ بكرٍ وتَغلِبَ وقد قارب المائةَ سنة ، فأبلى بلاء حسناً . وإنّما لُقّبَ فِنْداً ، لأنّ بكرَ بن وائل بَعثُوا إلى بنى حَنيفة يستنصِرُونهم . وذكر الحكايةَ التى ذكرناها ، ثم قال : فوجَّهوا إليهم بالفِنْد الزِمَّانىّ ، فى سبعين رجلاً ، وكتبوا إليهم : إنّا قد بعثنا إليكم ألفَ رجل !

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد المائتين[1] :

٢٤٢ (تجانَفُ عن جوِّ اليمامة ناقتى ... وما عدَلت عَنْ أهلِها لِسوَائِكا)

على أنّ خروج (سَواء) عن الظرفيّة شاذٌ خاصٌ بالشعر ، وإذا خرجت كانت بمعنى غير .

وقد استفتى بعضُهم من جملة أسئلة أربعة : هل تكونُ سواء بمعنى غير ؟ فأجابه أبو نزار الملقَّبُ بملك النُّحاة ، بأنّه قد نُصَّ على أنّها لاتأتى إلاّ ظرف مكان ، وأنّ استعمالها اسماً متصرِّفاً بوجوه الإعراب بمعنى غير خطأ .

ونقل ابن الشَّجَرىّ فى أماليه صورةَ الاستفتاءِ الأسئلة الأربعة ، وما أجاب

---

(١) وهو من شواهد س فى كتابه ١ : ١٣ ، ٢٠٣ ولا أدرى كيف أهمل البغدادى الإشارة إليه . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٣٥ / ٢ : ٤٥ ، ١١٩ ، ١٢٤ وابن يعيش ٢ : ٤٤ ، ٨٤ والإنصاف ٢٩٥ والهمع ١ : ٢٠٢ وديوان الأعشى ٦٥ .

به أبو نزار ، وجوابَ الإمام أبى منصور الجَواليقىّ[١] واستجهَلَ أبا نزار وذمَّه ، وخطَّأه تبعاً للجواليقىّ ، وأجاب هو أيضاً عن الأسئلة وقال فى سِوَى : وأمَّا سوى فإنَّ العرب استعملتها استثناء ، وهى فى ذلك منصوبة على الظرف ، بدلالةِ أنّ النصب يظهر فيها إذا مُدَّت ؛ فإذا قلتَ أتانى القوم سواءك فكأنّك قلت مكانَك . واستدلّ الأخفشُ على أنّها ظرف بوصلهم الاسمَ الناقصَ بها فى نحو: أتانى الذى سوَاك . والكوفيُّون يرونَ استعمالها بمعنى غير .
وأقول : إدخال الجارّ عليها فى قول الأعشى :

وما قصدتْ مِنْ أهلِها لِسوائكا

يخرجُها عن الظرفيَّة . وإنّما استجازت العربُ [ذلك[٢]] فيها تشبيهاً لها بغير ، من حيث استعملوها استثناء . وعلى تشبيهها بغيرٍ قال أبو الطيِّب :

أرض لها شرفٌ سواها مثلها لوكان مثلك فى سواها يوجد

رفع سوى الأولى بالابتداء وخفض الثانية بفى ، فأخرجهما من الظرفيَّة . فمن خطَّأه فقد خطَّأ الأعشىَ فى قوله : لسوائكا ؛ ومَن خطَّأ الأعشى فى لغته التى جُبِل عليها ــ وشعرُه يُستشهَد به فى كتاب الله تعالى ــ فقد شهِد على نفسه بأنّه مدْخُول العقلِ ضاربٌ فى غَمْرة الجهْل . ومن العجب أنّ هذا الجاهلُ يُقدِم على تخطئة سلف النحويِّين وخلَفهم ، وتخطئة الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميِّين ، ولا يؤثر عنه أنَّه قرأ مُصَنَّفاً فى النحو إلاّ مقدَّمةً من تأليف عبد القاهر الجُرجَانىّ ، قيل : إنّها لاتبلغ أن تكون فى عَشْر

(١) انظر الأشباه والنظائر للسيوطى ٣ : ٦٦ ، ٦٩

(٢) التكملة من سه وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٢٤ والأشباه والنظائر ٣ : ٦٩

أوراق ! وقيل : إنّه لايملك من كتب النحو واللغة ما مقداره عشر[١] أوراق !
وهو مع ذلك يردُّ بِقِحَّته على الخليل وسيبوَيه ! إنّها لوصمة اتّسم بها زمانُنا
هذا لايَبيدُ عارُها[٢] ولا ينقضى شَنارُها. وإنّما طلب بتلفيق هذه الأهواس،
أن تُسَطَّر فتوى ، فيُثبَت خطُّه فيها مع خطِّ غيره فيقال : أجاب أبو نزار
بكذا ، وأجاب غيره بكذا ! وقد أدرك لَعمرُ الله مطلوبَهُ ، وبلغ مقصودَه ؛
ولولا إيجاب حقِّ مَن أوجبتُ حقَّه والتزمتُ وِفاقَهُ ، واحترمتُ خطابه ،
لصنْتُ خَطّى ولفظى عن مجاورة خطّه ولفظه : انتهى كلام ابن الشجَرىّ .

وأجاب الجواليقىّ بقوله : وأمّا سوى فلم يختلفوا فى أنّها تكون بمعنى
غير ، تقول : رأيتُ سواك : أى غيرك . وحكى ذلك أبو عُبيد عن أبى
عبيدة . وقال الأعشى :

* وما قصدَتْ عن أهلها لسوائكا[٣] *

أى لغيرك ، وهى أيضاً غير ظرف ؛ وتقدير الخليل لها بالظرف فى
الاستثناء بمعنى مكان وبدل ، لايخرجها عن أن تكون بمعنى غير . وفيها
لغات : إذا فتِحتْ مُدَّت لاغير ، وإذا ضُمَّت قُصِرت لاغير ، وإذا كُسِرت
جاز المدّ والقصرُ أكثر . وما يحمل المتكلّم بالقول الهُراء إلاّ فشوُّ الجهل .
انتهى .

وقد حكىٰ ابنُ الأنبارىُّ (فى مسائل الخلاف) مذهبَ البصريِّين
والكوفيين مفصَّلا ، فلا بأس بإيراده مجمَلاً . قال : ذهب الكوفيُّون إلى أنّ

---

(١) ط : « عشر أوراق » صوابه فى سه والمرجعين السالفين .
(٢) ط : « لا يبيد » ، صوابه فى سه مع أثر تصحيح والمرجعين السابقين .
(٣) ط : «عن » ، صوابه من المراجع المتقدمة ، وبذلك صححت فى سه . وإنما تأتى
« عن » مع رواية « وما عدلت » .

٦٠

سواء تكون اسماً وتكون ظرفاً ، واحتجُّوا على أنّها تكون اسماً بمنزلة غير ولا تلزم الظرفيَّة ، أنَّهم يُدخلون عليها حرفَ الخفض ، قال المرَّار بن سلامة العِجْليّ :

ولا يَنطق الفحشاء مَن كان مِنهمُ إذا جلسوا مِنَّا ولا مِن سِوائنا

وقال الآخر :

وما قصَدت من أهلها لسوائكا

وقال أبو دُواد :

وكلُّ مَن ظنَّ أن الموتَ مُخطِئُه مجلَّل بسواءِ الحق مكذوبُ[(١)]

وقال الآخر[(٢)] :

أكرُّ على الكتيبة لا أُبالى أفيها كان حَتفى أمْ سواها

ورُوى عن بعض العرب أنّه قال : أتانى سواؤُك ؛ فرفع . وذهب البصريون إلى أنّها لا تكون إلاّ ظرفاً ، واحتجُّوا بأنها مااستعملت فى اختيار الكلام[(٣)] إلاّ ظرفاً ، قالوا : مررت بالذى سواك . فوقوعها صلة يدلُّ على ظرفيَّتها ، بخلاف غير . وقولِهم : مررت برجُل سواكَ ، أى برجلٍ مكانك ، أى يُغنى غَناءك ويسدّ مَسدَّك . والذى يدلُّ على تغايُر سوىً وغير ، أنّ سوى لاتضاف إلاّ إلى معرفة ، نحو مررت برجل سواكَ ، وسوى العاقل ؛ ولو قلتَ : سوى عاقل لم يجُزْ ، ولو قلتَ غيرِ عاقل ، جاز . ويدلُّ على ظرفيَّة سوى ، أنّ العامل يتعدّاها ، قال لَبيد :

وابذُلْ سَوامَ المـالِ إ نَّ سواءها دُهْماً وجُونا

---

(١) كذا فى ط . وفى سه : « محلل » ، والذى فى الإنصاف « معلل » .

(٢) هو العباس بن مرداس كما سبق فى الخزانة ١ : ص ١٠٢ وما بعدها

(٣) ط : « خيار الكلام » صوابه فى سه والإنصاف .

فنصَب سواءها على الظرف وذُهما بأنّ . . وأجابوا عن الأبيات بأنّه إنّما جاز ذلك لضرورة الشعر ، وعندنا يجوز خروجُها عن الظرفيّة فى ضرورة الشعر ، ولم يقع الخلافُ فى حال الضرورة ، وإنّما استعملوها بمنزلةِ غير فى الضرورة ، لأنّها فى معناها ؛ وليس شىء يُضطرّون إليه إلاّ ويحاولون له وجهاً . وأما رواية : أتانى سواؤك ، فروايةٌ تفرّد بها الفرّاء عن أبى ثَرْوان ؛ وهى رواية شاذّة غريبة ، فلا يكون فيها حُجّة . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد من قصيدة للأعشى مَيمون ، مدحَ بها هَوْذة[1] بن علىّ ابن ثمامة الحَنفى ، ومطلعها :

(أحيَّنْكَ تيَّا أم تُرِكْتَ بدائكا وكانتْ قَتولاً للرجال كذلكا[2]

وأقصرتَ عن ذِكرى البطالةِ والصِّبا وكان سفيهاً ضَلّةً من ضلالكا[3]

وما كان إلا الحَيْنَ يومَ لقيتَها وقَطعَ جديدٍ حبلُها مِن حبالكا

وقامتْ تُريني بعدَ ما نام صحبتى بياضَ ثَناياها وأسودَ حالكا)

٦١

ثم وصف الفقر والفاقة فى أبيات . . إلى أن قال :

(إلى هَوذَةَ الوهّابِ أهديتُ مِدْحتى أرجّى نَوالاً فاضلاً مِن عطائكا

تَجانَفُ عن جَوِّ اليمامة ناقتى وما عَمدَتْ من أهلها لسوائكا

ألمّتْ بأقوامٍ فعافتْ حِياضهم قَلوصى ، وكان الشربُ فيها بمائكا[4]

فلمّا أتتْ آطامَ جوٍّ وأهلَه أُنيخَتْ فألقتْ رحلَها بفِنائكا[5]

(١) وردت « هوذة » فى ط بالدال المهملة فى جميع مواضعها هنا ، وهو تصحيف ظاهر :

(٢) فى ديوانه ٦٤ : « أتشفيك تيا » :

(٣) فى الديوان : « وكان سفاها » :

(٤) فى الديوان : « الشرب منها » .

(٥) ط : «فألق» ، صوابه فى ش ، وفى الديوان ٦٦ : « وألقت » :

سمعتُ برَحْب الباع والجودِ والندى فألقيتُ دَلوى فاستقَتْ برِشائكا
وما ذاكَ إلاّ أن كفَّيكَ بالندى يَجُودانِ بالإعطاءِ قبلَ سُؤالكا
فتًي يحمل الأعباء، لو كان غيرُهُ من النَّاس، لم يَنْهضْ بها متماسِكا
وأنت الذى عوَّدْتنى أنْ تَريشَني وأنتَ الذى آوَيتَني فى ظلالكا
وإنّك فيما نابنى بىَ مُولَعٌ بخيرٍ وإنِّى مُولَعٌ بثنائكا
وجدتَ علَيًا بانيًا فورِثتَه وطَلْقًا وشيبانَ الجوادَ ومالِكا
ولم يَسْعَ فى العَلياء سَعيكَ ماجدٌ ولا ذو إنًا فى الحيِّ مثل إنائكا
وفى كلِّ عام أنت جاشِمُ رِحلةٍ تَشُدُّ لأقصاها عزيم عزائكا[1]
مورِّثةٍ مالاً وفى المجد رِفعة لما ضاعَ فيها مِن قُروءِ نسائكا)

قوله: أحيِّتْك، الهمزةُ للاستفهام، والتحيّة معروفة. وتَيَّا بفتح المثنّاة الفوقيّة وتشديد المثنّاة التحتيّة، الظاهرُ أنّه اسمُ محبوبته[2] وقد تغزّل بها فى أكثر قصائده، كقوله:

تذكرت تيَّا وأترابَها وقد أخْلَفَتْ بعضَ ميعادها

وقوله:

عَرفتَ اليومَ من تيَّا مُقاما بجوٍّ أو عرَفْتَ لها خِياما

وقيل: إنّها اسم اشارةٍ بمعنى هذه. وأراد بالأسود الحالكِ شعرَها.

وقوله: (تجَانَفُ عَنْ جوٍّ.. الخ) أصله تتجانف بتاءين من الجنف وهو الميل. و(جَوّ) بفتح الجيم وتشديد الواو: اسم اليمامة فى الجاهليّة، حتّي سمّاها الحميريُّ لمَّا قتل المرأةَ التى تُسمّى اليمامة باسمها، وقال الملك الحميرىّ:

(١) ط: «عرائكا» صوابه فى س والديوان
(٢) فى شرح ثعلب بالديوان ٦٤: «تيا بالفتح وتيا بالكسر: مثل تلك».

وقُلنا فسَمُّوها اليمامةَ باسمها وسِرنا وقلنا لا نريد إقامَهْ

وقال الأعشى في مدح الحنَقيّ أيضاً ، وهو صاحب اليمامة ، ويذمُّ الحارث ابن وَعلة :

وإنّ امرأً قد زرتُهُ بعد هذه بِجَوّ لَخيرٌ منكَ نَفْساً ووالدا

كذا في معجم ما استعجم للبكريّ . ورُوى (عن جلِّ اليمامة) وفي الروايتين حذف مضاف ، فالأوّل عن أهل جوِّ اليمامة ، والثاني عن جُلّ أهل اليمامة : أي مُعظَمَ أهلها . يعني : أنّه لم يقصِد سواه من أهل اليمامة . وضمير (أهلِها) لليمامة . وجَعل الميلَ عن غير هَوذة إلى هَوذة فِعلَ الناقة ، وإنّما هو فِعل صاحبِها . واللام في (لسوائكا) بمعنى إلى غيرك .

٦٢ قال صاحب التصحيف[1] : قال أبو عُبيد : لا يكون سواء وسوى اسماً ، هوَ صفة ، وقال في قوله :

وما قصدتْ من أهلها لسوائكا :

قال الزجاج : سواء زيد وعمرو في معنى ذوا سواء ، وسواء عنده مصدر ، وإنّما هو لمكان سوائكا . انتهى .

وقال ابن وَلّاد (في المقصور[2] والممدود) : سوى بمعنى غير مكسورُ الأوّل مقصور ، يكتب بالياء ، وقد يفتح أوّله فيمدّ ، ومعناه معنى المكسور قال الأعشى بفتح ومدّ :

* وما قصدت من أهلها لسَوائِكا *

وقوله : وجَدْتَ عَليّاً بانياً الخ ، عليّ أبوه ، وطَلْق وشيبانُ ومالكٌ

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢٩٨

(٢) المقصور والممدود ٥٤

أعمامُه . وقوله : لِمَا ضاعَ فيها مِن قُروء نسائكا ، يعنى الغزوة التى شغلته عن وطء نسائه فى الطُّهْر .

وهذه القصيدة تُشْبِه أشعارَ المحْدَثين والمولّدين فى الرقّة والانسجام ؛ ولهذا أوردنا أكثرها .

وترجمة الأعشىٰ تقدّمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد المائتين[2] :

٢٤٣ (خالَطَ مِنْ سَلْمَىٰ خَياشِيمَ وَفَا)

على أنّ أصله (وفَاها) فحذف المضاف إليه .

قال أبو علىّ (فى إيضاح الشعر) : اعلم أنّ أبا الحسن الأخفشَ قال فى قول الراجز :

خالط من سَلمىٰ خياشيمَ وفا :

إنّ التقدير : وفاها ، فحذف المضاف إليه . وكذلك قال فى قوله : ليسَ غَيْرَ : إنّ التقدير ليس غَيْرَهُ . وحكىٰ بعضُهم أنّ من الناس من قد لحّنه . والتلحين ليس بشىء ؛ لاحتماله ما قال أبو الحسن . وفيه قولٌ آخر : أنّه جاء على قول مَنْ لم يُبْدِل من التنوين الألف فى النصب ولكن جعل النصب فى عدم إبدال التنوينْ ألفاً كالجرّ والرفع ، كما جعلوا النصبَ فى نحو :

(١) الخزانة ١ : ص ١٧٥

(٢) ديوان العجّاج ٨٣ وابن يعيش ٦ : ٨٩ والعينى ١ : ١٥٢ والهمع ١ : ٤٠ ويس ١ : ١٢٥ والمخصص ١ : ١٣٦ — ١٣٨ / ١٤ : ٩٦ / ١٥ : ٧٨ :

كفىٰ بالنأى مِنْ أسماء كافٍ[(١)]

مثل الجرّ والرفع . وكذلك جُعِل النصب مِثْلهما فى نحو قوله :

وآخذ من كل حيٍ عُصَمْ[(٢)]

أى عُصَماً . وهذه اللغة ، وإن لم يحكها سيبويه ، فقد حكاها أبو الحسن وغيره . ووجْهُها من القياس ما أعلمتُك . فإذا جاز أن يُقدَّر على هذه اللغة قدَّرناه عليها ، وكانت الألف فى الكلمة ، التى هى بدلٌ من عين الفعل ؛ وجاز ذلك لأنّه ليس يبقى الاسم المتمكّن على حرف . ألا ترىٰ أنّ الألف منقلبةٌ عن العين ، فصار فى ذلك كالأسماء التى لما أُمِنَ إلحاقُ التنوين بها جاز أن تبقىٰ على حرفين أحدُهما حرفُ لِين : كقوله : ذو — التى فى معنى الذى — وذا ، وتا ، ونحو ذلك ممّا جاء على حرفين أحدُهما حرفُ لين ، لمّا لم يكن ممّا يلحقه التنوين . فكذلك « خياشيم وفا » لا يمتنع أن يكون على حرفين أحدُهما حرفُ لِين ، على الوجه الذى ذكرنا . انتهى

وبسط هذا الكلامَ فى التذْكِرة القصْرية ، وأطال وأطابَ فى المسائل العسكرية .

وهذا البيت من أُرجوزةٍ للعجّاج ، مطلعها :

(ياصاحِ ، ما هاجَ العُيونَ الذُّرَّفا مِنْ طَلَلٍ أمسىٰ يحاكى المصْحَفا

رُسومُهُ والمذهَبَ المزخْرَفا جرَتْ عليه الريحُ حتّى قد عفَا)

والبيت الأوّل من شواهد شروح الألفية فى التنوين ، إلى أن قال :

(١) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ١٤٢ وعجزه :

« وليس لحبها إذ طال شاف »

(٢) للأعشى فى ديوانه ٢٩ . وصدره :

« إلى المرء قيس أطيل السرى »

(خالَطَ مِنْ سَلْمَى خَيَاشِيمَ وفا صَهْباء خُرْطُوماً عُقاراً قَرْقَفا)

٦٣ والخياشيم : جمع خَيشومٍ ، وهو أقصى الأنف . والصَّهباء : فاعل خالَط ، وهى الخمر ، سمِّيت به للونها وهو الصُّهْبة وهى الشُّقرة . والخُرطوم : السُّلافة ؛ فى الأساس : وشَرِب الخرطومَ : أى السُّلافة لأنَّها أوّل ما ينعصر . والعُقار ، بالضمّ : الخمْر ، سمِّيت بذلك لأنَّها عاقرت العقلَ على قَول . يَصِفُ طِيبَ نكهتها كأنّ فيها خمراً . وإنّما جمع الخياشيمَ باعتبار أجزائه وأطرافِه . وحيثُ كان الأصل فاها ، فحذف المضاف إليه ، ينبغى أن يكون خَياشيم كذلك أيضاً ، أى خياشيمها وفاها .

وترجمة العجّاج تقدَّمت فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب[(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد المائتين[(٢)] :

٢٤٤ (وَلا سيَّما يوماً بِدارةِ جُلْجُلِ)

على أنّه رُوى بنصب (يوم) بعد (لا سيما) .

وقد ذكر الشارح المحقِّق ما قيل فى توجيهه . وهذا عجزٌ ، وصدرُه :

ألا رُبَّ يومٍ صالحٍ لك منهما

---

(١) الخزانة ١ : ص ١٧٠

(٢) من معلقة امرئ القيس : وانظر ابن يعيش ٢ : ٨٦ والهمع ١ : ٢٣٤ وشرح شواهد المغنى ١٤١ ، ٢٤٧ والأشمونى ٢ : ١٦٧ والتصريح ١ : ١٤٤

وسيّ بمعنى مِثْل ، وأصله سِيْوٌ[١] وقال ابن جني : سِوْىٌ مِن سويته فتسوّى ؛ فلما اجتمع حرفا العلّة وسَبق أحدُهما بالسكون ، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء .

ويجوز في الاسم الذي بعدها الجرُّ والرفعُ مطلقاً ، والنصب أيضاً إذا كان نكرة ؛ وقد روى بهنّ في قوله : ولا سيما يوم . والجرُّ أرجَحُهَا[٢] وهو على الإضافة ؛ و (ما) إمّا زائدة ، وإمّا نكرة غير موصوفة ويومٍ بدلٌ منها . والرفعُ على أنّه خبر لمبتدإ محذوف والجملة صلةُ ما إن كانت موصولة ، أو صفتها إن كانت نكرةً موصوفة ، تقديره : لا مثْلَ الذي هو يومٌ ، أو لا مثلَ شيءٍ هو يوم . وسِيّ في الوجهين نكرة ، لأنه بمعنى مِثْل فلا يتعرَّف في الإضافة ، لتوغُّله في الإبهام ؛ ولهذا جاز دخول لا التي لنفي الجنس . وضعُفَ الرفعُ بحذف العائد المرفوع مع عدم الطُول في نحو لا سيما زيدٌ — وأما في البيت فقد طالت الصلةُ أو الصفة بالجارّ والمجرور بعد يوم فإنّه صفته — وبإطلاقِ ما على مَنْ يعقِل . كذا قال ابنُ هشامٍ (في المغْني) وفيه : أنّه لا مانع من الإطلاق ، قال تعالى : (والسَّماءِ وما بنَاها . والأرضِ وما طَحَاها . ونَفْسٍ وما سوَّاها[٣]) ولهذا لم يتعرَّض له الشارح المحقِّق .

وعلى الجرّ والرفع ففتحةُ سِيّ إعرابٌ لأنّه مضاف ، فيكون اسمَ لا والخبرُ محذوفٌ أى لنا . قال ابن هشام[٤] : « وعند الأخفش ما خبرُ لِلا . ويلزمه قطعُ سيّ عن الإضافة من غير عوض . قيل : وكون خبر لا معرفةً . وجوابه

(١) ط : « سو » ، وصوابه في ش .
(٢) في النسختين : « أرجحهما » ، والصواب من المغنى ١ : ١٢٣
(٣) الآيات ٥ — ٧ من سورة الشمس
(٤) في المغنى ٢ : ١١ عند الكلام على (ما)

أنه يقدّر ما نكرةً موصوفة ، أو يكون قد رجع إلى قول سيبويه فى لا رجلَ قائم : إنّ ارتفاع الخبر بما كان مرتفعاً به ، لا بلا النافية . وفى الهيتيّات[1] للفارسىّ : إذا قيل : قاموا لا سيّما زيد ، فلا مهملة وسىّ حال ، أى قاموا غيرَ مماثلين لزيدٍ فى القيام . ويردّه صحّةُ دخول الواو ، وهى لا تدخل على الحال المفردة ، وعدمُ تكرار لا ، وذلك واجبٌ مع الحال المفْردة » انتهى .

وأما من نصَب فقد تكلفوا لتوجيهه : فقيل : إنّه تمييز ثم قيل : ما نكرة تامّة مخفوضة بالاضافة وكأنّه قيل : ولا مثل شىء ؛ ثم جىء بالتمييز . ففتحة سىّ إعرابُ أيضاً . وقال الفارسىّ : ما حرفُ كافٌ لسىّ عن الإضافة ، فأشبهت الإضافةَ فى : على التّمرة مثلها زُبْداً . ففتْحتُها على هذا بناء . وقيل : منصوبٌ بإضمار فعلٍ ، أى أعنى يوماً . وقد بيّنه الشارح المحقّق . وقيل : على الاستثناء . وقيل منصوبٌ على الظرف ويكون صلةً لما . كذا فى شرح اللبّ .

٦٤

وأما انتصابُ المعرفة نحو : ولا سيما زيداً ، فقد منعه الجمهور ، وقال ابن الدهّان : لا أعرف له وجهاً . وقد وجّهه الشارح المحقّق بأنه تمييز . وقال ابن هشام : « ووجّهه بعضُهم بأنّ ما كافة ، وأنّ لا تنزّلت منزلة إلاّ فى الاستثناء ورُدّ بأن المستثنى مُخرَجٌ ، وما بعدها داخلٌ من باب الأَوْلى . وأجيب بأنّه مخرَجٌ ممّا أفهمه الكلامُ السابقُ من مساواته لما قبلها . وعلى هذا فيكون استثناء منقطعا » انتهى .

وأُوردَ أيضاً على جعْلها للاستثناء ، بأنّها لو كانت بمعنى إلاّ لما جاز دخولُ الواو العاطفة عليه ، كما لا يجوز دخولها على إلاّ . وأجيب بأنّ معنى لا سيّما ،

(١) مسائل لأبى على الفارسى أملاها فى « هِيت » بالكسر ، وهى بلدة على الفرات .

خُصوصاً ، فكأنّه قال : وخصوصاً هذا اليومَ ، أى فأخصُّ هذا اليومَ من سائر الأيام خصوصاً ، لكونه أبلغَ فى الحظوة منها ؛ فهو فى المعنى مقدَّر بفعل ينصبه . وإنّما أُطلق عليه أنّه بمنزلة إلاّ نظراً إلى المعنى ، لأنّ الاستثناء أيضاً تخصيص . وإنّما أُدخل الواو نظراً إلى المعنى أنّه مقدَّرٌ بجملة ، أى وأخصُّ هذا اليومَ لأنّه ليس مثلَ الأيام الصالحة بل هو أفضل . كذا فى شرح اللباب .
وقد جعلها الشارح واو الاعتراض ، وبيَّن المعنى ، ثم ذكر أنّ قولهم : ولا سيما ، قد تُحذف واوُها وقد تُخفف ياؤها ، كقوله .

فِهِ بالعُقود وبالأَيمانِ لا سِيَما عَقْدٌ وَفاء مِنْ أعظَمِ القُرَبِ

لكن قال ثعلب : مَن استعمله على خلافِ ما جاء فى قوله : ولا سيّما يوم بدارة جُلجل ، فهو مخطئٌ .

(تتمة)

فى شرح التسهيل : قد يقع بعد ما ظرفٌ نحو : يُعجبنى الاعتكافُ لا سيّما عند الكعبة ، قال :

يَسُرُّ الكريمَ الحمدُ لا سِيّما لدىٰ شهادةِ مَنْ فى خيره يتقلَّب

وقد تقع جملة فعليّة كقوله :

فُقِ الناسِ فى الخير لا سيّما يُنيلك من ذى الجلال الرِضا[1]

والغالب وصلها بالاسميَّة . وقال المرادىّ : إنّه وقع بعدها الجملة الشرطية ؛ فما كافّة بناء على أنّ الشرطيّة لا تكون صلةً للموصول . وفيه كلامٌ فى شروح الكشاف . وهذا كما حكىٰ الجوهرىُّ : فلان يكرمُني لا سيّما إنْ زُرته .

---

(١) ش : « ينيلك » . والصواب أن تكون فعلاً كما فى ط . وانظر الهمع ١ : ٢٣٥

ولا يصحُّ جعلُ ما زائدة ، لأنّه يلزم إضافة سيّ إلى الجملة الشرطية ، ولا يضاف إلى الجمل إلاّ أسماء الزمان .

وقد يقع بعدها جملةٌ مقترنة بالواو فعليّة كما وقع فى عبارة الكشاف : لا سيّما وقد كان كذا ، واسميّة كما فى قول صاحب المواقف : « لا سيّما والهِمَمُ قاصرة » .

وفى شرح التسهيل : انّه تركيبٌ غيرُ عربيّ ، وكلام الشارح يخالفه . وفى شرح المواقف أنّ قوله : والهمم قاصرة ، مؤوّل بالظرف نظراً إلى قرب الحالِ من ظرف الزمان ، فصحَّ وقوعُها صلة لِماَ . وهذا من قبيل الميل إلى المعنى والإعراضِ عن ظاهر اللفظ ، أى لا مِثلَ انتفائه فى زمان قُصور الهمم . وهذا لا يرضاه نحويٌّ ؛ كيف والجملة الحاليّة فى محل النصب ، والصلة لا محل لها ؟!

أبيات الشاهد

وهذا البيت من معلّقة امرئ القيس المشهورة . وهذه أبياتٌ منها :

٦٥

(وإنَّ شِفائى عَبْرةٌ لو سَفحتُها ... فهل عندَ رسمٍ دارسٍ مَن معوَّلِ
كدأبكَ مِن أمِّ الحُويرث قبلها ... وجارتِها أمِّ الرَّبابِ بمأسَلِ
إذا قامتا تضوَّعَ المسكُ منهما ... نَسيمَ الصَّبا جاءتْ بريَّا القرَنفُلِ
ففاضتْ دموعُ العينِ منّي، صَبابة ، ... على النَّحرِ حتّي بلَّ دَمعى مِحْمَلى[1]
ألاَ رُبَّ يومٍ صالحٍ لك مِنهُما ... ولا سيَّما يوماً بدارةِ جُلجُلِ[2]
ويومَ عقرتُ للعذارىٰ مَطِيَّتى ... فياعجبًا لرحِلها المتحمَّلِ
فظلَّ العَذارىٰ يرتَمِين بلَحمها ... وشحمٍ كهُدَّاب الدِّمَقْس المفتَّلِ

(١) ط : « محمل » صوابه فى س

(٢) س : « يوم »

ويومَ دخلتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنيزةٍ فقالت : لك الويلات ! إنك مُرجلى

تقولُ ، وقد مالَ الغبيطُ بنا معاً : عَقرتَ بَعيرى يا امرأ القيسِ فانزلِ

فقلتُ لها : سِيرى وأرخى زِمامَه ولا تُبعِدِينى مِن جَنَاك المعلَّلِ)

البيتان الأوّلان قد تقدّم شرحُهما فى باب الحال فى الشاهد التاسع والتسمين بعد المائة (١) .

وقوله : إذا قامتا الخ ، ضمير المثنّى لأمِّ الحويرث وأمِّ الرَّباب . وتضوع : فاحَ متفرِّقا . والمِسك يذكَّر ويؤنّث ، وكذلك العنبر ، ومَن أنَّثه ذهب به إلى معنى الريح ، ورواه (تَضَوَّعُ المِسكُ) على أنّه فعل مضارع أصله تَتضوع بتاءين . ونصب نسيمَ الصَّبا لأنّه قام مقام نعتٍ لمصدرٍ محذوف ؛ قال ابن هشام فى المغني ، فى بيان كيفية التقدير : إنّه إذا استدعى الكلامُ تقديرَ موصوف وصفةٍ مضافة ، مثلاً ، فلا يقدّر أنّ ذلك حُذف دَفعةً واحدة ، بل على التدريج ، نحو : تضوَّع المسكُ منهما نسيمَ الصبا ، أى تضوُّعاً مثلَ تضوُّعِ نسيمِ الصبا . انتهى .

وأورد صاحبُ تحرير التحبير هذا البيتَ فى باب الاتساع (٢) ، وهو أن يأتى الشاعرُ ببيتٍ يتّسع فيه التأويلُ على قدْر قُوى الناظر فيه ، وبحسَب ما تحتمله ألفاظه : فإنَّ هذا البيت اتّسعَ النقادُ فى تأويله : فمِن قائلٍ (٣) : تضوَّع المسكُ منهما تضوُّعَ نسيمِ الصبا — وهذا هو الوجهُ عندى — ومن قائلٍ : تضوع المَسك منهما ، بفتح الميم يعنى الجلد ، بنَسيم الصَّبا . انتهى .

(١) فى هذا الجزء ص ٢٢٣ وما بعدها

(٢) تحرير التحبير ٤٥٤ وقد تصرف البغدادى فى نقله

(٣) فى تحرير التحبير : « فمن قائل تضوع مثل المسك منهما نسيم الصبا ، ومن قائل تضوع نسيم الصبا منهما ، ومن قائل تضوع المسك منهما ... الخ » .

والريّا : الرائحة الطيِّبة لا غير . وجملة جاءت الخ ، بتقدير قد ، حالٌ من الصَّبا . و نسيم الصَّبا هُبوبها بضَعف . قال الدِينَوَرِيُّ (فى كتاب النبات) : القَرنفُل أجودُ ما يُؤتى به من بلاد الصين ، وقد كثر مجيء الشعرِ بوصف طِيبه . . وأنشد هذا البيت ، ثم قال : وقالوا : قد أخطأ امرؤُ القيس ، فإنه لا يقال تضوَّع المسكُ حتّى كأنّه ريّا القَرنفُل ، إنّما كان ينبغى أن يقول : تضوَّعَ القَرنفل حتّي كأنّه ريا المسك . انتهى .

وقد تبعه الإمامُ الباقِلاّنى (فى كتاب إعجاز القرآن[1]) قال : وفيه خَلَل[2] ، لأنّه بعد أن شبّه عَرْفَها بالمسكِ شبّهُ ذلك بنسيم القَرنفُل . وذِكرُ ذلك بعدَ المِسك نقصٌ . وكذلك قوله : إذا قامتا تضوَّع المسكُ منهما . ولو أرادَ أن يجوِّد أفاد أنّ بهما طِيباً على كلّ حال . فأما فى حال القيامِ فقط ، فذلك تقصير . وقوله : نسيم الصبا ، فى تقدير المنقطع عن المصراع الأوّل[3] . انتهى .

والعَيبان الأخيران ليسا كما زعمه ، فتأمّل .

٦٦ وقوله : ففاضتْ دموعُ العَين الخ ، فاضت : سالَت . والصَّبابة : رِقة الشّوق ، ونصبُها على أنّها مفعولٌ له . والمِحمَل ، بكسر الأوّل : السير الذى يُحمَل به السَّيف ، قال شُرّاح المعلّقة : وممّا يُسأل عنه هنا أن يقال : كيف يُبلُّ الدمعُ مِحمَلَه وإنّما المِحمَل على عاتقه ؟ فيقال : قد يكون منه على صدره فإذا بكى وجرى عليه الدمعُ ابتلّ — وقال الإمام الباقِلاّنىّ[4] : « قوله :

---

(١) إعجاز القرآن ٢٤٨ — ٢٤٩
(٢) إعجاز القرآن : « ثم فيه خلل آخر »
(٣) بعده فى الإعجاز : « لم يصله به وصل مثله »
(٤) إعجاز القرآن ٢٤٩

منّي ، استعانه ضعيفة ، عند المتأخّرين ، فى الصنعة [١] ؛ وهو حشوٌ غير مليح ولا بديع . وقوله : على النحر ، حشوٌ آخر لأنّ قوله : بلّ دمعى مِحْمَلى ، يغنى عنه . ثمّ قوله : حتّى بلّ دَمعى الخ ، إعادةُ ذكر الدّمْع حشوٌ آخر ، وكان يكفيه أن يقول : حتّى بلّت محملى . فاحتاج لإقامة الوزن إلى هذا كلّه . ثمّ تقديره أنّه قد أفرط فى إفاضة الدمع حتّى بلّ محمله تفريطٌ منه وتقصير ، ولو كان أبدعَ لـكان يقول : حتّى بلّ دمعى مغَانيَهم وعِراصَهم . ويشبه أن يكون غرضُه إقامةَ الوزن والقافية ، لأنّ الدمعَ يَبعُد أن يبلّ المِحمَل ، وإنّما يقطُر من الواقف والقاعدِ ، على الأرض . أو على الذيل . وإنْ بلّه فلقلّته وأنّه لا يقطُر . وأنت تجد فى شعر المتأخّرين ما هو أحْسَنُ [٢] من هذا البيت » انتهى .

وقوله : (ألا رُبّ يومٍ صالح . . الخ) رُبّ هنا للتكثير ؛ ومنهما أى من أمّ الحويرث وأمّ الرَباب . ورُوى :

* ألا ربّ يومٍ لك منهنّ صالحٍ *

أى من النساء وفيه الـكفُّ وهو حذف النون من مفاعيلن . والمعنى : ألا ربّ يوم لك منهن سرورٌ وغبطة بوصال النساءِ وعيشٍ ناعم معهنّ . وقوله : ولا سيّما الخ ، أى وليس يومٌ من تلك الأيّام مثلَ يوم دارة جُلجُل ، فإنّ هذا اليوم كان أحسنَ الأيّام وأفضلَها . يريد التعجُّبَ من فضل هذا اليوم . ودارة جُلجُل ، بضم الجيمـين : اسم غَدير ؛ قال البـكرىّ (فى معجم

---

(١) ط : « فى الصفة » صوابه فى سـ والإعجاز .

(٢) فى النسختين : « أحد » صوابه من الإعجاز ، ونصه : « وأنت تجد فى شعر الخبزرزى ما هو أحسن من هذا البيت وأمتن وأعجب »

ما استعجم) : قال أبو عُبيدة : دارة جُلجلٍ موضعٌ بديار كِندة . وقال أبو الفرج : قال الكلبيّ : هو عند عين كندة . انتهى .

قال الإمام الباقِلاّنيّ (١) : وهذا البيت خالٍ من المحاسن والبديع ، خاوٍ من المعنى ؛ وليس له لفظٌ يروق ، ولا معنيً يرُوع ؛ من طباع السُّوقة ؛ فلا يرعك تهويله باسم موضعٍ غريب .

وقوله : ويومَ عقَرتُ الخ ، يومَ معطوف على يوم فى قوله : ولا سيّما يوم ، لكنّه بُني على الفتحة لإضافته إلى مبنيّ ؛ أو هو منصوبٌ بتقدير : اذكرْ . والعقْر : الضرب بالسيف على قوائم البعير ؛ وربّما قيل عقَره : إذا نحَره . والعَذَارىٰ : البنات الأبكار . والرَّحْل : كلُّ شيء يُعَدُّ للرحيل : من وعاءٍ للمتاع ، ومَركَب للبعير ، وحِلْس ورَسَن . والمتحمّل : اسم مفعول ، أى المحمول . وأورد ابن هشامٍ هذا البيت (فى المغْني) على أنّ لامَ للعذارى للتعليل . وقوله : فيا عجبًا ، الألِف بدل من الياء فإنّها تبدل فى النداء إليها جوازاً . ويقال : كيف يجوز أن يُنادىٰ العجبُ وهو ممّا لا يجيب ولا يفهم ؟ فالجواب : أنّ العرب إذا أرادت أن تُعظِم أمرَ الخبر جعلته نداء ؛ قال سيبوَيه : إذا قلت يا عجباً كأنّك قلت : تعالَ يا عجبُ فإنّ هذا من إبّانك . فهذا أبلغ من قولك تعجّبت . والمعنى : انتبهوا للعجب كذا فى شروح المعلّقة .

وقال الإمامُ الباقِلاّنيّ (٢) : قال بعض الأدباء : قوله يا عجبا ، يعجّبهم من سَفَهِه فى شَبَابه من نحره ناقتَه لهنّ (٣) . وإنّما أراد ألاّ يكون الكلامُ من هذا المصراع منقطعاً عن الأوّل ، وأراد أن يكون الكلامُ ملائماً له . وهذا

(١) إعجاز القرآن ٢٥٠

(٢) إعجاز القرآن ٢٥١

(٣) فى النسختين : « ناقته أى » صوابه فى إعجاز القرآن

الذى ذكره بعيد ، وهو منقطع عن الأول ؛ وظاهر أنه يتعجب من تحمل العذارى رحلَه . وليس فى هذا تعجب كبير ، ولا فى نحر الناقة لهن تعجب . وإن كان يعنى به أنهن حملن رحلَه ، وأن بعضهن حملته ، فعبَّر عن نفسه برحله ؛ فهذا قليلاً[1] يشبه أن يكون عجباً . لكن الكلام لا يدل عليه . ولو سلم البيتُ من العيب لم يكن فيه شىء غريب ، ولا معنى بديع ، أكثرُ من سَفاهته[2] ، مع قلّة معناه وتقارُب أمره ؛ ومشاكلتِهِ طبعَ المتأخرين . ومن أول القصيدة[3] لم يمرّ له بيتٌ رائع ، وكلامٌ رائق .

وقوله : فظل العذارى الخ ، يرتمين : يناول بعضُهنَّ بعضا . والهُدَّاب ، بالضمّ والتشديد ، هو الهُدْب وهو طرف الثوب الذى لم يتمَّ نسجُه . والدِّمَقْس : الحرير الأبيض ويقال له القزّ[4] . قال الإمام الباقِلّانىّ : هذا البيت يعدُّونه حسناً ، ويعدُّون التشبيهَ مَليحاً واقعاً . وفيه شىء : وذلك أنه عرَّف اللحمَ ونكَّر الشحم ، فلا يعلم أنه وصف شحمها ، وذكر تشبيهَ أحدِهما بشىء واقع ، وعجزَ عن تشبيه القسمة الأولى فمرّتْ مُرْسَلة ؛ وهذا نقصٌ [فى الصنْعة[5]] وعجز عن إعطاء الكلام حقّه . وفيه شىء آخر من جهة المعنى : وهو أنه وصف طعامَه لضيوفه بالجوْدة ، وهذا قد يعاب ، وقد يقال : إنّ العربَ تفتخر بذلك ولا تَراه عيباً ، وإنما الفُرْسُ هم الذين يرَوْن هذا عيباً شنيعاً . وأما تشبيه الشَّحْم بالدِّمَقْس فشىء يقع للعامّة ويجرى على ألسنتهم ،

---

(١) ط : « قليل » ، وكان فى ش الف فى نهاية الكلمة فمحيت ، والوجه ما أثبت من أصل ش ومن إعجاز القرآن .

(٢) فى النسختين : « سلامته » ، وهو عكس المراد ، صوابه فى إعجاز القرآن

(٣) فى الإعجاز : « وإلى هذا الموضع »

(٤) ش : « ويقال هو القز »

(٥) التكملة من إعجاز القرآن

فليس بشيء قد سُبِقَ إليه . وإنّما زادَ[(١)] المقتّل للقافية ، وهذا مفيد . ومع ذلك فلست أعلَم العامّة تذكر هذه الزيادة . وفيه شيء آخر : وهو أنّ تبجّحه بما أطعم الأحبابَ مذمومٌ ، وإنْ سُوِّغ التبجّح بما أُطعِمَ الأضيافُ ؛ إلا أنْ يُورد الكلام مُورَدَ المُجون ، على طرائق أبي نواس [في[(٢)]] المزاح والمداعبَة .

وقوله : ويومَ دخلتُ الخ ، هو معطوفٌ على يوم عقرت . والخِدْر ، بالكسر : الهَودج هُنا . وخدر عنيزة بدلٌ منه . وعُنيزة بالتصغير : لقبُ ابنة عمّه فاطمة . وفيه ردٌّ على من زعم أنّه لم يُسمَع تلقيبُ الإناث . وأنشد ابن هشامٍ هذا البيت (في بحث النون ، من المغْني) على أن التنوين اللاحقَ لعُنيزة تنوينُ الضرورة ، وهو التنوين اللاحق لما لا ينصرف . وقوله : مُرْجلي : اسمُ فاعل من أرجلته إذا صيَّرته راجلاً ، ورَجل الرجلُ يرْجَلُ ، من باب علم : إذا صار راجلاً . وقوله : لكَ الويلاتُ ، فيه قولان : أحدهما : أن يكون دعاء منها عليه إذ كانت تخاف أن يَعقِر بعيرَها . والثاني : أن يكون دعاء منها له على الحقيقة ، كما تقول العرب للرجل إذا رمى فأجاد : قاتله الله ما أرماه ! وحقيقةُ مثلِ هذا أنه يَجرىَ مجرى المدح والثناء . وقال الإمام الباقِلاّنيّ : دخلتُ الخدر خدر عنيزة ، ذكرَه تكريراً[(٣)] لإقامة الوزن ، لا فائدةَ فيه [غيره[(٤)]] ، ولا مَلاحةَ ولا رونق . وقوله : فقالت لك الخ ، الكلام مؤنّثٌ من كلام النساء ، نقله من[(٥)] جهته إلى شعره ؛ وليس فيه غير هذا . انتهى .

(١) في النسختين : « أراد » صوابه من الإعجاز
(٢) التكلة من الإعجاز
(٣) في النسختين : « ذكر تكريره » صوابه في الإعجاز ٢٥٣
(٤) التكلة من إعجاز القرآن
(٥) في النسختين : « من » ، وأثبت ما في الإعجاز

وطَعنُهُ الأول ليس بصحيح ، لأنّه من باب الإبهام والتفسير ، وهو عندهم من محاسن الكلام .

وقوله : تقول وقد مالَ الخ ، الغَبيط ، بفتح المعجمة : الهودج بعينه ، وقيل قَتَبُ الهَودَج ، وقيل مَرْكَبٌ من مَرا كب النساء . وعقَرتَ هنا بمعنى جَرحتَ ظهره — قال الإمام الباقِلاّنيّ : كرّر قولَه سابقاً بقوله : تقول وقد مال الخ ، ولا فائدةَ فيه غير تقدير الوزن ، وإلاّ فحكاية قولها الأوّلِ كافٍ . وهو فى النظم قبيح ، لأنه ذكر مرّة « فقالت » ومرة « تقول » ، فى معنًى واحدٍ وفصْل خفيف . وفى المصراع الثانى أيضاً تأنيثٌ من كلامهنّ . انتهى .

طعنُهُ الأوّل غيرُ واردٍ ، لأنّه من باب الإطناب ، بسَطَه ثانياً للتلذُّذ والإيضاح . وقوله ثانياً تقولُ ، غيرُ مَعيبٍ ، لأنّه من حكاية الحالِ الماضية وقد عُدَّ حَسَنا .

٦٨

ثم قال الباقِلاّنيّ : وذكر أبو عبيدة أنه قال : عقرت بعيرى ولم يقل ناقتى ، لأنّهم يحملون النِّساء على ذكور الإبل لأنّها أقوىٰ . وفيه نظر ، لأنّ الأظهر أنّ البعير اسمٌ للذكر والأنثىٰ . واحتاج إلى ذكر البعير لإقامة الوزن[١] .

وقوله : فقلتُ لها سِيرى الخ ، جناها : ما اجتنيٰ منها من القُبَل . والمعلَّل : المُلْهى الذى يعلله ويتشفَّى به . ورُوى بفتح اللام ، أى الذى عُلِّل بالطِيب أى طُيِّب مَرّةً بعد مرّة ، من العَلَل بفتحتين وهو الشرب الثانى . ومعنى البيت : أنّه تهاونَ بأمر الجمل فى حاجته ، فأمرَها أن تُخلِّىَ زِمامَه ولا تُبالىَ بما أصابه . قال الباقِلاّنيّ : هذا البيت قريب النسْج ، ليس له معنًى بديع ولا لفظ شريف ، كأنّه من عبارات المنحطِّين فى الصنعة .

(١) إلى هنا نهاية النقل عن الإعجاز ٢٠٤

والمراد باليوم فى هذه المواضع مطلقُ الوقت والزمان ، وإلاّ فجميع هذه الأمور قد صَدَرت فى يوم واحد ، كما يُعرف من خبر (يومِ دارة جُلجُل) وقد رواه ابن الأنبارىّ فى شرح المعلّقة قال : كان من حديثه على ما حدَّث ابن رَأْلان[1] عن أبى شَفْقَل[2] ، راوية أبى فِرَاس همّام بن غالب الفرزدق أنّه قال : لم أرَ أَرْوىٰ من الفرزدقِ لأخبار امرئ القيس وأشعاره ! وخرجنا يوماً إلى المِرْبد بعَقِب طَشٍّ قد وَقَع[3] ، واتّصل به خبرُ نسوةٍ أشرافٍ قد خَرَجن إلى مُتنَزَّهٍ لهنّ ؛ فقال : سِرْ بنا ؛ حتى قَرُب من مُجتَمَعِهنّ ؛ فخلّفنى وصار إليهنّ ؛ فلمّا رأينه قلن : قد علمْنا أنّا لن نفوتك . فلم يزل يومَه الأطولَ يحدّثهنّ ويفاكِهُهنّ ويُنْشِدُهنّ إلى أنْ ولّى النهار ؛ ثم انصرف إلىّ فقال : سِرْ بنا . فلم أرَ يوماً قطُّ أشبهَ بيوم دارة جُلجُلٍ مِنْ يومنا هذا ! ثم أنشأ يحدِّث حديثَ يومِ دارة جلجل : فقال : حدَّثنى الثقةُ أنّ حىَّ امرئ القيس تحمَّلوا — وهو يومئذ شابٌّ حديثُ السنِّ ، يهوىٰ ابنةَ عمٍّ له ، يقال لها : فاطمة ، ويكنى عنها بعُنيزة — وتخلّف النساء وفيهنّ فاطمة ، وارتحل امرؤ القيس لا يرى[4] الحىُّ مَسيرَه ، إلى أن نأىٰ عن الحىّ فأخفىٰ شخصَه بقرب غديرٍ يُعرف بدارة جُلجل ، وقال لمن كان معه : سيمرُّ النساء بالغَدير ، فلا بدَّ أن يتبرَّدن فيه . وأمعنَ الحىُّ فى المسير وارتحل النساء بعدهم ، فمررن على الغدير ، ولا يدرين أنّ وراءهن أَحداً ، فنزلنَ وعند الغَدير شجرة ،

(١) فى النسختين : « ابن والان » صوابه من شرح القصائد السبع ١٣ ، واسمه عبد الله .

(٢) ط : « سقنقل » ـ : « شفقل » صوابهما ما أثبت ، انظر القاموس ولسان العرب والأغانى ١٩ : ٩ ، ٣٦ . وهذا الرجل وسابقه يرويان عن الفرزدق ، ليس غيرهما كما فى الأغانى .

(٣) الطش والطشيش : مطر ضعيف فوق الرذاذ

(٤) فى النسختين : « ليرى » ، وهو عكس المعنى

فأنخْنَ إبلَهُنَّ إلى تلك الشجرة ، ونزَعْن ثيابَهنَّ فدخَلْن الغَـدير ؛ وجاء امرؤ القيس فأخذ ثيابهنَّ وقال : لا تأخذ امرأةٌ منكنَّ ثيابَها حتّى تخرج كما هى ! فناشدْنَه اللهَ وطلبنَ إليه ، حتّي طال يومُهنَّ وخَشِين أن يفوتَهنَّ المنزل ، فجعَلن يَخْرُجْنَ واحدةً واحدة ، حتّي بلغ إلى فاطمة فرآها واستمْتَع بالنظر إليها ؛ ثم قلن له : قد أتعبتَنا فاجلِسْ ! فجلس يُنشدهن ويحدِّثهن ويَشربُ من شرابٍ مَعَه ؛ فقالت إحداهن : أطعِمْنا لحماً . فقام إلى مطيّته فنحَرها وأطعمهنَّ من لحمها ، وشرب حتّي انتشىٰ . . حتّي إذا أرادوا الرواح قالت امرأةٌ منهنَّ : أتدعْنَ امرأَ القيس يَهلِك ! فقالت فاطمة : فَكِّكن رَحْله واحملنَه معَكنَّ وأنا أحمله معي فى هودجي ؛ ففعلن ، فجعل يُميل رأسَه إليها فيقبِّلها — وجعَل هَوْدجُها يميل بها وهى تنادى به وتقول : قد عقرتَ بعيرى فانزل ! — حتّي إذا بلغ قريباً من الحىِّ كَمَن فى غَمْض من الأرض . وسار النساء حتّي لحقن برحالهنَّ . انتهى .

٦٩

وروىٰ ابنُ عبدِ ربِّه (فى العِقْد الفَريد[١]) نحواً من هذا ، مع بعض مخالفة . ونصُّه : قال الفرزدق : أصابنا بالبصرة ليلاً مطرٌ جوْد ، فلمّا أصبحتُ ركِبت بغلتى وسرت إلى المرْبَد ، فإذا أنا بآثارِ دوابّ ، فاتّبعت الأثر حتّي انتهيتُ إلى بغال عليها رِحالٌ موقوفةٍ على غدير ، فأسرعت إلى الغدير فإذا فيه نسوةٌ مُستنقِعات فى الماء ؛ فقلت : لم أرَ كاليوم أشبهَ بيومِ دارةِ جُلجُل ؛ وانصرفت مستحيياً ، فنادينَني : يا صاحب البغلةِ ، ارجِعْ نسألْك عن شيء . فرجَعت إليهنَّ فقعدن فى الماء إلى حلوقهنَّ ثم قلن : باللهِ لمّا أخبرتَنا ما كان من حديث دارة جلجل ! قلت : حدَّثني جدِّى — وأنا يومئذ

---

(١) العقد ٦ : ٢٩٥

غلامٌ حافظ — أنّ امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عمّه فاطمة ـ ويقال لها عُنيزة ـ وأنه طلبها زماناً فلم يَصِلْ إليها ، حتّى كان يومُ الغدير وهو يومُ دارة جلجل : وذلك أنّ الحيّ تحمّلوا ، فتقـدّم الرجال و [تخلّفَ[١]] الخدَمُ والثّقَل ؛ فلمّا رأى ذلك امرؤ القيس تخلّف بعد ما سار مع رجال قومه غَلوة ، فـكمَن فى غامض[٢] حتى مرّ به النساء ، وفيهن عنيزة ، فلمّا وردن الغـدير قلن : لو نزلنا فاغتسلنا فى هذا الغَدير فذهبَ عنّا بعض الـكَلال ! فنزلن فى الغدير ونحّين العبيد ، ثم تجرّدن فوقفْن فيه[٣] ؛ فأتاهن امرؤ القيس فأخذ ثيابَهنّ فجمَعها وقعَد عليها ، وقال : واللهِ لا أعطى جاريةً منكنّ ثوبَها — ولو قعَدتْ فى الغدير يومَها — حتّى تخرج متجرِّدة فتأخذَ ثوبها ! فأبَيْنَ ذلك عليه ، حتّى تعالَى النهارُ ، وخشِينَ أن يقصُرن عن المنزل الذى يرِدْنه ، فخرجنَ جميعاً غيرَ عُنيزة فناشدته الله أن يطرح ثوبَها ، فأبَى ، فخرجتْ فنظر إليها مُقبلةً ومُدْبرة ، وأقبلنَ عليه فقلن له : إنّك عذّبتنا وحبَستنا وأجعْتَنا . قال : فإنْ نحرتُ لـكنّ[٤] ناقتي أتأ كلن معى ؟ قلن : نعم ! فجرّد سيفَه فعرْقبَها ونحرَها ثم كشطَها ، وجمعَ الخدمُ حطباً كثيراً فأجّجن ناراً عظيمة ، فجعل يقطَع أطايبَها ويُلقى على الجمر ، ويأ كلنَ ويأ كلُ معهنّ ، ويشرب من فَضلة خمرٍ كانت معه ويغنّيهنّ ، وينبذ إلى العبيد من الـكَباب ؛ فلمّـا أرادُوا الرحيلَ قالتْ إحداهنّ : أنا أحمل طِنفَستَه ، وقالت الأخرى : أنا أحمل رحلَه وأنساعه[٥] . فتقسّمنَ متاعَه وزاده وبقيتْ عُنيزة لم تحمِل شيئاً ، فقال لها :

(١) التكلة من العقد والأغانى ١٩ : ٢٧
(٢) الأغانى : « غابة » محرف ، وفى العقد : « غيابة » .
(٣) العقد : « فوقعن فيه »
(٤) ط : « لـكم » صوابه فى س والعقد
(٥) ط : « وأسه وأتساعه » صوابه فى س والعقد

يا ابنةَ الكِرام ، لا بُدّ أن تحمِليني مَعَكِ فإنّى لا أطيق المشى ! فحملَتْه على غاربِ بَعيرها ، فكان يجنَح إليها فيُدخل رأسَه فى خِدْرها فيقبِّلها ، فإذا امتنعت مالَ هودجُها فتقول : عقرتَ بعيرى فانزِلْ ! . . وكان الفرزدق أروىٰ الناسِ لأخبار امرئ القيس وأشعاره ، وذلك أن امرأ القيس رأىٰ من أبيه جفوةً فلحق بعمه شُرَحْبِيل بن الحارث ، وكان مُسترضَعاً فى بنى دارم [فأقامَ (١)] فيهم . وهم رهط الفرزدق . انتهى .

وقد روىٰ أيضاً خبرَ هذا اليومِ أبو زكريًا يحيىٰ بن علىٍّ الخطيبُ التِبريزىّ ، فى شرح هذه المعلّقة على وجهٍ مجمل .

وترجمة امرئ القيس تقدّمت فى الشاهد التاسع والأربعين (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد المائتين (٣) :

٢٤٥ (فأَنتِ طلاقٌ ــ والطلاقُ أَلِيّةٌ ــ ثلاثاً ومن يَخْرَقْ أعَقُّ وأظلَمُ)

على أنّ الواو فى قوله : (والطلاق أليّة) اعتراضيّة ، والجملة اعتراضٌ للتقوية والتسديد بين قوله : (فأنت طلاق) و : (ثلاثا (٤)) . وقد ردّه أبو علىّ كما سيأتى .

و (الأليّة) : اليمين . أراد أنّ الطلاق يَلزَم المطلِّق كما يَلزَم الوفاء

---

(١) التكملة من العقد .

(٢) الخزانة ١ : ص ٣٢٩

(٣) مجالس العلماء للزجاجى ٣٣٨ وابن يعيش ١ : ١٢ وشرح شواهد المغنى ٦١ والأشباه والنظائر ٣ : ٤/٤٢ : ٢٢٠

(٤) فى النسختين : « فانت طلاق ثلاثا » ، وصوابه ما أثبت

بمضمون اليمين . والرواية الصحيحة : (والطّلاق عزيمة) ، ووقع فى أكثر النسخ المصراعُ الأولُ فقط ، اكتفاء بشهرة الشعر .

وقد نقل السعد كلامَ الشارح هنا (فى بحث الجملة الحاليّة من المطوّل) قال الفنارىُّ فى حاشيته : قوله :

فأنتِ طلاقٌ والطلاق أليّة (آخره) : بها المرء ينجو من شِباك الطّوامث

الشِّباك : الحبائل . والطوامث : الحُيَّض ؛ مِن طَمَثت المرأة : حاضت . وفى وقوع هذه الجملة متوسِّطة بين أجزاء كلام واحد ، كما هو الظاهر من كلامه ، نوعُ خفاء ، إذ الظاهر أنّ قوله : بها المرء الخ ، كلامٌ مستقلّ . وقيل : آخر المصراع المذكور :

* ثلاثاً ومن يَخرَقْ أعقُّ وأظلَمُ *

لكن الرواية فى هذا البيت (عزيمة) مكان (أليّة) . ولعلّ فيه روايةً أخرى لم أطّلع عليها . انتهى .

وقال بعضهم : هذا الاعتراض على مذهب الزمخشريّ ، فإنّ الاعتراض عنده ما يُساق لنكتةٍ سوى رفعِ الإيهام . ويكون لا محلّ لها .

وهذا البيت مبنيٌّ على مسألة فقهيّة . وأوّل من تكلّم عليه الإمام محمّد ابنُ الحسَن ، أو الكسائىُّ ، على اختلاف سيذكر .

ونقل ابنُ هشامٍ فى المغْني الجوابَ وبحثَ فيه وزاد ، ثمّ تكلّم عليه السيد معين الدين الإيجىّ فى رِسالةٍ أفردَها وزاد على ابنِ هشامٍ فيما استنبطه . وكلٌّ منهما لم يرَ ما كتبه عليه أبو عليٍّ الفارسىُّ (فى المسائل القصْرية) وقد تنبّهَ لما قالاه وردَّه ، فينبغى أن نُورد كلامَ كلٍّ منهم على حِدَة ، لكنْ نُقدّمُ ابتداء ذكرَ السائل والمجيب أوّلاً فنقول :

قال أبو عليّ الفارسيُّ : حدثنا الشيخ أبو الحسن الكَرْخيُّ عن يحيى ابن الحَريش الرَّقّيّ قال : أرسلني الكِسائيُّ إلى محمّدِ بن الحسن ، أسأله عن الجوابِ في هذه الأبيات :

(إن تَرفُقي يا هندُ فالرِّفْقُ أيمنُ وإن تَخرَقي يا هندُ فالخُرْقُ أشأمُ

فأنتِ طلاقٌ ، والطلاقُ عزيمة ثلاثاً ، ومن يخرَقْ أعقُّ وأظلَمُ

فَبِيني بها أنْ كُنت غيرَ رَفيقةٍ فما لامرئٍ بعدَ الثلاث مُقدَّمُ)

قال : فأتيت محمّدَ بنَ الحسن بالأبيات فقال : إنْ نصب الثلاث فهي ثلاثُ تطليقات ، وإنْ رفع الثلاث فهي واحدة ، كأنّه أراد أن يخبر أنّ عزيمة الطلاق ثلاث . قال : فرجعْتُ إلى الكِسائيِّ فأخبرتُه بقول محمّد ، فتعجّبَ من فطنته . انتهى .

وهذا هو المسطور في كُتب الحنفيَّة كالمبسوط والزَّيلعيّ ؛ لكنْ ذكروا أنّ رسول الكسائي إلى محمّد هو ابن سَماعة . ولا مخالفةَ ، لجواز أنْ يكونا ذهبا معاً برسالة الكسائيّ ، وكلٌّ منهما حكىَ الجواب .

وقال ابن هشام (في المغني) : كتب الرشيدُ ليلةً إلى القاضي أبي يوسُفَ يسأله عن قول القائل — وأنشد الأبيات[1] — فقال : ماذا يلزمه إذا رفع الثلاث وإذا نصبها ؟ قال أبو يوسف : فقلت : هذه مسألةٌ نحويّة فقهية ، ولا آمنُ الخطأَ إنْ قلتَ فيها برأيي . فأتيت الكسائيَّ وهو في فراشه فسألته ، فقال : إنْ رفع ثلاثاً طَلَقت واحدةً لأنّه قال أنت طلاق ، ثم أخبرَ أنّ الطلاق التامَّ ثلاث ، وإنْ نصبها طَلَقَت ثلاثاً ، لأنّ معناه : أنت طالق ثلاثاً ،

(١) إنما أنشد ابن هشام البيتين الأولين فحسب ، وأما ثالثهما فقد أنشده بعد تمام القصة ، وبعد الكلام على البيت الشاهد

٧١ وما بينهما جملة معترضة . فكتبتُ بذلك إلى الرشيد ، فأرسلَ إلىّ بجوائز فَوَجَّهتُ[١] بها إلى الكسائى . انتهى ملخَّصاً . هذا كلامه .

وقال السيد معين الدين : قد وجدتُ فى كتابٍ من كُتب النحو أنّ المسألة قد وقعت بين الإمام محمّدٍ والكسائىّ بحضرة الرشيد ، فقال الكسائىّ : أنت يا محمّدُ تزعمُ أنّ الماهر فى علمٍ يمكنُ أن يَستنبط من العلوم ، وأنت ماهرٌ فى الفقه فاستنبِط من هذا البيت . فقال : فى نصب العزيمة ورفع الثلاث طلقة ، وفى رفعها ونصب الثلاث ثلاث . فقال الكسائىّ : أصبتَ ، والقول ما قُلت ! انتهى .

و (الرِّفق) من باب قتل : خلاف (الخُرْق) والعنف ؛ وخرِق خَرَقاً ، من باب فرح : إذا عمِل شيئاً فلم يَرفُق فيه ؛ فهو أخرقُ وهى خرقاء ، والاسم الخُرْق بالضمّ . و (أيمَن) وصفٌ بمعنى ذى يُمْن وبركة ، لا أنّه أفعلُ تفضيل . وكذلك (الأشام) معناه ذو شَآمة ونحُوسة . و (العزيمة) قال الكرمانىّ فى شرح البخارىّ : هى فى الأصل عقْد القلْب على الشىء ، استُعمل لكلّ أمرٍ محتوم . وفى الاصطلاح : ضدُّ الرخصة . وفعله من باب ضرب ، يقال : عزم على الشىء وعزمَه عزماً بمعنى عقد ضميره على فعْله . وقال النَوَوى : حقيقة العزم حدوثُ رأيٍ وخاطرٍ فى الذهن لم يكن . والعزم والنيّة متقاربان يقُامُ أحدُهما مقامَ الآخر . و (يَجنى) مضارع جنىْ على قومه جناية : أذنب ذَنباً يؤاخَذ به . وروىْ الجماعة : (ومن يَخرَق) فقال ابن يعيش : مَن شرطيّة . وردّ عليه الدماميني بأنّه يلزمه حذف الفاء والمبتدإ من جملة الجزاء ، والتقدير : فهو أعقُّ وأظلم ؛ وليس هذا بمتعيِّن لجواز أن تكون موصولة ،

(١) سه : « فتوجهت » صوابه فى ط ومجالس العلماء والأشباه والنظائر ٣ : ٤٢

وتسكينُ القاف للتخفيف ، كقراءة أبي عمرو : (وما يُشْعِرْكُم[١]) . بإسكان الراء . و (أعقُّ) خبر مَنْ الموصولة ، فلا حذفَ ولا ضرورةَ ولا قبح . انتهى .

والذي ذكره الجعبريّ : أنّ وجهَ الإسكان فيه طلب التخفيف عند اجتماع ثلاثِ حركات ثِقالٍ من نوع واحد أو نوعين . ويَخْرق ليس منهما . وأما التسكين في قوله :

فاليومَ أشْرَبْ غير مُستحقِبٍ[٢]

فقد قيل إنّه للضرورة . . وقوله : (أعقّ) من العُقوق وهو ضدّ البِرّ .

وقوله : فبيني بها الخ ، هي أمرٌ من البَينُونة وهي الفراق ؛ وضمير بها للثلاث أي كوني ذاتَ طلاقٍ بائن بهذه التطليقات الثلاث ، لكونِك غير رفيقة . فأنْ مفتوحة الهمزة مقدَّرٌ قبلَها لام العلة . ومُقَدَّم : مصدرٌ ميميّ : أي ليس لأحدٍ تقدمٌ إلى العِشْرة والألفة بعد إيقاع الثلاث . كذا قال الدمامينيّ . وأجاز بعضهم أن يكون مُقَدَّمٌ بمعنى مَهْرٍ مقدّم : أي ليس له بعدَ الثلاث مَهْرٌ يقدّمه لمطلَّقته ثلاثاً ، إلاّ بعد زوجٍ آخر . فيكون اسمَ مفعول . هذا كلامه .

وأمّا ما بحثه ابنُ هشامٍ بعد الجواب المذكور فهذا نصُّه : أقول : إنّ الصوابَ أنّ كلاًّ من الرفع والنصب محتمِل لوقوع الثلاث ولوقوع الواحدة : أمّا الرفع فلأنّ أل في الطلاق إمّا لمجاز الجنس وإمّا للعهد الذِكْريّ : أي وهذا الطلاق المذكور عزيمةٌ ثلاثٌ . فعلى العَهْدِيّة تقع الثلاث ؛ وعلى الجنسيّة تقع

---

(١) من الآية ٩ في سورة الأنعام

(٢) صدر بيت لامرئ القيس : وتمامه :

* إثْماً من الله ولا واغل *

واحدة . وأمّا النصب فلأنّه محتمِل لأن يكون على المفعول المطلق — وحينئذ يقتضى وقوعَ الثلاث ، إذ المعنى : فأنت طالق ثلاثاً ، ثم اعترض بينهما بقوله والطلاق عزيمة — ولِأنْ يكون حالاً من الضمير المستتر فى عزيمة ، وحينئذ لا يلزم وقوعُ الثلاث ، لأنّ المعنى : والطلاق عزيمة إذا كان ثلاثاً ، فإنّما يقع ما نواه . هذا ما يقتضيه اللفظ مع قطع النظر عمّا بعده ، فإنّه يعيِّن الثلاث . انتهى كلامُه .

٧٢

وقال الفَنَارىُّ (فى حاشية المطوَّل) : قد انتصر جدُّنا شمسُ الدين الفنارىُّ للكسائىِّ وأبى يوسفَ حيث قال : ولقائل أن يقول : إنّما لم يعتبر الكسائى وأبو يوسف ، حين ارتفاع الثلاث ، كونَ اللام للعهد ؛ لأنّ ثلاث وعزيمة لا يصحُّ أن يكونا خبرين عن الطّلاق المعهود ، فإنّ الطلاقَ رُخصةٌ وليس بعزيمة . وكذا حين انتصاب الثلاث ، لا يصحُّ أن يكون ثلاثاً حالاً من ضمير عزيمة ، لما قلنا . فلم يتعيَّن أيضاً — قال — اللهمَّ إلاّ أن تحمل العزيمةَ على المعنى اللغوىِّ . والعُرفُ أملَكُ . وفيه بحثٌ : أمّا أوّلاً فلأنّه لا دخل فى لزوم المحذور المذكور لجعل اللام للعهد ، إذْ منشؤه عدم اجتماع الثلاث والعزيمة ، وهذا الاجتماعُ لازمٌ على تقدير الحَمْل على مجاز الجنس ؛ اللهمَّ إلاّ أن يُرادَ الحملُ على الجنس المطلَق ، ويُجعَلَ الإخبارُ بالعزيمة والثلاث بالنظر إلى أنواع الطلاق . وأمّا ثانياً : الأملَكُ[1] فى مثله هو العُرف العامّ ؛ فالظاهر أنّ المعنى : الطلاقُ الذى ذكرتُ ليسَ بلغوٍ ولا لَعب ، بل هو معزومٌ عليه . نعمْ الكلامُ ، على تقدير جعلِ ثلاثاً حالاً من المستتر فى عزيمة ، محتملٌ لوقوع الثلاث ، بأن يكون المعنىْ والطلاق الذى ذكرتُه إذ كان ثلاثا . فتأمَّلْ . انتهى .

---

(١) كذا فى النسختين بإسقاط فاء الجواب

ونازعه الدَّمامينيُّ في الأخير فقال : الكلام محتملٌ لوقوع الثلاث على تقدير الحال أيضاً ، بأن تجعل أل للعهد الذِكرىّ ، كما تقدَّم له في أحد وجهيْ الرفع . كأنَّه قال : والطلاق الذى ذكرتُ معزومٌ عليه حالَ كونه ثلاثاً . ولا يقدر حينئذ إذا كان ، بل إذْ كان .

وأمَّا كلام السيِّد مُعين الدين ، فإنَّه قال : الشعر يحتمل اثنَىْ عشَر وجهاً ، لأنَّ اللام إمَّا للجنس وإمَّا للعهد ، وعزيمة إمَّا مرفوع وإمَّا منصوب على الحال أو على المعمول المطلق[1] ، فخرج من ضرب أربعة في ثلاثة : اثنا عشر ؛ لكن أربعةً منها تركيبٌ باطل . أمَّا الثمانية فعلى تقدير أنَّ اللام (للجنس) إمَّا أن يكون عزيمة وثلاث مرفوعين ، فيلزمه على ما قال ابن هشام واحدة ؛ والظاهر أنَّه يلزمه ثلاث إذْ ليس الطَّلاق عندَه إلاَّ عزيمة ثلاث ، وطلاقه فرد ممَّا ادَّعاه . وإمَّا أن يكون عزيمة منصوباً وثلاث مرفوعاً ، فيلزمه واحدة ، وهو أحد وجهيْ الإمام محمَّد ، وفيه أنَّ ذا الحال مبتدأ . وإمَّا أن يكون عزيمة مرفوعاً وثلاث حالاً من المستتر في عزيمة ، يلزمه واحدة ؛ وهو وجهٌ ثان لابن هشام وللإمام ؛ لكنْ في كلام الإمام إبهام ، لأنَّه يحتمل أن يكون ثلاث مفعولاً مطلقاً ، وحينئذٍ يَلزمه ثلاث . وإمَّا أن يكون عزيمة مرفوعا وثلاث مفعولاً مطلقاً فيلزمه ثلاث ؛ وهو ثالث وجوه ابن هشام . فهذه وجوهٌ أربعة .

وعلى تقدير أنَّ اللام (للعهد) إمَّا أن يكون عزيمة وثلاث مرفوعَيْن ، كأنَّه قال : أنت طلاقٌ وهذا الطلاق عزيمة ثلاث ، فيلزمه ثلاث ، وهو رابع وجوهِ ابن هشام . وإمَّا أن يكون عزيمة منصوباً وثلاث مرفوعاً ، فيلزمه ثلاث .

---

(١) كذا في النسختين ، وكتب مصحح الطبعة الأولى ما نصه : « ولعل الصواب : وعزيمة إما مرفوع وإما منصوب ، وثلاث إما مرفوع ، أو منصوب على الحال ، أوعلى المفعول المطلق يدل على ذلك التقسيم الآتى » .

وإمّا أن يكون عزيمة مرفوعاً وثلاث منصوباً حالاً من المستتر ، فتلزمه ثلاث .
وإمّا أن يكون عزيمة مرفوعاً وثلاث مفعولاً مطلقاً ، فيلزمه ثلاث . فهذه أربعة
أخرى فتكون ثمانية .

وأمّا الأربعة التي فسدت لأجل الإعراب فهي ، بتقدير أنّ اللام
(للجنس) إمّا أن يكون عزيمة منصوباً وثلاث حالاً من المستتر أو مفعولا
مطلقا . وبتقدير أنّ اللام (للعهد) إمّا أن يكون [عزيمة[1]] منصوباً وثلاث ٧٣
حالاً من المستتر أو مفعولاً مطلقاً . وعلى الوجهين وهو أنّه حال ، يلزمه واحدة
وعلى الوجهين الآخرين يلزمه ثلاث . هذا كلامه .

وقد كتب ابن قاسم العباديّ على مواضعَ من هذه الرسالة ، فكتب عند
قوله « الشعْر يحتمل اثنَيْ عشَر وجْها » : لا بدّ على سائر التقادير في وقوع
أصل الطلاق ، عند الشافعيّة ، من النيّة ، كما هو ظاهر ، لأنّ أنتِ طلاقٌ[2]
من الكنايات عندهم . وكتب عند قوله : « والظاهر أنه يلزمه ثلاث » :
قد يمنع من هذا الظاهر عند الشافعيّة أنّ أنتِ طلاقٌ كنايةٌ عندَهم ، وشرط
تأثير الكناية في أصل الوقوع والعَدَدِ النيّةُ . ولا يقوم مقامَ النِيّة ما اقترن
بالكناية مما يدلُّ على الوقوع أو العِدّة من القرائنِ ؛ ولهذا صرّحوا بعدم
الوقوع بقوله أنتِ بائنٌ بينونةً محرَّمةً ولا تحِلّين لي أبداً ، إذا لم ينْوِ .
وحينئذ فالقياس في قول الشاعر : فأنتِ طلاق ، عدمُ الوقوع رأساً إنْ لم ينو .
فإن نوىٰ الطلاقَ الثلاثَ وقع الثلاثُ ، وإن نوىٰ أصلَ الطلاق فقطْ فالقياسُ
وقوعُ واحدة . وقوله : والطلاق عزيمة ثلاث ، على تقدير رفع عزيمة وثلاث

---

(١) التكملة من سه .

(٢) سه : « أنت طالق » .

وكونِ ألْ فى الطَّلاق للجنس ، لا يصلح لتقييد الطلاق الذى أوقعه بالثلاث ؛ لأنّه إن أراد أنّ جنس الطلاق ليس إلاّ الثلاث ، فهو غير صحيح ، إذ الجنسُ موجودٌ فى الواحدة والثِنْتَين أيضاً ، وإن أراد أنّ الجنسَ قد يكونُ فى الثلاث ، فهذا لا يقتضى تقييدَ هذا الطلاقِ الواقع بالثلاث ؛ فليُتأمَّل . وما ذكرناه لا ينافيه قول الروض : فإن قال أنتِ بائنٌ ثلاثًا ونوى الطلاقَ لا الثلاثَ وقعن أى الثلاث . انتهى ، لأنّه قيّد البينونة التى نوىٰ بها الطلاقَ ، بالثلاث ، وما ذكر لا تقييدَ فيه ، ولا ارتباط فيه للثلاثِ بالطلاق الذى أوقعه . فليتأمل . وكتب عند قوله : « وطلاقُه فَرْدٌ ممّا ادّعاه » قد يقال : ما ادّعاه ليس بصحيح بظاهره إذ جنْس الطلاقِ لا ينحصر فى الثلاث ، فلا يلزم أن يكون طلاقُه فرداً من جنس الثلاث ؛ نعم إنْ قصد ذلك بأن قصد طلاقاً من أفراد الثلاث فسلَّم ؛ فليتأمل . . وكتب عند قوله : « وفيه أنّ ذا الحال مبتدأ » : قد يقال هذا لا يرِد ، لأنّ المراد أنّ هذا التقدير والحمل[1] يقتضى هذا الحكم ، وأما أنّ هذا التقدير ضعيفٌ فشىء آخر لا ينافى ذلك . . وكتب عند قوله : « وحينئذ يلزم ثلاث » : هذا ظاهرٌ إن أُريد المفعول المطلق من طالق لا من الطلاق .

وكتب شيخُنا الشِهاب الخفَاجىُّ ، عند بيانه للأربعة التى فسدت لأجل الإعراب : وما ادّعاه من بُطلان الوجوه الأربعة إذا رفع الطلاق ونصب عزيمة وثلاث ، على الحاليّة أو المفعوليّة ، غير مسلَّم ، لأنّه يجوز أن يكون خبرَ مبتدإ مقدَّر : أى وهذا الطلاق . وباب التقدير واسع . انتهى .

هذا ما وقفتُ عليه ممّا كتب على هذا الشعر . وكلامُهم دائرٌ على أنّ ثلاثاً إمّا مفعولٌ مطلق لطلاق المنكّر أو المعرّف ، وإمّا حال من الضمير المستتر .

---

(١) ط : « والحل » ، صوابه فى ش .

ومنَع الكلَّ أبو عليّ (فى المسائل القصْرية) ومنعَ كونَه تمييزاً أيضاً ، وعيَّن أن يكون ثلاثاً مفعولاً مطلقاً إمّا لعزيمة أو لَطُلِّقتِ محذوفا ، وإمّا ظرف لعزيمة . وحقَّق أنّ مُفادَ البيت الطلاقُ الثلاث لا غير | و | هذا كلامُه : قوله :

فأنتِ طلاقٌ والطلاق عزيمة ثلاث . . . . البيت

٧٤ لا يخلو إذا نصبتَ ثلاثاً أن يكون متعلّقا بطلاق أو غيره ، فلا يجوز أن يكون متعلّقا بطلاق ؛ لأنّه إنْ كان متعلّقا به لم يَخْلُ من أن يكون طلاقُ الأوّلَ أو الثانى ، فلا يجوز أن يكون متعلّقا بطلاقُ الأوّل ، لأنّ الطلاق مصدرٌ فلا يجوز أن يتعلّق به شىء بعدَ العطف عليه ، ولا يجوز أن يُنصَبَ ثلاث بطلاق الثانى ؛ لأنّه قد أخبر عنه للفصل . فإذا بطل الوجهان جميعاً ، ثبتَ أنّه متعلّقٌ بغيره : فيجوز أن يكون متعلّقا بعزيمة ، أى أعزمُ ثلاثاً ؛ ولم يُحتَجْ إلى ذكر الفاعل لأنّ ما تقدّم من قوله : فأنت طلاق ، قد دلّ على الفاعل ، ألا ترى أنّ معناه : أنت ذاتُ طلاق ، أى ذات طلاق ، أى قد طلَّقتك . فلا فصلَ بين أنتِ ذاتُ طلاق ، وبين قد طلقتك ، لمّا أضفتَ المصدر إلى الفعل استغنيتَ عن إظهار المفعول ، تجْرِى ذكره فى الكلام . فحذفته كما استغنيت[1] عن ذكر المفعول فى قوله : (والحافِظِينَ فُرُوجَهم والحافِظاتِ[2]) فلم يحتجْ إلى ذكر الفاعل فى عزيمة إذ كان مصدراً كالتذير والتنكير ، وكما لم يحتج إليه فى قوله تعالى : (أو إطعامٌ فى يوْمٍ ذى مَسْغَبَةٍ . يَتيماً[3]) لتقدُّم ذكره ، فلذلك لم يُحتجِ إلى ذكر الفاعل فى عزيمة فصار كأنّه قال : أنت طلاق والطلاقُ عزيمتى ثلاثاً ، أى أعزِمُه ثلاثاً . فيكون ثلاثاً

(١) لعلها « كما استغنى » .
(٢) الآية ٣٥ من الأحزاب .
(٣) الآيتين ١٤ ، ١٥ من سورة البلد .

المنصوبُ متعلقا بعزيمة ، أو يكونُ تعلقه به على جهة الظرف ، كأنه قال : أعزم ثلاث مرات أو ثلاثَ تطليقات ، فإذا كان كذلك وقع ثلاث تطليقات لتعلق الثلاث بما ذكرناه ، ولا يجوز أن يكون أقلَّ من ذلك لتعلقه بالعزيمة . والأشبهُ فيمن نصب ثلاثاً أن يكون الطَّلاق الثانى المعرَّفُ باللام يراد به الطلاقُ المنكور الذى تقدَّم ذكره ، أى ذلك الطلاق عزَمْتُه ، أى عزمت عليه ثلاثاً . فإذا كان كذلك لم يتجه إلاّ إلى الإيقاع للثلاث ، وأما إذا رفع ثلاثاً أمكن أن يكون المراد : الطلاق عزيمة ثلاث ، أى جنس الطلاق ذو عزيمة ثلاث ، وأمكن أن يكون طلاق ذو عزيمة ثلاث . فإذا أمكن أن يكون المرادُ به طَلاقَه خاصَّةً ، وأمكن أن يكون غيرَ طلاقه ولكنْ جنسَ الطلاق ، لم نُوقِع به شيئاً حتَّى يتَيَقّنَ ذلك بإقرارٍ من المطلِّق أنّه أراد ذلك ، فأمّا إذا لم يقترن إلى هذا اللفظ ، الذى يحتمل الطلاق الخاصّ والطلاقَ العامَّ ، شىء يُدَلُّ به أنّه يريد به طلاقَه خاصّةً ، لم نُوقِعْه . والأشبهُ فى قولهم : واحدة ، واثنتان ، وثلاث ، فى الطلاق ، وإيصالِهِمْ إيّاه بهنَّ ، أن يكون مراراً ، فينتصب على أنّه ظرفٌ من الزمان ، يقوِّى ذلك قوله تعالى (الطلاقُ مرّتان[1]) والمعنى : الطلاق فى مرتين ، إلاّ أنّه اتّسع فيه فأُقيم مُقامَ الخبر ، كما أُقيم ظرفُ الزمان مُقامَ الفاعلِ فى قولهم : سِيرَ عليه طَوْرانِ ، وسِير عليه مرّتان وشهران ، فكذلك قوله مرّتان . وإذا كان كذلك كان قولهم : أنت طالق واحدة ، كأنّك قلت أنت طالق مرّة ، وأنت طالق ثنتين ، أى مرتين . وكذلك ثلاثاً . فيكون ذلك ظرفاً من الزمان . ويجوز فيمن نصب ثلاثاً فى البيت أن لا يحمله على عزيمة ، ولكن يحمله على فعلٍ مضمَر ، كأنّه لما لم يجز أن يحمله على طلاق الأوَّل ولا على طلاق الثانى ، وكان المعنى والمراد أن يكون الثلاث محمولاً

---

(١) الآية ٢٢٩ من سورة البقرة .

على الطلاق ، أضمر طلّقت . ودلّ عليه ما تقدّم من ذكر الطلاق ، فكأنه قال : طلّقتك ثلاثاً . فأمّا حملُ الثلاث على التفسير فى قولهم : أنت طالق ثلاثاً ، فليسَ ذلك من مواضع التفسير ، ألا ترى أنّ التفسير جميع ما كان منتصباً منه فقدّره(١) النحويّون على جواز إدخال مِنْ فيه ، وأنّ منه ما يُرَدُّ إلى الجمع ومنه ما يُقرّ على الواحد ، كقولهم : عشرون من الدّراهم ، ولله دَرُّه مِن رجل . ولا يجوز ذلك فى هذا ، ألا ترى أنّه لا يستقيم : أنت طالقٌ من واحد ، ولا من العدد ، ولا ما أشبه ذلك ! فإذا كان كذلك لم يكن تفسيراً . وأيضاً فإنّ التفسير لا يجوز أن يكون معرّفاً ، والتعريفُ فى هذا غيرُ ممتنع ، تقول : أنتِ طالقُ الثلاثَ ، وأنتِ طالقُ الثّنتين أو الطلقتين . فإذا كان كذلك كان ظرفاً ، والظرف يكون تارةً معرفة وتارة نكرة .

وقد تقول : أنتِ طالقٌ من ثلاثٍ ما شئتِ ، فيكون ما شئتِ معرفة ، كأنّك قلت : الذى شِئْتِهِ ، فيكون معرفة . ولو كان تفسيراً لم تقع المعرفة فى هذا الموضع .

ولا يجوز أن ينتصب على أنّه حال ، لأنّه لو كان حالاً لم يجز أن يقع خبراً للابتداء فى قوله : (الطَّلاقُ مَرّتان) كما لا يكون الحال خبراً للمبتدأ . ولو قلت : قمتُ خلفَك ، فنصبت خلفك على تقدير الحال ، أى قمتُ ثابتاً فيه ، لم يجز الإخبار عنه ، لأن الحال لا يكون خبرَ مبتدأ .

فإنْ قلت : يكون قوله : والطلاق عزيمة ، اعتراضاً بين الصلة والموصول ، وتحمل ثلاثاً على الطلاق الأوّل(٢) ، قيل : لا يجوز أن تحمله على الاعتراض ،

٧٥

---

(١) كذا فى ط . وفى سه : « فقد » وأمامها بياض يتسع لثلاث كلمات : وبالهامش « لعله اتفق » ، أى لعله ، فقد اتفق النحويون .

(٢) كذا فى ط . وفى سه : « وتحمل طلاقا على الثلاث الأول » .

كما أنّ قوله : (وأقرِضُوا اللهَ قرْضاً حَسَناً [١]) في قولنا اعتراض ، ألا ترى أنّ ذلك اعتراضٌ بين الخبر والمخبر عنه ! وكذلك قوله تعالى : (قُلْ إنّ الهُدىٰ هُدىٰ اللهِ [٢]) اعتراضٌ بين المفعول الذى هو (أنْ يُؤتىٰ أحد [٣]) . ولا يعترض بين الطلاق وثلاث ، لأنّه لا مِثل له يُشَبَّه به .

هذا كلام أبى علىّ ، وقد حذفنا منه بعضَ ما يُستغنىٰ عنه . وفى منْعِهِ الاعتراضَ ردٌّ على الشارح وغيرِه ، حيثُ جعلوا الجملةَ معترِضةً ، كما تقدّم التنبيهُ عليه .

* * *

كمل الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع وأوله « باب خبر كان وأخواتها »

﴿ والحمد لله وحده ﴾

---

(١) الآية ١٨ من سورة الحديد . وفى الآية ٢٠ من المزمل : « وأقرضوا الله قرضا حسنا » بصيغة الأمر ، وليست مرادة هنا ، بل المراد قوله تعالى فى سورة الحديد : « إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم » حيث اعترضت الجملة بين اسم إن وخبرها .

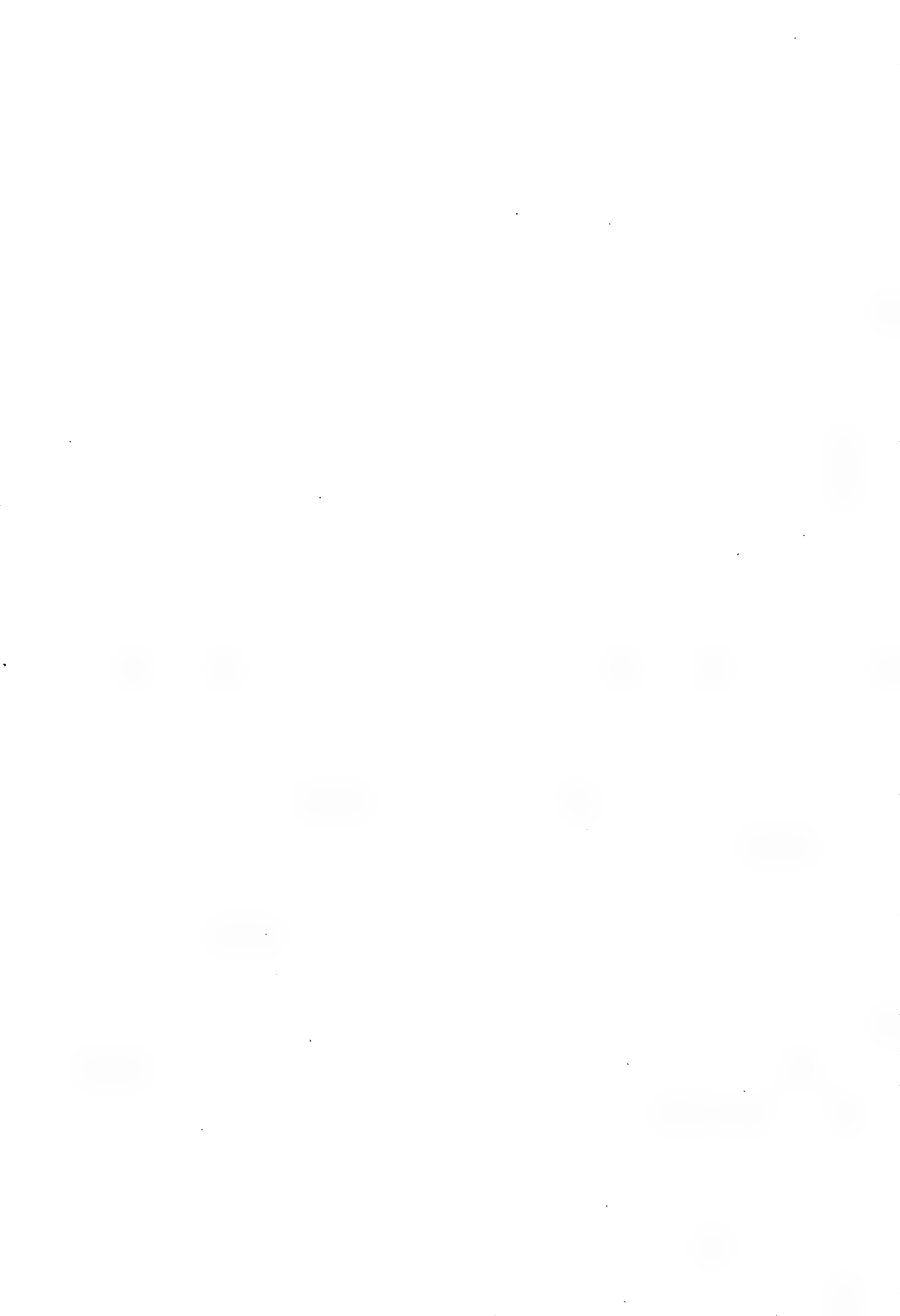
(٢) الآية ٧٣ من آل عمران : وتمامها : « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هُدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » . وانظر تفسير أبى حيان ٢ : ٤٩٤ — ٤٩٧ .

(٣) كتب مصحح المطبوعة الأولى : « قوله اعتراض بين المفعول ، هكذا بالأصل الذى بأيدينا ، ولعله : اعتراض بين الفعل الذى هو تؤمنوا وبين المفعول ... الخ » .



(١)

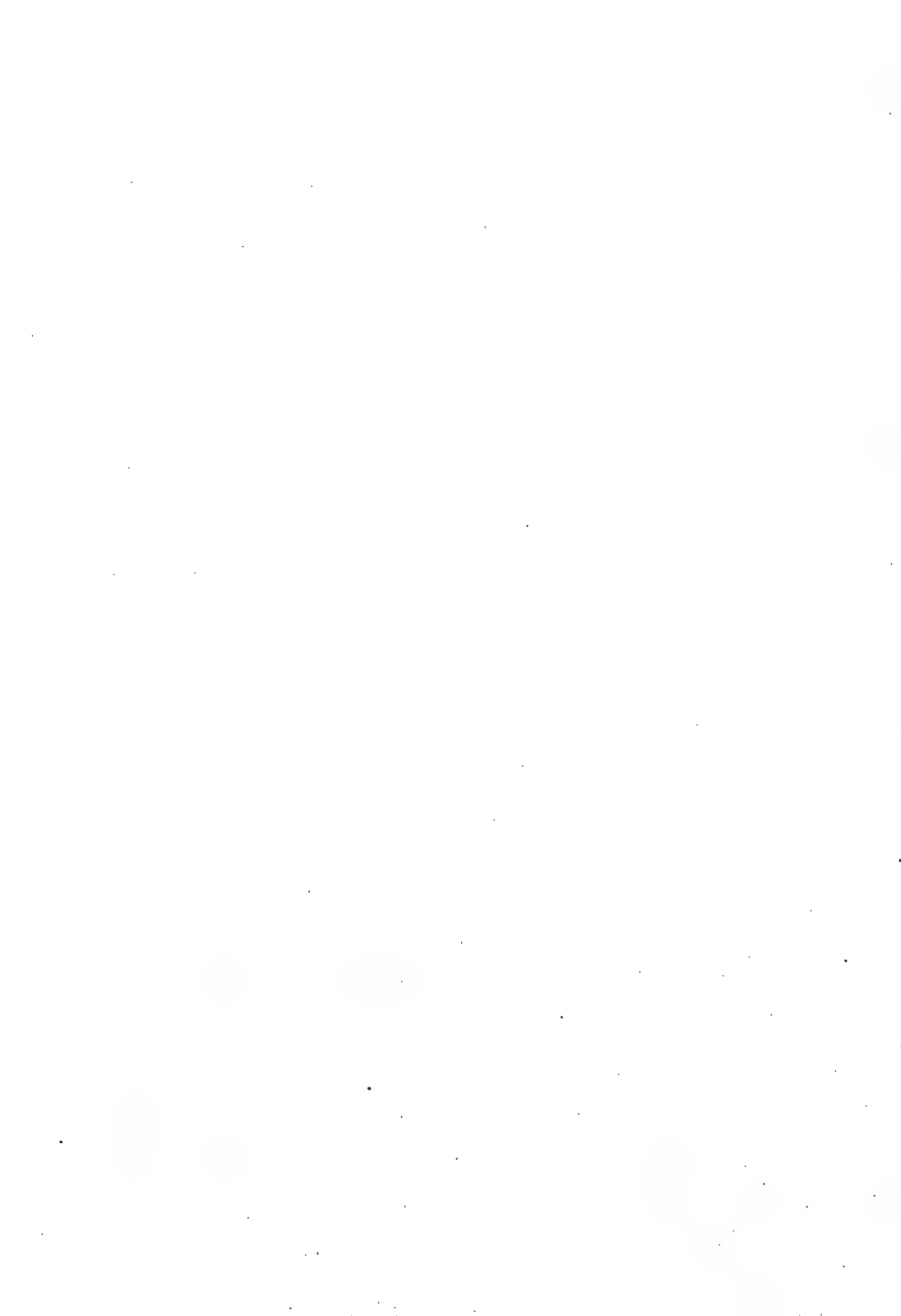
فهـــرس التراجم



الصفحة

(ب)

فهرس الشواهد



الاشتغال

« التحذير »

« المفعول فيه »